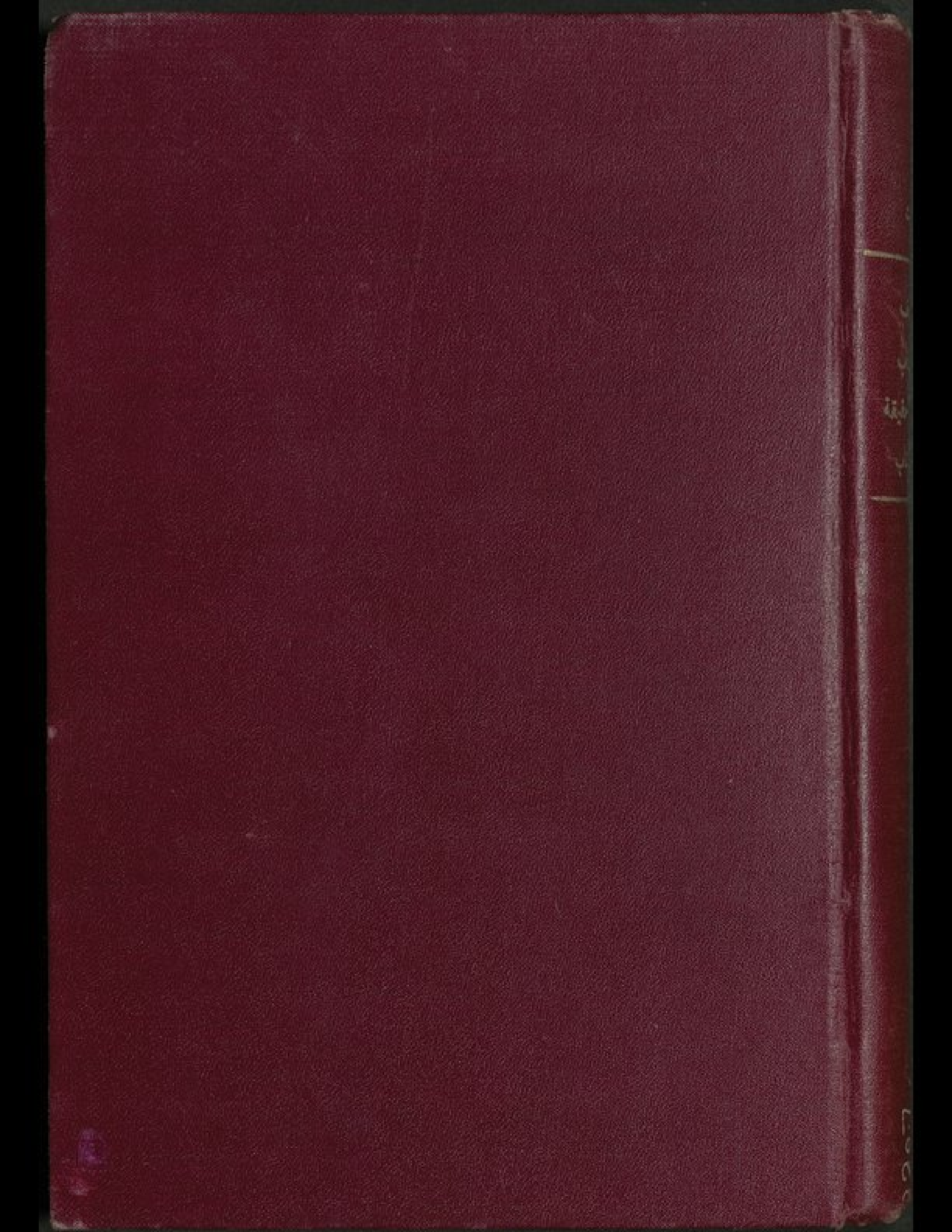
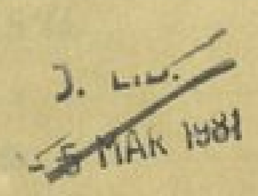
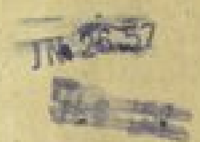
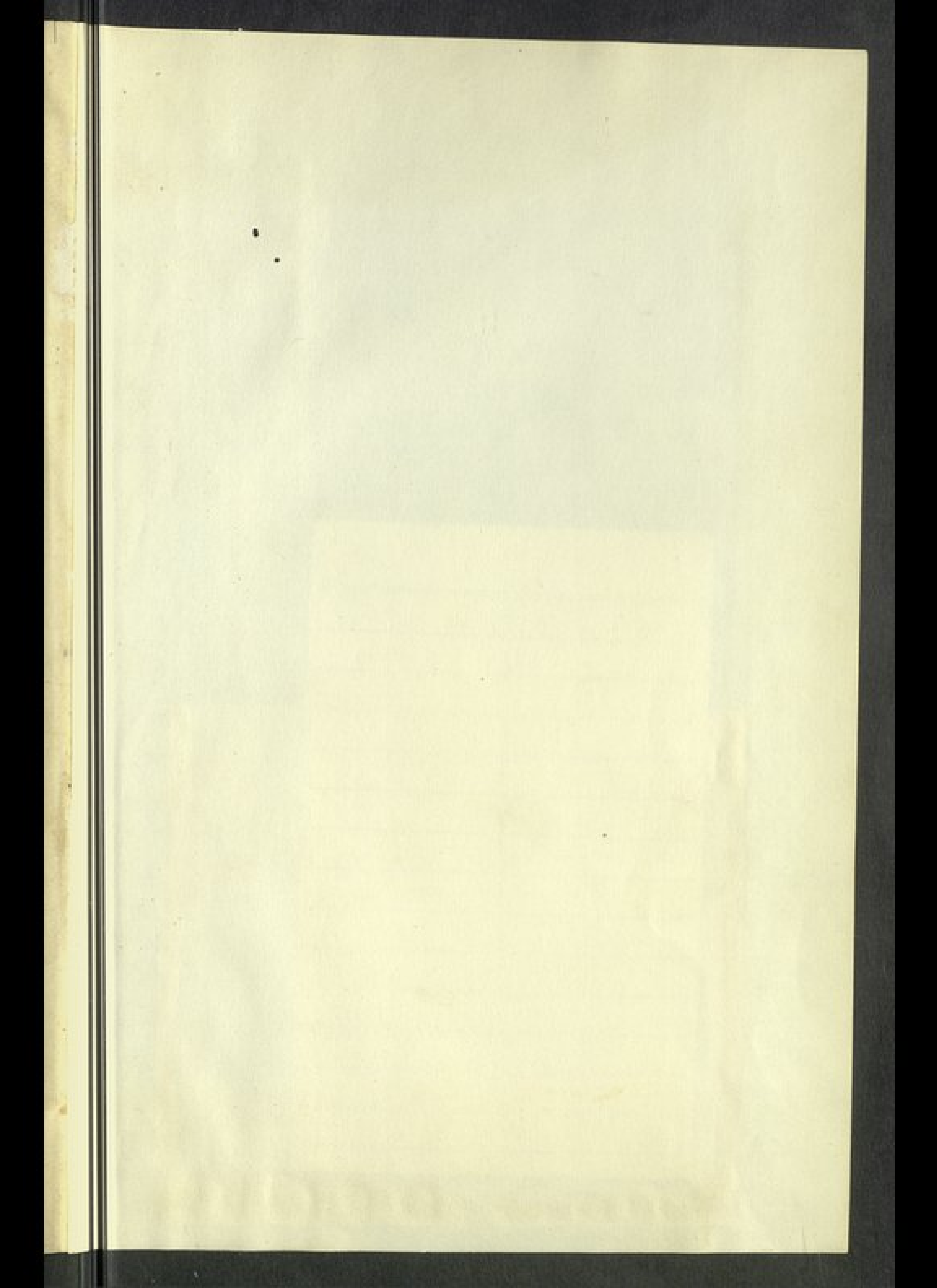












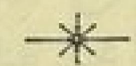
كشف النقاب عن حقيقة الكتاب

هو

كتاب تاريخي علمي للاسفار الالهية

او مدخل في الكتاب المقدس

المجلد الثاني من كتاب الاول من الجزء الاول



لمؤلفه الاب الياس نابت العشقوتي

الراهب الحلبي اللبناني

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونيه

١٩٣٤

لا مانع من طبعه في ٨ ت سنة ١٩٣٣

الاباتي

+ جبرايل العشقوتي

الرئيس العام على الرهبنة الحلبية اللبنانية

لا مانع من طبعه في ٨ ايلول سنة ١٩٣٣

الحقير

+ انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

تصدير الكتاب

بكلمة لا بُدَّ منها

لحضرة الاباتي المفضال جرمانوس سيف وكيل الرئاسة العامة الحلبية
لدى الكرسي الرسولي

هو الاخلاص بل فوقه الواجب يدعوني الى تصدير هذا الكتاب الثاني من تأليفي « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » بكلمة الى حضرة الاباتي المحبوب جرمانوس سيف، صاحب الايادي البيضاء على الناشئة الحديثة وبنوع اخصّ على كاتب هذه السطور آن اقام بضع سنين في رومية تحت عنايته الابوية.

لا اغرق اذا قلت ان الاباتي سيف يصبو الى ما يعجز عنه الجبّار، من الاخذ بناصر دير رومية الذي كان قد تداعى نحو الانحطاط، لو لم تأتِ العناية بهذا الاب الشاب الذي يُعَدّ من وجهاء رجال رهبنتنا الاداريين، فهو ماضٍ في عمله الكبير، الذي سيكتب له صفحة ذهبية في تاريخ الرهبانية، والذي لا شك يرزح تحته عياناً كل شاب غير الاباتي سيف، غير ان سيف لا يرزح ولن يعيا من اي ثقل يعود الى صالح الرهبنة امه العزيزة، اذاً انه مخلص، واي مخلص. فالضمير فيه قبل كل شي والواجب عنده اقدس ما ينفحه به هذا الضمير. فاعماله غنية عن الوصف وروما

تشهد وتذيع . اي ضيف نزل في ديرنا ولم يعد و كله السنة شكر وثناء على مزايا الاباتي سيف ؟ هذا كله خبره بعض ابناء لبنان آن حلّوا ضيوفاً كرماء في ديرنا اذ انزلهم حضرة سيف على الرحب والسعة .

اجل ايها القارىء ، هذا سيف المحبوب صورة مصغرة كثيراً حاولت ان اصفه بها دون ان انجح تماماً ، وتمام النجاح لله في كل حال .

اما انت ، سيدي الاباتي ، فتقبل مني هذا الكتاب كتقدمة ، ليست سوى ثمار عنايتك بولدك ، الذي مهما تقلبت احواله ، لا يخرج عن دائرة فضلك . واذ المقام مقام الاقرار بفضلك فيجدر بي بل يجب عليَّ استعارة قول الشاعر :

لو ان لي في كل منبت شعرة لساناً يبثّ الشكر كنت مقصّراً

المؤلف

اقوال الصحافة في المجلد الاول

لم يكد يظهر الكتيب الاول من مؤلفنا الى عالم الوجود حتى اقبلت عليه جمهرة من مفكري ادبائنا تشبعه تقريظاً وتحث على اقتنائـه وفي مقدمتهم الجرائـد السيارة (كالراصد والاحوال والبيرق ..) والمجلات كالمنارة والمشرق .

١ – قالت جريدة العاصفة الغراء في عددها ٤٧ لصاحبها الاستاذ كرم

وضع حضرة الاخ المحترم الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني كتاباً تاريخياً انتقادياً تناول به الاسفار الالهية وكشف عن حقيقة الكتاب المقدس . وقد وصل الينا المجد الاول من مؤلفه الدقيق فاذا هو يدل على عناية وجهد واطلاع فنشكر للمؤلف اجتهاده ومقدرته وسعيه الى الوقوف على الحقائق راجين له في عمله السامي كل فلاح وتوفيق .

٢ – وقالت جريدة الاحرار الغراء في عددها ٢٢٠٢

لصاحبيها جبران تويني وخليل كسيب

« كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » هو المجلد الاول من الجزء الاول لمؤلف تاريخي انتقادي تفسيري للاسفار الالهية او هو مدخل في الكتاب المقدس عنى بوضعه الاخ الياس ثابت الراهب

الحلبي اللبناني ومما لا شكّ فيه انه كتاب جليل الفائدة للعموم وخصوصاً للذين يودون التبحّر في الشؤون الدينيـة المتضمنة في الكتاب المقدس، والاستظهار على جلية القواعد الواردة فيه والمتخذة شريعة تسير عليها الديانـة المسيحية فمن همهم ان يجدوا الشروح الضافية في هذا الصدد فليطالعوا هذا الكتاب .

٣ً – وقالت جريدة الاتحاد اللبناني الغراء في عددها ١٠٨ لرئيس تحريرها الاستاذ نجيب ليان

اصدر حضرة العالم الفاضـل الاخ الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني الجزء الاول من كتابه كشف النقاب عن حقيقة الكتاب وهو مؤلف تاريخي نفيس عن الاسفار الالهية يتناول فيه واضعه الفاضل البحث في العهدين القديم والجديد من سفر التكوين الى سفر الخروج الى سفر الاحبار الخ . . تضاف الى ذلـك ابحاث وتعاليق وردود وجيهة تدل عـلى سعة في الاطلاع وتعمق في الدرس مما يجعل للكتاب قيمة كبيرة تجعله بحق، تحفة في مكاتب الباحثين . . . .

٤ً – وقالت مجلة المنارة الغراء في عددها السابع من اعداد سنة ١٩٣٣ للاباء المرسلين اللبنانيين الافاضل

لما كان علم الكتاب المقدس من العلوم العصرية ويتقدّم بتقدم الاكتشافات الاثرية وقد ظهر منها جانب كبير في ضواحي الشرق

مسرح الحوادث التاريخية وذلك في الآونة المتأخرة كان اطلاع الباحثين الادباء والتلامذة الدارسين واخصهم الاكليريكيين على آخر ما توصلت اليه هذه الابحاث ضرب لازب . وهذا ما فعله الاخ النشيط النجيب الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني فاتحفنا بالمجلد الاول من الكتاب الاول من الجزء الاول من كتابه « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » وهو مصنف تاريخي انتقادي للاسفار الالهية او مدخل في الكتاب المقدس . جاء خلاصة حسنة ١ً – عن خمسة اسفار موسى بوجه خصوصي و ٢ً – عن الخمسة الاسفار المذكورة بوجه عمومي او في مسألة هذه الاسفار الخمسة من الوجهة العلمية الانتقادية . والكتاب يقع في ٧٤ صفحة قطع كبير .

٥ً – وقالت جريدة العلم الغراء في عددها ٥٣١

بلسان حضرة الاخ مرتينوس طرزا تلميذ مدرستنا الرومانية

ان جمهرة من ابناء الكنيسة اساطين العلم وقادة الافكار فيه قد خاضوا معامع البحث والجدال في اثبات حقيقة تاريخية الكتاب المقدس ونثره وتفسير ما أبهم من الفاظه فكتبوا في هذا الموضوع مجلدات يطالعها الدارسون في كليات اوروبا الجامعة مغترفين من بحرها الزاخر درر الفوائد النفاس انما هذه المجلدات كُتِبَت في اللغة اللاتينيّة لغة الكنيسة الكاثوليكية . ولما كان اولاد اللغة العربية في اشد الحاجة الى مؤلف ينشر اشعة فهم الكتاب المقدس على العقول اذا بكتاب كشف النقاب عن حقيقة الكتاب ، ثمرة جهود

الاخ ثابت المشكورة وباكورة اعماله بين ايدينا فطالعناه بملء الغبطة فالفيناه سفراً جديداً في بابه وبحثاً حديثاً فريداً لم يطرقه احد من علماء الطائفة قبله يشتمل على براهين مقنعة في اثبات حقيقة تاريخية الكتاب المقدس وابلغ دحض لاراء المخالفين واوضح شرح لما أشكل فهمه من الالفاظ . ولا غرو فان حضرة الاخ المؤلف يجمع الى الحذق والبتّ جدة البحث وسعة المدارك وبانصرافه الى وضع هذا السفر الجليل قد أدّى للبلاد العربية الشرقية اعظم خدمة يؤديها الى امته الكاتب الموهوب . واذا اطرينا جهود الاخ ثابت انما نقصد غرضاً ابعد من الثناء الشخصي ، نقصد لفت الانظار للانتفاع بهذا السفر الجليل واستغلاله استغلالاً يتفق مع ما يطمح اليه الشرق من العلو والارتقاء ولنا كبير الامل بان يكون هذا الجزء الغاية التي نتوخاها .

عن رومية الاخ مرتينوس طرزا

الحلبي اللبناني

فشكراً لصحافتنا على قولها هذا فينا اذ ارادت تشجيعنا والحق يقال اننا بحاجة الى التشجيع لان هذا الحقل الذي ولجناه كبيرٌ واسعٌ ودقيقٌ سامٍ ، ناهيك عن عدم وجود كتب في لغتنا العربية تخفف من مشقّة هذا الفرع بوضعها الكلام التقني المتعارف عند علماء عصرنا هذا الذين لم يوفروا شيئاً يجب تضحيته إلاّ وضحّوه في سبيل غايتهم الحميدة ، هي رفع هذا الفرع الى مقام اعلى يستحقه . وما عدا الصحافة قد اقبل بعض علماء من

وجهة ادبائنا العصريين، الذين نشكرهم جزيل الشكر ، يقرظوننا مكبرين اقدامنا على هذا الموضوع رغماً عن جداثة سننا وعدم توفير الوسائط لدينا في بلادنا الشرقية الراغبة في كل جديد، من عدم وجود مكاتب شهيرة وعلماء فطاحل نكلّل مبحثنا باقوالهم الشيّقة . ومن هؤلاء الادباء حضرة الاباتي اغناطيوس وهيبه وطوبيا العنيسي البحاثة اتحفانا برسالتين ملؤهما التشجيع ثم حضرة صديقنا الاب بطرس ابي راشد وافانا برسالة لطيفة ملحّاً علينا بنشرها في اول صفحات مجلدنا هذا، فنزولاً عند رغبة صديقنا هذا ننشر له هذه الرسالة مع جزيل الشكر .

١ً – رسالة حضرة الاباتي اغناطيوس وهيبه

رئيس بطركخانة المنصورة الجزيل الاحترام

قال حضرته :

حضرة الاخ العزيز الجليل المحترم

بعد التحية والسلام ابدي اني قد تلقّيت بمزيد الارتياح والسرور مؤلفكم كشف النقاب عن حقيقة الكتاب المتضمن الادلة الراهنة المثبتة قانونية خمسة اسفار موسى وصحتها وصدق انتسابها الى الموحاة اليه من الوجهة التاريخيّة الانتقادية . فاتيتم بعملكم هذا مأثر جُلّى تميطون بها اللثام عن معارضة ذوي البدع والبهتان الذين راموا نبذ قانونية جميع الاسفار او بعضها وحاول فريق آخر

صرف آيها الراهنة الى ما سولته لهم شهواتهم وارآؤهم ليجدوا لهم مُتَّسعاً الى اتباع اميالهم في بيداء ضلالاتهم . وقد احسنتم واحكمتم بإسمائكم مصنفكم هذا مدخلاً في الكتاب المقدس لأن من تصفحه وجد فيه خلاصة البراهين واعداد الآي الكريمة في هذه الاسفار التي تظهر باجلى بيان بهتان هؤلا المعارضين . وبذلك انفتح لنا نحن الشرقيين وبالاخص طلاب العلوم من الاكليريكيين مجال رحب لا مكان التوسع والجولان في ميادين مجادلة الاخصام وافحامهم . ولا الفي احداً من طلاّب العلوم الدينية يتقاعد عن اقتناء هذا الكتاب لاسيما وان بعض هذه المذاهب الكاذبة قد تسرب الى اقطارنا الشرقية وليس بين ايدينا كتب عديدة بهذا العلم نجد فيها ضالتنا المنشودة والادوية الناجعة لمعالجة هذه الاراء وقطع دابر جراثيمها . ومن تصفَّح كتابكم هذا ادرك ما تجشَّمتوه من عناء البحث والتنقيب والتحرّي وما بذلتموه من الجهود في سبيل عملكم هذا المفيد الخطير .

اني اسأل الله ان يؤتيكم العون لتتابعوا نشرَ ما تبقَّى من اجزاء مؤلفكم ويجزيكم خيراً في الدارين .

عن بطر كخانة المنصورة في ١٠ ت ١ سنة ١٩٣٣

اخوك

افس اغناطيوس وهيبه

٢ – رسالة الاباتي طوبيا العنيسي رئيس انطوش ليفورنو الجزيل الاحترام

قال حضرته :

حضرة الاخ الياس ثابت العزيز المحترم

بعد السلام بالرب والمصافحة الاخوية بالحب والدعاء لك بكل خير من الله مع كمال التوفيق ، قد بلغني تأليفك النفيس الموسوم بكشف النقاب عن حقيقة الكتاب فتصفحته فاذا هو سفر جليل ذو فوائد كثيرة يفيد الطلبة في مواضيع مختلفة اذ يخفف عنهم وقر عناء البحث والتفتيش في مجلدات ضخمة ، ويساعد ايضاً المعلمين لانهم يجدون فيه حقائق قد انكشف نقابها بعد ان كانت مستورة باراء المخالفين الكثيفة ، وقد يعضد كل من رام التعمق في درس اسفار العهد القديم التي هي اساس للعهد الجديد . انما الفضل العظيم يرجع الى اجتهادك وجهادك في درس العلوم المقدسة اذ اوليت امنا الرهبانية شرفاً اثيلًا بنشرك هذا الكتاب الحديث في اللغة العربية التي كانت باشد الحاجة اليه . . . .

وعليه اسأله تعالى ان يعضدك بمنه ويمنحك الصحة التامة لتواصل اجتهادك في العلوم المقدسة باتم نجاح فيخلد حينئذٍ ذكرك صالحاً وتتشرف الرهبانية بمؤلفاتك المعتبرة حقق الله الرغائب . وفي الختام تقبل شكري الجزيل على هديتك الثمينة واطال الله عزيز بقائك بخير واحسن حال في الحال والاستقبال وعليه الاتكال .

عن ليفورنو في ١٠ آب سنة ١٩٣٣ — اخوك

القس طوبيا العنيسي

الحلبي اللبناني

٣ - رسالة حضرة الصديق الاب بطرس ابي راشد المحترم

قال حضرته :

حضرة الاخ الفاضل الياس ثابت حفظك الله

غب المصافحة الاخوية بالرب . اما بعد فقد انتهى الي كتابك التاريخي المكنّى بكشف النقاب عن حقيقة الكتاب فتصفَّحته ملياً باباً باباً فاذا هو لؤلؤ ثمين منضَّد المعاني وحافل بالفوائد الجزيلة التي لا تشوبها شائبة فشاقني جداً ما ورد به من رفعك السجوف عن وجوه المشكلات العقميَّة المعضلة باسلوب سهل وذوق جميل متأرج بارجة يراعك السيَّال اخذ الله بيدك لتكمِّل عملك هذا واثابك مثوبةً حسنة على ما قاسيت من آصار جهادك في مضمار هذه الحقيقة المقدسة بمنه و كرمه .

عن فيطرون في ٥ تموز سنة ١٩٣٣ اخوك

القس بطرس ابي راشد

الفليماني حلبي لبناني

كلمة وجيزة

يدور البحث في هذ المجلد على الاسفار التالية :

يشوع بن نون .

القضاة .

راعوت .

الملوك .

الايام .

عزار ونحميا .

طوبيا .

يهوديت .

استير .

المكابين .

نبحث في كل من هذا الاسفار عن واضعهِ ونسخهِ الاصلية وترجمته وموضوعه والغاية من وضعه ثم نبسط الاعتراضات ونعقبها بردٍ وجيه مستندين في ردنا هذا الى اقوال مشاهير العلماء والادباء الجهابذة الذين هم حجة في هذا الفرع .

فحولنا بالله ولا حول إلا به تقدست اسماؤه ومن ثم نبدأ :

الباب الاول

سفر يشوع بن نون

١ – من هو يشوع بن نون ؟

يشوع هو ابن نون، بن اليشاماع، بن عميهود، بن تاحن، بن تالح، بن رافح، بن بليَة، بن افرائيم، بن يوسف، بن يعقوب، بن اسحاق، بن ابراهيم . اذاً ان يشوع بن نون هو من نسل افرائيم اخي منسَّى ولَدي يوسف . هـذا حسب روايـة سفر الايام الاول ٧، ٢٢ – ٢٧ . فيشوع كان اسمه قبلاً هُوشع . لكنَّ موسى لما بعث اناساً يجسُّون ارض كنعان، من كل سبط رجلاً، حسب امر الله، اختار من سبط افرائيم هُوشَع، الذي دعاه يشوع (١) وكان رجـلاً شجاعاً ذا بأس، خصوصاً اذ حطّم تجبُّر عماليق وهزمه مع قومه شر هزيمة . وكان خادماً لموسى ومعيناً له ولاسيما في الامور المختصَّة بتدبير الشعب وبشأن الحروب (عدد ١١، ٢٨ ..) وقاوم مع كالب (الذي اختير من سبط يهوذا للتجسّس مع يشوع

(١) اي خلاص الرب، من اللفظ العبراني ܝܗ = ترخيم ܝܗܘܐ = الكائن . الاسم الجوهري لله، اي الكائنية هي جوهر لله، إذ من جوهر الله كيانه اي ان وجوده هو ضروري كجوهره بعد وجوده . ܘܫܘܥ ترخيم ܫܘܥ = خلاص فيكون اذاً معنى يشوع خلاص الكائن .

ورفاقه) تَذَمَّر الشعب على موسى وهارون وحضَّهم على طاعة الله بقوله لهم، بعد ان مزَّق ثيابه مع رفيقه كالب : ان الارض التي مررنا فيها لنتجسَّسها ارضٌ جيِّدة جداً جداً . ان كان الرب راضياً عنَّا فانه يدخلنا هذه الارض ويهبها لنا ارضاً تدرُّ لبناً وعسلاً . لكن على الرب لا تتمرَّدوا ولا تخافوا اهل الارض فانهم طعامٌ لنا وقد زال ظلهم عنا والربُّ معنا فلا ترهبوهم؛ عدد ١٤، ٩ . ياله من كلام صادر عن ايمان حي بالله !!

فلهذا اراد موسى مكافأة هذا الصنيع باقامته خلفاً له وذلك بالهام الهي يبيّنه سفر العدد؛ فقال الرب لموسى : خذ يشوع بن نون فانه رجلٌ فيه روحٌ وضع يدك عليه؛ عدد ٢٧، ١٨ : لهذا كرَّسه موسى قائداً على الشعب موضعه، امام الجماعة وعظيم الكهنة اليعازر، بوضع الايدي، وذلك قُبيل موته (موسى) بزمن قيصر . فقام يشوع مكان موسى وَعظم في عيون الشعب لان الله كان يؤيّده في كل اعماله وكان ممتلئاً حكمة . فافتتح مدناً كثيرة واخضع الكنعانيين ودخل بالشعب ارض الميعاد فامتلك بعضها وقسمها بين الاسباط، لكنه لم يستولِ على كل ارض الميعاد؛ فبقي بقاع الفلسطينيين، وارض الجشوريين، وارض العوّيين، وارض الجبليين، وجبل لبنان . ثم شاخ يشوع فجمع كل جماعة اسرائيل وسرد لهم اخبار ابائهم مع الله وذكرهم وعود الله وتتميمها وحضَّهم على عبادة الاله الواحد وقال لهم : ان كان يسوؤكم ان تعبدوا الله فاختاروا لكم اليوم من تعبدون، إمَّا

الالهة التي عبدها اباؤكم في عبر الاردن او آلهة الاموريين الذين انتم مقيمون بارضهم . أما انا وبيتي فنعبد الرب (يشوع ٢٤، ١٥) . فاجابه الشعب خيراً . فاشهدهم على نفوسهم وامرهم باخراج الالهة الغريبة من بينهم . ثم كتب كل ذلك في سفر توراة الله . واقام حجراً في شكيم تحت بلوطة واشهده على كلامهم . فمات يشوع بالغاً من العمر ١١٠ سنين ودفن في جبل افرائيم في تمنة سارح .

٢ — مسألة الكتاب السداسي

قام فريق من النقدة الحديثين ، مثل كنوبل (Knobel) وولوسن (Wellhausen) ودريفير (Driver) وابدع زعماً جديداً ، هو مذهب الكتاب السداسي ، الذي يضع كتاب يشوع جزأ سادساً لكتب موسى ، قائلين : ان سفر يشوع لم يوجد قط منفصلاً عن الاسفار الخمسة الاولى بل كان معها منذ كتابتها ؛ لانه مركّب من نفس المصادر التي هي اصل الاسفار الخمسة الاولى ، في القسم التاريخي يظهر المصدران الكائنيّ (J) والإلهيّ (E) ، وفي القسم الجغرافي يظهر المصدران الكهنوتي (P) والاشتراعي (D) . فهذا المذهب مردود من اوجه :

اولها : لانه عارٍ عن الصحة التاريخية والبرهان . فكتاب الشريعة كان دائماً ذا خمسة اقسام مختلفة ، بخلاف سفر يشوع الذي وُضعَ بين كتب الانبياء الاولين ، بل سُمّيَ اولها رتبةً : رِشْنيم

ثانيها : لانـه يستبقي ترتيب الاشياء فكتاب يشوع لا يتعلّق بكتاب الشريعة، مثلاً انظر سفر يشوع ١٣، ٨؛ ٢٠، ٨ حيث يتكلم عن قسمة ارض عبر الاردن وتحديد مُدُن الملجأ التي تكلم عنها سفر العـدد ٣٢، ٣٣؛ ٣٥، ١٤ وسفر التثنية ٤، ٤١ . فاذا سلمنا بوحدة كتب موسى مع سفر يشوع كيف يستطاع فهم هـذه الاعادة ؟ ثالثها : لانه يختلف لغة عن سفر الشريعة وتختلف نفسية الكاتب خصوصاً في نوع كتابة اسماء الاعلام . رابعها : لان تركيبه من عدة مصادر غير ثابت بل مردود، كما هو مردود تركيب سفر الشريعة من عدة مصادر . فما قلناه عن مذهب المدرسة الوكوسنية الحديثة في سفر الشريعة يجب تطبيقه على هذا الكتاب . خامسها : لانه لم يُقبَل مع سفر الشريعة عند السامريين . فاسفار موسى بَقِيَتْ سالمة صحيحة قبل عزرا الكاهن عند السامريين بخلاف سفر يشوع الذي لم يعرفه التقليد السامري الى ما بعـد زمان المسيح باجيال حتى انهم لم يحصلوا عليه إلا باحرف عربية، ناهيك بما يحويه من التفاسير والمخالفات التي ليست جزءاً من جسم الكتاب الموحى

٣ – في واضع كتاب يشوع بن نون

قـد تضاربت الاراء في واضع هذا السفر اذ يصمت هـذا الكتاب عن واضعه صمتاً عميقاً . لهذا لم يُستطع اعطاء برهان اكيد . فمن المستحسن ايراد هذه الاراء ثم تعقيبها بالرأي الاقرب الى الصواب، الذي نميل اليه كقريب من الحقيقة متخذينه رأينا

الخصوصي ؛ وذلك لان اصحابه هم عمدة وحجة في هذا الفرع ، كهيفل والمنسنيور ارنستوس روفيني . وها الان نبدأ بسرد تلك الاراء :

الرأي الاول — التقليد اليهودي يعزو كتابة هذا السفر الى يشوع ، ففي التقليد التلمودي يقال : ان يشوع كتب سفره مع الثمانية الاعداد الاخيرة من سفر الشريعة (اي الثمانية الاعداد الاخيرة من سفر تثنية الاشتراع) . اذاً ان يشوع كتب هذا السفر . ومن اصحاب هذا الرأي القديس ايزيدوروس الاسباني وروبانوس موروس وغيرهما ، وبين العصريين لامي (١) وكورنيلي (٢) وفيغورو (٣)

وغيرهم مَن يقررون ادخال بعض اشياء غب كتابة هذا السفر (مثلاً وصف وفاة يشوع ٢٤ ، ١٩ والتابع) .

الرأي الثاني — زعيمه هتسنور (Hetznauer, Theologia Biblica I 135) الذي يقول : ان كاتب هذا السفر هو اليعازر الكاهن ، وتبعه عدة علماء .

الرأي الثالث — يعطف الى هذا القول ، الذي يقرر ان هذا السفر كتبه انسان اتى بعد يشوع ، ذاك الانسان الذي استند الى مصادر تاريخية كتبت في عهد يشوع . وزعيم هذا الراي هو

---

(1) Lamy, Introductio II, 56 sqq.

(2) Cornely, Compendium VIII, 32 sq. ; aliter Merk in edit. Comp. 365 (probabiliter tempore Salomonis)

(3) Vigouroux, Manuel biblique XIII edit. II, 5 sqq.

الاسقف تاودوريطوس . وهذا رأي اكثر العلماء .

الرأي الرابع — هو رأي توستاتو (Tostatum in Josue 19. 13) الذي يعزو كتابة هذا السفر الى صموئيل النبي .

الرأي الخامس — هو لماسيو (Masium) الذي يقول ان كاتب سفر يشوع هو عزرا الكاهن .

الرأي الاخير — من هذه الاراء المتقدمة نجد انسبها رأي تاودوريطوس لانه اقربها الى الصواب . فمن الثابت الحقيقي ان سفر يشوع لا يمكن نسبته الى يشوع بالصورة التي هو عليها الان لكونه يحوي عدة حوادث تمت بعد وفاة يشوع : خذ لك مثلاً الفصلين الا ١٥ والا ١٩ ففي اولهما يُروى بان كالب وهب ابنته لعتنائيل ، الذي ضرب قريـة سَفَر : ١٥ ، ١٣ — ١٩ وفي ثانيهما يؤتى على ذكر الدانيين الذين تجسَّسوا قرية لَيس : ١٩ ، ٤٧ وهذا حدث بعد موت يشوع بدليل ما جاء في سفر القضاة ١ ، ١٠ — ١٥ ؛ ١٨ ، ٢٧ — ٢٩ . وهناك امثلة عديدة كهذه . فبعد الفحص الدقيق استنتج احد النَقَدة ، وهو هومّلور (Hummelauer comm. in lib. Josue, Parisiis 1903, 93) ان كتابة هذا السفر تمت بعد وفاة يشوع وقبل ملك داود ، اما بعد موت داود فطرأ على هذا السفر بعض الزيادات . مثلاً في الفصلين ١١ و١٢ يُحدَث عن جبال يهوذا واسرائيل مما يفترض قسمة ملك اسرائيل الذي تم بعد عهد سليمان بن داود . وفي سفر يشوع ١١ ، ٨ ؛ ١٩ ، ٢٨ تُسمَّى صيدا مدينة

الفينيقيين الاولى، ولهذا دُعيَت المدينة العُظمَى . اما في ايام داود فاضحت المدينة الاولى للفينيقيين صور لا صيداء ومثل هذا كثير.

ومهما يكن من امر واضع هذا السفر فلا شك انه استعان بشهادات كُتِبَت في عهد يشوع . والامثله كثيرة بهذا الشأن .

في الفصل ٦، ٢٥ يقول : وراحاب البغي وبيت ابيها وجميع ما هو لها استبقاهم يشوع واقامت بين بني اسرائيل الى هذا اليوم، القول الذي يثبت كون الكاتب أتى بعد يشوع ولكنه عرف بالشهادات ما صنعه يشوع وبقي اثره حتى ايامهِ (الكاتب) ثم ان كتاب يشوع يُسمِّي مدن ارض كنعان باسمائها القديمة التي تبدلت مع سكنى الارض ودخلت طي النسيان مثلاً في الفصل ١٥، ٩ بَعلَة التي دُعيَت قرية يَعارِيم، ١٥، ٤٩ قرية سنَّة التي دعيت دَبير، ١٥، ٤٥ وقرية اربع التي سُمِّيَت حبرون وهكذا دواليك .

وفي مجرى وصف الاشياء والحوادث التامة وُصِفَت ووُصِفَت بدقة كلية الظروف اللاحقة تلك الحوادث والاشياء مما لا يمكن صدوره إلاَّ عن شاهد عيان، مثلاً فصول ٧ – ٨ وصف تجسُّس مدينة العي وغيرها .

٤ – تقسيم هذا السفر ومحتوياته

جزَّأ العلماء هذا السفر الى جزئين اولها امتلاك ارض كنعان (١ – ١٢) وثانيها قسمة الارض المستولى عليها (١٣ – ٢٢) مع ملحق (٢٣ – ٢٤) .

١ً – هذا الجزء يتضمن الاخبار الآتية : تشدُّد يشوع من الله (ف ١) تجسُّس مدينة اريحا (فصل ٢) عبور الاردن (٣-٤) اختتان الشعب في الجلجال (٥، ١ – ١٢) حصار مدينة اريحا (٥، ١٣ – ٦) رجم عاكان مع بنيه وبناته وجمع مقتناه ثم حرقهم واكتساح العي وحرقها وابسالها وذلك بخديعة مُدَبَّرة من الله (٧ – ٨، ٢٩) البركة واللعنة المنادى بها على الشعب الواقف بازاء الجبلين جرزيم وعيبال (٨، ٣٠ – ٣٥) احتيال سكان جبعون (٩) منازلة يشوع للملوك الذين اجتمعوا لابسال جبعون (١٠) اصلاء الحرب بين يابين ملك حاصور، وبعض الملوك حلفائه وبين اسرائيل القائم بقيادة يشوع، وانتصار يشوع في هذه المعمعة الهائلة التي ظهر فيها جيش اعداء يشوع كرمل البحار، لكن الله قاهر الجيوش نصر عبده يشوع عليها (١١) خضوع الارض كلها لاسرائيل واسماء ٣١ ملكاً، كسرهم يشوع وهزمهم شر هزيمة ثم قتلهم (١٢).

٢ً – هذا الجزء يذكر قسمة الاراضي التي افتتحها يشوع وتبتدئ هذه القسمة من الجلجال (١٤ – ١٧) فتنتهي في شيلو (١٨ – ٢٢) وهذه القسمة جرت على يد يشوع وبحسب عدد الاسباط.

اما الملحق فما هو إلاَّ حضّ يشوع الشعب ليدوم في الطاعة لله الذي خلصه من المصريين بيد قديرة. ثم ذكر وفاة قائد قوّاد شعب الله (اي يشوع) ٢٣ – ٢٤.

٥ – غاية هذا السفر

فغاية الكاتب من هـذا السفر هي اظهار الله امينا؛ إن في تتميم مواعيده (تك ١٥، ١٨ والتابع؛ ولنسلك اعطي هذه الارض يشوع ١، ١ – ٩؛ ٢١، ٤٣ : لا تسقط كلمةٌ واحدةٌ من جميع كلام الخير الذي كلم الله به آل اسرائيل بل تمَّ كلّهُ) وإن في اجراء تهديداته (٢٣، ١٥ – ١٦ : انه يجلب عليكم الربُّ جميع الاقوال السيئة حتى يبيدكم عن الارض الصالحة التي اعطاكم الرب الهكم) فكل ما وعد الله به اسرائيل في اسفار موسى انجزه في هذا السفر بالتدقيق .

٦ – قيمة هذا السفر التاريخية

ان سفر يشوع هو تاريخي محض لان الحوادث المرقومة فيه قد اتخذتها بقية الاسفار كحوادث واقعية؛ مثلًا في سفر الملوك الثاني ٢١، ١ : وكان جوع في ايام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة . فالتمس داود وجه الرب فقال الرب : ذلك من اجل شاول وبيته بيت الدماء لانه قتل الجبعونيين . اذاً كان الجوع ثلاث سنين لاجل خطيئة شاول لقتله سكان جبعون . ولماذا كان قتل شاول لجبعون خطيئة وجبعون كان عدواً لاسرائيل واعداء اسرائيل كان مسموحاً بقتلهم ؟ فبلا شك سببه العهد الذي كان قد عقده قبلًا يشوع مع الجبعونيين (يشوع ٩، ١٥) . وانظر ايضاً وقابل بين سفري؛ يشوع ٦، ٢٦ وملوك ثالث ١٦، ٣٤ . وبين سفري يشوع ٣، ١٣ – ٧

والمزامير ١١٣، ٣ ... ثم التاريخ المدني او تاريخ الامم يثبت صحة ما جاء مُسطراً في سفرنا هذا مثلاً : لائحة اسماء المدن ، التي افتتحها الملك تُوتمُسي الثالث (هو احد ملوك الخوارج الذي تضاربت الاراء في عهده ؛ فنهم من يجعله في السنين ١٥٠١ - ١٤٤٧ ق.م. ومنهم من يضعه في سنين ١٥١٥ - ١٤٦١ ق.م. ومنهم من يجعله في ١٤٨٥ - ١٤٧٢ ق.م. الخ) تلك اللائحة، التي يرى رسمها على جدران هيكل أمون الاله في كرنك وتحوي الاسماء القديمة لمدن الكنعانيين، تلك الاسماء التي توجد في سفر يشوع الخ .

٧ - شرح بعض مسائل هذا السفر

المسائل الواجب شرحها ثلاث : ١ً - الختان، يشوع ٥، ٢ الخ ٢ً - الابسال؛ يشوع ٦، ١٧ . ٣ً - منع الشمس عن اتباع مسيرها وايقافها على جبعون؛ ١٠، ١١ - ١٤ .

اولاً - مسألة الختان

من الموافق هنا ان نتكلم عن ماهية الختان ثم عن السبب الذي من اجله اوجب الله الختان على ابراهيم ونسله (هنا نتبع العلامة ارنستوس روفيني) .

١ً - ماهية الختان : الختان هو عملية جراحية بها تُقطع غرلة الغلام او الرجل . فهذه العملية لا تختص فقط بالشعب الاسرائيلي

بل استعملها قبل الجميع قدماء المصريين الذين عمموها حتى جعلوا منها طقساً لهم . اما اسباب وجود الختان فيختلف العلماء في ماهيتها فبعضهم يعتبر انها فيزيولوجية (لتعجيل النضج) وبعضهم يعتبرونها دينية (رمزاً لطهارة النفس) ، وبعضهم فيزيولوجيــة ودينية معاً . ومهما يكن من هذه الاسباب فليست بقبيحة .

٢ً – السبب الذي من اجله اوجب الله الختان على اسرائيل كشريعة هو على ثلاثة اوجه : ١ً – لان الحق بالعهد مع الكائن يجب ان يكتسب بالسلالة الجسدية ولهذا وجب ان يُتخذ الختان علامة للعهد (تك ١٧، ١١ ؛ ١٧، ١٩ ؛ خروج ١٩، ٥) . ٢ً – ولان البر قــد هدم بالشهوة اللحمية فلهذ وجب ان يكون علامة البر (رومية ٤، ١١) وعلامــة تطهير النفس اي ختان القلب (تثنية ١٠، ١٦ ؛ ٣٠، ٦ ؛ ارميا ٤، ٤ رومية ٢، ٢٩) . ٣ً – ولان الخطيئة الاصلية سرت الى الجنس البشري بالولادة . لهذا وجب ان يكون الختان علامــة المعمودية (كولوسي ٢، ١١) وواسطة ضد الخطيئة الاصلية . فالاباء القديسون يقولون : ان مغفرة الخطيئة الاصلية ، في العهد القديم ، كانت بواسطة الختان لا بما انه ختان بل بما انه كان علامة فضيلة الايمان بآلام السيد المسيح .

فقبل الجلاء البابلي كان يُختن من أتمّ الثمانية الايام من ولادته وفي بيت والديه وبسكين حجري ، اما بعـد الجلاء فكان يُصنع الختان في الكنيس وبسكين حديـدي (تك ١٧، ١٢ لوقا ١٢ ؛ خروج ٤، ٢٥ ؛ يشوع ٥، ٢) . فاليهود كانوا يحافظون على شريعة

الختان تمام الحفظ وبدقة كلية . اما في الشريعة الجديدة فقد انتفى مفعولها كما صرح الرسول بولس في رسالته الى اهل غلاطية ٥: ٢ لكن يهود ايامنا باقون على شريعة الختان كما كانوا قبلاً . وفي ايامنا هذه نرى غير اليهود عدة قبائل في افريقية واوستراليا واميركا الجنوبية والمسلمون باجمعهم ، منضوون تحت هذه الشريعة شريعة الختان . وهي عندهم بمنزلة المعمودية عندنا وخصوصاً عند تابعي دين امير قُريش ، محمد نبيهم العظيم . وربَّ قائل ان الله لم يعدل في سماحه لشعبه بل حضَّه اياه لاستعمال بعض عادات الامم . فهذا غير صحيح لانه ماذا يضرّ استعمال اليهود عادات الشعوب ؟ (انظر فم الذهب العظة ٣٠٦)

ثانياً — مسألة الابسال

هذه اللفظة إبسال أُطلقت على تدمير اريحا (يشوع ٦: ١٧) وغيرها من المدن ، كمدينة عُراد (٢١: ٢ والتابع) ومدينة العي (يشوع ٣: ٢ ؛ ١٩: ٢٢ والتابع) ومدينة حاصور (يشوع ١١: ١٠ والتابع) ، لما حكم الله بتدمير هذه المدن ، لان اهلها بلغ شرهم القياس المحدَّد . ولفظة إبسال في العبراني ܚܪܡ التي يقابلها في اليوناني anatema لها معانٍ كثيرة ، كحُرْم (احبار ٢٧: ٢١) وخراب (عدد ٢١: ٢ ؛ يشوع ١١: ٢١) وقتل (يشوع ٨: ٢٦) وتدمير (اشعيا ٣٧: ١١) . ثم ان المعاني الاصلية لهذه اللغة هي: استثنى ، حَرَم من الاستعمال العام الخ .

وعند العرب لفظة حَرَمٌ تعني الموضع المقدس . فالإبسال اخذ اصله من وصية الله ، الذي كان يحكم به على الامم الذين تجاوزوا حدود القياس بخطاياهم ، وكان (اي الله) يَكِلُ بتنفيذه لاسرائيل لان اسرائيل كان ابنه البكر بين كل الامم . فحينما كان الله يحكم على شعب بالابسال كان يُمهّد امام اسرائيل الطريق لكي يتغلّب على ذلك الشعب ويمحقه ويهدم مدنه ويستأصل مواشيه الخ . وبما انه ، عزّ وجلّ ، كان منذ القديم الى ايامنا هذه ، حين يريد استئصال شعب يختار له نوعاً من انواع الهلاك ، اختار للكنعانيين نوع محقهم الحرب . ومحق الكنعانيين كان ضرورياً لحفظ الديانة الاسرائلية الحقة ، لان هذا الشعب الكنعاني كان الخطر الهائل للشعب الاسرائلي ، فهذا بمخالطته الكنعانيين يتقهقر الى الوراء في عبادته ويختار العبادة الوثنية ، لهذا استعمل الله هذه الرحمة مع شعبه وهي محق الكنعانيين كي يُثبت شعبه في ديانته الحقة . وفي الوقت نفسه استعمل العلي رحمته مع الكنعانيين انفسهم ، اذ انه ، تبارك اسمه ، لم يحكم بمحق جميعهم بل استبقى منهم قسماً ليبقي نسلاً لهذا الشعب الذي ، وان يكن استحق الابسال والهلاك باجمعه ، فمع ذلك رحمه الله وابقى له نسلاً على هذه البسيطة ، وذلك لانه تعالى ابٌ لجميع الناس كما سنبيّنه في الملحق الذي سنعلقه على هذه الاسفار التاريخية .

فقال (يشوع) على مشهد اسرائيل : يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي أيالون فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم ... يشوع ١٠ ، ١٢ – ١٣ .

فهذا الحادث ، حادث الشمس قد تباينت فيه اراء العلماء شأن كل حادث خطير ؛ فبعضهم شرحه بمعنى شعريّ او خيالي كفيرونيه A. Veronnet ؛ وبعضهم قال : ان قتلى الاعداء كان مجموعة قتلى يومين بسبب الحجارة التي رمى الله بها الملوك محاربي اهل جبعون (مثل بورتيه J. Bourtier) . والمحقق ان ما حدث كان اعجوبة ، لكن كيف حدث ذلك فهذا مما لا يمكننا التكهن به . بل يمكن قول كلمة في هذا الامر على سبيل الشرح البسيط . اما الاستاذ الكبير هيفل (Hofl) والاب الالماني العلامة هيتسنور (P. Hetzenauer) فيشرحان هذا الحادث بزيادة طول انعكاس اشعة الشمس (اعني ان الشمس لما توارت ، في حادثنا ، بقي انعكاس اشعتها في افقنا وحبال هذه الاشعة لم تتوارَ عن الابصار ، وهذا امر عجيب .

وهنا يجدر بنا ان نقول كلمة في الانعكاس : الانعكاس هو اختراق الاشعة الشمسية اواسط اكثر او اقل كثافة من التي كانت فيها قبل ولوجها هذه الاواسط . ان الحبال الشمسية عندما تدخل في اواسط اكثر كثافة من التي كانت فيها قبلًا تنحرف بمقدار كثافة هذه الاواسط وانحرافها حينئذٍ يكون من باب التضييق ، بخلاف ما لو اخترقت مراكز اقل كثافة من التي كانت

فيها قبلاً فانها تنحرف حينئذٍ انحرافاً يكون نحو توسيع الزاوية التي تؤلفها مجموعة هذه الحبال الشمسية . ولهذا يقال للزاوية التي تؤلفها مجموعة الحبال الشمسية قبل ولوجها المركز الواجب اختراقه زاوية قاطعة او باضعة ، اما الزاوية المؤلفة في الوسط المخترق او الوسط الثاني فيقال لها زاوية مقطوعة او مبضوعة .

وعلامة الانعكاس هي حاصل قسمة الزاوية القاطعة على الزاوية المقطوعة . فنخرج من هذا الايضاح المتقدم ذكره احدى قواعد ديكارت الشهيرة التي تحدّد علامة الانعكاس وهي : يُنسب جيب (لفظة تقنيّة جبرية ، معناها الخط المرسوم من احد طرفي القوس عموداً على نصف القطر المار بطرفها (اي القوس) الاخر) الزاوية القاطعة على جيب الزاوية المقطوعة نسبة علاقة ثابتة ، بين هذين الوسطين المعتبرين . وهذه العلاقة الثابتة هي علامة انحراف او انعكاس الحبال الشمسية . مثلاً :

$$\frac{\text{جيب الزاوية القاطعة} = ١}{\text{جيب الزاوية المقطوعة} = -١} = \text{علامة الانعكاس} = -١ .$$

وهذه القاعدة هي اساسية في معرفة قياس انحراف الحبال الشمسية فلو كان جيب الزاوية القاطعة ١/٢ وجيب الزاوية المقطوعة - ١/٢ فتكون علامة الانعكاس - ١/٢ . ولو كان جيب الزاوية القاطعة ١/٢ (اي اقل كثافة من الزاوية المقطوعة) وجيب الزاوية المقطوعة ١ كانت علامة الانعكاس - ٣ . فلمعرفة انعكاس الحبال الشمسية يلزم سبق معرفة الجبر والهندسة التطبيقية .

اما حكم جمعية المعاهد الاكليريكية والكليات العلمانية على غاليليو بسبب رأيه في ثبوت الشمس وحركة الارض، استناداً على حكم كوبرنيك العلامة، فهو حكم مغالط. فالجمعية المذكورة ليست بمعصومة عن الغلط، لكنها ارادت المحافظة على صحّة ظاهر الفاظ الكتاب. والمبرر الوحيد لهذه الجمعية هو ان هذا الرأي لم يكن بعد انتشر بين العلماء بل ولم تكن بعد قد أُثبتت صحته من الوجهة العلمية. فهذا لا يعني مضادة، لان يشوع تكلّم عن الاشياء حسب ظواهرها اي من الوجهة العامة لا العلمية. فنحن حتى الآن مع كل تقدم العلوم عند تمام دورة الارض حول ذاتها لا نقول توارينا عن الشمس بل غابت الشمس عنا. فكم بالحري يجب تطبيق هذا الاستعمال على زمان يشوع آن لم تكن العلوم بلغت اوجها ؟

٨ – مجملات هذا السفر مع بعض فوائد تاريخية

١ً – جمال هذا السفر يقوم ببعض اخبار اهمها التالية : تجسّس ارض اريحا (يشوع ٢) خداع سكان جبعون (٩) كلام يشوع الاخير والعهد الذي قطعَهُ يشوع بين الشعب والاله.

٢ً – فمن مقابلة سفر التثنية ٢، ١٤ مع سفر يشوع ١٤، ٧ – ١٠ يتحصّل مدة الزمان الذي قضاه يشوع لاكتساب ارض الكنعانيين. فاقتضى ٧ سنوات اعني من سنة ١٤٠٩ – ١٤٠٢ قبل المسيح.

٣ً – اسماء بعض مدن ذات اهمية. شطّيم، احدى مُدن موآب

الداخلية ، التي ارسل منها يشوع الرجلين الجاسوسين . اريحا، التي افتتحها يشوع وابسلها . جبعون، التي تدعى الآن الجُبّ، حكم يشوع على سكانها بان يظلّوا دائماً عبيداً لاسرائيل بسبب الخداع الذي دبروه على يشوع والشعب . شكيم (التي تدعى الآن نابلس) فيها بتّ يشوع عهداً بين الكائن والشعب ومات هنالك بعد ان اتم ١١٠ سنين من العمر .

الباب الثاني

سفر القضاة

١ — لماذا دُعي بسفر القضاة سابع اسفارنا التاريخية ؟

ان اللفظ العبراني ܣܦܪ ܫܘܦܛܐ = اي كتاب القضاة ، لا يجب فهمهُ بالمعنى الحصري، اي ان قضاة ذلك العهد كانوا ينبرون على منبر الحكم لافظين الاحكام غير المردودة، بصورة رسمية وغير قابلة الاستئناف . بل يجب فهم هذا اللفظ بالمعنى المستعار ، اي ان وظيفة قاضٍ، كانت تعطى لرجل يدير الشعب او يرشدهم او ينبّه افكارهم بثاقب رأيه . فالقضاة كانوا يتخذون خصوصاً ايام الحروب وذلك لكي يرئسوا الجيوش . وبالعموم كانوا يختارون ممن هم اشد بأساً من غيرهم . وكانوا غالباً يحوزون قصبات النصر

في الحروب، ولهذا النصر كان الشعب يحترمهم ويحافظ على اوامرهم أتمّ المحافظة. فالقضاة لم يكونوا يتوارثون سلطتهم بل ان السبب الوحيد لتوليتهم هـذا المنصب كان عدلهم وشجاعتهم وانتصاراتهم على الاعداء، فلم يضعوا جزية على الشعب ولا كانوا يسنون الشرائع، بل جلّ عملهم كان المحافظة على الشريعة المسنونة قبلاً. ثم لم يكن كل منهم بمفرده قاضياً على كل الشعب، بل منهم مَن كان قاضياً على سبط دان كشمشون، ومنهم مَن كان قاضياً على كل اسباط الجهة الشمالية مثل باروخ وغيرهما ...

دُعي هذا السفر بسفر القضاة لانه يأتي على ذكر القضاة الاثني عشر الذين تولّوا شؤون الشعب بعد موسى ويشوع، لانه من زمانهم حتى ايام صموئيل النبي، كان ملك الشعب الكائن.

٢ – محتويات هذا السفر وترتيباته

فكتاب القضاة يحوي اشياء كثيرة اهمها الحروب التي جرت على ايدي القضاة الاثني عشر (وهم: عتنائيل بن اخي كالب من سبط يهوذا؛ أهود من سبط بنيامين؛ شمجر بن عنات من سبط شمعون؛ دبُورة من سبط زبُولون؛ باراق بن أبينوعم من سبط نفتالي؛ جـدعون من سبط منسّى (وملك بعده ابنه ابيملك من سريته التي ولدته في شطّيم)؛ تولع من سبط يَسّاكر؛ يائير من سبط جاد؛ يفتاح من سبط جاد ايضاً؛ إيصان من سبط اشير؛ أبلون من سبط زبولون؛ عبدون بن هلّيـل الفِرعَتوني من سبط

افرائيم ؛ شمشون بن منوح من سبط دان .) ويتضمّن واحداً وعشرين فصلاً رتِّبت بهذا النسق :

١ً — الفصل الاول ، توطئة السفر : في هذا الفصل توصف الاحوال السياسية والدينية ، احوال ذالك المحيط في ابتداء عهد القضاة ثم يذكر نكس العهد بين اسرائيل والكائن ، لهذا رجع الله عن حتمه في انقراض تلك الامم التي حتم بابادتها ؛ منها الكنعانيون والحثّيون واليبوسيون والعموريون وغيرهم .

٢ً — الفصول ٢ — ١٦ التي تؤلف جسم الكتاب : هذه الفصول ليست إلاّ تصوير الحوادث التي جرت للشعب ايام القضاة وهذه الحوادث تنحصر جميعها تقريباً في ازمنة الحروب . ومدة هذه الحوادث هي ٢٩٥ سنة تقريباً ، اعني من موت يشوع (١٣٨٥ ق.م) الى موت شمشون (١٠٩٠ ق.م.) . وها نحن نسرد تاريخ هؤلا القضاة ؛ واولهم عتانئيل ، كان من سبط يهوذا كما روينا سابقاً لانه كان اخا كالب ، رفيق يشوع في التجسّس ذالك (كالب) الذي نشأ من سبط يهوذا . فاقامه الله مخلصاً لشعبه ، الذي كان استعبده الملك كوشان ، ملك ارام (ما بين النهرين) ثماني سنين . فحارب عتنئيل كوشان واستظهر عليه مريحاً شعبه منه واستولى السلام على شعب اسرائيل اربعين سنة بعد ان كسر عتنئيل كوشان واماته في الحرب . وثانيهم أهود الأعسر البنياميني الذي دبّر الخداع لقتل عجلون ملك موآب محارب اسرائيل وجلاه مستعبداً اياه ثماني عشرة سنة . والخديعة دبّرت على هذا المنوال:

ان اهود هيأ هدية لعجلون وبمعيتها وضع تحت ثوبه سيفاً ذا حدين، يقول الكتاب، ذراعٌ طوله، فلما انتهى من تقدمة الهدية طلب من الملك مواجهة سرية . فمنحه الملك ما اراد، فلما خرج كل الحضور تقدم أهود من عجلون الملك ووخزه في جوفه، وكان عجلون سميناً جداً فاندلقت امعاؤه وأطبق الشحم على السيف، فترك اهود السيف في بطن الملك وخرج مقفلاً الباب وراءه الى ان انتهى الى جبل افرائيم وهناك نفخ ببوق الهجوم فتبعه بنو اسرائيل وحاصروا مخاوض الاردن مع موآب فقتلوا من اعدائهم الموآبيين عشرة الآف رجل مخترط سيف . فأذلَّ اهود الموآبيين، وبعد هذه المجزرة استراحت الارض ثمانين سنة . وثالثهم شمجَر بن عنات، الذي يرجح ان سبطهُ شمعون؟ فهذا القاضي يجب الاعجاب بشجاعته العظيمة لانه قتل ستمائة رجل من الفلسطينيين بمنخز البقر وبهذا خلص الشعب، الذي لا شك بانه كان بحاجة الى عونه . ورابعهم باراق مع النبيّة دبّورة . فباراق، الذي هو من سبط نفتالي حضّته دبّورة لخلاص الشعب الاسرائيلي (١) ولمحاربة سيسرا رئيس جيش الملك يابين، ملك كنعان، الذي اسر الشعب الاسرائلي ردهة من الزمن . فقام باراق يتبعه عشرة الآف رجل مع النبية دبورة لمحاربة سيسرا . فالقى الله الرعب في قلب سيسرا

---

(١) النبيّة دبورة على ما يُظن من سبط زبولون، لانها امرت باراق ان يجيّش في جبل تابور ويأخذ معه عشرة الاف رجل من سبط نفتالي (الذي هو سبط القاضي باراق) ومن سبط زبولون (الذي يحتمل كونه سبطها لاننا لا نرى سبباً لتفضيلها سبط زبولون على باقي الاسباط)

(الذي كان معه تسعمائة مركبة من حديد) واستظهر باراق عليه ثم اعمل السيف في رقاب عسكره الى ان محقهم ولم يُبقِ على احد منهم . اما سيسرا فانه هرب ودخل خيمة ياعيل امرأة حابر القيني (الذي هو من بني حوباب حمي موسى ، فاخبر سيسرا بتأهب باراق الى الحرب لمقاومته) لانه كانت مسالمة ما بين الملك يابين وحابر القيني ، الذي كان انفرز عن بني قومه وضرب خيمته عند بلوطة في صعنَنيم قرب قادش ، حيث بقي كل ايامه . ثم مات سيسرا تلك الميتة التي دبرتها له ياعيل امرأة حابر ، اذ ضربته في صدغه بوتد الخيمة وهو نائم فاسترخى ومات (قضاة ٤ ، ٢١) .

وفي الفصل تسبحة دبورة وباراق ، تلك التسبحة التي تعلن عظائم الربّ من ايام الاباء القدماء حتى شمجر آخر القضاة قبل دبورة وباراق . وبعد باراق وقبل جدعون قام نبيٌ ذكَّر اسرائيل بكل اعمال الله لهم من زمان خروج ابائهم من ارض مصر الى ايامهم ، وهذا النبي لانستطيع ان نعرف اسمه لان الكتاب لا يذكر له اسماً . واقامه الرب لتعزية اسرائيل ايام استولى عليهم مدين سبع سنين وضيَّق عليهم . وخامس هؤلاء القضاة هو جدعون الذي كان من سبط منسّى واصغر بيت ابيه واضعفهم ، كما يقول هو نفسه للملاك الذي ترآى له عند البطمة في عفرة مُلك يوآش ابيه اذ كان يدرس الحنطة في المعصرة هرباً من المديانيين (الذين مع العمالقة ازعجوا شعب الله كثيراً و كانوا يغزونه مراراً ويذلونه دون اشفاق ولا رحمة) .

وجرت محاورة لطيفة بين الرب وجدعون عقبها أمر الرب بانطلاق جدعون لخلاص الشعب الاسرائيلي من قبضة مِديَن. لكن جدعون اراد ان يتحقق امر الوهية رسالته. فاصلح جدياً من المعز وإيفة دقيق فطيراً، وفصل ما بين اللحم والمرَق جاعلاً كل صنف في وعاء خاص به، ثم وضعها على الصخرة، حسب امر الملاك، واذ مسَّها الملاك بطرف العصا صعدت نار من الصخرة واكلت اللحم ولحفت المرَق غير مبقية أدنى اثر. ثم غاب عنه الملاك. واذ عرف جدعون ذلك قال له الرب : السلام لك. فبنى هنالك جدعون مذبحاً ودعاه سلام الرب وهو في عفرة الابيعزريين. وبعد ذلك هدم جدعون مذبح البعل وقطع الغابة التي كانت حوله وضحّى الثور على المذبح المهدوم، وهذا حسب امر الله. لهذا هاج اهل المدينة وطلبوا جدعون من ابيه يوآش فهدّأهم يوآش وقال لهم : ان الانتقام هو للاله اذا كان الهاً حقاً، فسمعوا له وسكتوا. فارسل الله روحه على جدعون الذي نفخ في بوق فتبعه اهل ابيعزر ومنسى بعد ان استدعاهم بواسطة رسل ارسلهم اليهم، ومثلهم اشير وزبولون ونفتالي، ثم سأل جدعون الله علامة ما اذا كان يريد ان يخلّص الشعب على يده، والعلامة هي حادث الجزّة (١) المشهور. حين اجتمع جدعون بالقوم عند عين حرود كلمه الله وقال له : ان من يخاف افرزه عن الجيش الحربي. فرجع من الشعب

(١) التي اقتبلت الندا. وحدها في المرة الاولى واختصّت بالنشاف وحدها في المرّة الثانية

اثنان وعشرون الفاً وبقي عشرة آلاف .

واردف الرب لجدعون قائلًا : انزل هذا الشعب الى الماء فمن ولغ في الماء بلسانه كما يلغ الكلب فاقمه جهة وكل مَن جثا على ركبته ليشرب فافرزه ناحية . فكل الشعب جثوا على ركبهم ما عدا ثلاثمائة ، الذين كانوا الجيش الواجب ان يخوض معمعة الحرب ضد مديَن وعماليق . ثم امر الله جدعون ان ينزل مع فُورة غلامه الى محلة الاعداء ليسمع ما يتحدثون به كي يشتد ساعده عليهم . فنزل جدعون مع خادمه وسمع واحداً من رجال الاعداء يقص حلماً على احد اصحابه ، والحلم هو انه رأى رغيفاً من شعير يتقلب في عسكر مديَن الى ان قرب من الخيمة وصدمها فسقطت . فاجاب صاحبه وقال : إنما هذا سيف جدعون جبار اسرائيل الذي دفع الله الى يده مدين وكل المحلة . فسجد جدعون ورجع الى معسكر اسرائيل فايقظه (لان الوقت كان ليلًا) وقادهم بعد ان رتبهم . فحين بلغوا محلة الاعداء نفخت الفرق بابواقها وصرخوا : السيف للرب ولجدعون . فهرب عساكر الاعداء الى بيت الشطّة حتى انتهوا الى عدوة آبلَ محولَة التي تقرب من طبّات . وارسل جدعون رسلًا الى جميع جبل افرائيم ليخرجوا في وجوه المديانيين ويضبطوا عليهم المياه . فصنع افرائيم جميع ما امره به جدعون . وقبض على قائدين من قواد مدين يدعيان عوريب وزيب ، فقتلها الشعب على صخرة عوريب وعلى معصرة زيب . وهكذا انتصر جدعون على الاعداء في هذا الحرب . ثم خاصم افرائيم جدعون لانه لم يدعُه من ابتداء

الحرب ، فهدأهم واسكتهم بتواضعه . ثم صعد الى ملكي مدين زاباح وصلمنَّاع في طريق ساكني الخيام شرقي نوبح وضرب عسكرهما فهرب زاباح وصلمنّاع ، فجد في اثرهما حتى ادركهما فظفر بهما وكسر كل جيوشهما ولم يُبقِ على احد منهم .

وبعد كل هذا عظم جدعون في عيون بني اسرائيل فنادوا بهِ ملكاً عليهم ، أما هو فرفض طلبهم وقال لهم : « لا انا اتسلّط عليكم ولا ابني يتسلط عليكم بل الرب هو يتسلّط عليكم » (قضاة ٨ ، ٢٣) . لكنه اخذ من كل واحدٍ منهم خرصاً من غنيمته حتى بلغ وزن ما أخذ منهم الف وسبعمائة مثقال ما عدا الأهلّة والنَطَفَات والثياب الارجوانية ، التي كان يلبسها ملوك مدين ، والقلائد التي كانت في اعناق جمالهم . ثم استراحت الارض اربعين سنة أيام جدعون . وقبل ان يغادر جدعون هذه الحياة ترك من صلبه سبعين ولداً ، لانه تزوّج نساء كثيرة . وولد له ابيملك (١) من سريّة له في شكِيم . ومات جدعون بشيبة صالحة ودفن في قبر يوآش ابيه في عفرة أبيعَزَر .

اما اسرائيل فانه بعد موت جدعون لم يثبت على امانته لله بل رجع الى عبادة البعليم . ولم يذكر الشعب إحسان الرب الذي خلّصهم من ايدي الامم وخصوصاً مدين واتخذوا الهاً لهم بعل بريت تاركين الله الذي عظمهم في عيون مجاوريهم . ولا عرفوا لاهل جدعون جميلاً ونسوا الانتصارات التي اتاهم الله اياها على يد ابن

---

(١) الذي تولّى بعده الحكم بل صار ملكاً على الشعب

يوآش (جدعون) من افاض عليهم رضى الكائن الذي كان حكم عليهم بالذلّ . هنا يتخلّل فترة من الزمن بين خامس القضاة (جدعون) وسادسهم (تولع) ، وهذه الفترة شغلها ابن جدعون ابيملك الذي دفع انسباءه ليباحثوا اهل شكيم في امر تمليكه عليهم ، فملّكوه عليهم بعد ان قتل اخوته السبعين الذين مهدوا له طريق المُلك !! يا لنكران الجميل !!! وبقي فقط اصغر اخوته يوتام الذي اختبأ عن الابصار واذ علم بتمليك اخيه نادى اهل شكيم بهذا الكلام : ذهبت الشجر مرّةً ليقمن عليهنّ ملكاً فوقعت القرعة على شجرة الزيتون ، فاجابتهن الزيتونة : أأدعُ زيتي الذي تكرمني لاجله الآلهة والناس لارتفع على الشجر ؟ . فبدلناها بالتينة . فاجابت التينة بدورها : أأترك حلاوتي لأملك عليكنّ ؟ . فبدلناها بالجفنة فقالت لهنّ : لا ادع مسطاري اللذيذ لأسمو على الشجر . فبدلناها بالعوسجة فردّت وامرتهنّ بالاستظلال بظلها . والآن ان كنتم عملتم بالحق اذ ملكتم ابيملك بعد ان قتلتم اخوتي السبعين جزاء دفاع ابي عنكم فافرحوا مع ابيملك وإلّا فلتخرج نار من ابيملك وتأكل اهل شكيم ولتخرج نار من شكيم وتأكل ابيملك .

وبعد هذا الكلام هرب يُوتام ونجا وانطلق الى بئرٍ متوارياً عن وجه اخيه ابيملك . اما ابيملك فملك ثلاث سنين على اسرائيل ثم وقع خلاف بين ابيملك واهل شكيم فغدر به اهل شكيم واقاموا له كميناً على قمم الجبال . واتى شكيم جاعل بن عابد فوثق

به اهل شكيم ، ثم خرجوا الى كرومهم وقطفوها واقاموا فرحاً ودخلوا بيوت آلهتهم ولعنوا ابيملك . فاثار جاعل المدينة على ابيملك واذ عرف هذا زبولُ والي المدينة غضب وارسل فاخبر ابيملك ونصحه ان يهاجم المدينة عند طلوع الشمس . فكمن ابيملك حول شكيم ليلاً مع فرقه الاربع . واذ انبلج الصباح التحم جيش ابيملك مع اصحاب زبول فهزم ابيملك زبول وطرده من شكيم .

ثم حارب اهل شكيم ولم يبقِ على احدٍ منهم . فلما علِم بهذا اهل برج شكيم اجتمعوا في صرح بيت إيل بريت . اما ابيملك فانه صعد الى جبل صلمون مع قومه وقطع غصناً من الشجر وحمله على عاتقه وقال لهم : مهما عملتُ فانتسخوه عني . لهذا قطع كلٌ منهم غصناً من الشجر تشبُّهاً بزعيمهم والقوا هذه الاغصان عند صرح بيت إيل واحرقوا على الساكنين الصرح فمات كل اهل البرج (نحو الف نسمة) . ثم انطلق ابيملك الى تاباص واخذها وفي وسطها كان يوجد برج دخله كل اهل المدينة واغلقوا وراءهم . فاقترب ابيملك من البرج وحاصره وهمّ ان يحرق البرج ، فالقت امرأة قطعة رحى على رأس ابيملك فشدخت جمجمته . ودعا حالاً بالغلام حامل سلاحه وامره ان يغمد السيف فيه ، لئلا يقال ان امرأة قتلته . فعمل الغُلام السيف في معلمه فمات .

ولما رأى رجال اسرائيل هذا الحدث ارتدوا على اعقابهم . لهذا ، يقول الكتاب ، ردَّ الله على ابيملك الشرّ الذي صنعه باخوته واما شر اهل شكيم فردّه الله على رؤوسهم وأتت عليهم

لعنة يوتام بن يربعل (جدعون). وعقب ابيملك في حكم الشعب تولع بن فُواة من سبط يسَّاكِر لكنه كان مقيماً في شامير في جبل افرائيم. فتولّى قضاء الشعب ثلاثاً وعشرين سنة ومات. وبعده تولّى منصب القضاء يائير من سبط جاد، وحكم اسرائيل اثنتين وعشرين سنة ومات.

بعد موت هذا القاضي استسلم بنو اسرائيل للعبادة الوثنية باتخاذهم الهة الامم الهةً لهم كالبعليم والعشتاروت والهة صيدون وموآب وعمون وفلسطين تاركين الرب الههم [فلا بأس هنا من قول كلمة عن هذه الالهة الكاذبة: فالبعل ܒܥܠ = Baal هو في اللغة الاشورية بِلُو، وتفسيره السيد المسلّط. ولهذا فالكتاب المقدس يطلق اسم بعل تارةً على الرجل، مثاله قول الرسول بولس والاسقف فليكن بعل امرأة واحدة؛ وتارةً على الاله حقيقياً كان ام كاذباً. اما اسم البعل فلا يأتي اسماً علمياً بل نعتاً او شاملاً لهذا يقال بعل ذبوب = بعلزبوب = سيد الذباب، اي مبعد الذباب. اذاً ان اسم البعل كان اسماً عاماً وكان يخصص باضافة نعت اليه، وكل مدينة كان لها بعل خاص بها. مثلاً: بعل بابل كان بعل الرقيع والهواء، اي سيد الرقيع والهواء. اما البعليم (جمع بعل) فيعني اما الالهة واما الحجارة كما يصرح العلامة روفيني. والعشتاروت هي ذات الاهة البابليين والاشوريين فالاصل فيها عشتار، وجمعها عشتاروت، فهذا الجمع، اما يكون جمع السمو كالآلهة التي هي في الاصل العبراني: في البدء خلق الآلهة: تك: ١:١. واما يكون

جماً حقيقياً لالهات عـدة امكنة ، كما سبق القول عن البعليم . وعشتاروت هي آلهة الشعوب السامية ، تلك الشعوب العارفة فيها ميزتين هما : ١ً – نضوج الارض ونضوج البشر ، ٢ً – حمايتها ودفاعها ومحافظتها على الناس . فيقول العلامة روفيني : ان الميزة الاولى انثوية والثانية ذكرية . لهذا كانت العشتاروت تعبد كإلاه وكالاهة في وقت واحـد . والعشتاروت اضحت فيما بعـد الاهة الحب والشهوة عند الكنعانيين والفينيقيين والاهة الحرب عند الاشوريين والبابليين (١) ويواصل العلامـة روفيني قوله ، انه من المحتمل ان الالهـة عشتاروت شبهت قديماً في بابـل واشور بالزهرة (مجموعة نجوم) كواهبة الغزارة والغنى . ثم شبهت بالقمر ، لانه كانت تتخذه الشعوب السامية الهاً ذكراً . فعبادة العشتاروت كانت عبادة شريرة ، والاسرائيليون ، وان كانوا عرفوا منذ البدء عبـادة الاله الحقيقي ، فمع ذلك لم ينقطعوا عن الالتصاق بالبعليم والعشتاروت .

لهذا كان الله يحض شعبه ، بواسطة انبيائه ، ليرتدع عن هذه العبادة الكاذبة حيناً باللين والوعود الخيرية وآناً بالتهديد والنفي عن الوطن] .

وثامن قضاتنا هو يفتاح من سبط جاد . كان جباراً ابن امرأة بغي ولدته لجلعاد . ثم طرده اخوته من بيت ابيه ففزع الى ارض طوب ، ثم ذهب في طلبه مشائخ جلعاد لمحاربة بني عمون فمانع

(1) J. Plessis, Etudes sur les textes concernants Istar-Asté, Paris 1921.

في البدء لكنه رضي اخيراً على شرط ان يتولى الحكم عليهم . فقبلوا ما اشترطه عليهم ، واذ تولى كرسي القضاء طلب الى ملك عمون ان يحول عزمه عن الحرب ، واذ لم يقف ملك عمون عند نصيحة يفتاح ذهب يفتاح الى بني عمون ، بعد نذر للرب ، وضربهم من عروعير الى حدّ منيت ضربة عظيمة جداً فذلّ بنو عمون . لكن يفتاح رأى ابنته مسرعة لملاقاته حين رجوعه من الحرب ، ولما كان نذره قتل من يراه من اهل بيته خارجاً عن البيت ، عند ايابه من حرب بني عمون ، مزّق ثيابه واوضح لابنته نذره ، ثم أتمه فيها ، بعد ان ترددت شهرين في الجبال تبكي بتوليتها .

بعد كل هذا شبت مخاصمة بين جلعاد وافرائيم ، فضيّقا على بعضها وقتل من افرائيم اثنان واربعون الفاً . وكانت سنو قضاء يفتاح ستاً وبعد موته تولى منصب القضاء إبصان ، تاسع قضاتنا المار ذكرهم ، من سبط اشير من بيت لحم وبقي سبع سنين ثم مات ودفن في بيت لحم مسقط رأسه . وقام بعد إبصان أيلون ، عاشر قضاتنا ، من سبط زبولون الذي ملك عشر سنين وعقبه عبدون بن هلِّيل الفرعتوني من سبط افرائيم . فكانت مدة قضائه ثماني سنين ومات . وبعد وفاة هذا القاضي باربعين سنة ، التي فيها استعبد الفلسطينيون بني اسرائيل ، قام ثاني عشر قضاتنا واخيرهم شمشون بن منوح من سبط دان ، فكانت امه عاقراً ونذرته للرب فحلّ عليه روح الله ولما كبر طلب من ابيه ان يزوّجه احدى بنات الفلسطينيين ، فغضب ابوه لهذا الطلب لكنه عاد

فزوّجـه . وكانت له حوادث كثيرة مع الفلسطينيين منها احراقه زرعهم باشعاله اذناب الثعالب، فلاحقوه وكانوا يطاردونه ويطاردهم ويكمنون له المكامن ويتخلص من جميعها ، لكن امرأته دليلة ، التي وهبها قلبه في وادي سوريق كشفت سر قوّته فخدعته ، لهـذا اوثقوه بالسلاسل وقلعوا عينيه وكان يطحن في سجن غزة . ولما اجتمع الفلسطينيون ليذبحوا لالههم داجون، احضروا امامهم شمشون (الذي كان ابتدأ ان يطول شعره)، فقبض على العامودين المرتكز عليهما بنـاء ذلك المكان ، مستدعياً الله ، وضغط عليهما بقوته فسقط ذلك البناء العظيم وطحن عدداً عظيماً من الناس ، وكان عدد قتلى موته اكثر من عدد قتلى حياته . فنزل اخوته واخذوه الى مكان بين صُرعَةَ وأشتاوُل حيث دفنوه في قبر ابيه منوح .

اما مدة قضاء شمشون فكانت عشرين سنة . وهذا القاضي لم يكن يحجم عن الاسترسال الى الشهوة كثيراً حتى انه أحبَّ عدَّة بنات من اعـداء شعبه ، وهُنَّ هتكن سرَّه واوقعنه في مصيدة اعدائه الالدَّاء .

٣ – ملحقان ف ١٧، ١٨ – ١٩ ، ٢١ . فالملحق الاول يصف سقوط سبط دان في الوثنية واما الثاني فيأتي على ذكر توَغل اهل جبعون (الذين هم من سبط بنيامين) في الشهوة .

٣ – كلمة ملحقة بما تقدم

ان تاريخ الشعب العبراني يستغرق ٤٨٠ سنة من حين خروجه

من ارض مصر حتى وقت بناء الهيكل ، هذا ما تقوله النسخ العبرانية (المصوريّة) واللاتينيّة والسريانية اما السبعينيّة فتختلف عما تقدم من النسخ الموردة آنفاً وتضع ٤٤٠ سنة فقط (ملوك ثالث ٦ ، ١) لكن لو تقصينا بتدقيق عدد السنين لوجدنا فرقاً كثيراً . فاذا وضعنا ٤٤٠ سنة ، عهد الازمنة التي فيها كان الاعداء يطاردون الشعب ويضيّقون عليه ، ثم اضفنا اليها ٤٠ سنة ، مُدة سفر الشعب من بلاد الفراعنة حتى ارض الميعاد ، ثم ٢٥ سنة ، زمان حكم يشوع ثم ٤٠ سنة لعالي و ٤٠ سنة لصموئيل وشاول فاربعين سنة لداود و ٤ لسليمان ، كان المجموع ٥٩٩ سنة : المدة المستغرقة ما بين خروج الشعب من مصر وبناء الهيكل .

فهذا المجموع يخالف ما تقدم ، ولكن هذه الصعوبة تُذلَّل لمَا نعرف ان بعض القضاة وجدوا سويّة لكن النسّاخ فصلوا سني الواحد عن الآخر في حين ان سنيهم يجب ألاّ تُفصَل لان الواحد عاش في زمان الثاني لا بعده : مثلاً ، يفتاح وشمشون ضُمّت سنوهما كأن الواحد كان قبل او بعد الثاني . لهذا نرى اختلافاً في النسخ عند تعيين عدد السنين .

٤ً — مصدر هذا السفر

جُمِعَ هذا السفر من عِدّة مصادر كُتِبَت باوقات مختلفة ، أولاً لانه يحوي تغييراً لغوياً (هذا في اللغة العبرانية : انظر ٧ ، ١٢ ؛ ٦ ، ٣٤ ؛ ١٥ ، ١٤) وثانياً لانه يسرد حوادث ثلاثة اجيال

بكاملها ، فلهذا لا يمكن ان يكون رجلٌ واحدٌ واضعاً هذا السفر الذي يَروي حوادث ازمنة ، يجب ان يتعاقب فيها لا أقلّ من ثلاثة رجال . فهنا تتضارب اراء العلماء وتحتدم المناظرة بين المدارس المختلفة عند تعيين جامع هذا السفر . فبعضهم يضع هذا العمل على عاتق النبي صموئيل (التقليد اليهودي والقديس ايزيدوروس الاسباني في كتابه الوظائف البيعية ١ ، ١٢ . و كورنيلي الخ) لكن هذا الرأي يفسح المجال لابداع عقبات صعاب . وقسم يحدّد زمان جامعه ما بين مُلك داود وملك ابنه سليمان . الخ ... فنضرب صفحاً عن ايراد باقي الآراء المتضاربة ، إذ مقامنا هنا مقام ايجاز لئلا نرمي القارئ بالضجر .

٥ً — اهمية سفر القضاة

لا يحطّ من اهمية هذا السفر عدم اثبات الحوادث المروية فيه (كقتلِ عجلون ملك موآب من القاضي اهود الخ) فمن هذا اللاإثباتي يشرح القديس توما (في خلاصته اللاهوتية في القسم الثاني من الكتاب الثاني في مبحث ١١٠ فصل ٣ يجاب على ال ٣) مسألة تضحية ابنة القاضي يفتاح أتكون ضحية حقيقية ام لا ؟ تتضارب هنا اراء اللاهوتين ؛ فالتلمود ويوسيفوس (القدمية اليهودية ٥ ، ٧ ؛ ١٠) واوريجانوس (شروحه على يوحنا مجلد ٤ ، ٣٦) وغريغوريوس النزينزي (العظة ال ١٥) وفم الذهب (العظة الرابعة عشرة لشعب انطاكية) والقديس افرام

السرياني (في شروحه على سفر القضاة ١١) والقديس امبروسيوس (الوظائف الاكليريكية ٣، ١٢) وغيرهم مثل لاجرانج (١) يعتبرون الامر تضحية حقيقية . اما الفريق الآخر، منهم اوبَلدي (٢) وكورنيلي، فينبذ الرأي الاول مستنداً الى تضحية البتولية الدائمة لكن الرأي الاول احق من الثاني بالاتباع نظراً لما هو مصرَّح في الكتاب نفسه، من ان يفتاح أتمّ نذره في ابنته ولما كان نذره قتل من يجده خارج داره آن ايابه، وكانت ابنته خارجة عن البيت، فوجب ان يكون قتل ابنته تتميماً للنذر المصنوع لله . وهذا الصنيع مستطاع . اما قضية قوة شمشون فلم تكن في طول شعره بل كانت فيه نتيجة تكريسه بكامله لله . واذ انحرف عن واجبه اتلف قوته . ومن الثابت انه اخطأ . وبعد خطأه نعم كان يصنع المذهلات، لكنها كانت تُصنع بواسطة النعم الممنوحة مجاناً لخير الشعب دون ادنى استحقاق شخصي .

٦ – مرور سريع بمتن سفر القضاة

لما كان صعباً جداً معرفة اصل النسخ لهذا السفر، بسبب فقدان النص العبراني، وجب الاستناد الى ما هو اقرب اليه زمناً والنسخ القديمة السابقة غيرها عهداً ورتبة هي : العبرانية المصوريّة (المصوريون هم فرقة من العبرانيين، استنبطوا الحركات للغة

---

(1) Lagrange : Les livres des Juges, Paris 1903, 215 — 218.
(2) Ubaldi. Introductio in S. Scrip. 4 I Romæ 1891, 613 — 622

العبرانية، لان الكلمة العبرانية عندما تكون عارية عن الحركات تحتمل معاني كثيرة وحينئذٍ يُشكل فهم الكتاب الكريم على المطالع . فلهذا عولت هذه الفئة على استخراج علامات لتحديد اللفظ ضمن منطقة لا يُخرج عنها) واذا استثنينا نشيد دبورة، الفيناها حسنة . لكن اقرب منها الى الاصل هي النسخة السبعينية(١)

---

(١) ذكر ترجمة الكتاب الى اللغة اليونانية وتسمية هذه الترجمة بالترجمة السبعينية ، نقلاً عن يوسيفوس المؤرخ في الفصل الاول : فبعد موت الاسكندر وفي ايام سلفانوس ملك اليونانيين كان رجل من اهل مكدونيا يُدعى بطليموس وكان مُحباً للحكمة عاشقاً العلوم شديد العناية بها كثير الرغبة في تحصيلها وكان مقيماً بارض مصر فلكه المصريون عليهم . فلما ملك ازداد تحرُّقاً على العلوم وكثر شوقه اليها وعني بتحصيل الكتب وطلبها من كل أمةٍ وصقعٍ وبلد . ويروى انه لم يترك كتاباً إلاّ وحصله عنده . ففي بعض الايام كلّم ديمتريوس جليسه : ان كان يوجد في الاماكن القاصية او الدانية كتاب لا يوجد مثله عنده فاجابه ديمتريوس ؛ نعم ايها السيد ، في بلاد اليهود كتب زعم بعض الناس انها منزلة من السماوات، فتلك ايها الملك المعظم ليست عندنا . فاذ سمع ذلك تاقت نفسهُ اليها وأحبَّ الوقوف عليها ، فكتب الى الكاهن الاكبر في اورشليم المدعو العازر وطلب منه ان يرسل اليه من علماء اليهود وفقهائهم وحكمائهم سبعين شيخاً وبعث اليه بهدية جليلة . فلما وصلت اليه الهدية والرسالة اختار من علماء اليهود حينئذ وحكمائهم سبعين شيخاً ووجههم الى الملك بطليموس ومعهم رجلٌ من مقدمي الكهنة يُدعى اليعازر، كان رجلاً جليلاً بين قومه ومحترماً فيلسوفاً في علمه يزيد حكمةً عمن سواه من اهل ملّته ومع ذلك كان ديّناً كاملاً . فاذ علم بطليموس بقدومهم من اورشليم أمر بان يُخلّى لهم سبعون منزلاً . واذ بلغوا مصر امر باستقبالهم بالترحيب واكرمهم كما يجب لنظرائهم من اهل الفضل . وحلّوا على

لانها صوّرت عن المتن قبـل جميع النسخ الأُخر . والثالثة هي النسخة الايرونيمية (وتسمى بالنسخة العامة Vulgata ترجمها عن الاصل العبراني القديس ايرونيموس ؛ لهـذا سمّيت بالايرونيمية)

الملك ضيوفاً على الرحب والسعة . وبعد ايّام وهم في غاية الاكرام أمر ان ينزل كلُّ رجل منهم في منزلٍ منفردٍ لا يلتقي بغيره . وفعل الملـك ذلك لزيادة تحرزه وكثرة حذره لئلّا يجتمع احدهم بالآخر فيتفقا على تغيير شيءٍ من الكتب التي ينقلونهـا . ثم امر بان يُجعل مع كل رجل منهم كاتب من الحذّاق في اللغة اليونانية الى ان ينقل كل واحد منهـم كل الكتب باللسان اليوناني . واقسم انـه اذا وجد في نسخة واحدٍ منهم شيئاً من الاختـلاف والتصحيف او زيادةً او نقصاً يعدمهم الحياة باشد العذاب . فلما علموا قسمه وفهموا قصده وتحققوا كثرة تشديده في ما اعتمده ، شرع كلٌّ منهم بغايـة التحرير فيما هو بيده واكمـل التحقيق . فلما كملت النسخ وهي سبعون نسخة (لهذا سُميّت النسخة السبعينية) واحضرها الشيخ اليعازر الكاهن الى الملك بطليموس امر بان تُقابل على النسخ التي نقلوا عنها ، فقوبلت جميعها وكانت كلها متفقة دون ادنى اختلاف في شيءٍ (لهذا تفضل النسخة السبعينيـة على اغلب النسخ الان اذ انها اول مثالٍ خرج عن الاصل العبراني وطابقه تمام المطابقة دون ادنى تغيير ولو لفظياً) مُحرَّرة في غاية الدقة . فابتهج الملك حينئذٍ وسُرّ سروراً عظيماً وشكر اليعازر الشيخ مع جوقته جماً . وامر لهم بمالٍ كثيـر وامر لاليعازر بجائزة جليلة واطلق كل من كان في مصر اسيراً من جـلاء اليهود ، وامر لهم بمالٍ جزيلٍ واذن لهم بالرجوع الى بـلادهم . وامر بصنع مائدة عظيمة من ذهب وان يرسم عليها صورة مصر مع نيلها وسيره في قراها . فتم كل هذا بغاية الدقة ونقلت الى القدس هدية لبيت الله ولم يرَ الناس مثلها في الاتقان والجمال وحسن الزخرفة . (يوسيفوس فصل اول صفحة ٤٩ — ٥١) هـذا ما نقلناه عن كتاب يوسيفوس فعلى القارئ بالانتباه الى كل ما تقدم ليعي في ذاكرته تاريخ هذه الترجمة العظيمة الشأن .

وتختلف عن كل باقي النسخ . فهي مبنية ، بدرجة ثانية ، على النسخة السبعينية فتتصرّف بترجمة اسماء المدن ثم تعلق عدّة فوائد على الكلام الاصلي وتترجم ، في بعض الاحايين ، الجملة العبرانية الواحدة بجملتين مترادفتين . ومختصر القول ان المترجم لم يراع قواعد الترجمة فيها من بقاء وحدة الجمل وبقاء الاسماء العلمية على رنّتها الاصلية . من هذا نستطيع الجزم بافضلية باقي النسخ عليها ، لكن الكنيسة اللاتينية عولت على استعمالها ، لانه لم يكن بيدها غيرها في اللغة اللاتينية ، ما عدا النسخة الايطالية (وهي اقدم من النسخة العامة لكنها اكثر تشويهاً منها ، لهذا فضلت العامة عليها) . نقول هذا عن سفر القضاة فقط لانه في باقي الاسفار تُفضَّل على غيرها وفي بعض اسفار تفضل حتى على النسخة السبعينية .

الباب الثالث

﴿ ثامن اسفارنا التاريخية وهو سفر راعوث المؤآبية ﴾

قد اتينا ، في كلامنا في سفر القضاة ، على ذكر ملحقين بُعَيد التوطئة (ف ١) وجسم الكتاب (٢ – ١٦) ، والآن نتبعهما بملحق ثالث هو سفر راعوث . فهذا السفر يجب اعتباره كملحق ثالث لسفر القضاة لان حوادثه هي تابعة لسفر القضاة ، وفي اول فصوله يُبتدأ هكذا :

كان في ايام حكم القضاة جوع في الارض . وسمّي بسفر راعوت من اسم المرأة الموآبية التي اتخذها امرأة له احد ابني نعمي امرأة أليملك ، الذي هو من بيت لحم . وهذه المرأة (راعوت) تشغل اكثر فصول كتابنا هذا . اما راعوت (ܪܥܘܬ) فمعناها الصديقة او الصداقة وفي النسخة السبعينية (Rout) كما في الاصل العبراني . نسق هذا السفر عالٍ وسام جداً، وبين النسخ الموجودة الان بين ايدينا ليس لنا إلا السبعينية والعامة اقرب الى نصهِ الاصلي؛ ناهيك بما له من الاهمية في نسب المسيح ، وعما يذكره من فعل الرحمة والتُقى (انظر ٢ ، ٤ ؛ ٢ ، ١١ ؛ ٤ ، ١٠) . فراعوت هي من امهات المسيح ! ولماذا ؟ لان الله يريد ان يُفطِننا الى انه كما هو لليهود هكذا هو للامم . والكتاب تاريخي دقيق لاعتماد القديس متى عليه في سرده نسب المخلص (متى ١ ، ٥) ولوجود رأي عمومي من عهد يوسيفوس حتى ايامنا يُسلّم بحقيقته التاريخية ويذعن لها . اما عهد وضعه وواضعه فلا نستطيع الجزم فيهما . لكننا نقدّر كيان عهده بعد تأسيس الحكم الملكيّ (لانه يتكلّم في ابتدائه عن عهد القضاة كعهدٍ ماضٍ) ، وبعد ولادة داود (لانه يختتم بنسب داود الملك) .

هنا كثيرون ينسبون كتابته الى صموئيل النبي (١) لكن

---

(١) كالتلمود والقديس ايزيدوروس الاسباني وكورنيليوس الحجري وكورنيلي والاب الكبوشي هيتسنور وغيرهم .

يوجد فريق آخر يخالف هذا الرأي، ومما لا شك فيه هو ان واضعه استعمل كتاباتٍ ترجع كتابتها الى عهد القضاة . وهذا السفر رغماً عن صغر حجمه هو ذو اهمية عظمى في الحقل التاريخي اذ اننا لولاه لفقدنا الصِلَة في سرد سلسلة نسب المسيح . لهذا سدّ هذا السفر خللاً عظيماً لانه يلحم التاريخ السابق باللاحق . وهذا السفر مركَّب من اربعة فصول يبتدئ بسرد سيرة ابيملك مع امرأته نعمي وينتهي بنسب داود الملك هكذا :

فارص وَلَدَ حصرون، وحصرون ولد راماً، ورامُ ولد عميناداب وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعَز (نسيب نعمي امرأة أليملك)، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسَّى، ويسَّى ولد داود . وهذا السفر كان دائماً عند العبرانيين في عداد الاسفار القانونية الموحاة وكانوا يعدونه مختصر اسفار يجب ان تكون كتبت ثم فقدت، وهذه الاسفار ليست سوى مصادر سفرنا هذا الذي يجب التعويل عليه في كل ما يذكره من الحوادث التاريخية التي تتناول الشعب الاسرائيلي قبل جلائه بزمن غير معروف بالتدقيق وسفرنا هذا هو حري بالتأمل لما يذكره من افعال الرحمة .

الباب الرابع

اسفار الملوك

ان اربعة اسفار تاريخية تدعى بهذا الاسم وهي سفر الملوك الاول (او تاسع الاسفار التاريخية)؛ وسفر الملوك الثاني (او عاشر كتاب من مجموعة الكتب التاريخية)؛ وسفر الملوك الثالث (او حادي عشر سفر تاريخي)؛ وسفر الملوك الرابع (او ثاني عشر من مجموعة الاسفار التاريخية). وسيدور بحثنا هنا على الكتابين (اول وثانٍ) الاولين معاً لانتسابهما الى واضع واحد هو صموئيل النبي؛ كما تقدّر اكثرية العلماء الساحقة. ثم نضم الكتابين الباقين الى بعضهما في بحث ثانٍ. اذاً نقسم هذا الباب الى قسمين اولهما يبحث عن سفري صموئيل (وفي النسخة العربية ملوك اول وملوك ثانٍ)، وثانيهما عن السفرين الاخرين.

القسم الاول

اسفار الملوك الاول والثاني

هذان السفران كانا عند العبرانيين يؤلفان كتاباً واحداً فقط هو سفر صموئيل = ܣܦܪ ܫܡܘܐܝܠ، كما يشهد المعلم اوريجانوس (انظر تاريخ اوسابيوس الكنسي ٤، ٢٥) وغيره. لكن أيمة اليونان القدماء قسموه قسمين واضعين لكل منهما اسماً خصوصياً: Basileion Protos kai Deuteros = (سفر) الملوك الاول والثاني.

وانتقلت هـذه التسمية الى النسخة اللاتينية من ايام القديس ايرونيموس (صاحب النسخة العامة Vulgata) . اما فصل هذين السفرين التام عن بعضهما فانه لم يتم الا في غرّة الجيل الخامس عشر (في النسخة المرتبـة سنة ١٤٤٨) . ثم تخطّت هذه التسمية الى النسخ العبرانية ايضاً ، واول هـذه النسخ هي نسخة سنة ١٥١٧ المطبوعـة في مدينة فنيتسيا بعناية اليهودي المرتد دانيال بومبرغ (Daniel Bomberg) . فيأتي هذان السفران عـلى ذكر تأسيس ملك اسرائيل . وبما ان لكل واضع كتاب غاية ، كانت غاية واضع هذين السفرين اشهار مُلك داود ، وهذا الملك كان تأسيساً الهياً الذي يبقى الى الابد ، حسب الوعد الالهي . وهما يحويان حوادث تاريخية طرأت على الشعب الاسرائيلي من ايام صموئيل حتى نهاية مُلك داود بن يسّى . والحـد الذي يفصل السفر الاول عن الثاني هو تلك المعركة التي دارت بين اسرائيل والفلسطينيين وقلبت لشاول ظهر المجن ، معركة عظيمة خسر فيها اسرائيل اكثر خيرة رجاله في جبل الجلبوع .

٢ – مضمون هذين السفرين

ان موضوع هـذين السفرين الاولي هو حياة ثلاثة اشخاص من عظماء اسرائيل هم : صموئيل ، وشاول ، وداود .

١ً – صموئيل ، خاتمة القضاة (١ ، ١ – ١٢) ، اصل النبي وحداثته ، عالي الكاهن ، حفني وفنحاس ولدا عالي ، محق الاسرائيليين ،

أسر الفلسطينيين لتابوت العهد ؛ موت عالي ؛ (٤، ١ — ٢٢) ارجاع التابوت (٥، ١ — ٧، ١) ؛ القاضي صموئيل (٧، ٢ — ١٧) ؛ شاول يُمسح ملكاً على اسرائيل وحفلة اقامة الملك الاول لشعب الله (٨، ١ — ١٠، ١٦) ؛ المناداة بشاول ملكاً على اسرائيل (١١، ١ — ١٥) ؛ استقالة النبي صموئيل من المهنة القضائية (١٢، ١ — ٢٥) .

٢ً — تاريخ شاول الملك الاول لاسرائيل ، والذي رذله الله لخطأه بتقديم الضحية قبل اياب صموئيل ونزع عن ذريته الملك (١٣، ١ — ٢٣) ؛ استظهر على الفلسطينيين والعمالقة لكنه رذل لابقائه شيئاً من غنائم الحرب المنهى عن ابقائها واخذها (١٥) ؛ صموئيل يمسح داود بن يسّى ملكاً مكان شاول المرذول من الله ؛ داود في بلاط شاول (١٦، ١٤ — ٢٣) ؛ داود يقتل جليات (١٧، ١ — ٥٤) ؛ هرب داود المتواتر من وجه شاول ، شاول امام ضاربة الرمل يستقبل نفس النبي صموئيل؛ داود يرسله الفلسطينيون فيكسر العمالقة (٢٩، ١ — ٣٠، ٣١) ؛ سقوط شاول في الحرب الاخر(٣١) هنا ينتهي اول اسفار الملوك المؤلف من ٣٠ فصلاً .

٣ً — تاريخ داود الملك : ملوك ثاني ١، ٢٤ . مَلَكَ اولاً قبيلة يهوذا في حبرون . ثم نودي به ملكاً على كل اسرائيل فاعاد تابوت العهد الى مدينة اورشليم (١ — ٧) ؛ اقتبل المواعيد الالهية (٧) ؛ استظهر على كل اعداء اسرائيل (٨ — ١٠) ؛ ثم سقط في خطيئة القتل لكنه لم يتباطأ عن اظهار توبة نصوحة (١١ — ١٢)

عصيان ابنه ابيشالوم ؛ مجازاة اعداء داود ، فوز جديد ونشيد الشكران ؛ احصاء الشعب والتأديب الالهي (٢٤) . اذاً ان فصول هذا السفر ٢٤ . والوصف في هذين السفرين يبلغ اقصى درجاته من السمو . اما معنى اسماء هؤلاء الرجال الثلاثة فهو هذا : صموئيل مستجاب من الله او الله استجاب لان امه حنة كانت عاقراً فرُزقت ولداً وسمّته صموئيل وقالت من الرب التمسته (ملوك اول ١ ، ٢٠) وصموئيل هو من سبط افرائيم . ثم شاول من نسل بنيامين (شاول = المُعطى) هو ابن قيس البنياميني . واخيراً داود (معناه محبوب) هو ابن يسّى من سبط يهوذا .

٣ – اصل هذين السفرين مع زمان كتابتها

من الثابت الذي لا ريب فيه ان مؤلف هذين السفرين استعان بشهادات معاصرة ابطال الحوادث المسطّرة فيها كما يظهر ، مثلاً في تاريخ داود . وهذه الشهادات او المصادر هي قسمان ، اولها يتناول صموئيل وشاول ، وثانيها تاريخ داود الذي يؤلف الكتاب الثاني . ومهما يكن من شذوذ التقليد العبراني عن الحقيقة فمع ذلك بالنظر العام ، يخال فيه هذه المرة طيف الحقيقة ، وذلك في معرض كلامنا هنا على نسبة كتابة هذين السفرين لصموئيل . لان التقليد العبراني ينسب هذين السفرين الى النبي صموئيل . والقسم الاكبر

من السفر الاول ينسب بحق الى صموئيل (١) .

اما كتابات النبيين ناثان وجاد فتسمّى سفر اخبار الايام للملك داود ؛ وهذا حسب تصريح رواية سفر اخبار الايام الاول ٢٧ ، ٢٤ ؛ ويرجح كونها مؤلفة المصدر الثاني من كتب صموئيل (اي الملوك الثاني) والكتاب (اي سفر الملوك الاول والثاني) يتّخذ اسمه عن صموئيل النبي لان حياة صموئيل تشغل القسم الاكبر من الجزء الاول ، ولان اول ملوك اسرائيل ، شاول ، وثانيهم داود ، مسحهما صموئيل .

٤ – زمان وضع هذين السفرين مع كلمة في متنهما

١ً – اذا اردنا الجزم في تعيين زمان كتابة هذين السفرين لا نجد الى ذلك سبيلاً لانه لا يوجد برهان صريح ينوّه بزمان وضعهما . لكن يرجح القول الذي يفترض تجزئة الملك وتمليك الملوك على يهوذا ، وهذا حسب تصريح سفر الملوك الاول ٢٧ ، ٦ : فلذلك صارت صقلاج لملوك يهوذا الى هذا اليوم . ولنا دليل آخر هو غاية الواضع الذي يريد ان يوضح فقط شرعية مُلك بيت

---

(١) انظر سفر اخبار الايام الاول ٢٩ ، ٢٩ = واخبار داود الملك الاولى والأخيرة مكتوبة في كلام (والأصح كتاب ؛ لان النسخة الايرونيمية تقول in libro = في كتاب ، وليس في كلام) صموئيل الرائي وناثان النبي وجاد الرائي .

داود . فبعض العلماء (١) يسلّمون بان هذين السفرين كُتبا في عهد ابيا الملك (ملوك اول ١٥ ، ٣) لكن فئة ثانية من العلماء تضع حدًّا لزمان وضع هذين الكتابين بعد سنة ٩٣٢ قبل المسيح وقبل سنة ٧٢٢ .

٢ً – اما بخصوص نسخة اسفار صموئيل العبرانية ، فهي ابداً مشوّهة . فللتصحيح تستخدم النسخة القديمة واولها النسخة السبعينية التي تفوق كل بقية النسخ دقة . ثم الترجمة السريانية والنسخة الأيطالية القديمة . غب ما تقدم يجب الانتباه الى انه احياناً يُترجم العدد العبراني مرّتين في النسخة السبعينية . لهذا أشكل على صاحب الترجمة العامة هذا التكرار اللفظي فحاول التصرّف في الترجمة من غير ضابط ما غير ملاحظ قواعد الترجمة وعلّق بعض شروح على هذه الأعادات .

٥ – كلمة التقادية في السفرين المار ذكرهما

اذا انعمنا النظر في لغة السفرين وجدناها سامية فصيحة تقنيّة والمراد بلغة هذين السفرين اللغة العبرانية لا سواها . لكننا اذا اخذنا نفحص بعين ناقدة سفري صموئيل يتبين لنا مناقضة ظاهرة في موضعين ؛ اولهما في السفر الاول (ملوك اول ١٦ ، ٢١ ؛ ١٧ ، ٥٤)

---

(١) مثل كولين Kaulen ; Einleitung II, 47 الذي يعين ناثان واضعاً لهذه الاسفار ، ثم فيغورو Vigouroux; Manuel biblique II, 13 édit, 85 .

وثانيهما في السفر الثاني (ملوك ثاني ٢١ ، ١٩ المقابلة مع سفر الملوك الاول ١٧) .

فالمناقضة الاولى تُرد بسهولة اذا فحصنا بدقة الحادث المروي . في سفر الملوك الاول ١٦ ، ٢١ يُقال : فأتى داود شاول وتمثل امامه فأحبَّهُ جداً وكان له حامل سلاح . فهذا المكان يجب تفسيره هكذا : ان شاول عرف داود شخصياً لا عائلياً . اما في فقرة ٥٤ من الفصل الـ ١٧ من السفر نفسه لا يراد بجهل شاول شخصية داود بل عائلته وبهذا انتفت كل مناقضة ترد على هذا القول الالهي المورد في محلنا هذا .

اما المناقضة الثانية فهي مردودة ايضاً كالسابقة ، لان الكتاب يقول : ثم كانت ايضاً حربٌ في جوب مع الفلسطينيين فقتل الحانان بن ياعير لحمي اخا جليات الجتي(١) . اذاً ان المناقضة ليست في النسخة العبرية بل في اللاتينية . لهذا نجيب محللين الالفاظ وعائدين بها الى اصلها العبراني . في النسخة العبرانية (ملوك ثاني ٢١ ، ١٩) نرى الاصل فقتَلَ ... جليات أَخُحْمي = اخا جليات هذا بالمقابلة مع سفر الايام الاول (٢٠ ، ٥) الذي يروي الحادث نفسه .

---

(١) لهذا لا يوجد مناقضة في قولنا هذا ، لكن في النسخة الايرونيمية لا يقال : فقَتَلَ ... أخا جليات بل قَتَلَ ... جليات . لهذا ظهرت المناقضة بين قولنا هذا والقول السابق في سفر الملوك الاول ١٧ من ان الذي قتل جليات هو داود وليس غير وان جليات قتل قبلاً من داود ، فكيف يعقل قتله ثانية من ابن ياعير ؟

٦ – لمحة في اعضاء المملكة

كان يُعتبر كمعاون في المملكة كل من الآتي اسماؤهم :

١ً – عظماء الكهنة (صادوق وابياتار بن ابيملك) .
٢ً – قائد الجيش (يوآب) .
٣ً – رئيس الحاشية الملوكية (بنايا بن يوياداع) .
٤ً – الكاتب .
٥ً – كهنة الملك (رؤساء الاحتفالات) .

٧ – امتداد المملكة ايام الملك داود

بعض عبارات قليلة تعين حدود المملكة الاسرائيلية (ملوك ثانٍ ٤ : ٢٤ – ٩) التي كانت تقر بالسيادة المطلقة عليها لداود الملك. لهذا لا يستغرب القول الذي يولي داود ملء السلطان في اراضي فلسطين كلها الواقعة في ما وراء الاردن والقسم الاخر الواقع تجاه الاردن ويقسمه (١) .

٨ – امانة سفري الملوك التاريخية

ان كثيراً من العلماء حتى ممن لا يعتمدون إلا على العقل ، يسلمون بامانة سفري الملوك التاريخية . ولماذا ، يا تُرى ، شذَّ هنا سير هذه الفئة من العلماء ؟ مع انهم في كل سفر ، تقريباً ، كانوا

---

(١) انظر L. Szezepanski, Geographia Palestinæ Antiquæ الجارية في الاستعمال الخاص Romæ Pont. Inst. Bibli. 1912. 68 s.

يُنكرون امانته التاريخية ، ويخفقون بانكارهم ذاك اذ كان العلماء يدحضون اراءهم بالاقوال والبراهين السديدة . أقرّ لنا هنا هذا البعض من العلماء بالامانة التاريخية في هذين السفرين :

١ً – لان موضوع هذين السفرين حوادث طبيعية عارية عن كل مذهلة سامية : فهناك ذكر الحوادث الاتية : ذنب عالي الحبر الاعظم . خطايا الملك شاول . ذنوب يوآب ، قائد جيوش الملك داود . سقوط داود وعصيان ابنه ابيشالوم الخ .

٢ً – وبعض حوادث سفرينا تذكرها ايضاً اسفار اخرى مثلاً : سفر المزامير (مز ١٠٣ ملوك ثاني ١٥، ٤ : مز ١٠٧ ملوك ثاني ١٦ الخ) وسفر هوشع (١٣، ١٠ هوشع ؛ ٨، ٥ ملوك اول) ومتى (١٢، ٣ متى ؛ ٢١، ٦ ملوك اول) واعمال الرسل (١٣، ٢٠ – ٢٢ اعمال ؛ ٧، ١٥ ملوك اول) . فهذه الحوادث المروية في هذه الاسفار تطابق تمام المطابقة الحقيقة الوضعية المعروفة من التماثيل التاريخية . مثلاً : ان حيرام ملك صور ، يقول الكتاب (ملوك ثاني ٥، ١١) وجّه رسلاً الى داود واخشاب ارز ونجارين ونحاتين فبنوا بيت داود .

والان نعلم من سلسلة تاريخ ملوك صور ان حيرام نُصِب ملكاً على فينيقيا سنة ٩٨١ قبل المسيح آن كان داود في السنة الحادية والثلاثين لملكهِ (١) .

---

(١) انظر شهادة يوسيفوس ١ً – في كتاب مَنَدرو الافسسي Menandro Ephesino ٢ً – وفي كتاب اوسابيوس المؤرخ المعنون بكتاب الحوادث Cronicon ١، ١٧ (1, 17) وفي مجموعة مينيه مجلد ١٩ عامود ١٧٣ .

القسم الثاني

سفر الملوك الثالث والرابع

ان موضوع هذين السفرين هو تاريخ ٤١١ سنة اي من ايام سليمان الحكيم (٩٧٧ – ٩٣٣ ق ٠ م ٠) حتى تنصيب يواكيم الكاهن الاعظم (٥٦١ ق ٠ م ٠) ٠ وهذان السفران لم يكونا في البدء كما هما الآن عليه من الانفصال التام ، بل ان قانون الكتب المقدسة العبراني كان يقرن بين الواحد والاخر جاعلاً منهما كتاباً واحداً. فتجزئتهما لم تحدث الا من المفسرين اليونان القدماء ، تلك الترجمة التي نقلت الى الترجمة اللاتينية وقُبلت ايضاً في النسخ العبرانية .

١ – تقسيم هذين السفرين

تاريخ هذين السفرين يتفرع الى ثلاثة اجزاء ٠ ١ً – سليمان (ܫܠܝܡܘܢ = السليم) ، من ايام داود الاخيرة (٩٧٢ ق ٠ م) لغاية انقسام الملك (٩٣٢ ق ٠ م) ملوك ثالث ١ – ١١ . ٢ً – اسرائيل ويهوذا بعد انقسام المملكة حتى انقلاب السامرة (٧٢١ ق ٠ م) ملوك ثالث ١٢ – ملوك رابع ١٧ . ٣ً – من اكتساح السامرة الى تنصيب يوياقيم (٥٦١ ق ٠ م) ملوك رابع ١٨ – ٢٥ .

اولاً – سليمان

تاريخ الملك سليمان (٩٧٧ – ٩٣٣ ق ٠ م) – ايام داود الاخيرة . المناداة بسليمان ملكاً (فصل ١) ٠ موت داود وقتل ادونيا ويوآب

(فصل ٢) . اكليل سليمان ومجـد ملكه وطلبه الحكمة من الله (ف ٣ ، ١ - ٢٨) . بناية الهيكل مع بيوت ملكية (٥ ، ١٥ - ٧ ، ٥١) . تكريس الهيكل (٨) . زيارة ملكة سبا (١٠ ، ١ - ١٣) . خطايا الملك والقصاص الالهي (١١) .

ثانياً - يهوذا واسرائيل

هذا القسم يستغرق تاريخ ٢١١ سنة (٩٣٣ - ٧٢٢ ق . م) .
١ً - الضغائن والمعضلات بين المملكتين المنقسمتين ١٢ - ١٦
٢ً - السلام بين المملكتين ملوك ثالث ٦ - ملوك رابع ٩ .
٣ً - الحالات المتراوحـة بين الضغينة والاتفاق حتى انحطاط مملكة اسرائيل ١٠ - ١٧ . (ملوك اسرائيل : يربعام ، ناداب ابنه بعشا بن احيا ، ايلة بن بعشا ، زمري (مَلك فقط ٧ ايام) عمري (الذي بنى السامرة) احاب (ايام النبي ايليا) أحزيا ، يورام ، ياهو يوآحاز ، يواش ، يوربعام الثاني ، زكريا بن يوربعام الثـاني ، سلوم (الذي قتل بعد شهر) ، منحيم بن جادي ، . . . الملك عوزيا . اما ملوك يهوذا فهم : ربعام ، ابيا ، آسا ، يوشافاط ، يورام ، عتليا ، امصيا ، عوزيا ، يوتام ، احاز . . .)

ثالثاً - من سقوط السامرة حتى الجلاء البابلي

من الحقيقي الذي لا يحتمل الريب ان سبب انقسام المملكة الى مملكتين كان سليمان ، الذي ضلّ عن السراط المستقيم بمخالفته

شريعة الله اذ عبد الاصنام . لهذا أنشئت المملكة الثانية واصبح كل ملك مستقلاً بمملكته . ودونك كلمة في كل من المملكتين على حدة :

١ً – المملكة الشمالية : هذه المملكة هي المسلطة على عشرة اسباط اي على كل البقعة التي هي ما وراء الاردن، لذلك سمّيت المملكة الاسرائيلية لان القسم الاكبر من الشعب الاسرائيلي كان يؤلفها، اما عاصمتها فكانت شكيم (التي تُسمّى بنابلس اليوم) ثم السامرة (المؤسسة من الملك عمري) . لكن مدة استمرارها في الوجود كانت مئتين واحدى عشرة سنة . وعدد ملوكها كان تسعة عشر ملكاً اولهم يوربعام الذي كان قد أُقصي اولاً الى مصر بسبب فتن كان قد احدثها في الشعب . فلما رجع ونُصِب ملكاً ابدل ديانة الشعب بديانة جديدة هي الوثنية لهذا سقط شعب هذه المملكة في العبادة الوثنية فارسل الله حينئذٍ اليهم الانبياء كايليا واليشاع وعاموص وعوزيا ليوقظوا فيهم الايمان الحقيقي لكن كلمتهم لم تنجع قط في الشعب، الذي ابتدأ يضطهدهم . اما من جهة اسرة الملوك فلم تكن واحدة بل تتابعت تسع اسر مع الاضطراب الداخلي الدائم . اذا استثنينا بيت عمري فكلهم تقريباً (اي الملوك) كانوا اعداء لملوك يهوذا عاقدين معاهدات مع ملوك الامم كملوك مصر وملوك صور وغيرهم . ولا يخفى عن الذهن جلاء هذا الشعب مراراً عديدة (كالجلاء الذي صنعه صَلْمَنَصَّر ملك اشور سنة ٧٢٤ ق.م بأهل السامرة) .

٢ – المملكة الجنوبية : هذه المملكة لا توازي المملكة السابقة كبراً واتساعاً بل هي اصغر منها كثيراً ورعاياها كانت مؤلفة من سبط يهوذا وسبط شمعون مع قسم من سبط بنيامين . اما الحدود التي تفصل هاتين المملكتين عن بعضهما فتمتد من جهة الاردن بوادي القلق حتى قرى جبع والرام والجب لغاية الجسر ، وعاصمة هذه المملكة كانت اورشليم . وقد دامت هذه المملكة في الوجود ثلاثمائة وستاً واربعين سنة مع سني شاول وداود وسليمان اما عدد الملوك فكان عشرين . ومن جهة ديانة هذه المملكة فكانت افضل مما كانت عليه مملكة اسرائيل ومع هذا كله لم يثبت شعب هذه المملكة على الامانة الحقيقية بل عبد البعل تاركاً من خلصه من مصر بيدٍ قديرة (ملوك ثالث ١٤ ، ٢٣ والتابع) . فمن عشرين ملكاً انحاز عن طريق الله اربعة عشر والستة الباقون ساروا سير داود الملك الطيب القلب وهم : آسا ، الملك الثالث ؛ يوشافاط ، الملك الرابع ؛ عوزيا ، الملك العاشر ؛ يواثام ، الملك الحادي عشر ؛ حزقيا الملك الثالث عشر ؛ يوشيا ، الملك السادس عشر . لكن من هؤلاء المتقدمين اربعة لم يكونوا خالين من كل وصمة خطيئة اذ لم يزيلوا المشارف الموجودة قبلهم ، والاثنان الباقيان اطهر من وجد من الملوك وهما : حزقيا (٧٢٦ – ٦٩٨ ق.م) ويوشيا (٦٤٠ – ٦٠٩ ق.م) وتُفضَّل كثيراً حالة يهوذا على حالة اسرائيل الدينية . فالمكان ، كاورشليم ، والكهنوت بقيا عند يهوذا شرعيان . وظهر عدة انبياء في هذه المملكة (انظر سفر الايام الثاني ١٣ ، ١٠ والتابع) . اما

الاسرة الملوكية فلم تتبدل قط فيها من ايام داود حتى آخر ملوك يهوذا، كما كانت تتبدل في اسرائيل (ملوك رابع ١١، ١) ولم تعدم هاتان المملكتان بعض المعاهدات كالتي وُقعت بين يوشافاط واحاب ضد ملك سوريا (ملوك ثالث ٢٢، ٢) بل لم تعدما بعض القرابة كالتي حصلت بين ابن يوشافاط وابنة آحاب. ومدة بقاء هذه المملكة كانت ١٣٥ سنة بعد سقوط مملكة اسرائيل. ثم انقرضت من نبوكدنصَّر الملك البابلي. ثم انهدام الهيكل كان سنة الـ٥٨٦ ق.م.

٢ — اجمل ما في السفرين المار ذكرهما

١ً — حكم سليمان المصيب (ملوك ثالث ٣، ١٦ — ٢٨).

٢ً — تكريس سليمان الهيكل الالهي (ملوك ثالث ٨، ١ — ٩، ٣)

٣ً — تجزئة المملكة وخطيئة يوربعام (ملوك ثالث ١٢).

٤ً — استظهار النبي الغيور ايليا على كهنة البعل وهربه الى جبل حوريب (ملوك ثالث ١٨ — ١٩).

٥ً — تاريخ كَرْم نابوت الازراعيلي (ملوك ثالث ٢١).

٦ً — انتقال النبي الغيور ايلياء الى السماء (ملوك رابع ٢).

٧ً — عجائب اليشاع النبي ونبوأته (ملوك رابع ٤، ١ — ٨، ١٥)

٨ً — تحقيق نبوءة ايليا النبي في آحاب وايزبل (ملوك رابع ٩ — ١٠).

٩ً — تجبّر رسل سنحريب الملك وايمان حزقيا ونشيد اشعيا (ملوك رابع ١٨، ١٣ — ١٩، ٣٧).

٣ – مصدر هذين السفرين

ان رأي العلماء المتغلب في اصل هذين الكتابين هو انهما كُتبا في اواسط زمان الجلاء لان يوياكين أطلق من السجن، اذ ملك على بابل أويلَ مروداك، وذلك بعد جلاء وسجن دام سبع وثلاثين سنة ليوياكين. فكان زمان تسريحه (اي يوياكين، ملك يهوذا) اذاً حوالي سنة ٥٦١ او ٥٦٢ قبل المسيح. لكن البعض من العلماء خالف رأي المتقدم ذكرهم اذ قرّر زمان كتابة سفري الملوك الاخيرين قُبَيل زمان الجلاء، وذلك سنة ٦٠٠ ق.م. اعني بعد موت يوياكين. لكن الرأي الاقرب الى الصواب هو ان هذين السفرين كتبا بعد سنة الـ٥٦١ ق.م. من الاكيد، وقبل سنة ٥٣٨ ق.م. على الاغلب. والدليل على رأينا هذا هو ان سفر الملوك الرابع ٢٥، ٢٧ – ٣٠ يتكلّم عن اطلاق يوياكين من السجن ورفعه الى مقام شريف في بلاط ملك بابل مروداك، والحال ان هذا الاطلاق حدث سنة ٥٦١ ق.م. اذاً ان الكاتب سطَّر هذين السفرين بعد ذلك الحادث (اي اطلاق يوياكين سنة ٥٦١). اما الرجوع من المنفى، الذي سمح به قوروش، ملك بابل لكل الشعب الاسرائيلي، الذي كان قد جلاه سابقاً الملك نبوكدنصّر(١)

---

(١) ان شعب اسرائيل ويهوذا قد أُقصي عن وطنه عدة مرار:

اولاً – ايام فاقح ملك اسرائيل وتجلت فلاسّر ملك اشور الذي (سنة ٧٣٢ ق.م.) اخذ عيُّون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وجميع ارض نفتالي وجلاهم الى اشور، (ملوك رابع ١٥، ٢٩)

فالكاتب يصمت عنه تماماً مما يحملنا على الاعتبار بان الكاتب حين انجز مؤلفه هذا لم يكن قد نال الشعب حرية العودة الى الوطن، الذي حدث سنة ٥٣٨ ق.م.

٤ – قوة سفري الملوك الاخرين

تتنوع هذه القوة بحسب تنوع الشهادات، والشهادات منها الهية كالاناجيل والرسائل ومنها تاريخية كشهادات مؤرخين ثقاة.

القوة الالهية : ١ً – مدح سليمان وايليا واليشاع وحزقيا واشعيا ويوشيا (انظر يشوع بن سيراخ ٤٨) . ٢ً – ملك التيمن (انظر متى١٢، ٤٢) . ٣ً – ارسال ايليا النبي الى ارملة صارفة صيدا

ثانياً – ايام شلمناصر ملك اشور ، الذي اخذ السامرة وجلا ٢٧٢٩٠ انساناً الى مدائن ماداي (ملوك رابع١٧، ٦) وكان ذلك ايام احاز ملك يهوذا وهوشع ملك اسرائيل (٧٢١ ق.م.) .

ثالثاً – ايام يوياقيم ملك يهوذا اتى نبوكدنصر ، ملك بابل الى اورشليم وحاصرها . في تلك الاثناء نفى عدة فتيان منهم دانيال النبي (سنة ٦٠٥ ق.م، (دانيال ١، ١–٦) .

رابعاً – ايام يوياكين ملك يهوذا (سنة ٥٩٧ ق.م.) ونبوكدنصر السابق الذي اجلى الشعب الى بابل ١٠٠٠٠ مجلوٍ بينهم النبي حزقيال (ملوك رابع ٢٤، ١٤ – ١٦) .

خامساً – ايام صدقيا (في تاسع سنة من ملكه سنة ٥٨٦ ق م.) ملك يهوذا . فاحرق نبوكدنصر اورشليم وجلا الشعب الى بابل (ملوك رابع ٢٥، ١١–٢١)

سادساً – ايام نبوكدنصر (سنة ٥٨٢ ق.م.) الذي بواسطة رئيس شرطه نبوزَردان نفى ٧٤٥ يهودياً . وهذا الجلاء هو آخر جلاء حدث لشعب الله .

(لوقا ٤ ، ٢٤) ، نعمان السرياني (ملوك رابع ٥ ، ١ والرسالة الى الرومانيين ١١ ، ٢) .

القوة التاريخية : تظهر هذه القوة التاريخية من نفس الالفاظ التي استعملها واضع هذين السفرين . لان الكتاب يرجع دائماً بالقاري الى مصادر تاريخية اخرى . ثم تبين ايضاً هذه القوة التاريخية من اسفار اخرى الهية ، كعوزيا وعاموص (يوربعام الثاني) ، اشعيا وميخا (حزقيا) ، ارميا (يوشيا ، يوياقيم ، صدقيا) الخ . وبعد هذه تأتي التماثيل المنقوشة (الحفرية) التي تظهر باوضح بيان الحقيقة المثبتة في هذين السفرين . مثلاً تلك الكتابة المحفورة على جدران هيكل الاله عمون في كرنك ، التي تأتي على ذكر انتصارات فرعون المسمّى بشيشاق . وعلى تلك الكتابة اسماء لمدن اكتسحها شيشاق فرعون منها جبع ايالون الخ ... (١)

٥ — كلمة مجملة في متن هذين السفرين

اذا اردنا رؤية المتن العبراني لسفرينا لوجدناه مُتلفاً ولكن

---

(1) Cf. G. Maspero, Recueil de travaux relatifs à la philologie égyptienne et assyrienne VII, Parie 1885, 100)

وكتابة ميشاع ، ملك موآب (انظر لاغرانج Lagrange, L'inscription de Mesa, Revue biblique X, 1901)

وغير هذه كتابات أخرى اشورية وبابلية تثبت صحة كل ما يروى عن ملوك اسرائيل ويهوذا في سفري الملوك الاخيرين (انظر F. Vigouroux, La Bible et les decouvertes modernes, Paris 1894. Manuel biblique 11, 1300 sq. ec...)

ليس كائتلاف سفري صموئيل (ملوك اول وثان) بل هو اسعد حظاً منهما ، اعني انه (اي المتن) اقل منهما تشويهاً . لهذا يفضل على العبراني النسخ اليونانية ، وأحسن نسخه العديدة النسخة B . اما النسخة العامة فانها تطابق ، بامانة كلية ، الاصل العبراني ، كما يُصرّح مترجمها نفسه ، اعني القديس ايرونيموس (١) .

٦ – احسن مصادر هذين السفرين

ان واضع هذين الكتابين عند فراغه من سرد حياة كل ملك يعود بالقارئ الى مصادر أخرى ككتاب اخبار ملوك اسرائيل ويهوذا مثلاً . واما ما يختص بالملك سليمان فيرجع الكاتب بالقارئ الى سفر يُدعى سفر اخبار سليمان (ملوك ثالث ١١ ، ٤١) . وبعد تجزّؤ المملكة ففي اخبار ملوك اسرائيل يشار الى كتاب يُسمّى بكتاب اخبار ملوك اسرائيل ، يرغب الكاتب الى القارئ الرجوع اليه . ويشار اليه ١٧ مرّة واما في سرد حياة ملوك يهوذا فيذكر الكاتب كتاباً تحت عنوان اخبار ملوك يهوذا ويشير اليه ١٥ مرّة اما الصعوبة فهي في معرفة من وضع هذه المصادر ، فهنا تتضارب اراء العلماء . ففئة منهم لا يعرف بواضعي هذه المصادر إلا وزراء الملوك او مكلّفين من الملوك ، لانه ما من ملك كان يخلو من مؤرخ خاص ، كما يقول الكتاب المقدس ، عند كلامه عن هؤلاء الملوك خصوصاً داود وسليمان وحزقيا ويوشيا (ملوك ثاني ٨ ، ١٦ ؛

---

(١) انظر مجموعة اباء اللاتين لمينيه ML مجلد ٢٨ عامود ٦٠٣

٢٠، ٢٤ ملوك ثالث ٤، ٣ ملوك رابع ٨، ١٨ - ٣٧ ايام ثان ٣٤، ٨)
واذا تفحصنا سفري اخبار الايام لوجدناها مصدراً تابعاً للمصادر المتقدمة لسفري الملوك الاخيرين (التي من المحتمل ان تكون كتبت من الانبياء) . وهناك ايضاً مصدر آخر هي كتابات الانبياء الخصوصية وغيرها من المصادر التي نجهل عنوانها كثيراً .

٧ - كلمتنا في واضع سفري الملوك الثالث والرابع

١ - شبه قضية : ان واضع سفري الملوك الاخيرين هو غير واضع سفري الملوك الاولين .

والادلة المثبتة هذه القضية عديدة :

اولها - ان سفري الملوك الاولين يرويان التاريخ الاسرائيلي بتبسط مع الملحقات حتى الصغيرة ايضاً بعكس السفرين الاخيرين اللذين يسردان التاريخ بايجاز كلي ودون تعليق عليه يشير الى حكم الكاتب الخصوصي .

ثانيها - هو ان سفري الملوك الاولين لا يقيسان اخبارها بذكر الزمان، بل يهملان ذكره قطعياً بعكس الكتابين الاخيرين اللذين لم يغفلا عن ذكر الزمان وقياس كل حادث بوقته .

ثالثها - كون السفرين الاولين يهملان ذكر المصادر المأخوذة عنها الحوادث المروية فيها بخلاف السفرين الاخيرين .

رابعها - عدم المشابهة الكتابية بين السفرين الاولين والسفرين

الاخيرين اذ ان الجملة في سفري صموئيل افصح منها في السفرين التاليين .

خامسها – ان غاية واضع السفرين الاولين تختلف عن غاية واضع السفرين الاخيرين . في السفرين الاولين يرمي المؤلف الى ذكر ما يختص بداود من انتقاله الى المنصب الاول في اسرائيل ومن انتقال الملك الى بيته بينما السفران الاخيران يذكران تدخّل يد الله في ملك اسرائيل (غاية نبوية – تاريخية) .

٢ً – اما كاتب هذين السفرين فيرجّح كثيراً انه كان النبي إرميا . وهذا رأي التلمود، وذهب مذهبه فيه القديس ايزيدوروس الاسباني (في كتابة عن الوظائف الكنسية ١، ١٢) وكورنيليوس الحجري ومن الحديثين كورنيلي (في المحل المذكور أنفاً) وهيتسنود (في كتابه لاهوت الكتاب المقدس ١، ٣٥١) وغيرهم . وبالواقع ان غاية مؤلف سفري الملوك الاخيرين تطابق تام المطابقة الفصل الاخير (٥٢) من نبوءة ارميا سواء كان هذا الجزء من سفري الملوك (ملوك رابع ٢٤، ١٨ – ٢٥، ٣٠) ألصق بسفر ارميا كملحق أم كان مأخوذاً من كتاب ارميا . وهذا الافتراض الاخير اقرب الى الصواب من سابقه . لان اليهود كانوا مقتنعين بانتساب سفري الملوك الاخيرين الى ارميا النبي . ومن وجه آخر لماذا لم يُذكر اسم ارميا في تاريخ ملوك يهوذا الاخير مع ان هذا النبي لعب دوراً عظيماً في ايام ملوك يهوذا الاخيرة، بينما هذا السفر لم ينكف عن ذكر اشياء كثيرة عن بعض انبيائهم اقل اهمية وسياسة

من ارميا النبي الباكي على سقوط عاصمة وطنه ، اورشليم ؟ إلا لانه هو واضع هذين السفرين ؟ ولما كان موت ارميا في مصر حسب التقليد الحري بالتصديق ، كان لا بدّ من واضع لهذين السفرين غير ارميا . وقد يكون معاصراً له او تلميذاً تلقى عنه كل تلك الاحاديث المسطرة في السفرين المذكورين .

الباب الخامس

سفر اخبار الايام

يمكننا اعتبار هذين السفرين خلاصة كل الاسفار التاريخية المتقدمة لانهما يبتدئان بما يبتدئ به سفر التكوين وينتهيان بما ينتهي به سفر الملوك الرابع . فيكونان اذاً خلاصة اثني عشر سفراً لكن هذه الخلاصة هي موجزة جداً كالتي في اول فصول هذين السفرين : آدم . شيت . آنوش الخ ... ورداً للاعتراضات التي يعترض بها على هذين السفرين خصوصاً بشأن اسماء الاعلام نقول ان في هذين السفرين بعض اسماء اعلام تخالف الاسماء ذاتها الموردة في اسفار أخرى وسبب هذه المخالفة هو إما ترادف الالفاظ وإما كثرة الكنى والالقاب وإما ... وهذان السفران كانا قبلاً سفراً واحداً مدعواً بكتاب كلام الايام (ܕܒܪܝ ܝܘܡܬܐ) أما نقلة

اليونان فدعوها = Paraleipomenon = المهملة ، المتروكة (اي الحوادث المهملة...) لانهم زعموا ان واضعها اراد ان يسد خلل ما نقص في اسفار الملوك من الحوادث (١) . فالتسمية اليونانية انتقلت الى الترجمة اللاتينية القديمة ثم الى الترجمة الايرونيمية (العامة) بصيغة اضافة الجمع Paraleipomenon — Paralipomenon .

٢ – ما يتضمن هذان السفران من الاخبار

من الموافق قسمة هذين الكتابين الى اربعة اجزاء :
١ً – سلسلة الشعب الاسرائيلي من آدم الانسان الاول حتى زوربابل : ايام اول ١ – ٩ . ٢ً – حياة الملك داود : ايام اول ١٠ – ٢٩ . ٣ً – تاريخ سليمان الحكيم : ايام ثاني ١ – ٩ . ٤ً – تاريخ ملوك يهوذا حتى الجلاء الاخير : ايام ثاني ١٠ – ٣٦ .

٣ – التبسط في ايضاح الحوادث

ان حوادث الفصل الاول من سفر اخبار الايام الاول ياتي على ذكرها سفر التكوين في ستة وثلاثين فصلاً . وهذا الفصل يروي آدم وابراهيم واسحاق ويعقوب ثم تاريخ زعماء ادوم وهذا قبل وجود الملك في اسرائيل . اما الفصل الثاني (ايام اول) فيشهر

---

(١) وهذا الزعم هو الخطأ بعينه لان واضع هذين السفرين قد سطر كل الاخبار التي أتى على ذكرها اسفار الملوك . فلو كان يريد تسديد ما نقص من كتب الملوك لما كان اعاد ما ذكرته الاسفار المذكورة .

مواليد يهوذا حتى يسى والد داود النبي واخوة واخوات داود والحوادث المذكورة في هذا الفصل تجدها في سفر التكوين (٢٩، ٣٢ ؛ ٣٠، ٥ ؛ ٣٥، ٢٣ ؛ ٣٨، ٣ ؛ ٤٦، ١٢) وفي سفر يشوع بن نون ٧، ١ وفي سفر راعوث ٤، ١٩ وفي اسفار الملوك وفي انجيل متى ١، ٣ ثم يأتي الفصل الثالث (ايام اول) على ذكر مواليد داود وملوك يهوذا الذين هم من اسرة داود، وتجد هذه الحوادث في اسفار الملوك (ملوك ثاني ٣، ٢ ؛ ٥، ١٤) وفي انجيل متى (١، ١١) . والفصل الرابع يذكر انقراض نسل حام من بني شمعون (تك ٣٨، ٣ ؛ ٤٦، ١٢ متى ١، ٣ خروج ١٧، ١٤ تك ٤٦، ١٠ الخ) .

اما الفصل الخامس (ايام اول) فيدل على سلسلة اولاد رأوبين وسوقهم من الاشوريين بسبب تمسكهم بعبادة الاصنام (تك ٣٥، ٢٢ ؛ ٤٩، ٤ ملوك رابع ١٥، ٢٩) . والفصل السادس ينحصر الكلام فيه عن مواليد لاوي الذين منهم اختار الملك داود المرتلين والخدمة للهيكل (تك ٤٦، ١١ خروج ٦، ١٦ ملوك ثاني ٦، ١٧ الخ) . ثم الفصل السابع الذي يذكر مواليد يسأكر وبنيامين ونفتالي ومنسى وافرائيم وأشير (تك ٤٦، ١٢ ؛ ٤٦، ١٣ ؛ ٤٦، ٢٤) . وثامن هذه الفصول يتبسط بايضاح مواليد بنيامين الذين منهم أتى شاول الملك (تك ٤٦، ٢١ ؛ ملوك اول ١٤، ٥١) . والفصل التاسع يذكر بني اسرائيل الاولين ساكني اورشليم ووظائف اللاويين والكهنة ويعيد مواليد شاول (اخبار

الايام الاول ٨ ، ٢٩) . وعاشر فصولنا يُسطر رذل شاول من الله وقتله من الفلسطينيين (ملوك اول ٣١ ، ١ ؛ ٣١ ، ١١) . والفصل الحادي عشر يشير الى تنصيب داود ملكاً (ملوك ثاني ٥ ، ١) . والثاني عشر يذكر مناصري داود اذ اضطهده شاول الملك (ملوك اول ٢٧ ، ٢ ؛ ٢٩ ، ٤) . والثالث عشر يذكر اعادة تابوت العهد من قرية يعاريم ورقص داود امام التابوت (ملوك ثاني ٦ ، ٢) . والفصل الرابع عشر يروي خبر ارسال الخشب والعملة من لدن ملك صور الى داود (ملوك ثاني ٥ ، ١١ ؛ ٥ ، ١٣ ؛ ٥ ، ١٧) اما الفصل الخامس عشر فيذكر تعيين وظيفة بني لاوي في حملهم تابوت الرب الى الابد ، وهذه الوظيفة اناطها بهم داود النبي (سفر العدد ٤ ، ١٥) .

والفصل السادس عشر ياتي على ذكر ادخال تابوت الرب الى الخيمة وتقديم الذبائح والمحرقات امامه (ملوك ثاني ٦ ، ١٧ ؛ مزامير ١٠٤ ، ١ ؛ اشعيا ١٢ ، ٤) . والفصل السابع عشر يذكر عزم داود على بناء بيت الله لكن الله ارجعه عن عزمه وعهد بهذا الامر الى ابنه سليمان (ملوك ثاني ٧ ، ٢) . والفصل الثامن عشر يروي اخبار حروب وانتصارات داود (ملوك ثاني ٨ ، ١) . والفصل التاسع عشر يخبر عما حدث بين داود وحنون بن ناحاش ملك بني عمون (ملوك ثاني ١٠ ، ١٨) . والفصل العشرون يذكر حروب داود الشديدة على بني عمون وقتل الجبابرة في هذه المعامع الهائلة (ملوك ثاني ١٠ ، ٧ ؛ ١١ ، ١ ؛ ٢١ ، ١٨) . واما الفصل الحادي والعشرون

فيأتي على ذكر احصاء الشعب من داود دون رضى الله واختيار داود احدى الضربات الثلاث جزاء خطيئته (ملوك ثاني ٢٤، ١) .

والفصل الثاني والعشرون يتضمن خبر ما هيأه داود من المواد لبناء الهيكل (ملوك ثاني ٧، ٢) . والفصل الثالث والعشرون يذكر تعيين سليمان ملكاً مكان داود ابيه وترتيب وظائف اللاويين (خروج ٢٨، ١) . اما الرابع والعشرون فيذكر قسمة سبط لاوي من داود (لاوي ١٠، ٢ عدد ٣، ٤) والفصل الخامس والعشرون يروي اختيار بني آصاف لمهنة الترنيم والعزف على العيدان امام تابوت الرب . والفصل السادس والعشرون يذكر الوظائف داخل الهيكل . ثم السابع والعشرون يذكر تولية بعض زعماء الاسباط وظيفة سياسية . وفي الثامن والعشرين يصوّر رسم الهيكل المنوي تشييده . واما الفصل التاسع والعشرون فيذكر تقادم الشعب مع ما جمعه داود من الدنانير والآلات اللازمة لصنع الهيكل .

والان حان لنا ان نقول كلمة في سفر اخبار الايام الثاني . فالسبعة الفصول الاولى التي تتعلق بسليمان تذكر بناء الهيكل وتكريسه . والفصل الثامن يذكر تأسيس بعض مدن من سليمان والتاسع يأتي على ذكر ذهاب ملكة سبا الى سليمان واندهالها من العظمة التي كانت تحف بذلك الملك ، تلك العظمة التي دعتها الى القول : طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء القائمين دائماً بين يديك يسمعون حكمتك (ايام ثاني ٩، ٧) . والفصل العاشر يصف ذلك الحادث العظيم في تاريخ الشعب الاسرائيلي حادث انقسام المملكة

الى مملكتين : مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل . اما الفصول ١١ — ١٣ فتروي تاريخ الملوك رحبعام، وابيا، ويوربعام و ...

والفصول ١٤ — ١٦ تذكر بتدقيق هؤلاء الملوك كآسا وغيره، الذين عملوا في سبيل اعادة ديانة اسرائيل الحقيقية . والفصل الـ١٧ يذكر تنصيب يوشافاط الملك الصالح مكان ابيه آسا وما اتاه من الاعمال الفريدة في سبيل انضمام المملكتين . ثم الـ١٨ — ٢٠ تذكر بان يوشافاط علم الشريعة واستظهر في الحرب على الموآبيين والعمونيين بينما كان اللاويون يباركون الله الرب القوي . والحادي والعشرون يذكر المذبحة التي هيأها ذلك البربري يورام لاخوته وبعض زعماء يهوذا . والثاني والعشرون لغاية الثامن والعشرين تذكر اخبار ملوك اسرائيل ويهوذا كاحزيا ويوآش وامصيا وعوزيا بن امصيا . والفصول ٢٩ — ٣٢ تسرد تاريخ حزقيا الصالح الذي ازال المشارف من اسرائيل . ثم الفصول ٣٤ — ٣٥ تذكر يوشيا التقي الذي سمع كلام كتاب التوراة الذي وجده شافان في الهيكل . لهذا احدث انقلاباً عظيماً في الشعب . والفصل الاخير (٣٦) يذكر موت يوشيا ثم يستطرد الى ذكر الجلاء الاخير الذي احدثه الملك نبوكدنصر .

٤ — مصادر السفرين المار ذكرهما

عديدة هي مصادر هذين السفرين : ١ً — سفر التكوين . ٢ً — اسفار الملوك . ٣ً — كتاب اخبار ملوك اسرائيل ويهوذا (الذي يذكره سفر اخبار الايام الثاني ٢٧، ٧؛ ٣٥، ٢٧) .

٤ً – كتاب اخبار ملوك اسرائيل (اخبار الايام الثاني ٣٣، ١٨)
٥ً – اعمال ناثان النبي وجاد الرائي (اخبار الايام الاول ٢٩، ٢٩)
٦ً – اعمال يَهو بن حانان (اخبار الايام الثاني ٢٠، ٣٤) . ٧ً – نبوءة اشعيا بن اموص (ايام ثاني ٢٦، ٢٢) . ٨ً – رؤيا اشعيا بن اموص الواردة في سفر ملوك يهوذا واسرائيل عن مُلك حزقيا (ايام ثاني ٣٢، ٣٢) . ٩ً – مراثي ارميا (ايام ثاني ٣٥، ٢٥) ... ومصادر اخرى كثيرة وقفنا عن ايرادها دفعاً للملل الذي قد يعتري القارئ

٥ – في زمان هذين السفرين وواضعها

ان زمان كتابة هذين السفرين هو بعد نهاية الجلاء البابلي الاخير . لانه في الفصل الاخير من سفر اخبار الايام الثاني يأتي على ذكر امر قورش القاضي بعتق المجلوين . وكما قلنا في بداية هذا السفر ان تغيير الاسماء لا ينقص شيئاً مما هناك من الحقيقة ولغة هذين السفرين احط من لغة الانبياء حجاي، وزكريا، وملاخيا الذين كتبوا اسفارهم بعد الجلاء. وذلك لان واضعه يستعمل الفاظاً اعجمية وجملاً ركيكة . لكن واضعه، حسب التقليد اليهودي، ليس سوى عزرا الكاهن . وهذا الرأي تبعه من العلماء الحديثين لامي Lamy, Introductio II, 79 وكورنيلي Cornely, Compendium 264 وهيتسنور Hetzenauer, Theologia biblica I, 136

ويوجد رأي معاكس للرأي المتقدم يزعم ان هذين السفرين كُتبا في نهاية مُلك العجم في زمان الحكم اليوناني (اي الجيل

الرابع ق.م.) مستندين على رواية سفر الايام الثاني ٣٦ من ان ملك العجم قد زال عندما وضع الكاتب مؤلفه هذا .

٦ - مكانة هذين السفرين

ان مكانة هذين السفرين هي على نوعين الهيـة وتاريخية . فالالهية تظهر من انجيل متى (٢٣، ٣٥ = حتى دم زكريا بن برشيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح ؛ ايام ثاني ٢٤، ٢٠ — ٢٢) . اما المكانة التاريخية فتُصادَم كثيراً وخصوصاً من اخصام الوحي الالهي مثل دي ويت de Wette, Kristischer Versuch über die Glaubwurdigkeit der Chronik, Halle 1906 و كراف Die geschichtlichen Bücher des A. T. Leipsig 1866, 114 — 247 وفيلوسن Geschichte Israels III Berlin 1905, 165 — 223 الذين ينكرون على واضع هذين السفرين كل امانة تاريخية مثبتين كون هذه الاشياء والحوادث المسطَّرة، من تاريخ الشعب هي قبـل الجلاء، وقائلين ان واضعها قد نهج فيها نهج الشريعة اللاوية في زمان الجلاء وابدلها فاختلق البعض منها والبعض الآخر اهمله .

٧ - مذهب المدرسة الولوسنية في حقيقة سفرينا التاريخية مع ردنا عليها

كلمتنا في هذه المدرسة، التي وضعت كل اسفارنا تحت المبضع الانتقادي السفسطي دون اي احترام لهذه الاسفار الالهية، كلمتنا فيها انها سائرة على غير هدى ونقول لها سيري ما طاب لك السير ما دمت ترقين اراءك ومزاعمك السخيفة في خلواتك دون ان

تظهري امام العلماء الجهابذة للمناظرة الجدية . وكما اختلقت هذه المدرسة من الاراء الغريبة عن المنطق في شأن الكتاب الخامس (اي مجموعة موسى) هكذا تابعت سيرها في هذه الاراء كلما مرّت بكتاب تاريخي . ولما كان هذان الكتابان تاريخيين رمتهما بهذه الاراء الضعيفة .

ما هو اذاً رأيها في هذين السفرين ؟

هذه المدرسة ضربت بصفائحها الواهية حقيقة هذين السفرين التاريخية بقولها :

ان واضع تلك الحوادث التي رويت من تاريخ الشعب المختار قبل الجلاء ابدلها بنوع نسقي على اسلوب الشريعة اللاوية في زمان الجلاء . فالبعض من هذه الحوادث اختلقها والبعض الاخر اهمله . فبوديسين Baudissin, Einleitung 276 يرتأي بان شرح المؤلف التاريخي ليس خالياً من الخطأ . واستوارنجيل Steuernagel, Einleitung 382-386 مع كونيل Einleitung 133 - 135 ودريفر Driver, Introduction 533 ينفون عن سفرينا المار ذكرها الوجهة التاريخية المحضة .

ولا اسهل من هذا الرد على هذا القول لان البراهين المقدمة لتأييد رأي الاخصام هي واهية . لهذا نقول ان ما أتى على ذكره هذا السفر من ايراد الاسماء العلمية قد يكون على غير الحقيقة بسبب ترادف الاسماء وغلط النقلة . وهذا لا يُعدم الكتاب صفته التاريخية . ثم ان تاريخ سفري الايام له غاية دينية وحيدة (لاوية — دينية) .

اذاً ان المؤلف قصد هدفاً واحداً هو التاريخ الديني لا التاريخ المدني (الذي عندها يخلو منه كتاب تحتدم ضدّنا مناظرة المدرسة الولوسفية) . فاذا الحد، مثلاً، كتب تاريخاً عربياً واغفل عن ذكر اعظم الحوادث الاوربية هل يعد هذا التاريخ وهمياً لانه اغفل ذكر الحوادث الاوربية ؟ فكل ذي عقل سليم يفقه كون هذا التاريخ صحيحاً وان لم يَرو حتى اشهر حوادث العالم، لانه تاريخ خصوصي لأمة معينة وهكذا في مسألتنا في عدم كتابة تاريخ الامم في سفري الايام . وبهذا تلاشت معارضة الاخصام . وقد يكون كاتب هذين السفرين صمت حتى عن بعض حوادث تختص بملوك يهوذا لانه (اي الواضع) يفترض كونه محباً لوطنه، لهذا لم يُرد ان ينشر كل اطوار ملوكه الرديئة لئلا يسبب هيجاناً عمومياً شعبياً بسبب اظهار تلك الاطوار الرديئة . اما الاعداد التي تخالف الحقيقة فتفسَّر بانها مضافة من النقلة بطريقة الغلط .

٨ - في متن هذين السفرين

لأجل الحكم في النسخة العبرانية يجب تجزئتها الى جزئين واول هذين الجزئين هي التسعة الفصول الاولى من سفر اخبار الايام الاول . فهذا الجزء هو مشوّه تام التشويه، فمن اثنين وخمسين فقرة لا يستطاع التعويل على اكثر من عشر منها . اما الجزء الثاني الذي يؤلف من الفصول الباقية فيفضَّل على بقية كل الاسفار القديمة . والنسخة السبعينية كانت على جانب كبير من

التشويه وخصوصاً من جهة اسماء الاعلام وذلك في ايام القديس ايرونيموس (انظر التوطئة على النسخة الايرونيمية) . اما النسخة العامة فتطابق تمام المطابقة النسخة العبرانية لان القديس ايرونيموس لم يحدث ادنى تصرّف في ترجمتها .

٩ – عهد كتابة هذين السفرين وكاتبها

انا نستطيع ان نجزم بنوع ما في عهد كتابة هذين السفرين . فمن الاكيد انهما كتبا بعد سنة ٥٣٨ لانهما يحويان امر قورش الملك ذاك الامر الذي كتب بعد هذه السنة . واذا تقصّينا سفر اخبار الايام الاول ٣ ' ١٧ – ٢٤ وجدناه ، حسب النسخة العبرانية يذكر ستة مواليد بعد زوربابل ، ولكن النسختان اليونانية العامة والسريانية تذكران بعد زروبابل احد عشر مولداً . فاذا افترضنا لكل منها ثلاثين سنة يكون حد كتابة هذين السفرين النهائي ، حسب النسخة العبرانية ، ٣٥٠ سنة ق . م . وحسب النسخة اليونانية (السبعينية) سنة الـ ٢٧٠ ق . م . اما واضع هذين السفرين فهو عزرا ، حسب رأي الاكثرين . لان التلمود ينسب كتابة هذين السفرين الى عزرا ولانهما لا يعدمان مشابهة الغاية مع كتاب عزرا القانوني . وهذا الرأي لا يستطاع دحضه ببراهين اكيدة . والمواليد التي منها نسبة داود تبتدئ من زروبابل حتى منتصف الجيل الرابع او في اواخر الثالث ق . م . ومن السهل ان تكون الحقت من كتبة حديثين .

الباب السادس

سفر عزرا ونحميا

هذان السفران في اول عهدهما لم يكونا منفصلين بعضهما عن بعض كما هي حالتهما الآن بل كانا يؤلفان سفراً واحداً منسوباً الى عزرا الكاهن (عزرا = ܥܕܪܐ = مساعد . وفي النسخة السبعينية Exdras) . وسبب انفصالهما لم يكن لداعي عدم المشابهة بل بسبب استهلال الفصل الحادي عشر بهذا الكلام : كلام نحميا بن حكليا ؛ نحميا ١ : ١ . لهذا سلخوا الفصل الحادي عشر مع كل الفصول التالية عن العشرة الفصول الاولى وسمّوا العشرة الفصول الاولى بسفر عزرا الاول وبقية الفصول دعوها باسم نحميا او عزرا الثاني (١) . وهاك كلمة في هذين السفرين :

١ — سفر عزرا : قد قسمه بعض العلماء الى جزئين . اولهما يحوي ٦ فصول . وثانيهما الـ ٤ الفصول الباقية .

---

(١) ولعزرا كتابان آخران خارج الكتب القانونية . اولهما — يحوي تسعة فصول ويتكلم عن يوشيا وصنعه الفصح الاحتفالي في اورشليم وترتيب نوَب الكهنة في الخدمة داخل الهيكل واطلاق الشعب من الجلاء ايام قوروش الملك وثانيهما — يحوي ستة عشر فصلاً ويروي ارسال عزرا الى اورشليم من الرب واصلاحه كل ما اعوجّ من طرق الشعب ويذكر ايضاً علم الله للمستقبلات وخلقه كل شيء لاجل الانسان واعتباره غايات الجميع (عزرا رابع ٤) .

الجزء الاول – يدور الكلام فيه على اياب الشعب من بابل الى اورشليم للمرة الاولى : ف ١–٦

في الفصل الاول يروى خبر الامر الذي اصدره الملك قورش بارجاع الاواني المقدسة لهيكل اورشليم . وفي الثاني يذكر عدد اليهود الذين غادروا المنفى راجعين الى اورشليم وطنهم . وفي الثالث يشار الى تقدمة الذبائح والقرابين على المذبح المجدَّد ، والى وضع اساسات الهيكل المنهدم اما الفصل الرابع فينوّه عن منع السامريين لليهود من بناء الهيكل . وفي الفصلين الاخيرين يُذكر ان في ثاني سنة للملك داريوس (٥٢٠ ق . م) ذهب زروبابل ويشوع لاصلاح الهيكل ، وذلك بناء على تحريض النبيَّين حَجَّاي وزكريا وسماح الملك ، ثم يذكر تكريس الهيكل المجدَّد والاحتفال بعيد الفصح . وهذا الرجوع من الجلاء كان بقيادة شَشْبَصَّر ، رئيس يهوذا (عزرا ١ : ٨) ويشوع (عزرا ٢ : ٢) .

والجزء الثاني يذكر رجوع اسرائيل الثاني من الجلاء ٧ – ١٠

هذه الفصول الاربعة تصف رجوع الشعب اليهودي من مكان جلائه ببابل في ايام نبوكدنصر وقد حدث ذلك بامر قورش وبالهام الهي ، وكان عزرا على رأس هذا الشعب العائد الى وطنه المحبوب في السنة السابعة للملك ارتحشستا ملك فارس . فاستغرقت هذه الرحلة اربعة اشهر حتى بلغوا اورشليم لانهم تركوا بابل في اول يوم من الشهر الاول من السنة السابعة للملك ارتحشستا . ووصلوا الى اورشليم في اول يوم من الشهر الخامس (عزرا ٧ : ٩)

واما عدد الانفس ، التي لحقت بعزرا ، فكان ٦٠٠٠ نسمة . ثم ان عزرا بكى كثيراً وانتحب اذ علم ان الشعب خالط الخوارج مُتَّخذاً منهم نساء له وامرهم بنبذ النساء الغريبات ، ففعل الشعب كما امره عزرا .

٢ - سفر نحميا او عزرا الثاني (حسب النسخة العامة) . وهذا السفر ايضاً قسمه العلماء الى قسمين اولهما يحوي السبعة الفصول الأولى وثانيهما الستة الباقية .

القسم الاول : اذ بلغ نحميا (الذي يعني اسمهُ تعزية) اليهودية سنة العشرين للملك ارتحشستا رمّم اسوار المدينة المقدسة وعزى الشعب على ضنكه الشديد وأسعفه بما كان لديه من الواسطة : فصول ١ - ٧ .

القسم الثاني : وهو يحوي رسم التجديد الديني ، الذي احدثه نحميا وعزرا ٨ - ١٣ . فمن الفصل الثامن حتى العاشر يُذكَر تجديد العهد بين الشعب والكائن في الاحتفال العظيم ، احتفال عيد المظال . اما الفصل الحادي عشر فيذكر توزيع الشعب على المدن . والثاني عشر يذكر رقم الكهنة واللاويين ثم تكريس الاسوار وتأدية البواكير والعشور للعبادة الالهية . اخيراً يذكر الفصل الثالث عشر رحلة نحميا الى اورشليم ، السنة الثانية والثلاثين للملك أرتحشستا ومنعه بعض عادات غير حسنة .

٣ – الغاية من وضع هذين السفرين

اذا انعمنا النظر في هذين السفرين الفيناهما بياناً جلياً لعناية الله وعطفه على الشعب الاسرائلي . لانه من سرد تلك الحوادث المروية في هذين السفرين يظهر ظهوراً واضحاً ان الله أتمّ ما وعد به على لسان انبيائه ، ودليل هذا هو فاتحة سفر عزرا ١ ، ١ : في السنة الاولى لكورش ، ملك فارس ، لكي يتم ما تكلّم به الرب بفم ارميا نبّه الربُ روح كورش .

٤ – المبضع الانتقادي على سفرينا المار ذكرهما

يحصر الانتقاد، الموجه الى هذين السفرين ، في مسائل تاريخية ؛ هي اولاً ان الشعب رجع من بابل الى اورشليم ثلاث دفعات وليس دفعتين . فالدفعة الاولى كانت بعد كورش سنة ٥٣٨ ق . م بقيادة ششبّصر الذي ارسله كورش مع الانية المقدسة الى اورشليم واما الدفعة الثانية فحدثت في السنة الاولى لملك داريوس (٤٢١ ق . م) بقيادة زروبابل ويشوع الكاهن (عزرا ٢ ، ٢) اللذين ذهبا صحبة ٤٢٣٦٠ نفراً . واخيراً في السنة السابعة لارتحشستا ذهب ٦٠٠٠ رجل بقيادة عزرا . فهذا الرأي هو رأي اقلية العلماء مثل كاولين (١) . وينقض هذا الرأي رأي الاكثرية الساحقة من العلماء . مثل إيولد (٢) ونيتيلر (٣) وغيرهما الذين يذكرون

(1) Kaulen, Einleitung V, Hoberg, 79 sq
(2) Evvald, Geshichte des Volkes Israel IV, Gottingen 1843, 114
(3) Neteler, Die Bücher Esdras, Nehemias

رجوع المجلوّين دفعتين فقط الاولى منهما بعد امر كورش سنة ٥٣٨ والثانية بقيادة عزرا . فبعض العلماء يفرّقون بين ششبصّر وزروبابل مثبتين كونهما اسمين لرجل واحد . والبعض الآخر يميزون قائلين : ان ششبصّر كان اخاً لشلتائيل الذي ولد زروبابل ، وهذا الرأي يفضَّل على الاراء المتقدمة والذين ارتأوه هم : إيولد (١) وسكرادر (٢) وسكوكة (٣) وليزيتر (٤) وخصوصاً الاستاذ هوناكير (٥) وهؤلاء العلماء هم من اساطين هذا الفرع فاذا استندنا الى رأيهم لا نخشى الاخفاق . واذا اردنا التعويل على الرأي السابق اي اطلاق اسمين على رجل واحد فلا جناح علينا .

والمسألة التاريخية الثانية التي يقع عليها الانتقاد هي هذه : من هو اذاً ارتحشستا الذي كان ملكاً اذ رجع عزرا ونحميا الى اورشليم ؟ فيذكر التاريخ ثلاثة ملوك نُصِّبوا على عرش الفرس ، بهذا الاسم : ارتحشستا الاول (٤٦٥ – ٤٢٤ ق٠م٠) ؛ ارتحشستا الثاني (٤٠٥ – ٣٦٢ ق٠م) ؛ ارتحشستا الثالث (٣٦٢ – ٣٣٢ ق٠م٠) . فالثالث يجب ان ينتفي في مسألتنا لان سفر نحميا ١٣، ٦

(1) Geschichte des Volkes Israel IV, Gottingen. 1843, 114

(2) C. Schrader; Die Bauer des zweiten tempelbaues, Theologische Studien u. Kritiken XL (1867) 480

(3) Zschokke; Historia Sacra, A. T. VI, Vindobonæ 920, 302.

(4) H. Lesêtre, apud F. Vigouroux; Dict. de la Bible V (1912), art. Zorobabel.

(5) Van Hoonacher, Zorobabel et le second Temple; Louvain 1891 — 1892; Nouvelles études sur la restauration juive après l'exil de Balylone, Louvain 1896; et in R. B. 10 (1901) 9 ss.

يقول : وفي هذه المدة كلها لم اكن انا في اورشليم لاني في السنة الثانية والثلاثين لأرتحشستا ... والحال ان ارتحشستا الثالث لم يملك اكثر من ٢٠ او ٢٤ سنة . اذاً لم يكن هو ايام عزرا ونحميا فبقي الابهام بين الاول والثاني، لكن الرأي المعوّل عليه هو هذا : في سابع سنة لملك ارتحشستا الاول (سنة ٤٥٨) ذهب عزرا مع ٦٠٠٠ رجل من اليهود الى اورشليم . وفي السنة العشرين لملك هذا الملك نفسه (اي ارتحشستا الاول)، سنة ٤٤٥ ق . م ، عاد نحميا من بابل الى اليهودية ثم اتصل بعزرا واتفق معه لتجديد العبادة الالهية . وفي سنة ٤٤٤ ق . م ، يوم عيد المظال جمع عزرا الشعب وقرأ على مسامعه كتاب الشريعة . وفي السنة الثانية والثلاثين لارتحشستا الاول (٤٣٣ ق . م ،) ذهب نحميا مرّة ثانية الى المدينة المقدسة لاصلاح عادات غير حسنة .

هذا ما ارتآه جمهور من جهابذة هذا العلم مثل ڤيغورو (١) وهيلدبرن هيفل (٢) وروفيني (٣) وغيرهم .

٥ً نظرتنا الانتقادية في المؤلف المذكور

هذان السفران يحويان تاريخ مائة واربع وستين سنة، اعني من عودة زروبابل الى اليهودية (٥٣٧ ق . م .) الى عودة نحميا الثانية

(1) Vigouroux, Dictionnaire biblique II 1930; Manuel biblique XIII, 138 ssq

(2) H, Hopfl; Vol. II, p. 127—132

(3) Cronologia, 39—46

الى المدينة المقدسة (٤٣٤ ق.م.) : لكن هذا التاريخ ليس يتصل ببعضه لانه من سادس سنة لملك داريوس الاول (سنة ٥١٥ ق.م.) الى ابتداء ملك احشوروش الاول (٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م.) لا يُذكر شيء قط . لهذا نجزم بعدم ترتيب هذا الزمان في هذين السفرين . نقول هذا بعد البحث الدقيق ودون مبالغة . لكن كتاب عزرا ونحميا يرينا رسماً نفيساً وجميلاً للشعب بعد ما جرى له من النكبات بسبب الجلاء البابلي الاخير .

هذه كلمتنا الانتقادية في هذين السفرين لتكميل مبحثنا العلمي المحض اولاً ولازدياد الفائدة ثانياً . فسفر عزرا كتب منه قسم باللغة الارامية وقسم باللغة العبرانية . اما لغة سفر نحميا فهي العبرانية الرقيقة السهلة المنال . ومن جهة اسماء الاعلام فكتابنا لا يجب ان ينال المقام الاول (انظر عزرا ٢ : ١ – ٧ مع نحميا ٧ : ٦ – ٧٣ ؛ نحميا ١١ : ٣ – ٢٠ مع الايام الاول ٩ : ٣ – ٢٥) .

٦ – التسمية الثلاثية للشعب المختار واستعمالها الصحيح :

يُطلق على شعب الله اسم عبراني واسرائيلي ويهودي . عبراني لانه خرج من نسل ابراهيم العبراني . واسرائيلي لانه من اصل يعقوب الذي دعاه الله اسرائيل . ويهودي (وهذه التسمية تُطلق على الشعب بعد الجلاء الاخير) لان القسم الاكبر من المجلوين كان من سبط يهوذا . لهذا لا يمكن ان يطلق اسم اسرائيلي على ابراهيم لان هذه التسمية اخذت اصلها عن ابن ابنه يعقوب ؛ حتى

ولا على اسحاق تُطلق هذه التسمية . لكن الاستعمال هو هكذا : يُطلق اسم عبراني على كل الشعب المختار من ابراهيم حتى يعقوب حقيقياً ومن يعقوب حتى ايامنا توسيعياً ؛ لان كل الشعب اخذ اصله عن ابراهيم العبراني . ويُطلق اسم اسرائيلي على كل الشعب المختار من يعقوب حتى ايامنا ؛ من يعقوب حتى الجلاء البابلي حقيقياً ومن الجلاء البابلي حتى ايامنا توسيعياً . اخيراً يُطلق اسم يهودي على كل الشعب المختار من الجلاء البابلي حتى ايامنا حصرياً .

٧ — من هو واضع هذين السفرين

فالتقليد العبراني يعزو كتابة هذين السفرين الى عزرا ما خلا بعض اضافات زيدت بعده من اناس مجهولين وهذا التقليد يتعقبه عدة علماء كاثوليك مثل كورنيلي (١) . لكن المدرسة الولوسنية تجعل هذين السفرين جزءاً لاسفار اخبار الايام وقد وضعا في زمان يتراوح ما بين ٣٥٠ ق . م . وبين ٢٠٠ ق . م . وليس لهذه المدرسة برهان كافٍ لاثبات رأيها هذا . لهذا نقول : ما يُثبت بدون دليل يُرَد بدون دليل . والحال انك اثبتَ رأيك بشأن كتابينا بدون برهان . فيحق لنا اذاً ردّ هذا الرأي بدون برهان . والسلام على كل ذي فطنٍ حكيم .

---

(1) Cornely - Hagen ; comp. 8 p. 277

٨ – قوة هذين السفرين التاريخية

هذان الكتابان يَتحلّيان بامانة تاريخية عظمى لما يحويان من شهادات عظيمة كاوامر ملوك (مثل امر ارتحشستا الاول المُعطَى لعزرا الكاهن ؛ عزرا ٧، ١٢ – ٢٦ ، وجواب ارتحشستا الملك على الاستدعاء المرفوع اليه من الشعب السامري، عزرا ١٧، ٢٢) وكرسالات الى الملوك (كرسالة الشعب السامري الى ارتحشستا الاول) . والاعتراضات التي ترد على سفرينا المار ذكرهما هي نادرة حتى ولا من المدرسة الولوسنية التي قَلَّ ما تركت كتاباً ولم تنتهك حرمته بسلخها عنه كل قوة تاريخية ، كما فعلت بالكتاب الخماسي وغيره من الكتب التاريخية المحضة . ولماذا لم توجّه الاعتراضات على سفرينا المار ذكرهما ؟ لانهما خاليان من المذهلات الفائقة الطبيعة ، التي هي الصاعقة المنقضّة على قلوب العقليين .



الباب السابع

سفر طوبيا

١ – عنوان هذا السفر

عنوان هذا السفر يختلف باختلاف النسخ؛ فالنسخ اليونانية تارةً تدعوه Tobeit (حسب نسخة B) وتارةً Tobeid (حسب نسخة الآلِف العبرانية) وطوراً Biblos logon Tobit = كتاب كلام طوبيا (حسب نسخة A).

اما النسخ اللاتينية فتدعوه تارة liber Tobis وطوراً liber Tobis et Tobias وحيناً liber utriusque Tobiæ واما النسخة العامة فتسميه liber Tobiæ كتاب طوبيا. ثم انتقلت هذه التسمية الى النسخة العربية. والاسم العبراني لطوبيا هو ܛܘܒܝܐ الذي تفسيره الكائن هو صالح. واطلقت هذه التسمية على سفرنا هذا بسبب ما يتضمن عن طوبيا وابنه.

٢ – في متن سفر طوبيا وما اخذ عنه من المُثُل

نفهم بالمتن النسخة الاولى للكتاب، التي (النسخة) خرجت عن ريشة المؤلف، وفي كلامنا عن سفر طوبيا لا نستطيع الجزم

باللغة التي كتب فيها اولاً هذا السفر اذ ان النسخة الاصلية فقدت تماماً لهذا لا نستطيع التعويل على رأي ثابت في متن هذا السفر أكان عبرانياً ام ارامياً . ثم يقال مثال ، بالمجاز ، للنسخة المستخرجة عن المتن . وفي موضوعنا هنا عن سفر طوبيا نستهدف لعدة مُثُل لهذا السفر منها يونانية ومنها لاتينية ومنها سريانية ومنها عبرانية ومنها ارامية :

اولاً النسخ اليونانية هي ثلاث : اولاها المعروفة بنسخة a والتي تتداولها الكنيسة اليونانية . وثانيتها المعروفة تحت حرف b والتي فيها سُطِرت حياة طوبيا باسهاب . وثالثتها المرقومة تحت حرف c . لكن أيها هي اقدم فلا نعرف . فبعض العلماء ينسب الاقدمية الاولى لنسخة a (لانها موجودة في مجموعة A اي الاسكندرية) والبعض الاخر ينسبها الى نسخة b مثل Nestle . لهذا نتردد في حكمنا بهذه القضية .

النسخ اللاتينية هي اثنتان اللاتينية القديمة (الموجودة في مجموعة الملكية الباريسية تحت رقم ٣٦٥٤ وفي مجموعة القديس جرمانوس تحت رقم ٤) وما هي إلاّ صورة عن النسخة اليونانية b المتقدم ذكرها . واللاتينية الايرونيمية او العامة التي ترجمها القديس ايرونيموس معلم الكنيسة الجامعة عن النسخة الارامية والان تتداولها الكنيسة اللاتينية وقد قررها المجمع التريدنتي المقدس عند كلامه عن الكتب المقدسة .

النسخة السريانية هي مطابقة تمام المطابقة للنسخ اليونانية فى

الستة الفصول الاولى توافق تمام الموافقة النسخة اليونانية a وفي الفصول الباقيـة توافق النسخة c (ثم يوجد نسخة ارمنيـة تحاكي النسخة اليونانية a معنىً)

الترجمة الارامية التي تمت طبعتها سنة ١٨٧٨ في مدينة اكسفورد بعناية الاستاذ نيبور (١) لكنها ليست بالنسخة الاصلية للسفر بـل مأخوذة عنها كما قال عدة علماء منهم شولت (٢) الذي يبين كون هذه النسخة الارامية أخذت عن نفس النسخة التي ترجمت عنها النسخة العامة . هذا بعد ان تفحص النسختين بدقة كلية .

النسخ العبرانية، هي اثنتان الاولى العبرانية المونستيرية التي ترجع الى الجيل الخامس بعد المسيح وسميت هكذا لان طبعتها الاولى كانت باعتناء سيبستيانوس مونستير سنة ١٥٤٢ م. وصورتها العلمية هي H M (عبرانية مونستيرية) . والثانية العبرانية الفادجية التي ترجع كتابتها الى الجيل الثاني عشر بعد المسيح؛ وسبب تسميتها هكذا لان بولس فادجوس (Fagius) هو اول من علقها على الطبع سنة ١٥٤٢ وصورتها العلمية هي هذه H F (اي عبرانية فادجيّة) ولنا نسخ كثيرة عبرانية غير المتقدمتين نضرب عنها صفحاً لقلة اهميتها .

---

(1) Neubauer; The book of Tobit. A Chaldee text from a unique manuscript in the Bodleian library With other rabbinical texts, English translation and the Italia, Oxford, 1878

(2) A. Schulte; Die aramaische Bearbeitung des Büchleins Tobias Verglichen mit dem Vulgatatexte, Theol. Quartalschr, X C; 1908 182 — 204

وهذه النسخ هي مغايرة بعضها بعضاً . مثلاً : حسب النسخة العامة يتكلم طوبيا بثالث شخص مفرد غائب بينما في النسخ الباقية يتكلم باول شخص مفرد . وغير هذه مغايرات كثيرة . اي نسخة اذاً يجب الاعتماد عليها ؟ .

هنا نتبع اراء اكثرية العلماء الساحقة ، لان المقام هنا مقام انتقاد دقيق فنضرب صفحاً عن ايراده اذ يضيق بنا المكان عن سرد كل الآراء . فنأتي فقط بخلاصة اراء الائمة ونقول : يجب تفضيل النسخ العبرانية الحديثة على النسخ اليونانية لانها بعد الفحص ظهرت امانتها للمتن . والنسخة العامة التي تتداولها الكنيسة يجب الاعتماد عليها بوجه اولي في ما يختص بالاشياء الاعتقادية .

٣ – نظرة في مضمون سفر طوبيا

ان لكاتب هذا السفر غاية اولية عُظمى هي بيان العناية الالهية بالانسان وخصوصاً بالمختار وان كان مُبتلياً باصعب البلايا .

سبط طوبيا هو نفتالي الذي كان أجلي الى بابل ايام شَلْمَنَصَّر سنة ٧٢١ – ٧٠٥ ق . م . فطوبيا كان منفاه نينوى حيث قضى حياته بعمل الرحمة والصدقة اذ كان حارساً وصايا الكائن بين بني قومه المجلوين في تلك المدينة نينوى ، لهذا كان يلام ويُشتم حتى من امرأتهِ بسبب انعكافه على عمل الرحمة نحو الفقراء احياء واموتاً واذ ملك سنحاريب اضطهد طوبيا وطلب موته لكن طوبيا هرب من وجهه حتى مات . حينئذٍ أرجع له كلُّ ما كان سُلب منه .

لكنه بقي في عناء مدة طويلة ، اذ انه كان قد اعيا من حمل الموتى ليواريهم اللحد مع تلاوة الصلاة على جثثهم . وقد فقد بصره ، وفقد وحيده مدة حين ارسله الى مدينة راجيس من حدود بلاد الماديين ، الى غابيلوس مديونه كي يستوفي منه قسط دينه . لكن حزنه وتعبه تبدّدا حالاً اذ رأى ابنه عائداً اليه بسلام مع قرينة له ، وخصوصاً اذ بانت له هويّة ذلك الرفيق الامين ، الذي اتاه بابنه سالماً . فبارك الله وشكره على آلائه ثم بارك ابنه بعد ان رأى نسل ابنه وانتقل الى دار الخلد ، وابنه سار على كل ما اوصاه به ابوه الصديق من عمل صدقة الى صلاة الى ... ومات هذا الابن ايضاً بدوره بعد ان رأى بني بنيه الى الجيل الخامس . فطوبيا الشيخ عاش مائة سنة وستين ودفن في نينوى ، اما ابنه فعاش تسعاً وتسعين سنة ومات في بيت حمويه رعوئيل وحنه بعد ان اغمض اعينَهما .

٤ — بعض فوائد تاريخية ودينية

هذا السفر هو تاريخ يستغرق جيلاً من الزمن ، اي من سقوط ملك اسرائيل (٧٢١ ق . م .) حتى نهاية الجيل السابع ، اي عند انقراض مدينة نينوى (سنة ٦٢١ ق . م .) ، لكنه تاريخ مكاني لا يتناول كل الحوادث التي مرّت طيلة كل هذه المدّة . وهو كتابٌ عائلي ادبيّ في اول رتبة ، ومثال للعائلات خصوصاً المسيحية ، اذ ينظم العائلة حسب المبادئ القويمة والعوائد الدينية

المرضية لله تعالى ، ويعلم الايمـان بالله والصبر على البلايا ومحبة القريب ، والتهذيب الواجب وضعه على الاولاد ، ثم كيفيّة اعتبار الزواج الديني واستعمالهِ وقوة الصلاة والصوم والتصدق وضرورة التجارب للاناس الاتقياء . اخيراً ضرورة الاعمال الصالحة .

٥ – رأينا في واضع هذا السفر

بعض كتبة عصرنا هذا ، خصوصاً البروتستنت ، يعزون كتابة سفر طوبيا الى كاتب مجهول يتراوح عهده ما بين الجيلين الثالث والرابع قبل المسيح وبين الثاني والثالث بعـده . لكن التقليد المتسلسل ينسبه الى طوبيا الشيخ وطوبيا الشاب . فحريّ بنا اتباع التقليد المتقادم العهـد والمُستَنَد الى ادلة قاطعة ، اذا ثبت استعمال الكاتب الشخص الاول المفرد (الذي يوجـد في بعض النسخ كاليونانية مَثَلاً) . ولكن لما كان هـذا الاستعمال يعجز عن اخراجنا من عالم الريب لوجود نسخ أُخر غير جارية على هـذا الاستعمال . فسقطت قوة برهاننا اذاً . نقول هذا بالنظر الى الحكم الشخصي ، لكن بالنظر الى الحكم المجمع عليه لا نستطيع نفي هذا الرأي لان التقليد من المستحيل الا يكون مبنياً على براهين مقنعة . لهذا نُفضِّل ان ننضم الى التقليد الى ان يظهر لنا مغايراً للحقيقة . والحال لا يستطيع الاخصام هدمَ هذا التقليد بادلة قاطعة . اذاً لنا الخيار في ان نتبع راي التقليد ، بل نقول : اننا نلتزم (ادبياً)

اتباعه الى ان تظهر سخافتـه . لان اتباعه اقرب الى الحقيقة من عدم اتباعه .

٦ – افراغ كنانة المعترضين من نبال اعتراضاتهم في سفرنا هذا

اول من انكر تاريخية هـذا السفر هو لوتاروس ، في الجيل السادس عشر ، اذ دعا حوادث سفرنا هذا رواية اختلاقية دينية ثم تبعه في رأيه هذا كل اصحاب شيعته . وذهب هـذا المذهب بعض علماء كاثوليك كانطونيوس سشولس (١) وعمنوئيل كُسكوين (٢) اللذان قالا ان هذا السفر لا يخرج عن دائرة الاقاويل الشعبية .

اما الاعتراضات الموجّهة الى هذا الكتاب فيمكن حصرها في اربعة اقسام :

القسم الاول – ناشئ عما يذكره هذا السفر من المعجزات بشأن الملاك رفائيل ، رفيق طوبيا الشاب ، والشيطان ازموداوس الذي قتـل السبعة الرجال ، الذين ارادوا الاقـتران بسارة ابنة رعوئيل . يقول الاخصام : كيف يستطيع الملاك رفائيل اتخاذ صورة انسان ، ولما سأله طوبيا الشيخ عن هويته اجاب انه عزريا بن حننيا العظيم (طوبيا ٥: ١٨) . فندحض هذا الاعتراض بقولنا : ان الملاك رفائيل ، إذ اتخـذ صورة عزريا وشخصيته حُقّ له ان يُسمّى باسمه . فيقابل هذا ما صنعه ملاك الكائن من العمل الالهي

---

(1) Dr. Anton Scholz; Kommentar zum Buche Tobias 1889.

(2) Emmanuel Cosquin; Le livre de Tobie et l'histoire du sage Ahikar; 288 (1899) 50 - 82; 510 — 531

في حين انه ليس باله . وسمى ذاته الملاك رفائيل بهذا الاسم . لان اسم عزريا معناه عون الرب وحننيا رحمة الرب ، والملاك رفائيل اتى طوبيا من قبل الرب ليعين ابنه ويصنع معه رحمة باعادة بصره اليه . لهذا حقّ له ، بوجه ثانٍ ، ان يدعو ذاته عزريا بن حننيا . وبشأن الشيطان أزموداوس يقولون : كيف يعقل ان يكون قَتَلَ سبعة ازواج سارة ثم أوثق في برية مصر العليا بعد ان القى طوبيا فِلْذَةَ من كبد الحوت على الجمر المشتعل؟ فجوابنا على هذا هو ان هذا الدخان المتصاعد من حرق تلك الفلذة لم يكن سوى علّة آليّة لمعلول روحي يجب الحصول عليه (اي مذهلة) . فاستعمل الله هذه العلة لينتج عنها خيراً جزيلاً هو خلاص الابنة سارة من ذلك الرجيم الذي منع تزويجها سبع مرات من هؤلاء الرجال . فالايثاق يجب فهمه هنا ادبياً لا مادياً . وبهذا كفاية لافحام الخصوم .

القسم الثاني – هو ما اثبته هذا السفر ، ويناقض (على زعم الخصوم) الجغرافية والتاريخ . لذا يقولون :

اولاً : ان سبط نفتالي ، سبط طوبيا ، جلي عن وطنه ايام شلمنصر الخامس (٧٢٦ – ٧٢٢ ق.م.) ؛ طوبيا ١ : ١ – ٢ . لكن سفر الملوك الرابع ١٥ ، ٢٩ يبين جلياً حدوث جلاء هذا السبط ايام تَجْلَتَ (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) . فجوابنا على هذه المعارضة هو انه لا يمكن التعويل على الاسماء العلمية الواردة في كل نسخ هذا السفر . لان النسخة الاصلية ، كما سبق القول ، لم نعرف لها اصلاً

ثم اذا سلمنا بجلاء. تجلت لسبط نفتالي لا نعني جلاء كل السبط بل جلاء قسم منه. لان شلمنصَّر الخامس (٧٢٢ ق.م.) عندما ضرب ملك اسرائيل قاد معه الى اشور ٢٧٢٩٠ رجلاً الذين لا يخلون من قسم من سبط نفتالي.

وثانياً: ان رعوئيل (يتبع الاخصام اعتراضاتهم)، والد سارة، كان يسكن مدينة راجيس (طوبيا ٢،٧،٤،٦،٦) ثم ان غابيلوس كان ايضاً ساكناً راجيس والحال ان مكان رعوئيل غير مكان غابيلوس (لان الملاك سافر من مدينة رعوئيل الى مدينة غابيلوس ليستوفي دين طوبيا) لكن الجغرافيا لا تعرف راجيس سوى مدينة واحدة. اذاً...

يجاب على هذا الاعتراض: ان عدة نسخ، منها النسخة العبرانية المونستيرية (H M) تسمّي مدينة رعوئيل وسارة إكباتانا؛ التي توجد في الطريق من نينوى الى راجيس. فالنسخة العامة بالنظر الى اسماء الموصوف والاعلام والاماكن هي مشوَّهة لهذا لا يجب التعويل عليها في كل الاشياء.

القسم الثالث - حجة الاخصام فيه اقتران الروايات الاختلاقيّة بحوادث طوبيا؛ فيقولون: ان هذا لا يُسلِّم به ذو العقل السليم اذ ان سفر طوبيا يصف الحوادث بدقة لاحقاً بها الظروف التي احاقتها في كل اطوارها. فهذا الوصف لا تصفه حتى ولا اعظم رواية اختلاقية. لهذا ثبت لنا ضعف كل هذه الاقسام من الاعتراضات بعد الدحض الوافي الكافي لها.

لكن لتقوية برهاننا نأتي بغاية الواضع ، كشهادة لنا ، تلك التي هي تاريخية محضة ، كما هو ثابت من كل الكتاب . ثم من تقليد الاباء الاجماعي كايرونيموس واوريجانوس وغيرهما . ومن رأي الكنيسة العام . وخصوصاً رأي جهابذة العلماء العصريين مثل دانكو (Danko) وكولن (Kaulen) وفيغورو (Vigouroux) وكورنيلي (Cornely) وسكوكه (Zschokke) وسيسينبرجر (Seisenberger) وغيرهم كروفيني وهيفل .

٧ – موطن سفر طوبيا وقوته

ليس موطن هذا السفر ارض فلسطين بل الارجح ارض بابل او بلاد العجم . فحسب النسخة اليونانية ١٢ ، ٢٠ حضّ الملاك رفائيل طوبيا الشيخ وطوبيا الشاب ليكتبا التاريخ بقوله لهما : اكتبوا كل تلك الحوادث والاشياء ، التي تمّت ، في كتاب . فعدّة علماء مثل سكوكه (Zschokke, Historia sacra 244) يزعمون ان كاتب هذا السفر استعان بالتاريخ الذي كتبه طوبيا وطوبيا . وبعض علماء مثل شورر (Schürer) وغيره ارتأوا ان تاريخ طوبيا كُتبَ في خلال الجيلَين الاخيرين قبل المسيح (٢٥٠ – ١٥٠ ق . م .) لان الواضع يصف وصفاً وافياً سقوط اورشليم (١٣ – ١٤) . ثم في الفصل الاول يتكلم الكاتب عن ثلاثة انواع العشور : ١ً – عشور للكهنة (٦) ؛ ٢ً – عشور لمدينة اورشليم ؛ ٣ً – عشور للمتسوّلين (انظر النسخة اليونانية a, b) والحال ان النوع

الثاني من العشور قد ذكره سفر تثنية الاشتراع ٢٦ ، ١٢ في النسخة اليونانية . واما النوع الثالث من العشور فيتكلم عنه المؤرخ يوسيفوس في تاريخه « القومية اليهودية » ٤ ، ٩ ، ٢٢ . لهذا يجب البت بكون سفر طوبيا لم يكتب قبل ترجمة الكتاب الخماسي (مجموعة موسى) الى اللغة اليونانية . واما قوته القانونية فتظهر لنا من استعمال الاباء هذا السفر ؛ مثلاً القديس بوليكربوس ١٠ ، ٢ يقول : الصدقة تنجّي من الموت ؛ طوبيا ٤ ، ١٠ ؛ واكليمنضوس الاسكندري (Strom. II 23 n. 139) وقابله مع سفر طوبيا ٤ ، ١٥ (هذا في النسخة اليونانية b) ، واوريجانوس في كتابه عن الصلاة ١١ ، وفي الفصل الـ١٣ من رسالة له الى رجل يدعى باسم افريقانوس يقول : الكنائس تستعمل طوبيا ؛ والقديس كبريانوس في كتابه عن العمل والصدقات ف : ٥ ثم ٢٠ الخ (١)

ومما في هذا السفر من عقائد ايمانية وادبية : تعليم عن الملائكة ، تعليم عن الاعمال الصالحة ، عن الزواج المقدس ، ثم ان نشيد طوبيا ليس هو سوى نبوءة مسيحية (ف ١٣)

---

(1) De opere et eleemosynis 5 et 20 etc. de mortal. 10 ; de bono part. 18

« الباب الثامن »

﴿ سفر يهوديت ﴾

عُنْوِنَ هذا السفر باسم يهوديت للدور الذي شغلته هذه الارملة الفاضلة في تاريخ حصار بيت فَلْوَى (فاسم يهوديت يعني الممدوحة) . كانت آلة بيد الاله لاظهار رحمته للشعب التائب ولاظهار انتقامه من ذلك العاتي اليفانا الذي تكبّر وجدّف على اله اسرائيل الجبار .

١ — خلاصة حوادث سفر يهوديت

يدور هنا البحث على كل فصل بمفرده . يبدأ هـذا السفر بذكر ارفكشاد الذي بنى مدينة منيعة سمّاهـا أحمتا ثم كسره نبوكدنصر ملك اشور في الصحراء عند الفرات ودجـلة وارسل رسلاً الى اهل قيليقية ودمشق ولبنان والكرمـل والسامرة وعبر الاردن واورشليم وغيرها من البلدان ليعقدوا اتفاقاً معه لكن حلمه لم يتحقق لهـذا استشاط غضباً وحلف ان ينتقم مـن كل تلك البلدان (ف ١) ثم طرح على مجلس الشيوخ فكر انتقامـه واذ حبّذوه ارسل اليفانا مـع جيش عرمرمي ليخضع كل تلك الامم وينتقم له منها . فابتدأ بقيليقية واحتل كل قلاعهـا وفتح مدناً

ونهب بني ترشيش وبني اسماعيل ثم عبر الفرات واستولى على كل ما مرَّ بـه من المـدن والحصون واجتاز صحارى . دمشق واحرق حقولها ، لهـذا خافته كل سكان المدن (ف ٢) ، فارسل له ملوك سوريا وقيليقية رسلاً يطلبون ويسألون الامان لنفوسهم ولرعـاياهم فانحدر عليهم واستقبلوه بالاكاليل وباعظم احتفال ، ومع هـذا لم يخلف عن تدمير مدنهم كما امره سيده نبو كدنصر . اخيراً اتى الادوميين في ارض جبع واكتسح كل مدنهم (ف ٣) واذ سمع اسرائيل بكل هذا خاف جداً ان يصيبهم ما اصاب جيرانهم من التنكيل ، فكتب الياقيم الكاهن الى جميع اهالي اسرائيـل كي يحصنوا الامكنة ويحفظوا المضايق التي يجاز منها بين الجبال ، ثم لَبِسَ الكهنة المسوح وصرخوا الى الرب مستنجدينه لخلاصهم من يد اليفانا والشعب بدوره انعكف عـلى الصلاة والصوم ولبس المسوح (ف ٤) . واذ سمع بهذا اليفانا غضب وسأل مَن يكون هـذا الشعب يا تُرى حتى يستخفَّ باوامر نبو كدنصر العظيم ؟ فاخبره أحيُورُ ، قائد بني عمون ، عن هذا الشعب وان الههُ عظيم فينصره عندما يكون هذا الشعب سائراً في طرقهِ وان لم يدافع هو عن نفسه . فاغتاظ اليفانا من احيور وَهَمَّ عظماء اليفانا ان يقتلوه لكن اليفانا قال لاحيور : اذا ضربناهم كرجلٍ فانت ايضاً تهلك معهم لتعلم ان لا اله إلاَّ نبو كدنصر . ولكي تختبر هذا معهم فها انك من هذه الساعة تنضمّ الى شعبهم . وارسل اليفانا احيُورَ الى بيت فلوى . فلما بلغ احيور الى تلك المدينة اخبر

كل الشعب ما قاله لاليفانا وما قاله له اليفانا من التجديف على الله ، فاذ سمع الشعب هذا خرّوا على وجوههم مستعطفين الرب كي يرفع هذا عنهم ويقتصّ من مضطّهده اليفانا .

ثم قالوا لاحيور : اله ابائنا الذي انذرت بقوته يمنّ عليك بهذه المُنيَة . ثم بعد كل هذا اخذه عزّيا الى بيته وصنع له مأدبة انيقة مع كل الشيوخ بعد صيامهم (ف ٥ - ٦) . فامر اليفانا جيوشه بالزحف الى بيت فلوى فزحف ذلك الجيش العرمرمي ، واذ رآه الشعب خاف خوفاً شديداً لكثرته . ثم اخذ كل رجل سلاحه ومكانه حارسين كل ذلك النهار والليل واليفانا راى العين المنحدرة الى مدينتهم فامر بقطعها عن اسرائيل مع عيون أخر . فتضايق الشعب داخل المدينة اذ جفّت المياه الموجودة داخل المدينة . حينئذٍ اجتمع الشعب الى عزيا وطلب اليه ان يستسلم مع كل الشعب لاليفانا لانهم اضحوا في موقف حرج من عدم وجود ماء لارواء ظمإهم ، وبكوا امام الرب سائلينه رحمة فعزّاهم عزّيا ووعدهم باجابة طلبهم بعد خمسة ايام من انتظار رحمة جديدة من لدن الله (ف ٧) .

واذ سمعت يهوديت الارملة الجميلة بالموعد المضروب ارسلت في طلب الشيخين كبري و كرمي وأنبتهما على هذا الصنيع من تحديد موعد رحمة الله ثم حضتهما على صنع كفارة وسكّنت من روعهم بقولها : ان الله امتحن ابانا ابراهيم بشدائد عظيمة وغيره ايضاً ، فلا عجب من امتحانه ايانا . ثم طلبت من الشعب الصلاة

لاجلها كي تنجح في مشورتها وامرتهم ان يقفوا في الليلة التابعة على باب المدينة كي تخرج مع وصيفتها وهم يداومون الصلاة لاجلها طيلة خمسة ايام، ولم تطلعهم على سرّها فاجابها عزيا : اذهبي بسلام وليكن الرب معك في الانتقام من اعدائنا (ف ٨) .

ثم بعد هذا دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحاً ووضعت رماداً على رأسها وخرّت امام الرب وتلت نشيدها الرقيق، ان جاز تسميته نشيداً وصلّت وبكت وتذللت امام الرب ثم نهضت وذهبت مع أمتها بعد ان تزينت بافخر زينة وحمّلت خادمتها زقّ خمرٍ وإناء زيت وبعض الدقيق وشيئاً من التين اليابس مع جزء من الخبز والجبن . واذ بلغت باب المدينة دعوا لها بالتوفيق . فخرجت صحبة امينتها قاصدة الاشوريين واذ التقت بهم طلبت مقابلة زعيمهم اليفانا فضُرب لها موعد واذ رآها اليفانا هام بها هياماً شديداً ومع كل قسوة قلبه لم يستطع إلا النزول عند مطاليبها (٩ - ١٠) بعد ان اسمعته روايتها المختلقة لاجل غايتها المدبرة لخلاص الشعب . لهذا صادفت كل اصغاء واهتمام من اليفانا ومن اعضاء مجلسه حتى قالوا عنها : ليس مثل هذه المرأة على الارض في المنظر والجمال والحكمة في الكلام (ف ١١) فامر اليفانا باغداق الهدايا عليها وان تتناول الطعام على مائدته فاعتذرت لديه بعدم امكانها الاكل من طعامه ودخلت خيمة اليفانا . وسألت ان يُعطى لها ان تخرج في الليل لتصلي الى الرب فكان لها ما سألت . وفي رابع يوم صنع اليفانا عشاء لعبيده واوصى خصيه بان يقنع يهوديت

ان تبقى معه طوعاً فاقتنعت يهوديت ثم قامت وتزيّنت بملابسها ووقفت امامه، حينئذٍ اشتدت فيه الشهوة اليها فعزم ان تشرب وتتكئ بفرح فاجابته: أشرب ياسيدي من اجل انها قد عظمت نفسي اليوم اكثر من جميع ايام حياتي. لكنها اكلت من مؤنتها مما هيأته لها جاريتها. ثم سكر اليفانا وتركه كل عبيده ولم يبقَ في مخدعه غير يهوديت فاغلقوا الباب عليه، اما يهوديت فصلّت وانحنت فوقه وضربت عنقه بخنجره ضربتين حتى فصلت رأسه عن جسمه ووضعته في مزود الوصيفة وخرجتا سوية، ولما انتهت الى باب المدينة نادت الحراس ليفتحوا الابواب فاهتزّ الشعب باجمعه وباركوها جميعهم قائلين: قد باركك الرب بقوته لانه افنى اعداءنا ثم قال لها عزيّا: مباركة انت يابنيّة من الرب الاله العلي فوق جميع نساء الارض. اخيراً قال لها احيور: مباركة انت من الهك في كل خيام يعقوب وفي كل أُمة يُسْمَعُ فيها باسمك يُعظَّمُ لاجلك اله اسرائيل (١٢–١٣).

وقالت يهوديت للشعب: علقوا هذا الرأس على اسوارنا وعند طلوع الشمس أنحدروا اليهم كأنكم تنوون المهاجمة. فصنعوا كما امرتهم يهوديت فانهزم جيش اليفانا شرّ هزيمة تاركين كل ادواتهم في امكنتها. وارسل عزيّا رسلاً الى كل تخوم اسرائيل كي يتتبعوا آثار الجيش المهزوم وهكذا صار. بعدئذٍ اتى يوياقيم الكاهن العظيم من اورشليم الى بيت فلوى مع جميع شيوخهِ ليرى يهوديت. فلما خرجت اليه باركوها كلهم بصوت واحد قائلين:

انت مجد اورشليم وفرح اسرائيل وفخر شعبنا . فانك قد صنعت بيأس وثبت قلبك فاحببت العفاف ولم تعرفي رجلاً بعد رجلك ، فلهذا ايدتك يدُ الرب فكوني مباركة الى الابد . فقال جميع الشعب آمين آمين (١٤ - ١٥) . يعقب هذا نشيد يهوديت وتقدمة الشعب القرابين للرب ، ثم قدّمت يهوديت جميع ادوات حرب اليفانا التي اعطاها لها الشعب . وقد احتفل الشعب بهذا الانتصار ثلاثة اشهر . اما يهوديت فقد عظُمت في بيت فلوى كثيراً وكان فيها العفاف مقروناً بالشجاعة ولم تعد تعرف رجلاً كل ايام حياتها منذ وفاة مَنسّى بعلها ، وفي الاعياد كانت تظهر بمجد عظيم . وبقيت في بيت بعلها مئة وخمس سنين واعتقت وصيفتها وتُوفيت ودفنت مع بعلها في بيت فلوى . فبكاها الشعب سبعة ايام . وفي ايامها وبعد موتها لم يُقلَق اسرائيل . وهذا الانتصار أُحصي عند العبرانيين في عداد الايام المقدسة واليهود يعيدونه منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا (ف ١٦).

٢ — اصل هذا السفر وما له من النسخ

ليس لدينا نسخة هذا السفر الاصلية لانها مفقودة . وما نتداوله الان ليس سوى نسخ مأخوذة عن الاصل ، وهذه النسخ منها يونانية ومنها لاتينية ومنها سريانية . ولبعضها تفوّق في القيمة على البعض الآخر .

٣ — أيكون سفرنا هذا تاريخياً اما رواية خيالية ؟

كان شارحو الكتاب المقدس القدماء يعتبرون سفر يهوديت

سفراً تاريخياً (١) وتبعهم اغلب العلماء العصريين مثل : مُونتفكُن (٢) ودانكو (٣) وبرونِنغو ؛ (٤) وبلميـاري ؛ (٥) وفينورو ؛ (٦) وكورنيلي ؛ (٧) وهيتسنور ؛ (٨) وغيرهم .

اما البروتستنت فيقتفون اثار زعيمهم لوتاروس في انكار حقيقة هذا السفر التاريخيّة ؛ ويصرون على القول انه رواية اختلاقية شعرية وُضعت لغاية تحضيضية . فالاستاذ سكولس (٩) يرتأي كون هذا السفر ليس سوى رؤيا بصورة تاريخ ؛ فاستعراض اليفانا هو نفس استظهار جوج على الارض المقدسة (حزقيال ٣٨ - ٣٩ ؛ رؤيا ٢٠ ؛ ٨ - ١٠) ؛ ويهوديت تمثل كنيسة العهد الجديد ؛ واحيور يمثل الامم المرتدّة ؛ وبيت فلوى يمثل ارض اسرائيل .

---

(1) A. Biolek; Die Ansicht des chritl. Altertums über den literarischen Charakter des Buches Iudith; Weidenauer Studien IV (1911) 335 — 368 B.

(2) Montfaucon; La Verité de l'histoire de Judith, Paris 1690

(3) I. Danko; Historia revelationis vet. Test. 431.

(4) I. Brunengo; Il Nabucodonosor di Giuditta, Roma 1888

(5) D. Palmieri; De Veritate historica libri Iudith, Galopiæ 1886.

(6) F. Vigouroux; La Bible et les découvertes modernes, IV (6) 1896, 87 — 98.

(7) Cornely-Hagen; Compendium 288 — 290; Merk in editione 10. comp. 426 — 430.

(8) M. Hetzenauer; Theologia Biblica I. 279 — 286.

(9) A. Scholz; Das Buch Iudith, Eine Profezie, Würzburg 1885; commentar zm Buche Iudith, ib. 1887; Commentar über das B. Iudith u. über Bel u. Drache, Leipzig 1898.

نقر ولا ننكر ان هناك اعتراضات واعتراضات هامة على سفر يهوديت (لكن تلك الاعتراضات لا تعرّيه عن حقيقته التاريخية) مثلاً : يذكر هـذا السفر ملكاً اشورياً ملك في نينوى باسم نبو كدنصر والحال نعرف جيداً وحق المعرفة ان هـذا الاسم لم يُطلَق ولا على ملك من ملوك اشور . اذاً من الضروري التسليم بكون هذا الاسم الشهير وضع مكان اسم اخر اقلّ منه شهرة . من هو اذاً هذا نبو كدنصر ملك نينوى ؟ في هذه المسألة قد ذهب جمهور من العلماء مذاهب مختلفة نظراً لما يعتور هذه المسألة من العقبات وكلها لا تتخطّى حدّ التخمين بحيث قد خبط فيها اصحابها خبط عشواء وحملوا على بعضهم حملات شعواء . فمنهم من جعل نبو كدنصر سفرنا هذا يوشيا ومنهم من جعله مَنَسَّى ومنهم ارتحشستا الثالث (٣٥٨ — ٣٣٨ ق.م.) الخ .

٤ — لمحة مستعجلة في من هو نبو كدنصر سفرنا

لمّا خلّصت يهوديت شعبها بقتلها اليفانا لم يكن في يهوذا ملك لكن كان يقضي للشعب عظيم الكهنة . وهذا لا يمكن حدوثه قبل الجلاء البابلي الاّ في زمان مَنَسَّى الملك المجلو الى بابل . لهذا قد ارتأى عدة علماء الرأي الذي يقرر حادث كتابنا ايام الملك مَنَسَّى . ففي ايام مَنَسَّى كان ملك اشوربانيبل (Assurbanibal) ونحو سنة ٦٥٠ ق . م . تمرّد على هذا الملك اخوه شَمَشُومُوكين، الذي قوّم على اخيه الملك اكثر امراء اشور ؛ فالتف حوله هؤلاء الامراء مع

بعض الخوارض الذين كانوا تحت ولاية الملك اشوربانيبل، منهم منَسَّى ملك يهوذا؛ لهذا بعد ثلاث سنين انتقم اشوربانيبل الملك من اخصامه واولهم منسّى الذي أُرسل الى بابل. ثم ان اليفانا يمكن ان يكون احد امراء العجم الخاضعين للاشوريين . وهنا نستهدف لاعتراض شديد، هو ان هذا السفر ينوّه بالجلاء البابلي لشعب يهوذا بدليل قوله : فكانوا كلما عبدوا غير الههم أسلموا للغنيمة والسيف والعار: ٥ : ١٨ . وعلى هذا الاعتراض نرد بقولنا : ان هذا التنويه يشير الى جلاء منسى الملك، وقد يكون ايضاً ان الواضع يريد بهذا الكلام عدة تدميرات حدثت لشعب الله قديماً كالتي حصلت للشعب من الفلسطينيين والعرب ايام يورام الملك (في الجيل التاسع ق.م.) .

٥ – واضع هذا السفر وزمان وضعه مجهولان

نجهل اسم واضع هذا السفر وزمن وضعه . وانما العلماء اثبتوا على ان هذا السفر لم يوضع قبل زمان الجلاء، ومنهم من ينسب عهده الى ايام الجلاء (مثل كورنيلي وهيتسنود وروفيني .) ومنهم من يرجع بعهده الى ما بعد الجلاء، وغيرهم من ينسبه (اي عهد كتابته) الى زمن المكابيين . فللراغب الحرية في اختيار احد هذه الآراء المتقدمة .

٦ – قوة سفر يهوديت القانونية

لم يكن العبرانيون يستعملون هذا السفر قط اما المسيحيون فقبلوه في عداد الكتب المقدسة القانونية المثبتة من المجمع التريدنتي . والاباء الذين استعملوا هذا السفر كسفر الهي وتاريخي هم : اوريجانوس في رسالته الى افريقانوس ف: ١٣ ، والقديس ايرونيموس في توطئة كتابه عن سفر يهوديت ، ثم اكليمنضوس الروماني في رسالته الى اهل كورنتس ف ٥٥ حيث يقول : يهوديت الطوباوية ، وترتوليانوس في كتابه « عن الزيجة الواحدة » ف ١٧ ، ثم اوريجانوس مرة ثانية ، في كتابه « عن الصلاة » ١٣ ، ٢٩ وفي عظته الـ ١٩ عن النبي ارميا ، والقديس امبروسيوس في كتابه « عن الوظائف » مجلد ٣ ، ١٣ ؛ وغيرهم .

٧ – قداسة سفر يهوديت

تظهر قداسة هذا السفر من مفاعيل الصلاة والصوم ، ومن فضيلة الطهارة ، ومن الثقة بالله . هذه الاشياء الثلاثة مسطرة فيه .
ولكن يوجد من ينسب عدم ملائمة بعض اشياء الى هذا السفر : ١ً – ان يهوديت مدحت اباها الذي كان قد سفك دماء : يهوديت ٩ ، ٢ ؛ اما سفر التكوين قد ذمّ شمعون ابا يهوديت (بالمجاز) ٤٩ ، ٥ – ٧ . يجاب على هذا بان يهوديت لم تمدح اباها لسفكه الدماء بل عرفت عناية الله في سفك الدماء التي اجراها ابوها شمعون . ٢ً – ومما يقوله الخصوم ان يهوديت لم تحسن

صنعاً اذ تزينت لتهيج شهوة اليفانا. نجيب على هذا ايضاً قائلين : ان الزينة التي تَتَحلّى بها المرأة الصالحة لتنال حظوة عند رجل يستطيع الزواج منها ليست بخطيئة، ناهيك عن ان يهوديت لم تصنع ما صنعت عن شهوة بل عن فضيلة كما يصرح سفرها نفسه ١٠، ٤ ٣ً - ومن قولهم ايضاً انه لا يليق بامرأة تقية ان تخدع رجلاً كما صنعت يهوديت باليفانا ١١، ٤ - ١٧. نجيب بالتفصيل، اذا خدعت امرأة رجلاً عن مكرٍ ولغاية رديئة، نسلم بالاعتراض الضارب قداسة يهوديت. لكن اذا خدعته عن بساطة ولغاية صالحة ننكر هذا ونرفع هذه الصفعة عن قداسة هذا السفر الالهي. وننكر ايضاً انه لا يليق بها بالنظر الى داخليتها. وهذا لكي ننفِ الخطيئة عن يهوديت. ٤ً - وقالوا مردفين على قولهم السابق : كيف تستبيح المرأة القديسة لنفسها قتل غيرها. نرد على هذا : ان في الحروب يُباح هذا وخصوصاً عندما يكون الخصم على غير صواب في محاربة خصمه، كما هي الحالة مع اليفانا. وهب ذلك غير مباح فصنيع يهوديت كان بالهام الهي. والله هو سيد الجميع الاعلى ان في الحياة او في الموت، وله وحده سلطان الموت ويستطيع ان يَكِل بتنفيذه لمن يشاء، ليس فقط بعلل طبيعية بل ايضاً بقوة الانسان، الذي ليس هو سوى آلة بيد الله في هذا الصنيع. ولهذا نقول : ان يهوديت لم تأتِ امراً مشيناً بقداسة شخصيتها، والدليل الاولي على هذا هو ان الله لم يغضب عليها قط بل باركها وسهل لها كل المسالك حتى بلغت مرامها الى النهاية. وبهذا تظهر قداسة سفر يهوديت.

الباب التاسع



سفر استير

اسم استير في العبرانيـــة (أَستِر) معناه النجمة ، فانتقل الى اليونانية بهذه الصورة ومثلها الى النسخة العامة .

١ - نسخ كتاب استير

هـذا السفر كتب بالعبرانية لكن اصله فقد ، شأن اغلب الاسفار الالهية . والقديس ايرونيموس ترجمه عن اصله (وبعد هذا القديس فقد الاصل) لكنه لم يعثر في اصله على اكثر من عشرة فصول . اما النسخ اليونانيـــة فتحوي ستة عشر فصلاً (والنسخ اليونانية هي اثنتان ؛ النسخة الموجزة A ، والنسخة الطويلة B) .

٢ - مغزى سفرنا هذا

الفصل الاول يروي عظمة احشورش ، ملك فارس ، الذي كان يخضع له مئة وسبعة وعشرون اقليماً . والوليمة التي صنعها لزعمائه

ولرؤساء كل تلك الاقاليم في عاصمة ملك شوشن ؛ كما وان وشتي ايضاً عملت وليمة للنساء في دار الملك . ودامت وليمة الملك مئة وثمانين يوماً ؛ في الثامن منها ارسل في طلب وشتي الملكة ليري كل الزعماء جمالها ، لكنها رفضت طلب الملك فغضب عليها ، وبحسب اقتراح مموكان ، احد المقربين اليه ، اقصاها عن درجتها الملوكية ثم اعلن ربوبية كل رجلٍ على بيته (ف ١) .

بعد هذا جمعت كل حسان اقاليم مملكة فارس ليختار الملك منهنَّ من تروق بعينه . وكان في شوشن العاصمة ، رجل بنياميني اسمه مردكاي كان قد أُجلي من اورشليم ايام نبوكد نصر الملك . وكان مردكاي مربياً ابنة عم له تُدعى استير ، وكانت جميلة جداً لكنها يتيمة . فقدمها للملك على يد هيجاي حارس النساء واذ اتت نوبتها بالدخول على الملك حسُنت بعينيه . وفي الشهر العاشر من السنة السابعة لملكهِ وضع تاج الملك على رأسها وصنع وليمة عظيمةً دعاها وليمة استير الملكة ، واغدق على الناس العطايا . اما استير فكتمت امر شعبها ، حسب ما اوصاها ابن عمها مردكاي . وفي تلك الايام وقف مردكاي على موآمرة صُنِعَت ضد الملك ، فاعلم استير بها وهي بدورها اوصلتها الى الملك ، الذي تدبَّر لامره . وكتب هذا في سفر اخبار الايام امام الملك (ف ٢) . وكان بعد هذا ان هامان المكدوني الجنس عُظِم كثيراً لدى الملك حتى انهُ حُتِمَ على كل الشعب ان يسجد له حين يشاهده ماراً او واقفاً او ماكثاً فمردكاي لم يكن يسجد له ؛ لهذا جلب على نفسه غيظ هامان .

ولم يقف هامان عند هذا الحدّ فقط بل تخطّاه بمراحل حتى انه سعى بقتل كل شعب اليهود، اذ لفّق عليه اقاويل مشحونة بالمين امام الملك . وتم له ما ابتغاه من الملك فبعث برسائل مختومة بخاتم الملك الى كل الاقاليم للتنكيل باليهود في يوم معين هو الثالث عشر من شهر اذار (الذي هو آخر شهور السنة) وأمر الملك هو في السبعة من الفصل ال١٣ (ف٣) .

اما الفصل الرابع فيذكر حزن مردكاي واستير حين طرأ على مسامعهما خبر هذا النبأ المفجع، وصلاتهما وصومهما ولبسهما المسوح وحضّ مردكاي لاستير كي تدخل على الملك وتسأله العفو عن شعبها

والفصل الخامس يروي دخول استير على الملك وطلبها ان يأتي مع هامان الى وليمة اعدتها لهما، وفي اثناء هذه الوليمة ألحّت على الملك ان يأتي مع هامان نهار غدٍ ايضاً الى وليمة ثانية، فقبل الملك هذا الطلب واما هامان ففرح اذ عدّ هذا عطفاً خصوصياً عليه من قِبل الملكة .

والفصل السادس يأتي على ذكر ارق الملك احشوروش وقراءته سفر آثار اخبار الايام، وتذكره بما صنع مردكاي معهُ من الجميل اذ اطلعه على المؤامرة المرتبة ضده . لهذا امر الملك هامان ان يأتي بثياب الملك ويلبسها لمردكاي مع تقديمه له فرس الملك ليركب عليها، وهو (اي هامان) ينادي بمردكاي هكذا : هكذا يُصنع للرجل الذي يرغب الملك ان يكرمه . فأتمّ هذا هامان رغم ارادته، اذ انه كان قد اعدّ لمردكاي خشبة ليصلبه عليها .

والفصل السابع يروي خبر الوليمة الثانية وما نتج عنها من انقلاب الحظ على هامان من جراء إطلاع يهوديت الملك على كل ما نواه هامان من الشرور لشعبها. ثم يُروى موت هامان مصلوباً، بامر الملك، على الخشبة التي كان قد هيَّأها لمردكاي .

والفصل الثامن يصور اطلاع الملك احشوروش على نَسَب استير وشعبها ، ورجوعه عن الامر الاول الذي كان قد اصدره ضد الشعب اليهودي، بواسطة هامان، ونقضه بامر ثانٍ به ينعم الملك على اليهود ان ينكلوا باخصامهم .

والفصل العاشر يفصّل خبر تنكيل اليهود باعدائهم، ثم يذكر وضع عيد الفوريم (١) .

هنا ينتهي الكتاب حسب النص العبراني، الذي ترجم عنه القديس ايرونيموس كما يقول هذا القديس نفسه . والباقي اضافه القديس المذكور طبقاً للنسخ اليونانية ، التي تحوي ١٦ فصلاً .

واما الفصل الحادي عشر فيذكر الجزية التي ضربها احشوروش الملك على كل ارض ملكه (١٠، ١ – ٣) ثم ان مردكاي نسب

---

(١) لان هامان اذ دبَّر على اليهود ليهلكهم القى « فُورا » اي قرعة ليفنيهم ويبيدهم في يومين اي الرابع عشر والخامس عشر من شهر اذار . واذ تخلّص اليهود من اعدائهم قبل هذين اليومين ارادوا ان يعيّنوهما لعيد تلك القرعة (الفورا) التي القاها هامان ، وانعكست ، لان الحظ قلب لهامان ظهر المجن" لهذا دعوا هذين اليومين فوريم ، واخذوا يعيدونها حتى ايامنا . لان استير ومردكاي وضعاهما فريضة على الشعب كل سنة في اليومين المذكورين .

كل ما حدث له مع هامان للتدبير الالهي. وحلم ثم تحقق حلمه هذا كل التحقيق . والفصل الحادي عشر يُفصّل حِلمَ مردكاي تفصيلاً دقيقاً .

واما الفصل الثاني عشر فيأتي على خلاصة ما جاء في الفصول المتقدمة .

والفصل الثالث عشر ليس هو سوى الرسالة ، التي سطرها هامان باسم الملك للتنكيل بالشعب اليهودي ، وتضرُّع مردكاي الى الرب . ورسالة الملك تشغل السبعة الاعداد الاولى من هذا الفصل (١٣) ويجب اعتبارها جزءاً من الفصل الثالث ، اي يجب الحاق هذه السبعة الاعداد بنهاية الفصل الثالث . واما الاعداد الباقية فيجب الحاقها بالعدد الـ١٧ من الفصل الرابع .

والفصل الرابع عشر ليس هو سوى إعادة قسم من الفصل الخامس مع زيادة صلاة استير عليه ، وهي الصلاة التي تلتها قبل دخولها على الملك .

والفصل الخامس عشر هو اعادة القسم الثاني من الفصل الخامس ، لكنه اكثر منه غزارة ودقّة في الوصف .

والفصل الاخير هو صورة الامر الذي صنعه الملك احشوروش طبقاً لرغائب استير ومردكاي للتنكيل باخصام الشعب . وجاء ذكر هذه الصورة في العدد الـ١٠ من الفصل الـ٦ — . والمضاف على النص العبراني هو ستة اشياء : ١ً — حلم مردكاي (انظر النسخة العامة ١١ ، ٢ — ١٢ وفي النسخة اليونانية ١ ، ١ — ١٧) ؛ ٢ً - امر هامان

(حسب النسخة العامة ١٣، ١ - ٧ وفي النسخة اليونانية ٣، ١٣)
٣ً - صلاة مردكاي واستير (في النسخة العامة ١٣، ٨ - ١٤، ١٩ وفي اليونانية ٤، ١٧) ؛ ٤ً - استير والملك (حسب النسخة العامة ١٥، ٤ - ١٩ وحسب اليونانية ٥، ١) ؛ ٥ً - امر الملك (في العامة ١٦، ١ - ٢٤ وفي اليونانيـة ٨، ١٣) ؛ ٦ً - تفسير حلم مردكاي (في العامة ١٠، ٤ - ١٣ وفي اليونانيـة ١٠، ٣) .

٣ - جولة في ما اضيف على سفرنا هذا عقيب الفصل العاشر

ان النسخة اللاتينية القديمة تذكر ما اضافته النسخة العامة بعد الفصل العاشر (١) . ثم ان المجمع التريدنتي في جلسته الرابعة عند تكلمه عن الاسفار الالهية، قد اثبت قانونية هذه الاضافات، التي تقع بعد الفصل العاشر من سفرنا هذا، على الاقل ضمناً . واكثر علماء الكاثوليك يقررون صدور هذه الاضافات عن النسخة العبرانية الاصلية وبراهينهم على هذا هي ما يأتي :
اولاً - جاء في آخر النسخة اليونانية : كان في السنة الرابعة من ملـك تلماي وكَلوبَطرا ان دوسيتاوس، الذي كان يقول عن نفسه إنَّهُ كاهن ومن نسل لاوي، وابنه تلماي، أتيا برسالة فوريم هذه قائلين : انها قد تُرجت في اورشليم بيد لوسياكوس بن تلماي

(١) وهذه النسخة اللاتينية القديمة موجودة في مخطوط كوربيندي في المكتبة الوطنية تحت رقم ١١٥٤٩، وهذا المخطوط يرجع الى الجيل الثامن تقريباً .

استير ١١،١ (هذه الترجمة هي يونانية، اي انها نقلت عن الاصل العبراني). والحال ان هذه الرسالة، على اكثر الارجحية، هي سفر استير نفسه. اذاً يُستَنتَج صواباً كون سفرنا هذا بكامله كما هو مسطّر في اليونانية أُخذ عن الاصل العبراني.

ثانياً – تذكر النسخة اليونانية ايضاً (وهي النسخة القصيرة A ثم النسخة الطويلة B) ما أُضيف على سفرنا بعد الفصل العاشر: فالمعلم اوريجانوس يشهد (في رسالته لافريقانو عدد٣) بان تاوادوسيوني ايضاً قبل هاتيك الاضافات وشرحها وحده بانها وضعت باللغة العبرانية او الارامية. اذاً ليست اختلاق نقلة اليونان.

ثالثاً – النسخة الارامية لكتاب استير تشرح بعض تلك الاشياء التي تقرأ فقط في ما أُضيف بعد الفصل العاشر، كحلم مردكاي، وصلاة مردكاي واستير، وغيرها التي تفترض النسخة العبرانية.

رابعاً – تظهر الروحَ العبراني لهذا السفر المميزاتُ اللغوية. فاغلب علماء الكاثوليك يزعمون وجود نسختين عبرانيتين لهذا السفر نسخة وافية طويلة ونسخة مقتضبة موجزة. فمن الوافية نُقلت النسخة اليونانية. وفي زمان القديس ايرونيموس كانت تُقرأ النسخة المقتضبة. فحكم القديس ايرونيموس بعدم وجود الفصول التابعة الفصل العاشر في النسخة العبرانية لا يتخطى النسخة الوجيزة. اما الوافية فهي خارج حكم قديسنا. فحسب رأي اشهر العلماء

مثل كولن وكورنيلي وسكوكه وهيتسنور (١) وغيرهم، ان اول نسخة او اصل سفر استير لم يكن سوى النسخة الوافية . اذاً ان ما زيد على الفصول العشرة في النسخ اليونانية لم يكن غير تكملة السفر حسب النسخة الوافية الضافية (المشار عنها بالحرف B) التي هي اصل الكتاب . لهذا نقول : ١ً – ان هذه الاضافات لا تعتبر حشواً بل هي قسم من جسم هذا الكتاب، اذ لو ضُرب عنها صفحاً لتعرَّى هذا الكتاب عن تتمة جوهره . ٢ً – ثم يجب الاعتقاد بكون اليهود لم يكونوا يقبلون اسفاراً ويحصونها بين الاسفار الموحاة، ما لم تكن مُجلّلة بالتقوى الالهيـة . والحال اذا افرزنا الفصول العشرة عن الستة الباقية لجرّدنا هذا السفر عن اي صبغة تقوية . لانـه لا يُذكر في هذه الفصول العشرة الاولى، حتى ولا مرّةً واحدة، اسمُ الله .

لهذا يجب التسليم بوجود النسخة الوافية (B) اولاً ثم بزوالها وحل النسخة الموجزة (A) محلها (اي محل (B)). ولما كان من المستحيل الوقوف على العلل التي ازالت استعمال النسخة الاصلية والجري على استعمال النسخة المختصرة تركنا هذا المجال فارغاً لما سيظهرهُ لنا التاريخ في المستقبل . لكننا أعجبنا برأي في هذا

(1) Kaulen - Hoberg, Einleitung II, 5.
Cornely - Hagen, compendium 297 sq. Merk in 10 editione, comp. 438.
Zsckokke, Historia sacra 316.
Hetzenauer, Theologia Biblica I 328.

الموضوع هو رأي يوحنـا باتيستا دي رُسي، من ان سفر استير كان يُقرَا في عيد الفوريم، الذي توّصل اخيراً الى ان اصبح لا عيداً دينياً حقيقياً بل عيداً وثنياً . والحال انه يستحيل في عيد وثني قراءة سفر ديني . اذاً كلما كان قبلاً يُشتَمّ منه رائحة دينية في هذا السفر قد أُقصي عنه (اي عن هذا السفر) . والحال اذا قرأنا كل هذا السفر، لا نجد فيه الروح الديني سوى في الفصول التابعة الفصل العاشر .

اذاً من الضروري فصل هذه الفصول عن جسم السفر، اذ انه اضحى سفر وثنياً في بلاد فارس الوثني . لهـذا أُوجدت النسخة الثانية لهذا السفر اي النسخة الوجيزة وبطلت الاولى .

٤ – رأينا ضئيل في معرفة واضع كتاب استير

قـد ضلّت فئة غير قليلة من العلماء اذ نسبت الى اشخاص معينين كتابة سفرنا هذا . والحقيقة ان واضع هذا السفر هو مجهول الشخصية والوطن والعهد . قال بعض العلماء منهم كورنيلي وهيتسنور ان الواضع الاول لهذا السفر هو مردكاي اذ ان العدد الـ٢٠ من الفصل التاسع يقول : وكتب مردكاي هذه الامور وبعث برسائل الى جميع اليهود الذين في جميع مملكة احشورش من دانٍ وقاصٍ . لكن في نفس الفصل عدد ٢٣،٢٩ يميز الكاتب نفسه عن مردكاي . لكن الشيء الثابت عند العلماء ان واضع كتابنا

هـذا هو يهودي مقيم في ارض فارس (ويفترض بكون القراء عرفوا بعادات الفرس) ، قد استعان (اي الواضع) بكتابات مردكاي (التي يأتي على ذكرها سفرنا هـذا في ٩ ، ٢٠) وبتاريخ حوادث ملوك الفرس (٢ ، ٢٣ ؛ ١٠ ، ٢) وبالتقليد الشفاهي . لكن ممن واي متى استخرجت النسخة الوجيزة (A) فهذا مما لا يمكننا البتّ فيه . ولما كانت لغة هذا السفر قريبة جداً من لغة اسفار الايام كان لا بُدّ من صدوره (اي سفرنا هذا) ايام استيلاء الفرس او اليونان في الجيل الرابع قبل المسيح . لكن ليس بعد زوال حكم الفرس بزمن طويل ، ذلك الزوال الذي تمّ سنة ٣٣٠ ق.م . بل بُعَيد الزوال بيرهة وجيزة ، لان الواضع يعرف في الفرس بعض عادات لا يستطيع معرفتها غير من خالطهم .

٥ً – تضارب الاراء في شأن تاريخية هذا السفر

لما كان هذا البحث علمياً محضاً ، وجب علينا الوقوف على اراء العلماء . ولما كانت اراء العلماء تختلف كثيراً رأينا ان نحصرها في ثلاث فئات :

الفئة الاولى ، وهي الاكثر عدداً ، لا يسعها الاّ الاعتراف بتاريخية هذا السفر المحضة .

اما الفئة الثانية فتعترف بشيء من تاريخية هذا السفر ، لكنها تذهب ان هناك بعض اضافات اختلاقية . وقسم من هـذه الفئة

لا يعرف في سفرنا هذا سوى الرواية الاختلاقية .

اخيراً الفئة الثالثة التي يمثلها (A. Scholz) ترتأي ان كتاب استير يُعيد الموضوع الذي في سفري طوبيا ويهوديت ، اي ذكر حرب المسيح الدجال ضد مملكة المسيح . اذاً ان كتاب استير ، حسب هذا الرأي السخيف ، هو كتاب رؤيا (هامان – اليفانا) .

اما نحن فنقف نازلين عند رأي الفئة الاولى لانها اتتنا باسطع البراهين : ١ً – لانه يذكر كتاب حوادث ملوك الفرس ، ٢ً – لان الواضع يصف وصفاً بديعاً ودقيقاً عادات الغرفة الملوكية كما يُذكر في هذا السفر (انظر هيروديت المؤرخ ٧ ، ٩ ؛ ٩٧ ، ٩٨) فهيروديت ٣ ، ٦٩ يذكر عادات الفرس ، التي يأتي على ذكرها سفر استير ٢ ، ١٤ . ثم ان واضع سفرنا هذا يصف بدقة كلية غنى قصر الفرس الملوكي ؛ ٣ً – ومن الاكيد ان اليهود كل سنة في الرابع عشر من اذار كانوا يحتفلون بعيد الفوريم لذكر خلاصهم من تلك المجزرة ، التي دبَّرها لهم هامان ، كما يبان من سفر المكابيين الثاني ١٥ ، ٣٦ حيث يُدعى هذا العيد بعيد مردكاي . فهذا العيد يفترض حادثاً تاريخياً ؛ ٤ً – اخيراً ما يُروى في سفرنا هذا يطابق ما يرويه التاريخ الكلي الدقَّة (١) .

غير اننا نصادف صعوبات قوية اذا سلمنا بتاريخية كل اجزاء كتاب استير مثلاً : في ٩ ، ١٦ يذكر المذبحة التي صنعها اليهود بخصومهم وبلوغ عدد قتلى الخصوم ٧٥٠٠٠ في يوم واحد وهكذا

(١) انظر كاسيل - Cassel, D. Buch Esther ; Berlin 1878

في اليوم التالي ، دون ان يتعرَّض لهم احد من الحكومة ، مما يجعلنا ان نقف حيالَ هذا الامر موقف المرتابين بصحته .

والجواب على هذا ان يقال : ليس بالمستحيل صيرورة هذه المذبحة خصوصاً اذا تأملنا بما كان يحدث في جهات الشرق من المذابح العامة ، التي كان يهلك فيها ضعفا هذا العدد بل اكثر . واذا عرفنا من جهة أُخرى تسرُّع الملوك في حكمهم من جراء كلمة واحدة خارجة من فم محظيَّة عندهم . ثم ان عمل استير هذا لا يجب ان يقاس بمبدأ الشريعة الجديدة : احبوا اعداءكم : متى ٥، ٤٤، بل بمبدأ الشريعة القديمة كما جاء في احد اسفار موسى : السِنّ بالسنّ والعَين بالعين . ما عدا هذا ان العدد ٧٥٠٠٠ الذي نراه في النسخة العامة نجده ناقصاً في النسخة اليونانية الى حد انها جعلته ١٥٠٠٠ وهذا اقرب للصواب .

٦ – هل لهذا السفر من قوَّة قانونية ؟

ان الكنيسة الرابينيَّة لم تقرَّ هذا السفر بين اسفارها لداعي انه يروي زواجاً بين عذراء عبرانية وبين ملك غير مختون . اما يوسيفوس فيذكر هذا ضمناً . لكن في قانون ماليوتي [(Melion Sardensis) ٤، ٢٦ في تاريخ يوسيفوس الكنسي] ينقص هذا السفر وذلك اما بسبب غلط مرتِّب هذا القانون واما بسبب احتدام المناظرة الموجودة آنئذٍ بين العلماء بخصوص حقيقة تاريخية هذا السفر لان النسخة

العبرانية الموجزة (٨) كانت قد انتشرت . لكن في زمان المعلم اوريجانوس كان قد قُبل هذا السفر في الكنيسة ككتاب قانوني تاريخي (انظر التاريخ الكنسي لأوسابيوس المؤرخ ١ ف ٦ ٬ ٢٥) قُبلَ مع كل اضافاته ككتاب قانوني ؛ هذا بشهادة القديس اكليمنضوس الروماني البابا ؛ في رسالته الى القرنتيين ٥٥ ؛ والمعلم اوريجانوس في عظته الخامسة عدد ٥ على مزامير داود ؛ والقديس باسيليوس في كتابه ضد إيونوميو ٢ ٬ ١٩ ؛ والقديس ايرونيموس في رسالته ٣١ الى روفينوس ١ ٬ وفي شروحه على رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية ١ ٬ ٦ ٬ ثم في شروحه على نبوّة هوشع ٧ ٬ ١٤ الخ وعلى نبوّة حزقيال ٢٧ ٬ ٣٣ والتابع ؛ وغيرهم .

الباب العاشر

سفرا المكابيين

ان هذه التسمية لصوابية لان ما سطَّره السفران الآتي ذكرهما ليس هو سوى حوادث تتعلق بالمكابيين ، الذين يرجع اصلهم الى يُوَاريب ، الذي هو من سبط لاوي (اخبار ايام اول ٢٤ ٬ ٧) . والمكابي لفظة عبرانية تفسيرها المطرقة او المبيد ، لان يهوذا بن متتيا الكاهن لم ينفك عن محاربة اعداء شريعة الله وكسر

شوكتهم . لهذا سُمّي سفرا المكابيين بهذا الاسم وهما عبارة عن تاريخ ما حدث بين انطيوكوس الملك (الذي هو ابن احد عبيد الاسكندر الكبير ، الذي ملّكهم بعد موته) وبين متتيا واولاده الخمسة : يهوذا ، ويوناثان ، وسمعان ، ويوحنا ، واليعازار ، الذين استظهروا على اعدائهم . اما مدينتهم فهي مُودَين لكن وطنهم هو اورشليم التي تركوها واستوطنوا مُودَين .

١ - سفر المكابيين الاول .

هذا السفر يروي حوادث كثيرة تختص بالشعب ايام انطيوكس الظالم . وحوادث هذا السفر تستغرق ٤٥ سنة ، اي من ابتداء ملك انطيوكوس (١٧٥ ق.م.) حتى موت سمعان المكابي ، اخي يهوذا بن متتيا الكاهن (١٣٥ ق.م.) . يبتدئ هذا السفر بمقدمة عن عظمة الاسكندر الكبير . وهذه المقدمة هي كليّة الايجاز وليست سوى ٨ اعداد من الفصل الاول .

ثم يعقبها ما هو علة للحروب المقبلة المسطرة في الفصول التالية تلك العلة التي اوجدها انطيوكوس اذ حتم على الجميع نبذ اديانهم والتضحية لدينه . لهذا غار متتيا على الشريعة الالهية فقاوم شريعة الملك . هنا تبدأ حروب المكابيين . واوّل هذه الحروب هو ما سُطر في الفصل الثاني . ثم تأتي اعمال يهوذا في الفصل الثالث وتتخطّاه حتى الفصل التاسع (١٦٦ - ١٦١ ق.م.)

ففي هذه الفصول يُروَى انتصار يهوذا على قوّاد انطيوكوس

الملك وأبلونيوس وسارون ، قائد جيش سوريا ، وُجرجياس القائد قرب عماوس ، وليسياس ببيت صور (ف ف ٢ – ٤ ، ٣٥) . وفي الخامس والعشرين من شهر كسلو سنة ١٦٥ ق . م . طُهر المقدس المدنس ، ثم انتصر يهوذا على الادوميين وبني بيان والعمونيين الخ (ف ٥ ، ٢ – ٦٨) . هنا يُذكر موت انطيوكوس . وبعد موته حارب يهوذا انطيوكوس الخامس (سنة ١٦٤ – ١٦٢ ق . م .) ثم قائده ليسياس (ف ٦) . وعقيب هذا انتصر يهوذا ايضاً على ديمتريوس الاول (الذي ملك من سنة ١٦٢ الى سنة ١٥٠ ق . م .) بواسطة قائده (اي قائد الملك) نكانور الذي كسر للمرة الاولى عند كفرسلامة ، وعند بيت حورون للمرة الثانية (ف ٧) . بعد هذا الانتصار عُقدت معاهدة بين الرومانيين وشعب اسرائيل على يد يهوذا المكابي (ف ٨) . اخيراً اذ بكيديس مُرسل الملك ديمتريوس قرب لاشع سقط من جراء ضربة مائتاً فبكاه الشعب كله وناح عليه اياماً كثيرة (ف ٩ ، ١ – ٢٢) .

فاقام الشعب قائداً عليه مكان يهوذا ، البطل الصنديد ، يوناتان اخاه (١٦١ – ١٤٣ ق . م .) الذي نازل بكيديس مراراً عديدة (ف ٩) واذ فتح الاسكندر الشهير ابن انطيوكس بطلمايس وملك عليها سالم يوناتان ، وارسل له هدايا كثيرة وعيّنهُ كاهناً عظيماً ، لهذا انضم يوناتان الى حزبه ووالاه (سنة ١٥٣ ق . م . ف ١٠) بعد هذا عظَّم ديمتريوس الثاني يوناتان المكابي ، واذ لمس يوناتانُ خداعه انضوى الى انطيوكس الرابع الذي ملك ١٤٥ – ١٤١ ق م .

ق. م.) وفي سنة ١٤٣ ق. م. جدّد العهد، الذي كان قد عقده اخوه يهوذا مع الرومان وبت عهداً ثانياً مع اهل اسبرطه وغيرهم (ف ١٢).

اخيراً قتله تريفون، الذي كان يحاول ان يملك على اسيا ويقبض على انطيوكس بخديعة مُدبّرة أُنفذت بواسطة اهل بطلمايس. فبكى كُلُّ الشعب يوناثان قائدهم الشجاع وبعد ان واروا جثمانه اللحد القوا امرهم على عاتق سمعان اخيه (١٤٣ – ١٣٦ ق. م.) الذي بنى مقبرة للمكابيين (ف ١٣) في مُودين حيث شيّد سبعة اهرام، وطلب من ديمتريوس اعفاء الشعب من الضرائب، فاجابه الملك خيراً ووهبه حريّةً لشعبه.

بعد هذا رمم سمعان المكابي اسوار المدينة، وسعى في سعادة شعبه مجدداً العهد مع الرومانيين والسبرطيين وغيرهم (ف ١٤). واذ ملك انطيوكس السابع (١٣٨ – ١٢٩ ق. م.) أقرّ الحرية للشعب اليهودي. اخيراً قُتلَ سمعان مع ابنيه متتيا ويهوذا في مأدبة اعدّها لهم بطلماوس بن ابوبُس (ف ١٦، ١١ – ٢٨) ولم يبقَ من المكابين غير يوحنا بن سمعان، الذي تولّى امر الشعب بعد موت ابيه واخويه، وبنى الاسوار واظهر من الحماسة ما يفوق الوصف في دفاعه عن الشعب. لهذا يقول عنه هذا السفر في خاتمته هكذا: وبقيّة اخبار يوحنا وحروبه وما ابداه من الحماسة وبنائه الاسوار التي بناها واعماله مكتوبة في كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد ابيه (مكابيين اول ١٦،

٢٣ – ٢٤) . ويوحنا هذا يُسمى يوحنا هرقانوس الاول الذي ملك ٣١ سنة (١٣٥ – ١٠٤ ق.م.) .

٢ – سفر المكابيين الثاني

يُفتتح هـذا السفر برسالتين شبيهتين بخلاصة السفر المتقدم، (١، ١ – ١٠ ؛ ١، ١٠ – ٢، ١٩) ارسلهما يهود اورشليم الى اخوانهم يهود الاسكندريه في سنتين الـ ١٢٤ و١٦٤ ق.م. ويجيء بعد ذلك توطئة للمؤلف موجزة جداً وبعدها يأتي ما رواه سفرنا الاول من الحروب بين ملوك الامم والمكابيين الشجعان . لكن ما يذكره سفرنا هـذا، من الحوادث التي رواها سفر المكابيين الاول، هو غزير ودقيق جداً بنوع انه يجب القول ان سفر المكابيين الاول هو عنوان فصل واما سفر المكابيين الثـاني فهو الفصل بعينه . لهذا نضرب صفحاً عن ذكر كل الاشياء التي سطّرها لاننا ذكرناها عند كلامنا على السفر الاول ولا حاجة بالاعادة هنا اذ المقام مقام ايجاز والماع عام .

٣ – لغة وواضع وزمان كتابينا

لغة السفر الاول هي العبرانيـة : ١ً – لانه يتبين فيه الروح العبراني سواء كان لغة ام معنىً (1) . ٢ً – وتظهر بعض اغلاط في الترجمة .

(1) P. Joüon, quelques hebraismes de syntaxe dans le 1er livre des Maccabées, Biblica III (1922) 204-206

٣ – ولان الاباء مثل اوريجانوس والقديس ايرونيموس ... ارتأوا رأياً قاطعاً بكون لغة هذا السفر الاصلية كانت عبرانية. وبما ان المتن الاصلي أتلِفَ فاخذت مكانهُ الترجمة اليونانية التي استعملها المؤرخ العظيم يوسيفوس، وعن هذه النسخة اليونانية صدرت النسخة السريانية التي طبعها دي لاجارد (١).

اما القديس ايرونيموس فلم ينقل عن النسخة الاصلية، لانه لم يكن في قانون الكتب المقدسة عند العبرانيين. وهذا السفر الاول كتبه يهودي فلسطيني مجهول الاسم وقد عاش في زمان يوحنا بن شمعان المكابي او بعد موته بوقت وجيز مما يثبته السفر نفسه ١٦، ٢٣ الخ.

واما لغة السفر الثاني فهي اليونانية كما يظهر جلياً من نسق القول والتعبير والجُمَل حسب رأي عدة علماء اخصهم ايرونيموس. اما غاية الواضع من كتابته هذا السفر، فتظهر في ١٣ عددٍ من الفصل الثاني (٢، ٢٠ – ٣٣) اذ يقال: تلك الامور التي شرحها ياسون القيرواني في خمسة كتب قد اقبلنا نحن على اختصارها في درج واحدٍ (٢، ٢٤). واما عهد هذا السفر بالتدقيق فلا نستطيع البتّ به، اذ لا يوجد نصٌ صريح يشير اليه. بل يُرجح ان يكون كُتبَ في الجيل الثاني قبل المسيح (٢).

---

(1) P. de Lagarde; Libri Vet. Test. apocryphi syriace, Lipsiae 1861

(٢) (وبالاخص حوالي سنتي ١٢٥ و١٢٤، اذ في هاتين السنتين كتبت الرسالة الاولى) ١، ١ – ١٠) لانه حسب العدد العاشر من الفصل الاول يكون زمان كتابة الرسالة الاولى سنة ١٢٥ – ١٢٤ ق. م. ايام مُلك الاسكندر الثاني، الذي استمر في الملك من سنة الـ ١٢٨ الى سنة الـ ١٢٢ I. Fischer, Bib. Zeitschr. II, 1904, 395).

ومن المحتمل ايضاً ان يكون كُتِب قبل هذا العهد وبعدئذ أضيفت اليه هاتان الرسالتان المسطرتان في اول فصوله (۱) ونرجح كتابته قبل سنة ٦٣ ، لان فيها تخاصم اليهود والرومان. وكتاب المكابيين الاول يصمت عن هذه المخاصمة بل انه يمدح الرومان. اذاً نستنتج ، على الاكثر احتمالاً ، بان الحد النهائي الاحدث لكتابة سفرينا المار ذكرهما هو سنة ٦٣ . لهذا نقول مع جوتيه : (۲) من المحتمل ان يكون سفرانا المار ذكرهما كُتبا حوالي سنة المائة قبل المسيح .

٤ – قوة سفري المكابيين التاريخية

نبدأ اولاً بذكر ما يخالف بعضه في هذين السفرين ونقول :
۱ – ترتيب الزمان في السفر الاول هو غيره في السفر الثاني . فالسفر الاول يبدأ بعهد سكان اورشليم واليهودية والشيوخ ويهوذا من خريف سنة ۳۱۲ ق . م ، اذ ان الخريف هو استهلال السنة المدنية . اما صاحب السفر الثاني فيعد السنين مبتدئاً من شهر تشرين من شهور سنة ۳۱۲ . فواضع السفر الاول يتبع السنة الالهية مبتدئاً بزمان الشتاء ، من شهر نيسان ، احد شهور سنة ۳۱۲ ق . م . لهذا يوجد فرق نصف سنة بين تعيين الازمنة حسب السفر الاول وبين تعيين الازمنة حسب السفر الآخر ، اي من تشرين حتى نيسان ؛ ۲ – ففي الكتاب الاول نمر نادراً باسم الله ، الذي يحل

(1) Kugler, Von Moses bis Paulus 351 .
(2) L. Gutier, Introduction .

محله اسم السماء (٤ ، ١٠ ، ٤٠ ، ٩ ، ٤٦ ؛ ١٢ ، ١٥ ؛ ١٦ ، ٣) او ضمير ثالث شخص غائب ؛ اما السفر الثاني فشحون تقريباً باسم الله الذي يأتي ١١٢ مرة (٤٨ مرة Kurios = الرب و ٦٤ مرة Teos = الله) ؛ ٣ً – السفر الال يأتي على ذكر يهوذا ويوناتان وسمعان مع ابيهم متتيا اما الثاني فيروي فقط حوادث يهوذا؛ ٤ً – والواضع في السفر الاول لا يُصرّح بحكمه اما في السفر الثاني فيحكم الواضع حكماً صائباً (مثل حكمه على أونيا ٤ ، ٢ ؛ وعلى اليعازر ٦ ، ٣١ ؛ وعلى ام السبعة الاولاد ٧ ، ٢٠ والتابع) . وهنا نضع كلمة في قوّة سفرنا هـذا ، بعد ان استهللنا كلامنا هنا بما يغاير بعضه ، ونقول : ان اول سفرينا لا يصادف مقاومـة عنيفة على حقيقته التاريخية فيعترف اغلبهم بتاريخيته . فالتاريخ المروي فيـه مرتكز على مصادر كتابية ؛ لان بعض حوادث المكابيين ارسلت بكتابات كما يظهر من اعمال يوحنا هيرقانوس (مكا . اول ١٦ ، ٢٤) ثم روى هذا السفر عدة شهادات حرفية (١) .

وامـا السفر الثاني فهو عرضة لعدة نبال الاخصام . ولماذا ؟ لانه يروي بعض مذهلات الهية كظهور الملائكة مثلاً (٣ ، ٢٥ ، ١٠ ، ٢٩ ، ١١ ، ٨) فهذه العلة ليست بـدليل كافٍ لنبذ تاريخية سفرنا هذا . لان السليم العقل لا ينفي وجود العجائب لانها صنيع العلة الاولى ، التي تسمو قدرةً وعملاً كل مخلوق ؛ وليس بمستحيل عليها صنع امر عظيم كالعجائب مثلاً .

---

(١) مثلاً : العهد الذي عقده يهوذا مع الرومانيين (٨ ، ٢٢ والتابع) ، والرسالات التي بعث بها يوناتان الى اهل سبرطه وغيرها .

٥ – قوة هذين السفرين الالهية

وكسفر الهي اتخذه الاباء القديسون والرسل ايضاً منهم رسول الامم الذي قال : واسترجعت نساءٌ امواتهنَّ بالقيامة وعُذِّب اخرون بتوتير الاعضاء والضرب ولم يرغبوا في النجاة ليحصلوا على قيامة افضل ؛ (عبرانية ١١، ٣٥) فبهذا القول يشير الرسول الى استشهاد اليعازر الشيخ والسبعة الاولاد (مكاً ثانٍ ٦، ٨، ٧، ١) ومن الاباء نذكر المعلم اوريجانوس (في شروحه على انجيل يوحنا (١، ١٨) ؛ ثم عن المبادئ، (٢، ١، ١٤) ؛ وعن الصلاة ١١ ؛ وعن التحريض على الاستشهاد (٢٢ – ٢٧) وترتوليانوس في كتابه ضد اليهود ٤ . والقديس كبريانوس في رسالته الى فورتوناتو ١١ . والقديس اغوسطينوس في مؤلفه « مدينة الله » ١٨ . ففي هذا السفر الثاني تبان مفاعيل الصلاة والذبائح والتقديس لاجل الموتى وشفاعة القديسين .

٦ – ملاحظات

اولاً – يجب الاطراء على ذكر المكابيين : ١ً لانهم ثبتوا محافظين على الشريعة الالهيـة اتم الحفظ اذ كانوا يحتفلون بالسبت (مكا اول ٢، ٣٢ الخ . ٨، ٢٦ والتابع) ويقدسون السنة السبتية (مكابيين اول ٦، ٥٣) ويحفظون شريعة النذر (مكابيين اول ٣، ٤٩) ؛ ٢ً لانهم كانوا ابطالاً في الدفاع عن الشريعة الالهيـة والحقوق الوطنية (مكابيين اول ٩، ٥ – ١٠) ؛ ٣ً لانهم كانوا

قوّاداً محنكين ؛ ٤ً وكانوا من الطبقة الاولى في الادارة والسياسة .

ثانياً — يوتى في هذين السفرين على ذكر الحسيديين الذين كانوا اتقياء لله بحسب قوة اللفظة العبرانية (مكابيين اول ٢ ؛ ٤٢ ؛ مكابيين ثان ١٤ ؛ ٦) . كان يُطلَق هذا الاسم على الذين كانوا يحملون على العوائد اليونانية هازئين بحفظ شريعة الله . ولما حارب انطيوكس العادات الوطنية انضمت هذه الفئة الى المكابيين لتناصرهم على عدوهم . لكن بُعَيد هذا ابتدأوا في التقهقر وزال جنسهم اذ كان يوناثانُ قائداً (١٦١ — ١٤٣ ق . م .)

هذا ما اتفق لنا الوقوف عليه وخصوصاً من اراء الحديثين جهابذة هذا الفرع ، للتعليق على كل سفر بمفرده . فبقي علينا ان نعلّق ملحقين في النبوآت ، والرموز والصور ثم في الله اب الجميع .

ملحق اول

في ما تأتيه هذه الاسفار التاريخية المار ذكرها من نبوآت ورموز وصور للشريعة الجديدة

اولاً — النبوآت : ١ً — نبوءة حنة ام صموئيل (ملوك اول ٢ ، ١٠) التي هي حكم المسيح وملكه العام . هذا ما يشرحه كورنيليوس الحجري . ٢ً — نبوءة ناثان (ملوك ثاني ٧ ، ١١ — ١٦) التي تفصح عن مجيء المسيح من زرع داود ، حسب الجسد . ٣ً — نبوءة داود (ملوك ثان ٢٣ ، ١ — ٧) . ٤ً — نبوءة طوبيا (طوبيا ١٣ ، ١١ والتابع) .

ثانياً – الرموز : ١ً – يشوع يرمز لنا المسيح ، كما قال الجليل اغوسطينوس في كتابه ضد فوستيوس المانيكيو . ٢ً – وشمشون يرمزه لنا (انظر القديس اغوسطينوس ML 39, 1640) . ٣ً – ثم داود الملك (ملوك ثاني ٢٤) انظر القديس امبروسيوس 14, 923, 15, 553 ML ٤ً – وكما ان سليمان هو ابن داود هكذا المسيح هو ابن داود حسب الجسد (كورنتس ثانية ٢ ، ٨) .

ثالثاً – صور العذراء الكلية القداسة هي الآتية : ١ً – جزاز جدعون (قضاة ٦ ، ٣٧ – ٤٠ ثم القديس برزدوس في مجموعة الاباء الغربيين لميفيه مجلد ١٨٣ عمود ٦٤) . ٢ً – ابيجال امرأة الرجل العظيم نابال (ملوك اول ٢٥ والقديس بوناونتورا في خلاصته الذهبية ٤ ، ٤٩٥) . ٣ً يهوديت (يهوديت ٨ – ١٦ والقديس انطونيوس في خلاصته الذهبية ٤ ، ٦٣٩) . ٤ً استير (سفر استير بكامله والقديس البرتوس الكبير في خطابة عن خامس سنة) . .

ملحق ثانٍ

في ان الله ابان ذاته اباً لجميع شعوب الارض من قاصٍ ودانٍ

تبارك اسمه قد حرك قلب راحاب الزانية للاعتراف به ولهذا اقامت مع الشعب هي وبنوها ، فاختارها لان تكون من امهات المسيح مخلص اسرائيل ، كما اخبر متى الانجيلي آه . ومثلها ايضاً راعوت الموابية قد اختيرت لان تكون من جدات داود الملك ، الذي من نسله اتى المخلص ، المصلح بين الانسان والله .

وملكة سبا (١) بالهام الهي ذهبت الى اورشليم لكي بظرف رؤيتها

(١) هذه الملكة كانت تُدعى باسم بلقيس ومدينتها اوفير، حسب رأي بعض العلماء ، وهذه المدينة كانت تحوي كنوزاً عظيمة جداً تضارع كنوز سليمان الملك الحكيم . وهاك هنا ما جاء عن هذه المدينة من افادة الباحثين الاثريين ، نقلاً عن مجلة « كل شيء الدنيا » المصرية في عدد ٤٠٤ الصادر في ٢ اغوسطس من سنة ١٩٣٣ ، قالت : واما مدينة أُفير عاصمة بلقيس ملكة سبأ، فما زالت تفتن عقول الباحثين وما زال خيالهم يسبح في جوها . فقد روت الكتب الدينية اعجب القصص عن كنوز بلقيس وثروتها المدهشة وهدايا الذهب والجواهر التي اهدتها الى سليمان الحكيم عندما قدمت لزيارته في اورشليم . فقد حاول الكثيرون من مرتادي الاصقاع وجوالي الآفاق ان يهتدوا الى هذه الكنوز فكانوا يعودون بصفقة المغبون . وتعددت الامكنة التي بحثوا فيها فراح البعض يزعم ان هذه المدينة كائنة في الربع الخالي من صحراء العرب المحرقة بعيدة عن الانظار، خفية عن العيون بعد ان ابتلعتها رمال الصحراء ودفنتها تحت الثرى . ومنهم من يؤكد ان الرمال لم تبتلع هذه المدينة وانما احاطت بها من كل جانب فاقامت حولها سوراً منيعاً من التلال المحرقة، حتى لا يستطيع ان يجتازها انسان، فانقطعت المدينة عن العالم وما زالت حية قائمة يحيا فيها شعبها وينعم بحضارة عجيبة ولا يعرف شيئاً عن العالم الخارجي ولا الخارجي شيئاً عنه . ويؤكد بعض الباحثين ان صحراء العرب لم تكن طول عمرها فيافي جرداء ورمالاً محرقة وبيداء موحشة . وانما كانت آهلة بالبشر منذ ثلاثة الاف سنة عامرة بالمدن العظيمة ذات القصور الشامخة والدور الشاهقة والكنوز الطائلة والتجارة والصناعة . وكانت اهم هذه المدن شأناً اوفير عاصمة سبا . وكان اساس ثروة هذه الدولة كونها واقعة في طريق القوافل بين مصر والهند فكانت تمر بها قوافل مصر في طريقها الى الهند ، وكذلك قوافل الهند في طريقها الى مصر - تحمل البضاعة والجواهر والتحف الثمينة فتنزل في اوفير وترتاح فيها اياماً واسابيع وتتمتع بملاهي هذه المدينة التي كانت مدينة اللهو والنعيم ... باريس القرون الخالية . وكان بذخ الملكة بلقيس مما لم تره عين

ولا سمعت به اذن . . . وكان بلاطها اعجب بلاط بما حوى من كنوز وجواهر واموال . وكانت قصورها المشيدة من العاج المرصعة بالجواهر الكريمة حديث العالم وفتنة الدهر . ثم تبدل تاريخ سبا عندما وصلت الملكة بلقيس الى اورشليم وحملت معها اثمن ما في البلاد من تحف وجواهر . وتبدّل طريق القوافل اذ اتخذت لها طريق غير طريق سباء وبدأت الرمال تنهار على المدينة اذ كانت تحملها من اقاصي الصحراء فتزحف على مدينة الذهب زحفاً بطيئاً رهيباً وتضيّق عليها الخناق الى ان انقطعت عن العالم وحيل بينها وبين الدنيا . وما زالت الى اليوم ضائعة بين هذه الفيافي الجرداء الملتهبة في وسط تلك الصحراء الواسعة

ومن المحال ان يصل احدٌ الى مقرها الآن فانها واقعة في اشد المناطق حرارة ، ولا تستطيع اي بعثة ان تخترق الطريق اليها وان تجتاز تلك الفيافي الرهيبة وتبحث في ارجائها عن عاصمة بلقيس . ولكنك اذا سألت بعض القبائل الضاربة على اطراف تلك الصحراء لاخبرتك ان في جوف الصحراء شعباً غريباً مجهولاً يعيش بعيداً عن العالم ولا يستطيع ان يصل اليه انسان ، وقد ذكر الرحالة بوتون في رسالة قدمها الى الجمعية الجغرافية ، انه سمع من اناس يثق بصدقهم ان في احشاء هذه الصحراء امة كبيرة تعيش عيشة خفيّة مجهولة .

وهناك رواد آخرون يزعمون ان مملكة سباء لم تكن في بلاد العرب وانما كانت في بلاد الحبش ، وان المناجم التي كانت تستخرج منها بلقيس الذهب والجواهر واقعة في كهوفٍ كبيرة في جبل قولو واليل .

وقد حاول احد الرحالين الانجليز ، وهو فرانك هاتير ان يخرج الى تلك الكهوف ، فخرج مع بعثة من اديس ابابا ، عاصمة بلاد الحبش حتى وصل الى مصب نهر هاواس ، الذي يتفجر بين التلال في وسط الغابات الكثيفة ويصب في مستنقع كبير في بلاد الصومال . ثم تسلق جبل تولو سودد ، وهو جبل عالٍ ارتفاعه ٤٠٠٠ متر ، وهبط منه الى وادٍ عميق خرج بعده الى غابة سوداء رهيبة تشابكت اشجارها السوداء القاتمة التي يخيل للمرء ان ناراً آكلة أتت على الاخضر منها وتركتها فروعاً سوداء وجذوعاً محرقة ، وقد فُرشت

واجلسك على عرش اسرائيل : فانه لاجل حب الرب لاسرائيل الى الابد اقامك ملكاً لتجري الحكم والعدل (ملوك ثالث ١٠، ٩) .

ارض الغابة بالرماد الاسود الناعم الذي يبلغ سمكه ما يقرب من ربع متر ، واشتدّ فيها السكون العميق الرهيب الذي يؤثر على الاعصاب تأثيراً مخيفاً . واخيراً جاء على شعب غريب من القرود الكبيرة الهائلة المتوحشة . وقضى شهوراً طويلة وهو يخبط بين تلك الوديان والغابات حتى وصل الى القمم التي يسعى اليها ، ورأى حولها كهوفاً واسعةً ومغاور كبيرة ، ودخل اليها فرأى على ضوء المشاعل ما كاد يفقده رشده . رأى اكداساً مكدّسة من الحجارة الكريمة الثمينة من عقيق وياقوت وزمرد وفروز والماس !!! وقد اثبت له البحث ان هذه المغاور نُحتت بيد بشرية لتكون مخزناً لهذه الكنوز العجيبة المثال . ولم يُفلح في اخذ شيءٍ كثير من هذه الكنوز لما انتابه من المرض وخوار القوى وموت افراد بعثته من الحميات والحيوانات والكواسر والقبائل المتوحشة . ولم ينج الا بجلده بعد اهوال شديدة اعترضته حتى خرج من هذه الوديان والغابات وعاد الى لندن ليهيئ بعثة كبيرة قوية تعود لاستحضار باقي هذه الكنوز . وقد قدَّم عن رحلته تقريراً ضافياً لوزارة الخارجية البريطانية . وتعددت الاراء في هذا التقرير . فقال البعض انه حديث خرافة . وقال آخرون ان صاحبه صادق في ما روى . ومع ذلك فما زالت كنوز بلقيس تفتن العقول . وما زالت اوفير مدينة الذهب خفية عن الانظار تكتنفها الاسرار .)

هكذا قالت المجلة المصرية الغراء . اما نحن فلا نميل الى رأي من كل ما تقدم ، اذ حتى الآن لم يتضح شيءٌ يثبت لنا صحة ما تقدم ، فضلاً عما يكتنف هذه المسألة من الغموض اذ الكتب المقدسة تصمت عندها صمتاً ابدياً . وهكذا التاريخ المدني . فمن اين نعرف ان هذا حري بالتصديق . ثم من اين نعلم ان اوفير هي عاصمة ملك سباء (ملوك ثالث ٩، ١٨) ؟ والى اي شيءٍ نستند لاطلاق اسم بلقيس على ملكة سبا ؟ لهذا نقف موقف الحياد حيال هذه المسألة الى ان يجلو لنا التاريخ هذا الغموض .

ثم ان الله ارسل لارملة صارفة صيدا ذلك النبي العظيم ، ايليا التشبيتي ، كي يصنع لها معجزتين : اكثار الدقيق ، وبعث وحيدها حياً بعد ان مات (ملوك ثالث ١٧ ، ٨ - ٢٤) . كذلك أرسل هذا النبي الغيور الى برية دمشق كي يمسح حزائيل ملكاً على ارام (مع انه لم يكن من شعب الله المختار !) ثم ان نعمان قائد جيوش ملك سوريا مَنّ الله عليه بالشفاء على يد اليشاع النبي بواسطة الاستحمام سبع مرات في نهر الاردن ، وبعد برئه من برصه أقر بعدم وجود اله آخر غير اله اسرائيل (ملوك رابع ٥ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨) وطوبيا البار اعتبر وجود الشعب الاسرائيلي بين الامم ارسالية الهية لتبشير تلك الامم بدين اسرائيل الحقيقي السامي دين عبدة الاله الواحد (طوبيا ١٣ ، ٣١) ثم تنبأ بوحي الهي عن ارتداد الامم الى عبادة الاله الحقيقي ، الذي جبل آدم منذ البدء من طين ، صانعاً نفسه على صورته خالدة (دون نهاية) . طوبيا ١٣ ، ١٤ . وفي سفر يهوديت يُذكر قائد العمونيين احيور واعترافه باله اسرائيل بحضرة الكافر اليفانا ، قائد جيش ملك اشور ، وما انعم الله به عليه من ابقائه حياً ورؤيته رأس العاتي اليفانا ، الذي جدف على الاله العظيم ، وارتداده (اي احيور) الى الاله الحقيقي (يهوديت ١٤ ، ٦) . واذ صلت يهوديت الى الله قُبَيل قطعها رأس اليفانا قالت : لتعرف الامم انك انت اله وليس غيرك (يهوديت ١٠ ، ٩١) . وفي السنة السبعين لآخر جلاء الشعب ألهم الله قورش ملك فارس اعطاء الحرية لشعبه (اي شعب الله) المختار (اخبار الايام الثاني ٣٦ ، ٢٢ الخ ؛ حزقيال ١ ، ١ - ١٤) .

جدول اول لاسماء الملوك الذين في عهدهم جرت حوادث اسفارنا الالهية
حسب ترتيب الزمان

ملوك اسرائيل ويهوذا

شاول	مَلَكَ سنة ١٠٥١ — ١٠١١ ق. م.
داواد	١٠١١ — ٩٧٠
سليمان	٩٧٠ — ٩٣٢

ملوك اشور

أداد نيراري الثالث	مَلَكَ سنة ٩١١ — ٨٩٠ ق. م.
توقولتي نينيب الثاني	٨٩٠ — ٨٨٤
اشور ناسير أبلو	٨٨٤ — ٨٥٩
سَلَمنصَّر	٨٥٩ — ٨٢٦
شَمشي أداد الخامس	٨٢٥ — ٨١١
أداد نيرادي السابع	٨١١ — ٧٨٢
شولمانو أشاريدو الثالث	٧٨١ — ٧٧٢
أسوردان الثالث	٧٧١ — ٧٥٤
أشورنيراري الثاني	٧٥٣ — ٧٤٦
تجلت بيليزر	٧٤٦ — ٧٢٧
شولمانو أشاريدو الرابع	٧٢٧ — ٧٢٢
سرجون	٧٢٢ — ٧٠٥
سنحاريب	٧٠٥ — ٦٦٨
اشور بانيلو	٦٦٨ — ٦٣٥٠
أشور يتيلاني	٦٣٥ — ٦٢٩
سينشاريشكون	٦٢٩ — ٦١٢
اشوروبليت الثاني	٦١٢ — ٦٠٦

ملوك بابل الحديثة

نَبُوبولاصّر	مَلَكَ سنة ٦٢٦ — ٦٠٥ ق.م.
نبوكدنصر	٦٠٥ — ٥٦٢
أميلمَرْدُوك	٥٦١ — ٥٦٠
نِرْجَلْشَرُوسُور	٥٦٠ — ٥٥٦
لَابَشِي مَرْدُوك	٦٥٦
نَبُونَعيد	٥٥٥ — ٥٣٩

ملوك الفرس

كورش	مَلَكَ سنة ٥٥٨ — ٥٢٩ ق.م.
كامبيسس	٥٢٩ — ٥٢٢
باردْلي	٥٢٢ —
داريوس الاول	٥٢١ — ٤٨٥
احشوروش الاول	٤٨٥ — ٤٦٥
ارتحششتا الاول	٤٦٥ — ٤٢٤
احشوروش الثاني	٤٢٤
داريوس الثاني	٤٢٤ — ٤٠٤
ارتحششتا الثاني	٤٠٤ — ٣٥٩
أرسيس	٣٣٨ — ٣٣٦
داريوس الثالث	٣٣٦ — ٣٣١

ملوك مختلفة

سلوقس الاول	مَلَكَ سنة ٣١٢ — ٢٨٠ ق.م.
انطيوكس الاول	٢٨٠ — ٢٦١
انطيوكس الثاني	٢٦١ — ٢٤٦
سلوقس الثاني	٢٤٦ — ٢٢٦
سَلوقس الثالث	٢٢٦ — ٢٢٣

انطيوكس الثالث	٢٢٣ — ١٨٧
سلوقس الرابع	١٨٧ — ١٧٥
انطيوكس الرابع	١٧٥ — ١٦٤
انطيوكس الخامس	١٦٤ — ١٦٢
ديمتريوس الاول	١٦٢ — ١٥٠
اسكندر بالس	١٥٠ — ١٤٥
انطيوكس السادس	١٤٥ — ١٤٢
ديمتريوس الثاني	١٤٢ — ١٣٨
انطيوكس السابع	١٣٨ — ١٢٩
اسكندر الثاني	١٢٨ — ١٢٢
سلوقس الخامس	١٢٥
انطيوكس الثامن	١٢٥ — ١١٣
	(وايضا من ١١١ — ٩٦ قبل المسيح)
انطيوكس التاسع	١١٣ — ٩٥
سلوقس السادس	٩٥ —
انطيوكس العاشر	٩٥ — ٩٤
فيلبس الفيلادلفي	٩٤ — ٨٣
ديمتريوس الثالث	٩٥ — ٨٧
انطيوكس الثاني عشر	٨٧ — ٨٥
انطيوكس الثالث عشر	٦٩ — ٦٥
بطليموس الثالث عشر	٨٠ — ٥٨
	(ثم ٥٥ — ٥١ قبل المسيح)
برنيشي الرابع	٥٨ — ٥٥
بطليموس الرابع عشر	٥١ — ٤٧
بطليموس الخامس عشر	٤٧ — ٤٤
كلوبطرا السابع	٤٤ — ٣٠

جدول ثانٍ في تسلسل المكابيين العبوريين

مَتّثْيا (أب المكابيين) سنة ١٦٦ قبل المسيح

يوناثان ١٦١ — ١٤٣ ق.م.

اليعازر ١٦٢ ق م.

يهوذا ١٦٥ — ١٦١ ق.م.

سمعان ١٤٢ — ١٣٥ ق م.

يوحنا ١٦١ ق.م.

يوحنا هرقانوس (بن سمعان المكابي)
١٣٥ — ١٠٤ قبل المسيح

انطيغونوس ١٠٥ ق.م.

اريستوبولس الاول ١٠٤ — ١٠٣ ق.م.

اسكندر يوحنا ١٠٣ — ٧٦ ق.م.
(وامرأته اسكندرة سالومي ٧٦ — ٦٧ ق.م.)

اريستوبولس الثاني ٦٧ — ٦٣ ق.م.

هرقانوس الثاني ٦٣ — ٤٩ ق.م.

اسكندر ٤٩ ق.م.

زوج = اسكندرة

مَارِيَامْني ٢٩ ق.م
(زوجة هيرودس الكبير)

اريستوبولس الثالث
٣٥ قبل المسيح

جدول ثالث

اسماء ملوك يهوذا ومدة ملكهم

١	رحبعام	مَلكَ سنة ٩٢٩ — ٩١٢ ق . م .
٢	ابيّا	٩١٢ — ٩١٠
٣	آسا	٩٠٩ — ٨٦٩
٤	يوشافاط	٨٦٨ — ٨٤٥
٥	يورام	٨٤٥ — ٨٤١
٦	أحزيا	٨٤١
٧	عتليا (ام احزيا وبنت عمري ملك اسرائيل) ملكت	٨٤١ — ٨٣٨
٨	يوآش	٨٣٨ — ٧٩٩
٩	أمصيا	٧٩٩ — ٧٨٩
١٠	عزريا	٧٨٩ — ٧٣٨
١١	يوياثام	٧٣٨ — ٧٣٦
١٢	احاز	٧٣٦ — ٧٢١
١٣	حزقيا	٧٢١ — ٦٩٣
١٤	منسّى	٦٩٣ — ٦٣٩
١٥	آمون	٦٣٩ — ٦٣٨
١٦	يوشيا	٦٣٨ — ٦٠٨
١٧	يوآحاز	٦٠٨ (ملك فقط ثلاثة اشهر)
١٨	يوياقيم	٦٠٨ — ٥٩٨
١٩	يوياكين	٥٩٨ (ثلاثة اشهر)
٢٠	صدقيا (عم يوياكين)	٥٩٧ — ٥٨٧

هذا حسب لائحة قوجلير (Kugler) التي تخالف غيرها في بعض السنين ؛ كلائحة Lederer ولائحة Kleber ولائحة Schlägl ولائحة Hellmann وغيرهم .

جدول رابع

اسماء ملوك اسرائيل ومدة ملكهم

١	ياربعام الاول	مَلَكَ سنة ٩٢٩ — ٩٠٨ ق. م.
٢	ناداب	٩٠٨ — ٩٠٧
٣	بَعْشا	٩٠٦ — ٨٨٣
٤	إيلَةُ (ملوك ثالث ١٦،٦)	٨٨٣ — ٨٨٢
٥	زِمري	سبعة ايام
٦	عُمْري	٨٨٢ — ٨٧١
٧	آحاب	٨٧١ — ٨٥٣
٨	احزيا (ملوك ثالث ٢٢،٤٠)	٨٥٣ — ٨٥٢
٩	يورام	٨٥٢ — ٨٤١
١٠	ياهو (ملوك رابع ٩ ، ٢)	٨٤١ — ٨١٦
١١	يُوَاحاز	٨١٦ — ٨٠٢
١٢	يواش	٨٠٢ — ٧٨٧
١٣	ياربعام الثاني	٧٨٧ — ٧٤٩
١٤	زكريا	ستة اشهر
١٥	شَلُوم	شهر
١٦	مَنَحيم	٧٤٨ — ٧٣٨
١٧	فَقَحْيا	٧٣٨ — ٧٣٧
١٨	فاقح	٧٣٧ — ٧٣١
١٩	هُوشع	٧٣٠ — ٧٢٢

هذا حسب لائحة لدير (Lederer) التي تخالف غيرها في بعض الاشياء .

وهذه اللوائح المار ذكرها تذكر الملوك ليس فقط الذين يأتي على ذكرهم الاسفار التاريخية بل الذين يأتي على ذكرهم الاسفار الحكمية والاسفار النبويـة ايضاً اذا ان هؤلاء الملوك هم الذين يشغلون حوادث العهد القديم بكامله ، من شاول حتى هيرودوس الكبير .

وَنعِمَّ لحافظ التاريخ ، لان التاريخ مُعلّم الحياة

كما قال الخطيب الروماني شيشرون .



		غرش سوري
	ثمن الكتاب الاول من القسم الاول	١٠٠
او	ثمن المجلد الاول من الكتاب الاول	٣٥
	ثمن المجلد الثاني من الكتاب الاول	٧٥

تنبيه

قد وقع بعض اغلاط لا تخفى على القارئ اللبيب فعذراً

كشف النقاب

عن حقيقة الكتاب

كتاب تاريخي علمي للاسفار الالهية

او

مدخل في الكتاب المقدس

الكتاب الثاني من الجزء الاول

وضعه

الاب الياس نابت العشقوتي

الراهب الحلبي اللبناني

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونيه - لبنان

١٩٣٥

لا مانع من طبعه في ٢١ ت ٢ سنة ١٩٣٤

الاباتي

+ ميرابل عتفوني

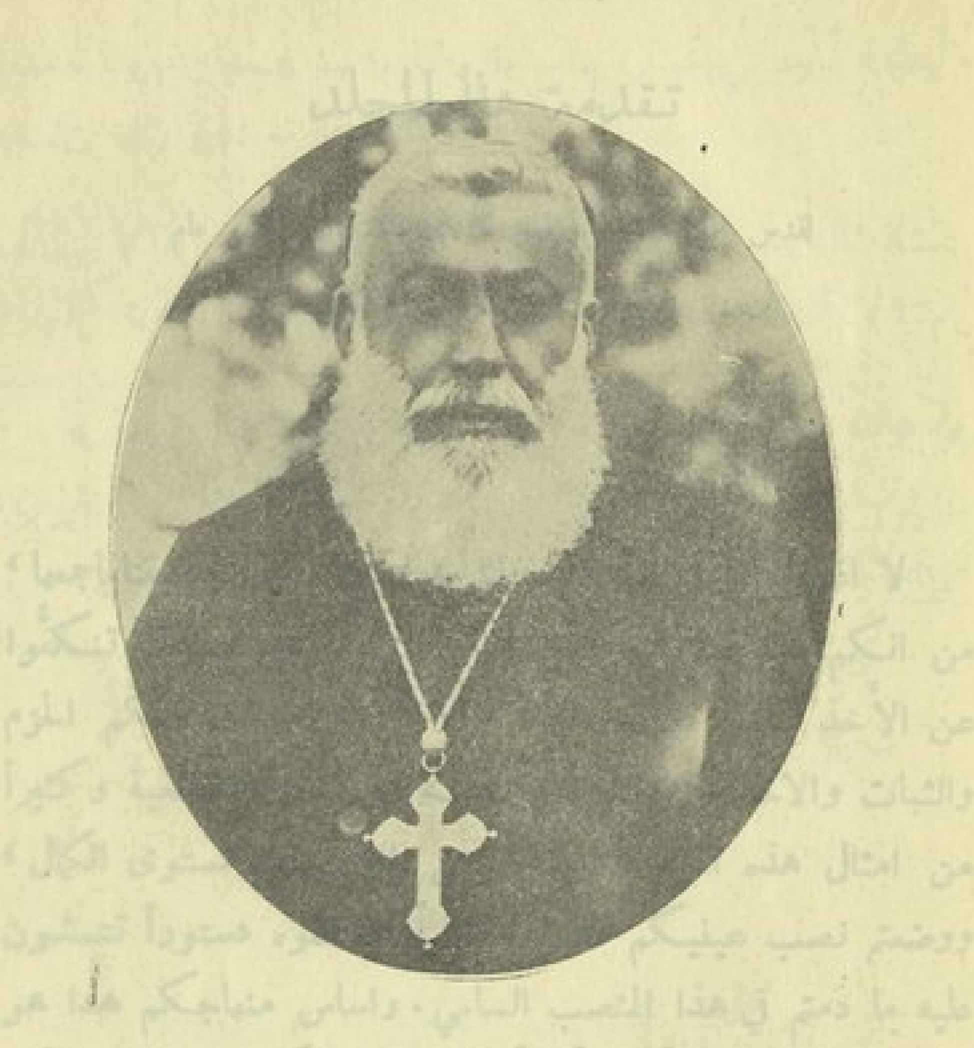
الرئيس العام على الرهبنة الحلبية اللبنانية

لا مانع من طبعه في ١٧ ت ٢ سنة ١٩٣٤

الحقير

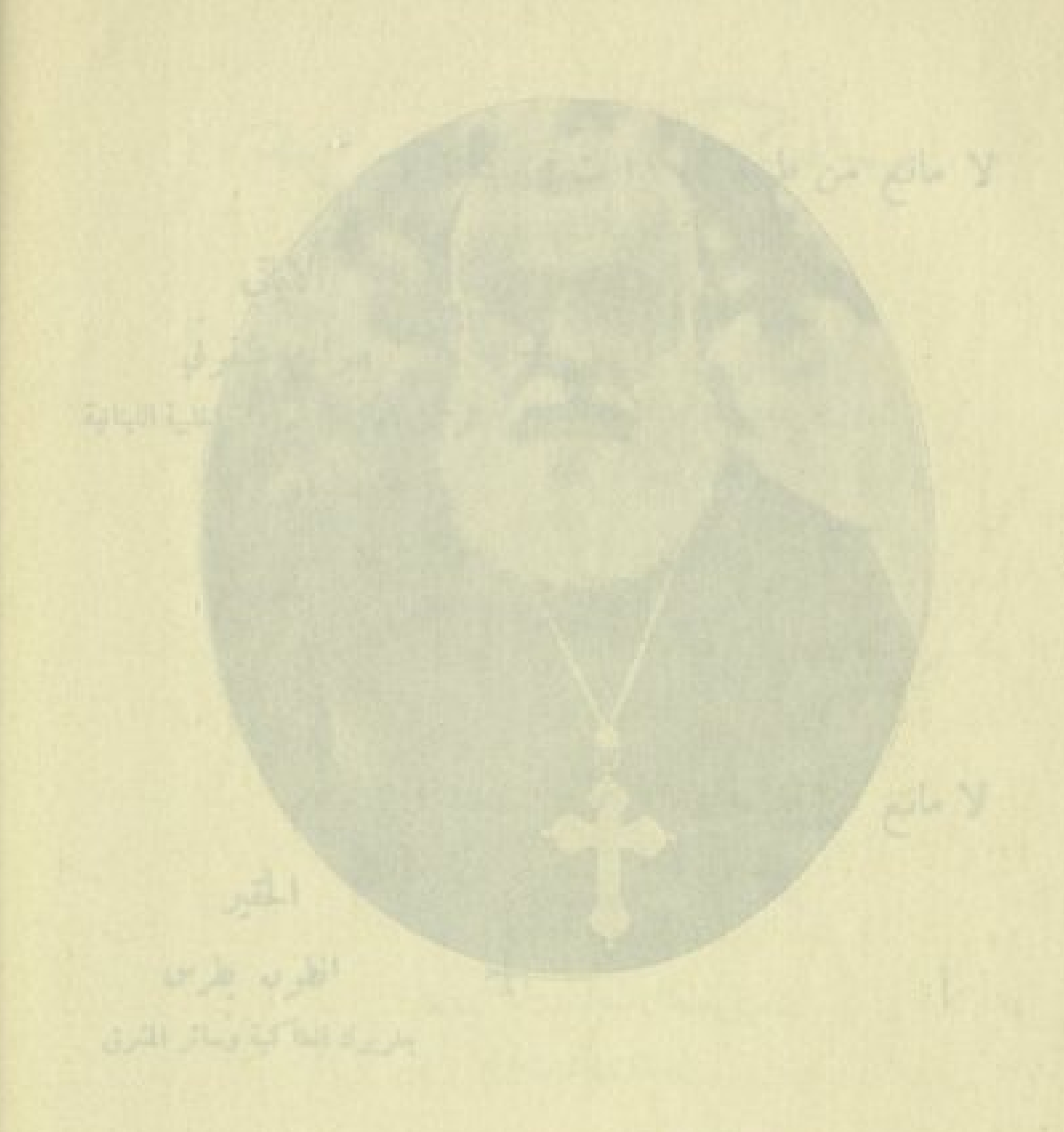
+ انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق



رسم قدس الاباتي جبرائيل الشمالي

رئيس عام الرهبانية الحلبية المارونية



تقدمة هذا المجلد

لقدس ابينا العام جبرائيل الشمالي المشقوتي رئيس عام
رهبنتنا الحلبية الفائق الاحترام

ايها الاب العام

لا اغرق اذا رددت ما ينطق به لسان حال رهبانيتنا باجمعها ، من انكم منذ تبوأتم كرسي الرئاسة العامة حتى الساعة لم تنكفُّوا عن الأَخذ بناصر هـذه الام الرؤوم ، التي عرفت فيكم الحزم والثبات والاخلاص والغيرة والمحبـة والصدق والتضحية و كثيراً من امثال هذه المزايا الشريفة ، حتى بلغتم بهـا مستوى الكمال ؛ ووضعتم نصب عينيكم منهاجاً صائباً جعلتموه دستوراً تتمشون عليه ما دمتم في هذا المنصب السامي . واساس منهاجكم هذا هو تهذيب الناشئة تهذيباً علمياً تاماً . فلبلوغ هدفكم هذا قد بذلتم كل غالٍ ونفيس . ولا اغالي اذا قلت ان الرهبنـة الحلبية ابتدأت تضارع الرهبانيات الراقية في النهضة العلمية . ولما كنتُ انا ، ايها القائد الاعلى لهذه السفينة الحلبية جبريلنا ، احد ابنائكم المخلصين ومن الناشئة الحديثة ، ترتب عليَّ اظهار الجميـل لما لاقيته ، طيلة عشر سنين ، من الاعتناء الفائق بتلقِّي العلوم . لهـذا اسمحوا لي ، ايها المولى الخطير ، ان ارفع هـذا الكتيب الى شخصكم الممتاز

تقدمة بنوية ، ليست سوى اثمار اتعابكم في تهذيبي ديناً وعلماً .
ولسان حالي يردد ما قال الشاعر :

سأشكرُ لا أني اجازيك مُنعِماً بشكري ولكن كي يدوم لك الشكر
وأذكرُ اياماً لديَّ اصطنعتها وآخر ما يبقى على الشاكر الشكرُ

فيكفيني ان تعطفوا عليَّ وتضعوا كتابي هذا تحت عنايتكم الابوية كي يروج في ايام قدسكم رواجاً حسناً . والله اسأل ان يؤيدكم في كل اعمالكم ، لانها مفيدة لامنا الرهبانية وللانسانية انه السميع المجيب

المؤلف

ما قيل

في ثاني مجلدات الكتاب الاول

لم يقف بعض رجال القلم عن متابعة التقريظ لكلٍ من المجلدات التي تصدر جديداً من مؤلفنا « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » قاصدين بذلك تشجيعنا بدرجة اولى والانتفاع بهذا التأليف المفيد بدرجة ثانية. حيال هذا لا يحمل بنا الا تمحيضهم شكرنا لما قالوه فينا وفي كل كتاب من تأليفنا المذكور.

فالى القارىء العزيز بعض اقوالهم :

١ً – قالت جريدة النهار الغرّاء لصاحبها جبران افندي التويني في عددها ٣٠٧ الصادر في ١٨ آب سنة ١٩٣٤ :

كشف النقاب عن حقيقة الكتاب

صدر المجلد الثاني من الكتاب الاول من الجزء الاول من « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » لمؤلفه البحّاثة المدقق الاب الياس ثابت العشقوتي الراهب الحلبي اللبناني. والكتاب المذكور عبارة عن كتاب تحليلي للاسفار الواردة في الكتاب المقدس.

وقد عني المؤلف ايضاً بتفسير ما غمض من هذه الاسفار وانتقاد ما بولغ فيه، واثبات صحة ما قيل عنه غير صحيح، وما اشبه ذلك مما يدل على ما بذل المؤلف من الجهد والدرس والتدقيق في ما كتبه. والكتاب جليل الفائدة يستحق واضعه التشجيع والثناء.

٢ – وقالت جريدة الاحوال الغراء لصاحبها سمعان افندي سيف في عددها ١٠٦٦٢ الصادر في ٢ حزيران سنة ١٩٣٤ :

حقيقة الكتاب

الاب الياس ثابت العشقوتي الراهب الحلبي اللبناني مفكر مجدد ، وباحث دقيق له آثار قلمية جليلة الفائدة ، الف كتابه « كشف النقاب عن حقيقة الكتاب » فجاء مؤلفاً نفيساً قاطع الحجة واضح العبارة عالج فيه الاسفار الالهية بطريقة علمية معالجة مطلع خبير ، وقد انجز من كتابه هذا المجلد الاول والثاني وطبعهُ في مطبعة المرسلين اللبنانيين باتقان زائد فننصح المختصين في هذا الفرع اقتناء الكتاب ومطالعته فهو احسن دليل لهم في تفهم اسرار الكتاب المقدس .

٣ – وقالت جريدة الراصد الغراء لرئيس تحريرها كرم افندي البستاني في عددها ٤٢٠٠ الصادر في ٢٧ حزيران سنة ١٩٣٤ :

« كشف النقاب عن حقيقة الكتاب »

هو كتاب تاريخي علمي للاسفار الالهية وضعه حضرة العالم الفاضل الاب الياس ثابت العشقوتي الراهب الحلبي اللبناني – وقد صدر منه اخيراً المجلد الثاني من الكتاب الاول من الجزء الاول وقد دار بحثه فيه على اسفار يشوع بن نون والقضاة وراعوث والملوك والايام

وعزرا ونحميا وطوبيا ويهوديت واستير والمكابيين فبين في بحثه واضع السفر ونسخه الاصلية وترجمته وموضوعه والغاية من وضعه ثم بسط الاعتراضات ورد عليها مستنداً الى اقوال مشاهير العلماء والادباء الجهابذة. والحق ذلك بجدول في اسماء الملوك الذين جرت في عهدهم حوادث هذه الاسفار الالهية حسب ترتيب الزمان.

وانه والحق يقال لعمل شاق مملوء بالفائدة العلمية هذا العمل الذي قام به حضرة الاب تابت يستحق عليه كل ثناء.

وقد طبع طبعاً نظيفاً في غلاف لطيف وثمنه خمسة وسبعون قرشاً.

٤ — وقالت جريدة العلم الغراء لصاحبها ميشال افندي الحايك في عددها ٥٦٩ الصادر في ٢٩ نيسان سنة ١٩٣٤ :

«كشف النقاب عن حقيقة الكتاب»

سفر نفيس في تفسير الكتاب المقدس من وجهتي العلم والتاريخ وضعه حضرة الاب العالم القس الياس تابت العشقوتي الراهب الحلبي اللبناني وهو الاول من نوعه في هذا الصدد.

اصدر المؤلف المجلدين الاول والثاني من الجزء الاول من هذا الكتاب وقد اتحفنا بالمجلد الثاني منه فقرأنا بين سطوره ما يدل على تضلعه في تاريخ الكتاب المقدس ويشهد بنبوغ وجهود هذا الصديق العزيز الذي يحق للرهبانية الحلبية اللبنانية الافتخار به وبامثاله من رهبانها الافاضل في ظل رئيسها العام المحبوب قدس

الاباتي جبرائيل العشقوتي الطائر الشهرة .

والكتاب مصدر بكلمة اخلاص من المؤلف لحضرة الاباتي جرمانوس سيف وكيل الرئيس العام لدى الكرسي الرسولي يوم كان تلميذاً في رومية العظمى وهي عاطفة شريفة يترجم بها المؤلف عن شعور المعجبين بالاباتي سيف الذي حمل الاسم اللبناني والشعار الرهباني الحقيقي عالياً محترماً في المدينة الخالدة .

فنشكر لحضرة المؤلف هديته النفيسة ونتمنى له النجاح المستمر في جهاده الشريف .

٥ — وقالت جريدة البشير الغراء في عددها ٤٧١٢ الصادر في ٣ ايار سنة ١٩٣٤ :

« كشف النقاب عن حقيقة الكتاب »

هو بحث في القسم الثاني من الاسفار الالهية ذكر فيه المؤلف واضع تلك الاسفار ونسخها الاصلية وترجمتها وموضوعها والغاية من وضعها ، مشفوعة برد وجيه على بعض الاعتراضات . قد اقتصر المؤلف على اهم المبادي، التي اتفق عليها العلماء في هذه الابحاث الخطيرة . يقع هذا الجزء في ١٤٨ صفحة وقد طبع في مطبعة الاباء المرسلين اللبنانيين . فنشكر للمؤلف الفاضل هديته ونتمنى لكتابه الرواج .

٦ — وقالت مجلة المنارة في عددها الخامس من اعداد سنة ١٩٣٤ :

« كشف النقاب عن حقيقة الكتاب »
تأليف الاب الياس ثابت الراهب الحلبي اللبناني

ظهر الى الوجود المجلد الثاني من مدخل الكتاب المقدس الذي وضعه حضرة الاب الياس ثابت ويتضمن درساً نقدياً مختصراً في اسفار العهد القديم التاريخية ، وفضله الخاص انه كتب في اللغة العربية لسد ثلمة في التعليم اللاهوتي في بلادنا المفتقرة لمثل هذه الكتاب كما لا يخفى .

ورقه صقيل وحرفه جميل . بذل حضرته جهده ليأتي هذا الكتاب كما يشتهي القراء ، فندعو لهذا الكتاب بالرواج لاسيما بين الاكليروس . وقد طبع في مطبعة المرسلين اللبنانيين .

بعض ما اتانا من الرسالات

في المجلد الثاني

١

رسالة حضرة الاب الجليل المفضال العالم اغناطيوس وهيبه رئيس بطركخانة المنصوره الجزيل الاحترام ·

قال حضرته :

ابتِ الجليل الفاضل العامل الجزيل الاحترام

تحيــة وسلاماً ، . . طالعت المجلد الثاني من تأليفـك « كشف النقاب . . . » فاذا به يشتمل على تحليل الاسفار القديمة من سفر يشوع بن نون حتى سفري المكابيين ويتضمن كشف النقاب عن لغة هذه الاسفار ومؤلفيها وزمانها وقانونيتها وتضارب الاراء بشأنها وحل الاعتراضات على قانونيتها ، فالفيته جامعاً ·

اجل انـك تحريت في جميع ذلـك الايجاز المفيد وتحاشيت الاسهاب الممل · ولكن هذا الايجاز لم يترك شاردة إلا الحتم اليها ولا اعتراضاً إلا حللتموه بادلة راهنة مفحمة مأخوذة عن مصادر معاصرة وعن مؤرخين جهابذة اختصاصيين بهذا العلم النبيل ، قد دعمت وقائع تواريخهم وشروحهم الاكتشافات الجديدة من تماثيل وخطوط ورسوم لم يكن للمؤرخين السابقين خط الوقوف عليها والتثبت من جميع الاوجه التاريخية لهذا الاسفار ·

فوجزكم اذن حري بان تتناقله وتتناوله ايدي البحاثة وخصوصاً الاكليريكيين وبالاخص التلامذة المرشحين الى الدرجة الكهنوتية المقدسة في هذا العصر الذي كثر فيه عدد الملحدين ودار في خلدهم ان يمحوا من العقول اسم الله والوحي والكرامات وكل شيء ديني .

فاهنأ ايها الأب الفاضل المجاهد بعملك هذا الجليل المفيد الأثل لمجد الله ولفخر الرهبانية ، التي تفرح ويتعزى قلبها بمثلكم بنين يرفعون شأنها . وثابر على متابعة عملك هذا الخطير والله المسؤول ان يذلل كل عقبة تقوم في سبيل مجهودك ويجزيك خيراً في الدارين

عن بطركخانة الموارنة بالمنصورة في ٢٣ ايار سنة ١٩٣٤

اخوك

القس اغناطيوس وهيبه

٢

رسالة حضرة الاباتي جرمانوس سيف وكيل الرئاسة العامة لدى الكرسي الرسولي للرهبانية الحلبية اللبنانية المارونية

قال حضرته :

حضرة الأب الجليل الفاضل الجزيل الاحترام

اليك بسلامي الجزيل ، وصلني الكتاب الذي شئت ان تصدره بكلمة فيَّ دليل حبك الصادق لي . فجاء عملك هذا دليلاً قوياً على ما انطويت عليه من نبل الاخلاق وسلامة الذوق مما استوجب شكري وامتناني . وقد طالعت هذا الجزء فرأيت الاسلوب فيه شائقاً من الوجهة الكتابية وهو ما يدعونه في البيان ، بالسهل

الممتنع ، الذي له المكانة الاولى في عالم الانشاء الحالي ، وذلك لتتبّعهم طريقة امام الكتاب ابن المقفع .

اذن نسقك شائق من الوجهة الكتابية .

ولا تضن بالحجج الدامغة والبراهين التاريخيّة التي تشهد لـك بطول الباع في هذا المضمار الصعب المسلك . اجل ان عملك هـذا لصعب واصعب منه على من اقدم عليه مع حداثته ، كما هو انت . لهـذا استحقيت اعجاب الجميع سيما وان هـذا الموضوع الدقيق لم يخضه احد قبلك من ابناء لغة الضاد وكيف يستطيعون خوضه ولا علم لهم بـه ، حتى ان عمره حيث نشاء لم يكد يتخطى الزمـان الطويل ، في نفس اوروبا ! . .

فاهنأ يا اخي بعملك هذا وابدأ في اجتناء ثمـار تعبك الشاق الذي يوليك والطائفة والرهبنة شرفاً سامياً وثناء عاطراً يذكر معه اسمك بالاعجاب مدى الدهر ، ايها الفتى الطامح الى ذروة المجد .

سِر على بركة الله ، يا اخي ، سر ، وعين الرب تعضدك في كل عمل يعود اليك والى امنا الرهبانية والطائفة بالنفع الجزيل .

فاسأل لك عوناً قوياً من العلى كي لا توهن قواك في متابعة ما تبقّى من اجزاء هذا الكتاب الفريد . وحينئذٍ تنال تمام الجزاء في الدارين .

عن روما ٢ حزيران سنة ١٩٣٤ اخوك

الاباتي جرمانوس سيف

توطئة

حديث عن الشعر عموماً

ثم

عن الشعر المقدس

١ – في الشعر عموماً .

كان نظم الشعر قديماً لاظهار الحاسات الدينية والاعمال الحربية وذكر حوادث الامم والحب ، ثم تخطَوا فيه الى الهزل والمجون والهجو . ففي عهد سولون (الجيل التاسع قبل المسيح) قام شاعر يوناني فاخترع فن القصائد المسرحية المسماة دراما (في اللغة اليونانية) وهي قصائد هزلية .

الشعر (١) كما يحدده صاحب دائرة المعارف العلامة ، ملكة

---

(١) قد جاء في مجلة الرسالة الغراء ، في عددها الـ٢٨ الصادر في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ مقال قيم عن الشعر بقلم الاستاذ شوقي ضيف ، استعرض فيه نظرية القدماء والحديثين عن الشعر ، فدونكها :

للشعر اثر كبير في تاريخ الحياة الانسانية ، ولا يستطيع احد ان ينكر ما افادها بنغماته السحرية الجميلة ، وموسيقاه الناطقة المؤثرة ، واذا كان العلم يعطينا مدداً نافعاً ، وفوائد جليلة ، فان الشعر يمنحنا هبة اعظم شرفاً ، وذلك لانه يفتح على ارواحنا النوافذ المغلقة فيصلها بالحياة التي تجري امامها ، والنور الذي ينتشر حولها ، ثم هو يعرض امام انظارنا الجمال الهاجع في الكون مجلواً في ابهى حلله ، ذلك الجمال الذي هو زهرة الدنيا وفتنتها . فما هو هذا الشعر الذي يقدم لنا كل هذه الهبات ؟ اما اساتذة مدارسه التي اخذت تعلمه في

راسخة في النفس منذ الفطرة لا يمكن تكلفها . اذاً ان الشعر لا يمكن ان يعدم منه شعب من البشر . لانه فطرة تابعة للنفس البشرية ،

الشرق فقد اهتدوا منذ القرون الاولى للهجرة الى تعريفه بانه « الكلام الموزون المقفى » . ولا شك ان هـذا تعريف قاصر لانهم تناولوا به السور الخارجي الذي يحيط بمدينة الشعر فقط ، اما المدينة نفسها وما نضج به من حياة وحركة وما تموج به من حسن وجمال، فلم تسترع انظارهم، ولم تجذب انتباههم، ولعل رواية الشعر الجاهلي هي التي ورطتهم في هذا التعريف الأبتر، فقد كان الشعر الجاهلي يروى سواء أكان بسيطاً ام لم يكن، وسواء أكان موثراً ام لم يكن، وسواء أكان مفهوماً ام غير مفهوم ، وكان الرواة لا يطلبون في الشعر الا ان يطن بالوزن والقافية . واما المعنى الذي هو روح الشعر فلم يلق منهم عناية ولا دراية الا في الاقل القليل ، فلما اخـذت المدارس تعلّم الشعر فهمت ان الوزن والقافية هما كل شيء فيه، واستن لها الخليل بن احمد استاذ المدرسة الاولى فقد قال : والشعر هو ما وافق اوزان العرب . فما دام الكلام قـد ارتدى برداء الوزن فهو شعر ولو لم يكن فيه روح تنبض ، ولا حياة تخفق ، والذي يدعو الى الدهش هو ان هذه الفكرة السقيمة في الشعر استمرت قائمة في هذه المدارس طوال العصور المختلفة كانها قضية منطقية مسلّم بها ، ولم يفكر الادباء في الخروج عليها (عنها) . نعم أتيح للجاحظ ان يتأثر بالمدرسة اليونانية فيقول: انما الشعر صياغة وضرب من التصوير . ولكن للاسف لم يعن هو نفسه بهذا المعنى فيما جمع من الشعر في كتابه البيان والتبيين ، وعلى الرغم من ان ابن خلدون انتقد المدارس السابقة في تعريفها للشعر ، استمرت عند فكرتها ، ولم تحاول ان تعتق نفسها من رق هـذا الخطأ ، ولا ان تطلق عقولها من اغلال هذا التقصير .

والامر في تعريف الغربيين للشعر على خلاف هذا، ولنلم بطرف من تعاريفهم ولعله يلقي على الموضوع اشعة توضحه، يقول مستر بلوك : انه لا يمكن تعريف الشعر بشيء سوى السحر ، وكان الاجدر به ان يعدل في كلامه فيقول انه

واذ كانت طبيعة النفس البشرية واحدة في كل البشر دائماً واينما حلوا ، كان لا بد من وجود ملكة الشعر في كل الشعوب . والشعر

لا يمكن تشبيه الشعر بشيء سوى السحر ، ومهما يكن فتعريفه لا يعطينا شيئاً اكثر من فكرة اولية لا تقبل التحليل . وقال مستر تيفر : إن كلمة الشعر ككلمة الجمال ، من الكلمات المبهمة التي تشمل مجموعة من الاشياء المختلفة تمام الاختلاف بالنسبة لاختلاف المنتجين ، وانتهى الى انه يمكن تعريف الشعر بأكثر من هذا التعريف الرديء لمعاجم اللغة ، واعترف مستر لمبورن بانه لا يمكن تعريف الشعر إلا اذا عرفنا الحياة والحب ، اللذين يترجم عنهما .

وهكذا نجد النقاد من الانكليز مضطربين امام تعريف كلمة الشعر ، فبعضهم يعرفها تعريفاً ناقصاً ، وبعضهم يعرفها تعريفاً مبهماً ويحجم كثير عن تعريفها لأنه لا يمكن تعريفها ، او لانها ككلمة الجمال لا يمكن تحديدها ، وبمعنى أوضح لان الشعر عمل فني وكأنما كتب على كل عمل فني الا تحيط به التعاريف إحاطة تامة ، وأيا كان فكلمة الشعر تعني شيئاً موجوداً امامنا ، يشرح خواطرنا ، ويخاطب قلوبنا ، ويؤثر في نفوسنا تأثيراً جميلاً ، واذا كنا لا نستطيع ان نحدد الشعر تحديداً تاماً يبين ماهيته فليس من العسير ان نقف على اساسه ولعل اقدم من تكلم في هذا الموضوع كلاماً مستفيضاً هو ارسطو فقد قال : ان الابتكار اساس الشعر . فالشعر عنده صورة مخترعة يخلقها الشاعر بقوة خياله ، والوزن عنده شيء اضافي يلحق بالصورة حين يتم خلقها في قلب الشاعر . وماذا ؟ ايخترع الشعراء الاوزان التي ينظمون عليها كلامهم ؟! ان الوزن واللفظ ملك اللغة ، ليس لاحد ان يدعي شيئاً منها لنفسه وانما الذي يستطيع الشاعر ان يعزوه إلى نفسه فيصدق هو الصورة الظريفة التي يبتدعها ، وهذه النظرية جميلة في ظاهرها ، ولكنها ليست دقيقة كل الدقة ، وعلى الرغم مما يظهر فيها من المقالات في تقدير الشعراء استمرت مختلة افكار النقاد . مدداً طويلة ، حتى جاء المؤرخ اليوناني « ديونيسيوس » صاحب الابحاث البلاغية الشهيرة ، فعلق على الاوديسا تعليقاً انتهى فيه الى ان اساس الشعر انما هو الاسلوب . وقد تبعه

هو راية كتائب المعقولات . فسجايا الامم في كل عهد ، انطبع رسمها
في صفيحة شعرها . فترى مثلًا شعر الهنود مبهماً كابهام تصوراتهم

كثير من النقاد في اوائل العصر الحديث ، كل منهم يخطيء نظرية ارسطو ،
ويبرهن على ان الاسلوب والوزن لها اثر كبير في صناعة الشعر والواقع ان
الشعر عمل فني يقوم على اشياء لا على شيء واحد ، فلا بد له من الصورة
الفنية ، والموسيقى الجميلة ، والخيال البارع حتى يستطيع ان ينهض من الارض
فيحلق فوق رؤوسنا في السماء . وقيمة الشعر ترجع الى ان يترجم عن احساسات
الانسان محاولاً ان يوقظ العواطف المقابلة في قلوب الاخرين ، وما دامت هذه
هي قيمته ، فكل منا شاعر الى حد ما ، لان كلًا منا يملك احساساً ، وقوة
بها يترجم للاخرين عما يجيش بصدره ، ولكن يجب ان نعرف ان هؤلاء
الذين نسميهم شعراء هم في الواقع أرق من الشخص العادي شعوراً والطف منه
وجداناً ، وهم اقدر على التعبير عما يحسون ويتأثرون . قد انقادت اليهم اعنة
الكلام واستسلمت لهم شوارد الاوزان ، فسهل عليهم تصوير ما في قلوبهم
واخراج ما تطفح به صدورهم ، والذين يعنون بدراسة الشعر ونقده يجدون
مواطن كثيرة لا يجذب جمالها قلوبهم ، ولا يسترعي حسنها عقولهم ، يلفتهم الشاعر
اليها بصوره الساحرة التي يعرضها ، وموسيقاه الجميلة التي يغني بها ، ولقد احسن
كيتس حين قال : « ربما جعل الله لك يا بني هذا العالم جميلًا في نظرك كما هو
جميل في نظري » . وحقاً ان الشاعر يتراءى له العالم جميلًا او قبيحاً اكثر مما
يتراءى ، وكثيراً ما يجعل الاشياء التي تبدو لنا قليلة القيمة ، أنيقة معجبة بما
يُصوّر من جلالها وما يظهر من جمالها .

وأول محاولة في الشعر هي ترجمة العاطفة الثائرة في قلب الشاعر ، فقياس الشعر
ليس هو المنطق ، وإنما هو العاطفة ، ونحن لا نسمع لشعر الشاعر . ولا لغنائه لانه
اكثر عقلًا من غيره ، بل لانه يجعلنا نشعر بحياة قلوبنا واحاديث وجداننا ، والتعبير
العاطفي هو الشعر ولكن اذا حمل لباساً جميلًا ، وشكلًا أخاذاً ، وموسيقى بارعة ،
فاذا لم يحمل ذلك لم يكن شعراً بالمعنى المعروف ، لان الشعر لا يتطلب حياة

الفلسفية . وشعر اليونان سهلاً بليغاً سلساً منسجماً . وشعر العرب يظهر آناً صافياً وآناً مكدراً وذلك حسب اختلاف احوال هذا

عاطفيّة فقط، بل هو يتطلب الى ذلك الاسلوب الجميل والموسيقى المؤثرة، ويجب ان تكون الموسيقى قويّة، وطبيعية، وحرّة، لتستطيع عواطف الشاعر وافكاره ان تبقى خالدة على وجه الدهر، اما اذا كانت الموسيقى ضعيفة واهنة، او نافرة جامحة، او اسيرة سجينة، فانها تفسد على الشاعر شعره، والموسيقى الشعرية لا تستطيع ان تحيا، بدون التعبير العاطفي لحظة من الزمن، بخلاف التعبير العاطفي فانه يستطيع ان يحيا، بدون الموسيقى فيكون نثراً ادبياً، وبقوة تعبيره وجمال تصويره تكون قيمته في هذه الحياة الفنّية التي وقف عندها

ويجب ان تكون لغة الشعر سلسلة عذبة، جميلة في مرأى العين وسمع الاذن، ولا يعوزها الحسن ولا ينقصها الرواء، كما يجب ان يكون الاسلوب متماسكاً متراكباً ليعبر تعبيراً واضحاً مسرعاً عن غايته، وحسن البيان ضروري في الشعر حتى لا يقعد به سوء التعبير عمّا يريد الافصاح عنه، والواجب ان يهتم الشاعر بهذه الاشياء جميعها لانها اللباس، وكثيراً ما يدل اللباس على صفات لابسه.

وكل العواطف صالحة لان تكون موضوعاً للشعر يترجم عن مستورها وينصح عن خبيئها، ولكن ليست العواطف كلها في مرتبة واحدة غير متفاوتة، بل منها القوي ومنها الضعيف، فاذا افصح الشاعر عن عاطفة قوية كان شعره سامياً جميلاً، اما اذا ترجم عن عاطفة ضعيفة فان شعره يتدلى معها الى اسفل فتنقص من حسنه وتغض من روعته، ويجب ان يكون القلب الذي يعبر عن هذه العواطف سليماً غير مريض، فان القلب هو الذي يمثل مرض الانسان، اما القلب المريض فلا يجد من يحمله. وما اشبه العواطف بجداول مياه تنساب من القلب فيميلها كيف شاء.

وخير العواطف ما كان يبعث على الحياة والقوة كعاطفة الاعجاب التي تملأ قلب الشاعر فتجعله يصف الاسد مثلاً، وسمو هذه العاطفة راجع الى ان القوة مظهر الحياة، وهي تعجب الانسان اكثر من اي مظهر آخر فالانسان دائماً يعتز بقوته ويخفي سوأة الضعف التي قد تتراءى له في زوايا نفسه، يتجاهلها، ويتعامى

الشعب في الجاهلية وفي الاسلام . وشعر الرومان اخذ نشأته عن شعر اليونان فكان رزيناً نخياً بحسب سليقة هذا الشعب الطامح

عنها ، ويبعدها عن نفسه كلما ألمت به ، ولهذا كانت العواطف التي تبعث على الحزن ضعيفة ، لان الالم والبكاء تنفر منها النفس وتنبو بطبيعتها اذ الانسان لا يرضى ان يعترف بضعفه ، واذا اعترف لم يبقَ على هذا الاعتراف طويلاً ، ومن العواطف الضعيفة عاطفة المدح فانهـا عاطفة شخصية تتصل بنفس الشاعر ذاته ، ولا تعبر عن شيء عام يشترك فيه الجميع . نعم ان تخلصت من ذاتها ، فمدحت المروءة او حضت على خلق كريم تغير حالها ، وعلت مرتبتها ، لانها حينئذ تفصح عن شيء في الشعر بل يجب ان تضاف اليها الفكرة التي تنظمها وتهيئها للحياة والظهور ، وكل الفنون ما عدا الموسيقى لا بد لها من الفكرة حتى تتلذذ العاطفة ، وليس من الواجب ان تخترع الفكرة ، وانما الواجب ان تظهر في معرض جديد يوضح عمل صاحبها وقوة ايمانه بهـا ، والشعر قد يكون فكراً خالصاً فيبحث في اعمق المسائل التي تشغل عقول الفلاسفة من مثل طبيعة الخير والشر وحينئذٍ لا يكون شعراً بالمعنى الصحيح الا اذا امتزج بالقلب فاصبح عاطفة قوية تفيض منـه لا من العقل ، تخاطب الشعور والوجدان قبل ان تخاطب الافكار والاذهان ، ولقد احسن قدماؤنا حين قالوا : (الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ؛ واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان) .

والشعر في الواقع رسالة كرسالة الانبياء ، فهو يقوم على الالهام اكثر من اي شيء آخر ، والايمـان بالفكرة ووضوحها هما الملكان اللذان يوحيان الى الشاعر بالمعاني الجميلة المعجبة ، والصور الفريدة المعجزة ، فيخرج للناس افكاراً نيرة واضحة ، كانها وهج الحريق في الليل البهيم ، فلا تجد تكلفاً ولا تعملاً وانما هي زهور جميلة ينثرها الشاعر على رغمه كما ينثر الزيتون زهوره ، وما اشبه الفكرة القلقة ، يقولها الشاعر ، بالعصفور المضطرب الحيران التائه من عشه ، ويجب ان تكون الفكرة قوية ليكون الشاعر مبدعاً ، رائعاً ، حتى اذا اراد ان يحلق في السماء انتهى الى اعلاها فكان نجماً زاهراً بين نجومها ، وللاسف نجد الشعر

نحو العظمة والتكبر. اما العبرانيون، الذين هم هدفنا في هذا المبحث، فكان. شعرهم جامعاً لاكثر المزايا، لان دينهم سما كافة الاديان قاطبة في العهد القديم. لهذا نرى شعرهم يمثل الفخامة والعظمة والسمو والادب والحب الطاهر المقدس (انظر نشيد الاناشيد) وبهذا فاق شعرهم شعر باقي الامم (انظر الاسفار الحكمية التي لاجلها وضعنا هذا المبحث عن الشعر، لان منها شعرية لفظية وشعرية معنوية). ولما ظهرت الديانة المسيحية قضت على الشعر، الى ان دخلت القرون المتوسطة، التي ادخلت في نفس الشعراء الروح القصصي والرواني. فلهذا ظهر المجون بكل مظاهره، وامتازت

العربي تعوزه القوة في كثير من الاحيان، ولعل هذا هو السرّ في ان الشاعر العربي اذا اراد ان يحلّق فوقنا ارتفع ارتفاع السحاب في سماء الدنيا ولم يستطع الارتفاع الى أعلى اكثر من ذلك لان اجنحته ليست قوية على انه سرعان ما يدنو الينا وينزل من سمائه الى ارضنا

والعواطف والافكار لا تكون وحدة الشعر بنفسها وانما الذي يصنع ذلك هو الخيال الشعري فهو المنظّم للافكار والعواطف وهو المخرج لها هو الذي يجمعها وينفخها بروح من لدنه فتستوي ناطقة معبرة نشخص لها ونعجب بجمالها، واذا تجردت قطعة شعرية منه فلا تُسمّى ادباً، فاذا شاهد شخص حديقة جميلة في مكان وجاء يقول: لقد رأيت حديقة بها ازهار واشجار ومياه لم يكن هذا شعراً، وانما الشعر حقاً هو الذي يحمل للناس أبهة الخيال فيظهر للناس في وحدة جميلة بديعة تسترعي الانظار، وتخلب الالباب، واي خيال اجمل من قول كيتس «يوجد الغد مُبرعماً في نصف الليل». ؟

شوقي ضيف
بكلية الاداب في مصر

به اسبانيا على غيرها ، اما انكلترا وشمالي اوروبا مع جنوبها فبقي في شعرها السمو والعظمة مع الرصانة. وكان حظ فرنسا من الشعر الهجاء والهزل ولم تُعدم فئة قليلة ثبتت على الدين والحكمة والتروي ، لهذا اكتسب شعر هذه الفئة رونقاً جليلاً. واما شعر المانيا العلمي فهو حديث العهد ، وخالفت غيرها بنهجه مع بقاء روح الشعر الافرنسي فيه. والآن فشعر انكلترا هو وصفي وفلسفي وديني (كما هي الحالة في ايطاليا وكما يتبين من الرواية الالهية لدانتي ...) واما شعر فرنسا فهو التشكيكي والمادي ، لكن المانيا تمتاز عن بقية الممالك الاوروبية بشعرها الحلولي (عن دائرة المعارف بتصرف. المجلد العاشر صفحة ٤٧٥ – ٤٧٧ ..)

٢ – في الشعر المقدس

ان الاسفار الحكمية سُكبت حين وضعها في قالب شعري. وقد اتفقوا على تسمية شعرها بالشعر المقدس استناداً الى مادتها. فمعلوم ان لكل شعر عنصرين يقوم بهما وهما المادة والصورة ، اي الموضوع الذي يعالج الشاعر بيانه والقالب الذي يسكب فيه موضوعه من الكلام المنمق. ولما كان موضوع الاسفار الحكمية الاولي هو الوحي الالهي والله نفسه ، مبدأ وغاية كل الاشياء ، وموضوعها الثانوي العالم والانسان باعتبارهما بنور الوحي. وبما ان الذي حمل واضعي هذه الاسفار على كتابتها انما هو الشعور الديني ومحبة الله والايمان والرجاء به تعالى. فذلك كله سوّغ تسمية سفرها بالشعر المقدس.

قلنا ولسنا نتعرض للكلام هنا للشعر العبراني وانواعه وميزاته لان النسخة التي تتداولها ايدي ابناء الضاد انما وُضعت بقالب نثري ولان الذي يهمنا في الامر انما هو المعنى لا صيغته الظاهرة ولهذا تحاشينا الخوض في الموضوع خشية التطويل الممل، وأحلنا الراغبين في التعمق منه الى كتب العلماء مثل، داود كاستلي في كتابه «حول الشعر المقدس المطبوع في فيرنسا سنة ١٨٧٨ وغيره»

والكتب الالهية التي سُكبت منذ وضعها بقالب شعري هي سبعة: سفر ايوب، سفر المزامير، سفر الامثال، سفر نشيد الاناشيد سفر الجامعة، سفر الحكمة، سفر يشوع بن سيراخ. وانا سنخصص كلا من هذه الاسفار بفصل ندرسه فيه من الوجهة العلمية

الفصل الاول

سفر ايوب

كلما لُفظ اسم ايوب تبادر الى ذهن السامع صورة اعظم البلايا التي نُستهدف لها في هذا الكون! وان كنا في كلامنا عن الاسفار الحكمية قد قدمنا هذا السفر على سواه فلأنه اقدمها عهداً، كما يرتأي الفريق الاكبر من العلماء. وُضع هذ السفر بقالب شعري منسق فيه يستعرض الواضع لحل مسألة سبب ونهاية شرور وبلايا هذه الدنيا. يسأل المؤلف اولاً لماذا يُستهدف الصدّيق لبلايا هذه الفانية. ثم يجيب، ان البلايا، حسب زعم اصحاب ايوب هي عقاب الخطايا والاقتصاص منها، لان الله هو القاضي العادل، يرد على رؤوس الاشرار شرورهم وعلى رؤوس الصالحين صلاحهم (لوقا ١٣، ١٠٠٠، يوحنا ٩، ١٠٠٠) وحسب راي اليهو بن برَكئيل البوزي من عشيرة رام، ان بلايا هذه الدنيا توضع لتطهير الانسان ولتكميله في الفضيلة: فالله هو اب حليم. لكن حكم مقدمة وخاتمة سفرنا هذا في البلايا هو؛ انها (اي البلايا) مرسلة لامتحان الصديق في مجده وكرامتهِ. غير ان احاديث الله لايوب (٣٨-٤٢، ٦ ايوب) تحتم بعدم ملائمة الاستفحاص عن اسرار العناية الالهية وتلزم بالرضوخ لما تضعه على الانسان اثناء رحلته القصيرة في هذا العالم. ومن

هذه الوجهة يظهر سفر ايوب بمظهر مدافع اولي عن العناية الالهية التي بقدر ما يرتفع الانسان حكمة لا يبرح قاصراً عن كشف القليل الواضح من اسرارها السامية. اذاً فآلام وبلايا الانسان الصديق ليست بمناقضة سواء كان لعدل الله او لحلمه وحكمته او لغيرها من المزايا الالهية. فالواضع، دون شك، اراد بكتابته هذا السفر تعزية معاصريه على بلاياهم (فقد يكون انهم كانوا مبتلين ببعض مصاعب هذه الدنيا).

٢ً — كيف نجزىء سفر ايوب ؟

نقدم مع الفريق الاكبر من العلماء، هذا السفر الى ثلاثة اقسام عدا التوطئة (التي تشغل الثلاثة الفصول الاولى من هذا السفر) والذيل (الذي يشتمل على العشرة الاعداد الاخيرة من آخر فصول هذا الكتاب ٤٢، ٧ — ١٦).

١ً — التوطئة ١ — ٣ تروي ما كان عليه ايوب من التقى والسعادة والجاه حتى انه دُعي باعظم ابناء المشرق جميعاً. لكن الله سبحانه وتعالى، الفت نظر الشيطان الى عبده، اذ اراد تكثير استحقاقاته لانه عرف بسابق علمه رسوخ قدم ايوب في الصبر والاحتمال. لهذا سمح للرجيم ان يرميه باعظم ما يستطاع تصويره من البلايا. واذ تراكمت المصائب على الصديق لم يستطع الاخلاد الى الصمت، فراح يصور ما حل به من الضربات لمن التف حوله من الاصدقاء واخصهم ثلاثة: اليفاز التيماني، بلدد الشوحي، وصوفر النعماني الذين يشغلون القسم الاول برمته (٤ — ٣١)

٢ً — القسم الاول الذي يحوي ثلاث معارضات ضد ايوب قالها له اصدقاؤه الثلاثة (اليفاز ، بلدد ، صوفر) مع ردود ايوب عليها وامثاله ، التي تدعم حجته للدفاع عن نفسه مما الصقه به اصدقاؤه من عدم الصبر والتضحية .

المحاورة الاولى ٢ — ١٤ . يقرر اصدقاء ايوب في هذه المحاورة ان البلايا تتأتى عن الخطايا ، وفي طليعتهم يظهر اليفاز شارحاً سير العناية الالهية بقوله : لا صديق ولا واحد امام الله ، الذي يقتص دائماً من الخطايا . فكان جواب ايوب على قول هذا الصديق الحميم بانه (اي ايوب) بارّ لكنه شاء ان يُروي مصائبه المرة المؤلمة . ثم تابع قوله لاليفاز ولرفقته : أفي انفسكم ان تلومونى على كلمات يأس فرطت مني في الهواء .... فالآن تعطفوا والتفتوا اليَّ فيبين لكم هل انا كاذب ؟

ويُتبِع بلدَدُ اليفازَ في المحاورة قائلاً : ان عدل الله غير متغير ، ثم اتى بالتقليد الذي يثبت صحة زعمه ، واتبع : فالله لا يرذل السليم ولا يأخذ بايدي المجرمين ٨ ، ٢٠ ؛ على هذا اجاب ايوب : لا يخفى عن بالي ابداً عدل الله . غير اني اسأل اظهار خطاياي . ويختم المحاورة الاولى ثالث اصحاب ايوب الذي هو صوفر ، المعنّت لايوب على تبرئة نفسه امام الله بقوله : ولكن يا ليت الله يتكلم ويفتح شفتيه لاجابتك ... فتعلم ان الله قد تسامح معك في معصيتك ١١ ، ٥ — ٦ وعلى هذا ايضاً اجاب ايوب بقوله : اني انا ايضاً اعلم جيداً قدرة الله وحكمته ، كما انتم عارفوها ، لكن قضيتي مع الله لا معكم

فلماذا اذاً تتناولوني بالتبكيت ؟ وما تعلمون فاني انا ايضاً اعلمه ولا اقصر عنكم في شيء.... اسكتوا عني فاتكلم مهما اصابني.... انه ولو قتلني أبقى آملاً له غير اني احتج عن طرقي امامه... فاني قد تدبرت لدعوتي وانا عالم باني سأكون باراً ١٣ ، ٢ : ١٣ ، ١٨ . هنا تنتهي اولى المحاورات المتقدم ذكرها .

المحاورة الثانية ١٥ – ٢١ ان اصدقاء ايوب في هذه المحاورة يثبتون بنوع صريح خطاه لهذا يبدأ اليفاز بالكلام (فصل ١٥) مثبتاً هذا الخطأ بقوله: بل انت تهدم التقوى وتنقض عبادة الله ١٥ ، ٤ فرد ايوب عليه بان استدعى الله كشاهد على براءته بقوله : ان في هذه الساعة نفسها لي شاهداً في السماء وحاكماً عني في الاعالي . ان الساخرين مني هم اخلائي ، ولكن الى الله تفيض عيناي ١٦ ، ٢٠ و ٢١ . اما بلدد فوصف بتدقيق حالة الانسان الخاطي التعسة رامزاً بقوله هذا عن ايوب (١٨) . هنا استنجد ايوب برحمة اصدقائه لانه كان في مستنقع البلايا ! فوجه اليهم كلامه هكذا : هبوني في الواقع قد ضللت فاليَّ تنتهي ضلالتي.... ارحموني ارحموني انتم يا اخلائي فان يد الله قد مستني ١٩ ، ٤ ، ٢١ . ثم اردف : وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أعاين الله ١٩ ، ٢٦ . اخيراً بسط صوفر لايوب سقوط الانسان الغني ، الذي عرّى غيره (٢٠) اجابه ايوب بعكس قوله مظهراً ان الخطاة كثيراً ما يسعدون في هذه الدنيا (٢١) هنا تنصرم المحاورة الثانية بين ايوب واصدقائه القاسين على مصابه الشديد !

المحاورة الثالثة ٢٢ - ٢٦ . فيها ثَبُتَ اليفاز وبلدد على رأيهما في ايوب ، اما صوفر فيصمت هنا غير مثبت ولا نافٍ ما فاه به سابقاً ، فلا حاجة بنا لاعادة ما اوردناه سابقاً عن هذين الصديقين وجواب ايوب عليهما .

يتبع هذه المحاورة دفاعان لايوب ، عن نفسه : اولهما به يثبت براءته ، وثانيهما فيه يقارن السعادة الماضية القريبة بالمصائب الحاضرة ثم يعيد إثبات براءته ثانية .

٣ً - القسم الثاني ٣٢-٣٧ . في هذا القسم يظهر اليهو مصلحاً ما فاه به ايوب بعدم دقة ومحاولاً حلّ مسألة ايوب ، هنا نرى اربعة احاديث لاليهو مسطرة من الفصل ٣٢ الى الفصل ٣٧ :

١ً - اول هذه الاحاديث يصرح : ان الله يؤدب الانسان بالمصائب والبلايا الشديدة ٣٢ ، ٦ - ٣٣ .

٢ً - اما ثانيهما فيرذل ما ظهر من اقوال ايوب ضد العدل الالهي والعناية الربانية ، ٣٤ .

٣ً - وثالث حديث لاليهو يمدح فائدة الصدقة قائلاً : ان الله يصغي الى الصلاة المشفوعة بالرجاء الثابت المكين ٣٥ .

٤ً - وآخر هذه الاحاديث يذيع الله مع رحمته وعدله . هنا يستدعي ايوب كي يعترف بغباوته من هذا القبيل .

٤ً - القسم الثالث ٣٨ - ٤٢ ، ٦ ، في هذا القسم نقف على ما كلّم الله به ايوب من العاصفة . فكان لله مع ايوب حديثان : اولهما يصرح ان من تأمل كل المخلوقات الحية والغير الحية رأى فيها قدرة

الله، التي تقاوم الغباوة والضعف البشريين . من جراء هذا رجع ايوب الى ذاته واعترف بانه تكلم من غير تبصر، ٣٨–٤٠، ٥ وثاني الحديثين استدراك لايوب . فهذا الحديث يصور ما كان من الله مع ايوب اذ استدعاه ليحكم الكون . ثم يتطرف الى وصف قدرته مع وصف عدم ثبات الانسان ، وذلك بوصف حيوانين ؛ بهيموت ولوياثان . اخيراً اظهر ايوب خطأه فيما قال ضد الحكمة الازلية، وهذا كلامه لله: قد علمتُ انك قادرٌ على كل امر فلا يتعذّر عليك مراد ؛ من ذا الذي يُلبِسُ المشورة من غير علم ؛ اني قد نطقت بما لا ادرك بمعجزات تفوتني ولا اعلمها . إسمع فأتكلم. أسألك فأخبرني . كنتُ قد سمعتك سمع الأُذُن اما الان فعيني قد رأتك . فلذلك انكر مقالتي واندم في التراب والرماد ٤٢، ١ – ٦ .

٥ً – ذيل هذا السفر يذكر زجر الله لاصحاب ايوب لما رموا ايوب به من التهم، واصلاح اولائك الاصحاب، وصلاة ايوب لاجلهم . ثم يظهر انقلاب ايوب الى حالته الاولى بل الى احسن منها، لان ما كان عنده قبل مصيبته تضاعف بعد زوال هذه المصيبة عنه . بهذا ينتهي كتاب ايوب ، الذي يأخذ بمجامع قلوب قارئيه لانه تاريخ اعظم بلايا هذا الكون بنسق محاورات ترتيبيّة .

٣ً – فيما يقال في سفر ايوب من الوجهة العلمية

وان يكن كتاب ايوب لا يعتبر تاريخياً بالمعنى الحصري لانه مؤلف بصورة شعرية، إلا انه من وجهة أخرى لا يستطاع الجزم بعدم تاريخيته قطعياً، فايوب (Kaulen-Hoberg Einleitung 11.146 s q.)

شخص تاريخي (طوبيا ٢، ١٢، ١٥ : حزقيال ١٤، ١٤، ٢٠ . حيث عُدَّ ايوب مع نوح ودانيال وغيره من الاتقياء، الذين كانوا ينقذون انفسهم ببرهم، يعقوب ٥، ١١) . وهنا نبلغ نقطة فيها للعلماء من شتى الاراء، وهذه النقطة هي موطن ايوب الصديق وتدعى عوص . فاين تقع هذه البقعة من الارض، فبعضهم (مثل Kaulen Hoberg I. c.147 وغيره) .

يرتئي وجودها في حوران القريبة من دمشق في تلك السهول الخصبة المعروفة بالبثينة حيث لا يزال الى الآن بقايا دير يعرف بدير ايوب . اما البعض الآخر (مثل Zsehokke, Historia Sacra 226 وغيره من يضمون هذه البقعة، اي عوص، الى بقعة الادوميين تك ٣٦، ٢٨) فيجعلون موقعها في الجهة الشمالية من البلاد العربية وغير هاتين الفئتين من العلماء فئات جنحت الى ما هنالك من الاراء السخيفة التي نطوي عليها الكلام لعدم الفائدة من ايرادها . ثم نتابع كلامنا ماضين في ما عزاه العلماء من الاصل العربي الى ايوب، وذلك لان صاحبيه اليفاز وبلدد كان اصلهما عربياً . فاليفاز هو من قبيلة ادوم التي اخذت اصلها عن عيسو ابي القبائل العربية على الاطلاق (تك ٣٦، ١١، ١٥) لهذا قال ارميا النبي عن ادوم هكذا : على ادوم . هكذا قال ربُّ الجنود، اليست الحكمة باقية في تيمان ؟ ارميا ٤٩ : ٧ . وبلدد ايضاً كان من بقعة عربية اي شوح وموقع هذه البقعة في شمالي البلاد العربية (تك ٢٥، ٢) . واذا ثبتت الان تاريخية شخص ايوب، ينتج ارتكاز هذا السفر الشعري

الى اساس تاريخي ، الذي هو شخص ايوب (١)

اما واضع هذا السفر فلا تعرف هويته، والقدماء كانوا يعزونه الى موسى (كالتلمود والقديس متوديوس والقديس ايرونيموس) وغيرهم عزوه الى ايوب نفسه قائلين: ان ايوب كتب هذا السفر

---

(١) نشأت في عصرنا هذا مسألة جديدة حول سفر ايوب وهي: أيكون سفر ايوب متعلقاً بكتاب اكتشف حديثاً في مكتبة الملك اشور بانيبل، موسوم بكتاب الصديق المتألم، المؤلف في اللغة البابلية (اول من طبعه ونشره رولينسون H. Ravvlinson, Cuneiform Inscriptione of Western Asia IV (1873) 67, n. 2) الذي يتكلم عن الملك سوبسيميستري المصاب باشد البلايا الهائلة، والمريض والمهمل من الجميع، والمتذمر من بلاياه الشديدة الوطأة. ولما كان هذا الملك عارفاً ببرارته (على شاكلة ايوب) كان يسأل عن العلة لتلك المصائب الفادحة الى ان وصل الى نتيجة هي امكان خطائه بالمجد العالمي، لهذا سأل رحمة الآلهة. اخيراً شفي من مرضه واعيدت اليه سعادته الاولى. ففريق من العلماء [مثل ياسترو M. Iastrovv, A. Boby Coniam Parallel. To Hiab, Journal of Bibblical Littérature XXV (1906) 135 — 191] يقطع بوجوب علاقة مستقيمة بين هذين الكتابين (اي سفر ايوب وكتاب الصديق المتألم) وفريق آخر يضع لهذين الكتابين مصدراً عمومياً كان بالنسبة اليهما بمثابة الينبوع استقيا منه ما استقيا. لكن بعضاً آخر من العلماء مثل لاندرسدورفر، الراهب البندكتيني [S. Landersdorfer O. S. B., Eine Babyloniche Quelle für das Burch Iob? (bibl. Studien XVI, 2) Freiburg 1911] ينفون كل علاقة بين هذين الكتابين، لان مسألة مصائب هذه الحياة لا تختص بفئة ام بشعب من الشعوب دون باقي الفئات ام باقي الشعوب بل تشترك فيها ايضاً كل باقي الشعوب كالاشوريين والمصريين وغيرهم، وذلك برسم العناية الالهية السابق، الذي ساوى كل البشر في طريقة الآلام كما ساواهم في طريقة الولادة

في اللغـة العربية او الارامية ثم ترجم الى اللغة العبرانية ، ومن اصحاب هـذا الرأي القديس غريغوريوس الكبير في كتابه « في الادبيات » .

من المرجح ان الواضع كان عبرانياً فلسطينياً عارفاً بالشريعة الموسوية (انظر سفر ايوب ٢٤، ٢ - ١٢ والخروج ٢٢، ٢٥ واللاويين ١٩، ٩ : ٢٥، ٢ والتثنية ٢٤، ٩) والاحوال الاجتماعية اليهودية ، خصوصـاً القضائية فكان محيطاً باطرافها جيداً . اما كلمة العلماء في هذا السفر وزمان كتابته، فهي انه سام في نسقه الكتابي وفصاحته وقد وضع في عهد الملك سليمان ، العهـد الذهبي للشعر في اللغـة العبرانية . فهذا الدليل لا يقوم بالبرهان الكافي على عهـد كتابة سفرنا هذا ولذا جاز لنا ان لا نقبله ، فنبوءة اشعيا التي هي افصح ما كُتب في العهد القديم وابلغه ، كُتبت بعد سليمان بجيلين اي في عصر الانحطاط . فكتاب ايوب يفترض زمنـاً كان شديداً على بني اسرائيل اذ كانوا مبتلين ببعض البلايا . فزمان سليمان لا يطابق ما تقدم لانه (اي زمان) كان هادئاً سلمياً (ملوك ثالث ٤، ٢٥) ثم نرد عدّة تعابير ارامية واردة في هذا السفر . فالاستاذ لانديرسدوفير (Landersdorfer, Eine Babylonische quelle etc. 100 sq.) وضع حداً أعلى لكتابة سفرنا هذا سنة ٧٢٢ ق.م. آن سيقت العشرة الاسباط الى اشور (ايوب ١٢، ١٤ - ٢٥) فيستطاع استنتاج علاقة ما ، بين سفر ايوب ونبوءة ارميا لما في هذين السفرين من المشابهة العظيمة (ايوب ٣ ارميا ٢٠، ١٤ والتابع) بل ان احدهم [روير I. Royer, Die Eschatologie dés Buches Iob. (bib, Studien VI..3)

Frieburg 1901, 46 sq.] عزا الى ارميا كتابة هذا السفر . غير ان الرأي الاخير هو بغاية الضعف اذ لا مستند له قط ، واسخف من هذا هو الرأي الآتي الذي يجزم بزمان كتابة هذا السفر بعد الجلاء البابلي ، بل في عهد اليونان ، لان اصحابه يقررون كون الواضع راسخ القدم في فلسفة اليونان . وآخر ما تقدم من الاراء هو رأي ميرك (Merk, compendium X. 465 sq.) الذي يحصر كتابة هذا السفر في نهاية مملكة يهوذا وهذا الرأي يتسامح به الكثيرون من كبار العلماء لانه مشفوع ببراهين قوية لا حاجة لذكرها هنا اذ المقام مقام ايجاز فعلى الراغب ان يراجع Merk في المكان المذكور .

وهنا نجاوبه اعتراضات المعترضين وهي ليست على شيء من الصعوبة . يقول المعترضون لا نسلّم بالفصلين الـ ٤٠ والـ ٤١ اللذين يصفان بهيموت ولَوِياثان [فبهيموت مصرية الاصل ومعناها ثور الماء ، الذي يقتات من العشب شأن كل الثيران ، بخلاف ما زعم فريق من المفسّرين باطلاق هذا الاسم على الفيل . فالفيل لا يصدق عليه وصف العدد الـ ١١ من الفصل الـ ٤٠ حيث يقال : وشدّته في عضل بطنه . لان جلد بطنه ليّن . اما الحوت فاولى من الفيل بهذا الوصف . واما لوياثان فهو اسم لجنس التمساح ولا يُطلق على نوع واحد منه ، وفي اصل الاشتقاق اسم لشيء مُلتوٍ على صورة الاكليل ثم استُعير للحية والتمساح وغير ذلك مما يلتوي على نفسه . والمراد به هنا التمساح على اخصيّته] لاجل ان هذا الوصف هو بغاية الدقة وسلامة الذوق ، الذي يجب انتسابه الى كاتب حديث

العهد . اما نحن فلا نأبه لهذا البرهان الواهي لان سلامة الذوق ، كانت دائماً في كل شعب وان لم تكن عامة للجميع ، فلم تكن تُعدم منها فئة من الكتاب وإن في اول عصور الكتابة . وهذا الذوق يُخلَق في غالب الاحيان من المواضيع المراد وصفها كما في الفصلين الاخيرين من هذا السفر . الا ان المعترضين لم يقفوا عند هذا الحد من الاعتراضات بل تخطّوه الى ان قالوا بعدم صحة انتساب احاديث اليهو (مثل Driver المشار اليه قبلًا) وبرهانهم على هذا قائم على ثلاث حجج اولها : لان الكتاب لم يأتِ على ذكر اليهو لا في التوطئة ولا في الذيل ، ثانيها : لان اليهو اعاد ما فاه به اصدقاء ايوب الثلاثة وسبق فقال ما قاله الله فيما بعد ، ثالثها : ان احاديث اليهو عليها صبغة ارامية محضة ، وفيها فقر غير مستعملة . هذا ما قاله المعترضون ، من الاعتراضات ، وهنا نلقي ردنا ، كعادتنا ، على الاعتراضات السابقة .

نسلم بان ذكر اليهو لم يأتِ لا في المقدمة ولا في الذيل ، الا ان عدم ذكره هذا لا ينتج عنه عدم تاريخية احاديثه المرقومة في سفرنا هذا . فاليهو لم يكن سوى سامع اتى بطريق العرض قُبيل ابتدائه باحاديثه ببرهة وجيزة . ففي كتابنا هذا لم تسمَّ الاشخاص قبل اخذها قسماً من العمل مع ايوب ، وخصوصاً اذا لم يكن على كلامها شيء من الغبار . والحال ان اليهو لم يؤخذ بشيء في كلامه ، اذاً لم يكن ذكره ضرورياً لا في المقدمة ولا في الخاتمة من كتابنا هذا . وننتقل الآن الى الاعتراض الثاني فنقول :

ان الاعادة هنا ضرورية لان اليهو اصلح كلام ايوب وكلام اصحابه الذين تكلموا بالبهتان على الصديق ناسبين اليه الخطأ. ونمضي بردنا على ثالث الاعتراضات المتقدم ذكرها مبيّنين سفسطة الاعتراض الاخير وقائلين: ان الصبغة الارامية في احاديث اليهو لا تنفي كون قائلها هو رجل تاريخي. فقد يمكن للكاتب، الذي سطّر احاديث ايوب واصحابه، ان يجعل اليهو يتكلم، في مجرى احاديثه، بتلك الصبغة الارامية، التي يمكن للشاب الارامي التكلّم بها، وهكذا ننتهي من الاعتراضات الاولية التي تحاول هدم تاريخية هذا السفر الموحى، والسامي المعاني.

٤ً – أمِن قوة عقيدية والهية لسفر ايوب ؟

اذا تقصّينا هـذا السفر الفيناه ذا قيمة عظمى من الوجهة العقيدية، لانـه يفترض وجود الخطيئة الاصلية (١٤، ٤) ورجاء القيامة المستقبلة (١٩، ٢٥–٢٧). فالاباء [مثل القديس اكليمنضوس الروماني، في رسالته الى اهل قورنثية ٢٦ : والمعلم اوريجانوس، في شروحه على انجيل متى ٢٢، ٢٣؛ والقديس كيرلوس الاورشليمي، في كتاب تعاليمه ١٨، ١٤ – ٢٠؛ والقديس ابيفانيوس في كتابه (Ancor. 89 — 103.)؛ والقديس امبروسيوس في شروحه على المزمور الـ ١١٨ عد ١٨؛ والقديس ايرونيموس، في رسالته الـ ٥٣ عـدد ٨، والقديس اغوسطينوس في كتابه، مدينة الله، الكتاب الـ ٢٠، ٢٩...] مع بعض المفسّرين الحديثين [مثل: Patrizi, de interpretatione Sacrae

Hetzenauer,Theologia وهتسنور Scripturae:Romae 1844,II,237—353 biblica, I. 630 — 632 وغيرهما] يأخذون كشهادة عن وجود عقيدة قيامة الاجساد، كلام سفر ايوب ١٤، ٤ .

وقيمة هذا السفر الالهية تظهر في اسفار العهد الجديد، يعقوب ٥، ١١، الاولى الى القرنثيين ٣، ١٩ (انظر ايوب ٥، ١٣)، الى الرومانيين ١١، ٣٥ (ايوب ٤١، ٣) وغيرها (١)

اللهم اجعل الصبر مكيناً فينا !

---

(١) وقفنا على كلمة المنسنيور لويس ملحه، بشأن ثبوت تاريخ ايوب وسفره، في جريدة البرق الغراء في عدديها ١٢٥٠ و١٢٥١ . وقد قسمها سيادته الى اربعة مطالب فيها عالج سفر ايوب من الوجهة العلمية المختصرة فاستحق جميل الثناء . وكان بودنا نقلها بطريقة حاشية او ذيل لهذا المبحث غير اننا، وقد سلكنا طريقة الايجاز من بدء مبحثنا هذا، لم نرَ الصواب في العدول عنها، سيما وما جاء به سيادته ليس بالمتفرد به دون سواه، بل ليس هو سوى ما قلناه في مبحثنا هذا تحت نقاط مختلفة . لذلك اكتفينا بالاشارة، ولا نضن بكلمة شكر لسيادة ملحة الذي نشر تلك الكلمة بين الشعب ليذوّقه لذة هذه المباحث العلمية للكتاب الالهي . فشكرنا لك يا صاحب السيادة قبل الجميع .

الفصل الثاني

سفر المزامير

كما ان الانسان هو خلاصة الكون ، اذ انه عاقل كالملائكة وحساس كالحيوان الاعجمي ونامي كالاشجار وجامـد كالحجر ؛ هكذا سفر المزامير هو خلاصة كل العهد القديم ، اذ انه حكمي وادبي وتاريخي ونبوي . واسفار العهد القديم هدفها هذه المواضيع الاربعة ، لهذا صحّ ما قاله القديسان اغوسطينوس وتوما اللاهوتي ، فالاول قال في الرأس الاول من تفسيره سفر التكوين : ان جميع مـا تتضمنه الاسفار المقدسة يشير الى اربعة اشياء ، اولهـا بيان الحقائق الازلية وهو الحكمة والثاني ايراد الوصايا والنصائح وهو الاداب والثالث ذكر الحوادث الماضية وهو التاريخ والرابع التنويه بما يحدث في المستقبل وهو النبوءة . اما سفر المزامير فقد اشتمل على كل هـذه الاشياء . والقديس توما تبع القديس اغوسطينوس بقوله : ان الاقوال التي تتلى في الكنيسة الكاثوليكية اتخذ معظمها من سفر المزامير لان هذا الكتاب يتضمن جميع الاسفار الالهية (في مقدمة تفسير كتاب المزامير) .

١ – مصدر الاسم

مزمور لفظة عبرانية [(ܡܙܡܘܪ) تفسّر بمرتل ، اسم مفعول من ܙܡܪ الذي هو وزن فعّل من ܙܡܪ = قطع ، لكن ܙܡܪ يُفسّر

بَرَّتل .] تُترجَم عربياً بما كان يُترنَّم به من الاناشيد والادعية . غير انها ترجمة لفظة يونانية (أتت على ذكرها النسخة السبعينية) Psalmos ، التي معناها لمس القيثارة او نتيجة هذا اللمس ، اي الرنة الصادرة عن هذا اللمس . انما اسم الآلة هو Psalterion ، اي آلة موسيقية ترجمتها العبرانية ܢܒܠܐ .

٢ — عناوين المزامير مع عددها وتجزئتها .

١ً العناوين سبعة اولاً مزمور (مزمور ٣) ، ثانياً تسبحة (مزمور ٧) ، ثالثاً صلاة (مزمور ١٦) ، رابعاً الغناء (اشعيا ٢٣ ، ١٦) ، خامساً هللويا (مزمور ١٤٥) ، سادساً تعليم (مزمور ١٤٥) ، سابعاً كتابة (مزمور ١٥) . هذا ما لحظناه عن الترجمة العربية التي اخذت اصلها عن العبرانية . فاول هذه العناوين يسمى في العبرانية ܡܙܡܘܪ ، وثانيها ܫܓܝܘܢ ، وثالثها ܬܦܠܬܐ ، ورابعها ܫܝܪ ، خامسها ܗܠܠܘܝܗ ، سادسا ܡܫܟܠܐ ، واخيرها ܡܟܬܡ .

٢ً عدد المزامير . اما عدد المزامير فهو ١٥٠ مزموراً . غير ان هذا العدد يختلف ترتيبه في النسخة العبرانية عن السبعينية والعامة .

هاك وجه الاختلاف :

النسخة العبرانية	النسختان الـ ٧٠ والعامة
٩ + ١٠	٩
١١ — ١١٣	١٠ — ١١٣
١١٦ ، ١ — ٩	١١٤

١١٦، ١٠ — ١٩	١١٥
١١٧ — ١٤٦	١١٦ — ١٤٥
١٤٧، ١ — ١١	١٤٦
١٤٧، ١٢ — ٢٠	١٤٧
١٤٨ — ١٥٠	١٤٨ — ١٥٠

٣ً — تقسيم المزامير. هذه المزامير (في النسخ العبرانية) تُقسم الى خمسة اقسام، كل منها ينتهي بفقرة هي : مبارك الرب اله اسرائيل من الابد والى الابد الابدين آمين، وما هو بمعناها من التبريك لله.

اليك بهذه الاقسام :

١ً — مزمور ١ — ٤٠؛ ٢ً — مزمور ٤١ — ٧١؛ ٣ً — مزمور ٧٢ - ٨٨؛ ٤ً — مزمور ٨٩ — ١٠٥؛ ٥ً — مزمور ١٠٦ — ١٥٠ . فارقام هذه المزامير تطابق فقط النسخ : السبعينية والعامة والعربية دون العبرانية. وهذه التجزئة قديمة لكنها سهلة واضحة.

٣ — الاسمان الالهيان، الكائن والاله في سفر المزامير.

اذا قرأنا بامعان هذا السفر قراءة المتفحص وجدناه ممتلئاً من ترديد هذين الاسمين العظيمين، اللذين خُصا بعلة العلل في العهد القديم. فلفظة كائن تأتي في هذا السفر ٦٨٥ مرة؛ ٢٧٢ في القسم الاول، ٣٠ في القسم الثاني، ٤٤ في القسم الثالث، ١٠٣ في القسم الرابع، ٢٣٦ في القسم الخامس. واما لفظة الاله فانها مسطَّرة ٢٢٩ مرّة في هذا السفر،

١٥ في القسم الاول، ١٦٤ في القسم الثاني، ٤٣ في القسم الثالث، ٧ في القسم الخامس. هذا مما يدل على ان سفرنا هذا جاري استعمال الاسفار التي سبقته عهداً كفي استعمال لفظة الاله، وعمّم ما كان في الاستعمال نادراً كفي استعمال لفظة الكائن. هذا ما اقتضى ان نلفت نظر القارىء اليه كي يحيط علماً بما يلزم من هذه الوجهة المفيدة.

٤ – جولة في عهد ومدلول العناوين السابقة.

رأيت سابقاً ان مزامير هذا السفر متميزة عن بعضها وسمة تمييزها هو العنوان، مدلول المزمور، وهذا العنوان يؤلف فاتحة المزمور. ففي النسخة العامة مزموران فقط بغير عنوان (١ و ٢)، واما في النسخة العبرانية فتجد اربعة وثلاثين مزموراً عديمي الديباجة (١، ٢، ١٠، ٣٣، ٧١، ٩١، ٩٣ – ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٧، ١١١–١١٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦–١٥٠). والعناوين تدلّ إما عن واضع المزامير إما عن ظرف تأليفها اما عن نوع الموسيقى، إما عن الجنس الكتابي إما عن الاستعمال الطقسي، إما عن الميزة الشعرية. وعناوين المزامير لا يستهان بقدمية جزء منها، لان في القسم الخامس، الذي (١٠٦–١٥٠) يحوي عدة مزامير صنّفت في الجلاء البابلي او بعده، من النادر ان ترى عناوين، مما يجب التحصيل منه كون العناوين سبقت الجلاء البابلي. ومن جهة اخرى لا يمكن التسليم بصدور هذه العناوين عن المصنفين انفسهم، لان هذ التسليم، خصوصاً بالنظر الى العناوين الداودية، يخالف الحقيقة التاريخية. فالعناوين في المزامير

الداودية ، تطابق تمام المطابقة سفري صموئيل (ملوك اول وثان)
[مزمور ١٧ (١٨) ، ١ ملوك ثان ٢٢ ، ١ ؛ مزمور ٥١ (٥٢) ،
٢ ملوك اول ٢٢ ، ٩ ؛ مزمور ٥٣ (٥٤) ، ٢ ملوك اول ١٣ ، ١٩ الخ]
فهل يمكن ان تكون سُلخت هذه العناوين عن سفري صموئيل ؟
كلاّ . لان هذين السفرين [اي ملوك اول وثان] وضعا بعد موت
الملك داود . لهذا نرجح ان واضعي هذه العناوين هم مرتبو هذه
المزامير وجامعوها .

والآن فلا بأس من وضع كلمة حول من تعود اليهم هـذه
العناوين . نتبع في كلمتنا هنا النسخة العامة ، التي على غرارها طُبعت
النسخة العربية ، التي يتداولها ابناء الضاد (لان في هذا الموضوع
تختلف النسخ) . فالنسخة العربية تنسب الى داود ثلاثـة وسبعين
مزموراً (٣ – ٩ ، ١١ – ٣٢ ، ٣٤ – ٤١ ، ٥١ – ٦٥ ، ٦٨ – ٧٠ ،
٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٨ = ١١٠ ، ١٢٢ = ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨
= ١٤٥) . والى موسى مزموراً واحداً بصورة صلاة (٨٩) ؛ والى
سليمان مزمورين (٧١ ؛ ١٢٦) ؛ والى بني قورح احد عشر مزموراً
(٤١ ؛ ٤٣ = ٤٨ ، ٨٣ ؛ ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧) ، والى آصاف اثني عشر
مزموراً (٤٩ ، ٧٢ – ٨٢) والى أيتان الازراحيّ مزموراً واحـداً
(٨٨) . فمجموع ما تقدم من المزامير ١٠١ ، والتسعة والاربعون
الباقية ، منها عديمة العنوان ، وهي ثمانية وعشرون مزموراً (١ ،
٢ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٩ = ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٣ =
١١٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧) ، ومنها معنونة بهللويا وهي تسعة

(١٠٥، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٣٤، ١٤٥، ١٤٨ — ١٥٠)، ومنها مفتتحة بنشيد المراقي وهي عشرة (١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٩- ١٣٣)، ومنها مصدرة بلفظة لامام الغناء وهي اثنان (٦٥، ٦٦).

فبعض اسماء الاعلام [كداود وسليمان (اسفار الملوك) وموسى (الاسفار الخمسة الاولى)] اتينا على ذكرها في الفصول السابقة بقي ان نضع كلمة في من هم الاشخاص الآتون ، آصاف ، أيتان الازراحي وبنو قورح.

اولاً بنو قورح هم من صلب قورح الذي قاوم موسى مع داثان وابيرام (عدد ١١) غير ان بنيه رفضوا الموافقة على جريمته لهذا لم ينلهم العقاب الذي أُنزل به (اي قورح) (٢٦، ١١) ؛ وما زال بنو قورح من عهد يوشافاط منتظمين في عداد المرتلين في الهيكل (اخبار الايام الثاني ٢٠، ١٩) . ومما يرجح بان هذه المزامير القورحية صُنفت في عهد حزقيا ايام غزاه سنحارب (ملوك رابع ١٨، ١٩).

ثانياً آصاف . هذا كان رائياً ايام داود (اخبار الايام الثاني ٢٩، ٣٠) ومغنياً شهيراً ، ضرب قسماً كبيراً في دار الملك ، وبعض الاباء يوحّد بنيه وبين امام الغناء ، وهذا قريب جداً من الحقيقة كما نرى .

ثالثاً أيتان . الذي عاصر سليمان الملك ، واسم ابيه قوشايا (اخبار الايام الاول ١٥، ٧)..

فما نسبناه ال داود وموسى وسليمان وآصاف وو... من المزامير

هو طبق ما اظهرته النسخة العامة ، التي خرجت عنها نسختنا العربية. واذا انعمنا النظر جيداً في النسخ العبرانية وجدنا فرقاً عظيماً في عدد المزامير بينها وبين النسخة العامة ، التي تبعناها.

٥ – قسمة العناوين الى تاريخية وادبية وطقسية وموسيقية

فالمزامير التاريخية تروي بعض حوادث أتى على ذكرها سفرا صموئيل (ملوك اول وثاني) وهي ثلاثة عشر مزموراً (٣ ، ٧ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٤٢) واذا تناولناها بنظرة علمية وأيناها تسير في سرد الحوادث ، سير التاريخ القديم ، لكنها تمتاز عنه بنسقها الفخيم ووضع الحكم الانتقادي على كل حادث وصفته . اما ترقيب الزمان فلا وجود له فيها .

واما المزامير الادبية فلها شأن عظيم في سفرنا هذا اذ لاجلها حقّ لهذا الكتاب ان يوضع في عداد الاسفار الحكمية ، وهي تؤلف اكثر من نصف سفرنا ، ومعانيها سامية اما النسق فعالٍ وشعري ، وفي حكمها تتخذ الله شاهداً قوياً وحاكماً عاماً . خلاصة القول ان حكمها ترتكز على الالوهية المطلقة اي التوحيد . وما نلحظه في هذه المزامير ، الدقة والتأثير اللذان يقعان موقعاً حسناً في نفس القارىء . فان القارىء لا يتمالك من اظهار عطفه على بطل المزمور وخصوصاً عند تصوير هذا البطل بصورة الكسير القلب والحزين الروح (مزمور ٦)

ثم المزامير الطقسية التي تصف بعض طقوس الشعب الاسرائيلي

ايام واضع هذه المزامير ، منها المزامير : ٣٠ ، ٣٨ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٠
والمزامير المفتتحة بنشيد المراقي هي ايضاً طقسية لمدلول معناها على
هذا ، كما ارتأت جماعة من العلماء ، من انها ، على اكثرية الاحتمال ،
كانت مكرّسة للصعود من بهو النساء الى بهو الهيكل ، او للصعود
من اماكن فلسطينية الى الهيكل ايام الاعياد (١٢٠ - ١٣٤)

اخيراً المزامير الموسيقية تصف الآلات التي يجب ان تستعمل
في تلاوة المزمور واللحن الواجب توقيع هذا المزمور عليه [مثلاً :
لامام الغناء على ذوات الاوتار ٤ . لامام الغناء على ذوات النفخ ٥
لامام الغناء على ذوات الاوتار على الدرجة الثامنة ٦ ، لامام الغناء
على الجتية ٨ ، لامام الغناء على أيلة الصبح ٢١ ، لامام الغناء على
الحمام البكماء بين الغرباء ٥٥ ، لامام الغناء على يُدوتون (اي الامام
على المغنين من سلالة يدوتون) ٦١ ... الخ]

٦ - ماذا يكونان « سلاه » وإ « إمام الغناء » ؟

تُعاد هذه اللفظة ܣܠܗ = Diapsalma = Semper = سلاه ، في
تسعة وثلاثين مزموراً ، اما في النسخة العبرانية فتعاد احدى وسبعين
مرة . فالعامة تهمل ترجمة هذه اللفظة اغلب الاحيان وعندما تترجها
تضع مكانها لفظة Semper = دائماً . ومعناها مختلف حسب اختلاف
اراء العلماء ، بعضهم يدل بها على ارتفاع الصوت ، واخرون يزعمون
انها تشير الى الوقت الذي فيه يجب ان تحنى اجساد المرتلين والشعب
وغيرهم يقولون : انها عبارة عن السكوت بالامر او الوقف ايعازاً

للمنشدين ان يقطعوا الغناء ويتخذوا فترة تنفرد فيها الآلات الموسيقية بالتلحين ... وغيرهم ... وفوق كل ذي علم عليم .

اما اللفظة الثانية لامام الغناء = ܠܢܨܚܢܐ =Eis To Télos-In finem فتُفسّر بالنهاية ، كما ارتأى علماء « الفيلولوجي » اي بعد ان يكون وضع المزمور المفتتح بالإمام الغناء يُرسل لامام الغناء ليوقعه على احد الالحان الموسيقية . وذوات الاوتار هي آلات الطرب التي كانت تصحب التلحين الذي كان يراد التغني به على الات الاوتار دون النفخ .

٧ — سفر المزامير ازاء الحقلين العلمي والانتقادي —

ان فئة من العلماء تنضم الى التقليد اليهودي في رأيها في من هو واضع سفر المزامير . فقسم يعزو كتابة المائة والخمسين مزموراً الى داود (كالقديس ايرونيموس ، في توطئة كتابه لسفر المزامير ٦ والقديس اغوسطينوس في كتابه مدينة الله ١٧ فصل١٤) قائلين ان داود نفسه ذكر في هذه المزامير غيره من الناس بالنظر الى ما يرجع اليهم من العلاقة التصويرية (انظر كتاب شرح المزامير ٥٥ توطئة للقديس يوحنا فم الذهب) لكن البعض الاخر يرفض هذا الرأي ضارباً به عرض الحائط رغم احترامه للقائلين به ومن اصحاب الرأي الثاني القديس هيلاريوس في كتابه شرح المزامير نمرو ٢ توطئة ، ثم القديس ايرونيموس نفسه في رسالته الـ١٤٠ (١٣٩) الموجهة لكبريانوس نمرو٢ . لكننا نجد رأياً ثالثاً يخالف الرأيين المتقدمين هو

رأي بعض العلماء الحديثين من يخطئون بالنقصان، من المتجندين لهذا الرأي ديلتش (Franc Delitzsch) يعرف لداود ٤٤ مزموراً؛ وشولتس (Schultz) ٣٦، وغيرها اقل الى ان نصل الى مينوكي (Minocchi) الذي لا ينسب الى داود سوى قسم فقط من المزمور الـ ١٨ (انظر كتابه : Il Salterio Davidico, Studi religiosi V (1905) 389 — 408

اما نحن، بعد كل ما تقدم، فنقرّ بان لداود بعض المزامير لا كلها، وادلتنا كثيرة اهمها الثلاثة الاتية :

اولاً اسفار، صموئيل والايام وعاموص ونحميا (ملوك اول ١٦، ١٧، ١٨، ١٠، ملوك ثاني ١، ١٨ = ٢٧؛ ٣، ٣٣؛ ٢٢، ١، ٤١، ٢٣؛ ١؛ سفر اخبار الايام الاول ١٤، ٤ ؛ ٣٧، ٤١ ؛ ٣٣، ٥ ؛ عاموص ٦، ٥ ؛ نحميا ١٢، ٣٥)

ثانياً تلك الاسفار التي سطرها كتبة الاسفار المنسوبة اليهم مزمور ١٧ (١٨) = ملوك ثاني ٢٢، ١=٥١ .

مزمور ١٠٩ (١١٠) = متى ٢٢، ٤٣ والتابع مرقس ٢١، ٣٥= ٣٧، لوقا ٢٠، ٤١ = ٤٤، اعمال الرسل ٢، ٣٤

مزمور ٢ = اعمال الرسل ٤، ٢٥

مزمور ١٥ (١٦) = اعمال الرسل ٢، ٢٥ والتابع، ١٣، ٣٥

مزمور ٣١ (٣٢) = رسالة الرومانيين ٤، ٦=٨

« ٦٨ (٦٩) = اعمال الرسل ١، ٦، ٢٠

« ١٠٨ (١٠٩) = اعمال الرسل ١، ٢٠

ثالثاً من مقابلة النسخة العبرانية مع باقي النسخ تتبيّن صحة العناوين ، التي وضعت طبقاً للتقليد العام الصحيح .

اذن لماذا بعض العلماء القديين والحديثين هم في حيرة وارتياب من هذه المسألة ؟

أيكون زمان المكابيين عهد وضع بعض مزامير ؟

اختلف فيه . فكلفينوس نسب الى عهد المكابيين وضع ثلاثة مزامير ٤٣ (٤٤) ، ٧٣ (٧٤) ، ٧٨ (٧٩) . وغيره ٢٦ مزموراً وغيره غير هذا ، لكنّ فريقاً آخر ينفي بتاتاً تأليف اي كان من هذه المزامير في العهد المكابي . والواقع ان سفر المكابيين الاول ٧ ، ١٧ يسطر المزمور ٨٨ (٨٩) لكنه يسبق بهذه الفقرة « حسب الكلمة المكتوبة » . اذا لم يسطر فور تأليفه بل نقل عن كتاب آخر . والنسخة اليونانية ، التي كانت في الوجود قبل الجيل الثاني ، تحوي كل مزامير سفرنا هذا . لهذا من الضروري التسليم بوجود المزامير قبل عهد المكابيين .

وبعد ما تقدم نتخطى الى الكلام في تقسيم المزامير فانها (اي المزامير) تنقسم الى ثلاثة اقسام اولها واقدمها عهداً المزامير الكائنية (التي تذكر الكائن مراراً عديدة) وهي ٤١ مزموراً ، ثانيها واوسطها عهداً المزامير الالهية (التي فيها يذكر الاله مراراً كثيرة) وهي من ٤٢ الى ٨٣ ، وثالثها واحدثها عهداً كل المزامير الباقية (٨٤ — ١٥٠) .

وقد قسمنا المزامير اولاً الى خمسة اقسام من حيث المعنى ،

وقسمناها هنا الى ثلاثة من حيث الزمان. والآن وجب علينا درسها حسب معناها : عهد انضمام مزامير القسم الاول يكون عهد داود وسليمان ابنه للاستعمال الطقسي (انظر ما يروي سفر اخبار الايام الاول من ترتيب داود للمرتلين : اخبار الايام الاول ١٦، ٧، ٤١). وعهد انضمام القسم الثاني [الذي يؤلف من مزامير بني قورح ٤١ (٤٢) = ٤٨ (٤٩) ومزمور سليمان ٧١ ومزمور آصاف ٤٩ (٥٠) وبعض مزامير قليلة لداود] يتحد مع زمان حزقيا، على اكثرية الاحتمال. اما عهد جمع مزامير القسم الثالث (مزمور لداود وخمسة لبني قورح ثم ١١ لآصاف) فلا يبعد من ان يكون ايضاً في زمان حزقيا. بقي اخيرا القسمان الاخيران، اي الرابع والخامس اللذان وُضعا في زمان الجلاء البابلي.

٨ – نسخ سفرنا هذا مع المزامير المسيحية.

بعد ما تقدم يجدر بنا ان نقول كلمة في بعض النسخ الوجيهة في الاهمية، على غرار النسخة العبرانية الاصلية طبعت النسخة اليونانية، ان جاز لنا هذا القول، وهذه الاخيرة ليست على تمام الدقة الواجب انتظارها من نسخة كهذه بل مشوهة بعض التشوية، الذي انتقل منها بعدئذٍ الى النسخة اللاتينيّة. غير ان هذا الخلل في النسخة اللاتينيّة قد سدَّه المعلم ايرونيموس اذ اصلح الترجمة، بعد ان حضَّهُ على هذا البابا داماسو. وهذه النسخة التي اخرجها القديس ايرونيموس الى الوجود أُدخِلَت في المحيط الطقسي في الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية

وسُمِّيت بكتاب المزامير الروماني . وقولنا ان القديس ايرونيموس اصلح ما كان مشوهاً لا يعني انه دقّق في الاصلاح بل اكتفى بسدّ ما كان من تشويه ظاهر . لهذا لم يرق هذا الاصلاح كثيراً للبعض حتى ولا لنفس منزله (ايرونيموس) . ففي سنة تتراوح ما بين ٣٨٦ و٣٩٣ عزم علامتنا ايرونيموس على ترجمة ثانية لهذا السفر تفي بالمرام، ينبذ ما كان مشتبهاً به من الخطأ حتى المعنوي، وابرز عزمه الى الوجود مستنداً في هذه الترجمة الثانية الى النسخة الاوريجانية، التي كان موطنها المكتبة القيصرية . واخرج ترجمة ادقّ واصحّ واوفى للمعنى من الاولى، فعمت في بلاد غاليا (فرنسا حالياً) لهذا دُعيت بالنسخة الغالية وليست هي سوى النسخة العامة الشهيرة، التي تتداولها الكنيسة اللاتينية جمعاء والتي قرظها المجمع التريدنتي وحكم بالاعتماد عليها في المسائل الايمانية والعقيدية . اما النسخة الرومانية القديمة فلا تستعمل الآن سوى في كاتدرائية القديس بطرس في رومية وفي مدينة ميلانو حسب الطقس الامبروسياني، وقديماً لم يُعَمّ استعمالها في الكنيسة اللاتينية .

وعلى وشك انتهائنا من هذه النقطة يجمل بنا قول كلمة في بعض مزامير تُدعى بالمزامير المسيحية . فسفر المزامير اشهر كتب العهد القديم في وصفه حالة المسيح الموعود به قديماً . ففي عدة مزامير نرى حالة ربنا مسطَّرة باوضح الاساليب الممكنة . هذه المزامير منها مسيحية نظراً لحرفيتها ومنها مسيحية نظراً لرموزها ١) فالمسيحية بالنظر الى حرفيتها هي ستة: اولها المزمور الثاني ومعناه

ان الشعوب وملوكهم انما يقاومون الرب ومسيحه سدىً ويسخر الرب منهم وسيُهيلهم بغضبه اما ملكهم فهو المسيح وهو ابن الله المولود في الازلية الحال الدائمة ، وقد اقامه الله ملكاً على جميع الشعوب وسيحطِم المقاومين بين يديه . اذاً من الواجب خضوع جميع الملوك مع شعوبهم لملكه (اعمال الرسل ٤ ، ٢٥ والتابع ١٣ ، ٣٣ عبر : ١ ، ٥)

وثانيها المزمور الخامس عشر الذي يحوي قسمين ثانيهما لا يصح إلا على المسيح ، حسب هذا القول : لانك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً (اعمال الرسل ٢ ، ٢٥ ، ٣١ ؛ ١٣ ، ٣٥)

وثالثها المزمور الحادي والعشرون ، المتضمن وصفاً دقيقاً ومفصلاً لآلام المسيح ، وارتداد الامم وكل الخيرات التي تترتب على موت وقيامة المخلص الذي يحق له التعظيم الاولي (متى ٢٧ ، ٤٦ والتابع)

ورابعها المزمور الرابع والاربعون وفيه وصف خطبة السيد المسيح لكنيسته . ثم يصف المسيح بالملك والكنيسة بالملكة (عبر : ١ ، ٨)

خامسها المزمور الحادي والسبعون الشارح ملك المسيح وابديته ومداه الغير المحدود (متى ٢٢ ، ٤٣ والتابع)

اما سادسها فالمزمور المائة والتاسع المؤتي على ذكر عظمة المسيح الراهنة وملكوته الابدي وكهنوته الدائم . لهذا المزمور من السمو ما ليس لغيره لانه بكامله كتلة نبوآت عظيمة (عبر ٥ ، ٥ ؛ ٧ ، ١ والتابع) .

٢ً – اخيراً المسيحيّة الرمزية، التي تلامس طرفين، حرفي ورمزي فالاول يتحقق في الواضع او في من يوصف فيه، اما الثاني فيُنسب الى المسيح، مثلاً، مزمور ١٠٨ (عبر ٢، ٦–٨) مزمور٨٦ (يوحنا ٢، ١٧، ١٥، ٢٥) مزمور١٠٨ (اعمال الرسل١، ٢٠).

٩ – مضمون سفر المزامير

ان سفرنا هذا يحوي الأناشيد وصلوات ثم احاديث تاريخية وادبية

الاناشيد. هذه الاناشيد تصف كمالات الله وعظمته القدوسة، والمزامير التي تحتوي في فقراتها على بعض الأناشيد هي التالية: ٨، ٩، ٢٣، ٢٩، ٣٣، ٧٥، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤ ١١١، ١١٣، ١١٧، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ٢٤٨

ثانياً الصلوات. اما المعتبرة كصلوات الى الله فهي المزامير التي فيها يسأل العون الالهي في اوقات الشدائد. هاك بعضها: ٤، ٥، ٧، ٩، ١٠، ٢٠، ٢٥، الخ..

ثم الاحاديث التاريخية التي تأتي على ذكر ما وعد اللهُ اسرائيل به وما اتمّه له (اي لاسرائيل) منها: ٧٨، ١٠٥، ١٠٦ الخ.

اخرها الاحاديث الادبيّة التي توضح التعاليم الادبية الحكمية والخلاصية، ثم تحثّ على محبة الله التي هي اصل كل محبة؛ ١، ١١، ١٥، ٢٤، ٤٩، ٨٢، ... الخ.

الفصل الثالث

سفر الامثال

نرى في النسخة العبرانية فاتحة الفصل الاول هكذا : ܡܬܠܐ ܫܠܝܡܘܢ = امثال سليمان . فالمرجَّح ان صدور عنوان هذا السفر اخذ اصله عن هذه الفاتحة مع تقدير اسم سليمان . غير ان اسم ܡܬܠܐ العبراني له معانٍ كثير : ١ً مثل بمعناه الحقيقي (ملوك اول ١٠ ، ٢٢) . ٢ً مثل بمعنى عبرة او احدوثة (ارميا ٢٤ ، ٩) ٣ً مثل بمعنى قاعدة حكمية او قول حكمي ٤ً مثل بمعنى التشبيه (حزقيال١٧ ، ٢) ثم يأتي ايضاً بمعنى التشبيه والمقابلة . وبعض الاباء دعوا هذا السفر بالحكمة = Sofia او بحكمة سليمان Sapientia Salomonis.

من قرأ هذا السفر تأثر من ضروب الحكمة الواردة فيه فانه لا يترك صنفاً من البشر الا ويأتيه بالملائم لحالته ، فيهذب الاولاد ويردع الشبان عن المحرمات وينصح الشيوخ باقوال غاية في الحكمة حقاً ان المصنِّف بوضعه هذا السفر قد حاز قصبات التفوق على جوقة الفلاسفة بلا مرد في اعطائه الحكم ، وقد اتسع امامه المجال للابداع فابدع .

من يقرأ هذا السفر من المحال ألا يجد دواء ناجعاً لدائه الادبي مهما عظم ، وهذا الدواء سطَّره المصنف باسلوب رقيق مراعياً فيه كل ضروب البديع المعنوي واللفظي ومورداً اهم انواع التشبيه .

حقاً انه لكتاب سامي المعاني دقيق البسط عالي النوع، وبالاختصار انه تحفة جليلة نفيسة يجب الاحتفاظ بها لانه يبسط كل احوال فئات البشر كما هي عليه دون ادنى غلو واغراق.

٦ - تجزئة هذا السفر

قسم العلماء هذا السفر الى جزئين دون التوطئة، التي تتناول التسعة الفصول الاولى؛ كجسم لها.

اولاً - التوطئة ١-٩

تُسطّر بعض اشياء في هذه الفصول، كالعنوان والحديث الاول التمهيدي الذي به يحض الحكيم الشبان على اقتباس الحكمة. اخيراً حديث يأتي على ذكر مدائح الحكمة الالهية.

ثانياً - الجزء الاول ١٠ - ٢٢، ١٠

في هذا الجزء تبان المجموعة الاولى لامثال سليمان، وفيها تبسط قواعد الحياة دون ايما ترتيب. ثم يلتحق بهذا الجزء الاول ذيلان، اولهما يختص بكلام بعض الحكماء ٢٢، ١٧ - ٢٤، ٢٢؛ وثانيهما بكلام البعض الآخر منهم ٢٤، ٢٣ - ٢٤.

ثالثاً - الجزء الثاني ٢٥ - ٢٩

يُصرَح في هذا الجزء بان رجال حزقيا الملك جمعوا هذه الامثال لسليمان. وهذه الامثال شديدة اللهجة لمن توجه اليهم. ثم يتبع هذا الجزء ثلاثة ذيول اولها يشغل الفصل الثلاثين، الذي هو كلام آحور بن ياقة. وثانيها الحاوي التسعة الاعداد الاولى من

الفصل الحادي والثلاثين التي تتضمن وصية ام الملك لموئيل لابنها الملك من نهيها اياه عن شرب الخمرة وحضها اياه لاستماع دعاوي الخرس . اما ثالث هذه الذيول فيصوّر المرأة الفاضلة واصفاً اياها باجمل الاوصاف . وهكذا ينتهي هذا السفر .

فاول المجموعتين المتقدمتين تحوي ٣٧٥ مثلاً مسطراً بقالب شعري صرف .

٢ً — المهجر العلمي على سفرنا هذا

جمع هذا السفر لم يتم في زمان واحد بل في ازمنة مختلفة وذلك طبقاً لما هو مصرح في الفصل العاشر : امثال سليمان ، وفي الفصل الخامس والعشرين : هذه ايضاً امثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا .

فمن قول هذين السفرين وفاتحة الفصل الاول من هذا السفر يمكننا استنتاج هذا الامر ، وهو ان كتابنا هذا مؤلف من ثلاث مجموعات . الاولى منها ، تحوي الفصول التسعة الاولى طبقاً لفاتحة الفصل الاول . فبعض العلماء مثل كنابنبور (Knabenbauer, commentarius in proverbia, Parisiis, 1910, 13) وفاكاري (Vaccari, de libris didacticis 52) وغيرهما ينفون نسبة هذه المجموعة الى سليمان ويعزونها الى جامع اتى بعده . اما البعض الآخر فيخص سليمان ليس فقط بهذه المجموعة بل بكل كتابنا هذا ، منهم لامي (Lamy, Introdutio II 122) وسكوكه (Zschokke, Historia Sacra 214 sq.)

اما المجموعة الثانية فينسبونها بحق الى سليمان، الذي يظهر لنا من مزية وصفه للملوك (١٦، ١٣ والتابع؛ ٢٠، ٨ والتابع). غير ان نشر امثال هذه المجموعة أكان من سليمان ام من غيره احدث عهداً منه، فلا نعلم لان اراء العلماء تتباين وتتضارب في ذلك

وثالثة مجموعات هذه الامثال المؤلفة من الفصول ٢٥ – ٢٩، جمعتها رجال حزقيا الذي، لا شك، حثّ اولياً على هذا الصنيع. يجمع رأي العلماء على ان سليمان هو واضع هـذه الامثال، التي يبلغ عددها الـ ٣٠٠٠، وهي غاية في الحكمة والادب.

ننتقل الان الى نقطة ثانية، هي هوية آحور بن ياقة وهوية لموئيل الملك. فيتساءل العلماء عن هذين الشخصين اللذين يشغلان الفصلين الاخيرين من سفرنا هذا. هنـا ينقسم العلماء الى فئتين، الاولى تقف موقف الحياد من هذا الامر (منها هوفل Hôpfl).

واما الثانية فتتبع رأي الرابنيين وتحكم بان لموئيل هو رمز لسليمان، الذي اثناء مدحه المرأة نوّه عن امه بتشباع. لكن اجور فلم يخرج عن دائرة الارتياب سواء أكان من الفئة الاولى ام من الثانية. اما نحن فنرتأي بكون آحور هو احد قضاة او حكماء مملكة اسرائيل ايام سليمان وقد يكون ايضاً احد وزراء هـذا الاخير او مشيريه النبيهين. وفوق كل ذي علم عليم.

ثم تنتصب امامنا نقطة ثالثة، هي تأثير الفلسفة اليونانية على هذا السفر: بعضهم ككورنيل (Cornill, Einleitung VII, 1913, 258) وغيره يزعمون ان تأثير الفلسفة اليونانية على هذا السفر فعل فعله

بنوع انهم اثبتوا بقولهم : ان المرأة الاجنبية المؤتى على ذكرها في الفصول ٢، ١٦ - ٢٢، ٥، ١ - ٢٠، ٢٣، ٢٦ - ٢٨ ليست سوى تصوير المعارف اليونانية، التي اكتسحت البلاد اليهودية. وتشخيص الحكمة في الفصلين ٨ - ٩ ليس سوى النظرية اليونانية عينها

فردنا على هذا الاراء المتقدمة، التي تفترض التأثير اليوناني على سفرنا هذا، بسيط. من وجهة كون هذه الاراء المعطاة هي مجانية نقول : ان ما يُثبت مجاناً ينفى مجاناً. غير ان ما قيل عن المرأة الاجنبية يجب حمله على الوجه الحقيقي لا الوهمي او الرمزي لان الواضع يريد اطلاع الشبان على الامانة الزوجية وردعهم عن الزواج الباطل. وتشخيص الفضائل هو موجود حتى في باقي اسفار العهد القديم (مزمور ٨٤، ١١؛ ٨٨، ١٥ ؛ اشعيا ٥٩، ١٤ الخ) وهي عند جميع الامم الشرقية القديمة جارية في طور الاستعمال الكلامي والكتابي.

ولا نكاد نحلّ عقدة الا ونصادف اخرى، فها نقطة رابعة تتبع ما تقدم من النقاط. وهذه النقطة يشوقها ان ترى تأثيراً مصرياً يلبس جسم هذا السفر، ويغطي منه جميع الاطراف. فالعالم بودج (Budge, Egyptian Hieratic Papyri in the Brithish Museum, second Series, London 1923) نشر سنة ١٩٢٣ كتاباً مصرياً قديماً عُنون بكتاب «تعليم امونيموفي» وهذا الكتاب يتفق مع سفر الامثال في كثير من التعاليم (٢٢، ١٧ - ٢٤، ٢٢ امثال) لهذا ارتأى بعض العلماء مثل ارمان وغيره، كون سفر الامثال تأثر

بالتعاليم المصرية وبنوع اخص بهذا الكتاب المكتشف حديثاً «تعليم امونيموفي) . فرداً على هذا الزعم نقول : ان نتيجة الاختبار البشري في الاستعمال العام ، هو عام ، سواء أكان في مصر ام في فلسطين ام في اوروبا ام في غيرها من الاماكن . وبهذا ردٌّ كاف على اصحاب هذا الزعم الاخير .

٣ – مرور سريع بنسخ هذا السفر وبقوته الالهية .

يوجد تغاير في ترتيب النسخ اخصها السبعينية ثم العبرانية والعامة. فالسبعينية تخالف في الترتيب النسختين الاخيرتين ثم تتوسع ، زيادة على غيرها ، بإلحاق الذيول والحواشي على الاصل ، غير ان جوهر المعنى في كل هذه النسخ لا يعتريه ادنى تغيير ، فالزيادات في النسخة السبعينية ليست سوى شروح لبعض آي غامضة .

نخطو الآن الى قوة هذا السفر الالهية التي يظهرها العهد الجديد [رسالة القديس يعقوب ٤ ، ٦ ورسالة القديس بطرس الاولى ٥ ، ٥ = ويعطي نعمته للمتواضعين ؛ امثال ٣ ، ٣٤ (في النسخة السبعينية) ثم رسالة القديس بولس الى العبرانيين ١٢ ، ٥ والتابع = يا بني لا تهمل ادب الرب : امثال ٣ ، ١١ . ورسالة بطرس الثانية ٢ ، ٢٢ ؛ امثال ٢٦ ، ١١] .

اما جوقة الاباء فتسلم بقوة هذا السفر الالهية خلا تاودوروس المبسوسطي .

يؤتى في هذا السفر (فصول ٨ – ٩) على ذكر مصدر الحكمة

التي لا تطلق سوى على الحكمة المتجسدة التي خرجت عن الآب. وبقوة هذا الخروج او الصدور اضحت مبدا جميع الاشياء ولها مطلق السلطان عليها، نعني بها ربنا يسوع المسيح الكلي القداسة والخالق المطلق. وبنوع ثنوي تطلق ايضاً على الكلية الطهر سيدتنا مريم العذراء، اذ هي (اي مريم) والدة الكلمة ابن الله، ذاك الذي بات الحكمة المتجسدة كما اسلفنا.

الفصل الرابع

سفر الجامعة

عنوانه العبراني ܩܘܗܠܬ = الجامعة، يدل على الحكيم الذي يتكلم في الجماعة (عزرا ٢، ٥٥) غير ان بعضهم فسره بذاك الذي يرأس مجمع العلماء.

اما نسقه، فيختلف عن نسق باقي الاسفار كما قال الاباء منهم ايرونيموس وغريغوريوس الكبير وبوناونتورا، اذ انه وُضع في قالب مناظرة اكثر منه في قالب تاريخي.

١ – أَمِن تناقض في هذا الكتاب؟ (!)

لاول نظرة يظهر التناقض في هذا السفر، اذ لا التحام، كما يبان، في الاراء، وفي بعض المرار لا اصابة من اوجه. فاذا رمنا اقصاءها عن سفرنا وجب ان نميز كون الواضع عالج الامور معالجة

تبعيضية علاقية دون ان يستعرض لكل ما تقبله من التأويل.
واذ يبسط المؤلف نظرية من وجه ينتقل الى غيرها دون ان ينهيها تماماً وقد يعرض له ان يرجع الى الاولى تاركاً الثانية غير تامة.
لهذا يجب ان ننزل الى تمحيص الاراء الخاصة ليتسنى لنا اقصاء المناقضة الظاهرة عن هذا السفر الالهي. وبكلمة اخرى يجب ان نحكم على هذا الكتاب بعد ان نمحصه جملةً جملةً، وبهذا فقط نستطيع نفي المناقضة من الوجهة التبعيضية لا الشاملة كل الكتاب

٢ – برهان هذا السفر وتقسيمه

هذا السفر ليس على ما يرام من الترتيب المنطقي، اذ ما حقه التقديم رتبة نراه في النهاية ام في الوسط وما حقه التأخير يبدو في الفاتحة احياناً.

اما تجزئة هذا السفر فالى جزئين؛ الاول يحوي الثلاثة الفصول الاولى مع ستة عشر عدداً من الفصل الرابع، ويجب ان يعتبر من الوجهة اللاهوتية، اما الثاني، الذي يشغل باقي الفصول خلا الستة الاعداد الاخيرة من الفصل الثاني عشر، فهو حكمي عمليّ يفقه الانسان كيف يجب ان يخمد من قسوة شقاء هذه الحياة، وكيف يستطيع ان يربح بعض السعادة فيها. ثم يختتم هذا السفر بستة اعداد، هي كل الكتاب بنوع مختصر اذ يقول: إتق الله واحفظ وصاياه فإن هذا هو الانسان كله. كاني به يقول: لهذا ولد الانسان كي يخاف الله ويلتحف بوصاياه.

فواضع هـذا السفر يعتبر حياة الانسان من ناحية السعادة فيسأل : ما هي المنفعة الثابتة لو تفحصنا هذه الحياة بتدقيق ، ثم كل الخيرات التي يمكنها انتاجها . ويجيب : باطل الاباطل وكل شي باطل . فالانسان اذاً لا يستطيع ان يجعل ذاته سعيداً وطوباوياً سوى بالسعادة الثابتة الغير المتغيرة . والحال ان هذا الكون لا استطاعة له على اعطاء مثل هذه السعادة الثابتة للانسان . ودليل هذا ما يأتي : ١ً لكون الانسان في هذه الحياة قابل الموت . اذاً لا يستطيع فيها ان يجني خيراً ما ثابتاً ؛ ٢ً لكون كل الاشياء خاضعة للتغيير المستمر فلا تستقر على حال واحدة وان عادت فتكررت ، فيكون هذا التكرار من بعض اوجه لا من جميعها . اذاً لما كانت هذه الاشياء غير ثابتة فلا يستطاع صدور سعادة ثابتة عنها . ٣ً لكون الله قد وضع لهذا الكون قاعدة اساسية يعجز اي كان عن تبديلها وهذه القاعدة هي توارد الفرح والحزن ، الخير والشر ... بنسق متبادل .

٣ — اية ريشة خطت هذا الكتاب ؟

ان التقليد العبراني يعزو كتابة هذا السفر الى سليمان الحكيم . ويقول القديس ايرونيموس في تعاليقه على هذا السفر ١٬٢١ : يقول العبرانيون ان هذا الكتاب هو من نتاج سليمان الحكيم آن بدأ بتوبته ، لما ترجّى الحكمة والغنى واغضب الله اذ اتخذ نساء غريبات غير ان العلماء ينقضون هذا الرأي ويردّونه بقولهم : في هـذا

السفر لا يظهر شيء من توبة سليمان، ولا يوجد اقل اثر في هذا الكتاب للتوجع على الخطايا المقترفة. فالواضع يحث على الاكل والشرب والانشراح. اذاً رأي القديس ايرونيموس ليس بالرأي الصائب، لهذا نهمله.

لكن لدينا براهين اخرى على كون واضع هذا السفر هو سليمان، وهي: ١ً فاتحة هذا السفر التي هي: كلام الجامعة ابن داود ملك اسرائيل. ٢ً يقول هذا السفر ١٢:١: انا الجامعة كنت ملك اسرائيل في اورشليم؛ ٣ً عدة امور تطابق سليمان، مثلاً عن الفخفخة واللذة (٢: ٨، ملوك اول ١٠: ١١) وعن الخدام وعن البناء ثم عن الحكمة. ورأي اليهود هذا يعتنقه اكثر الاباء كاوريجانوس (في توطئة سفر نشيد الاناشيد) والقديس غريغوريوس العجائبي (في شروحه على هذا السفر ١: ١) والقديس هيلاريوس (في شروحه ١٢٦، ١٣ الخ) وتبع الاباء في رأيهم هذا بعض العلماء الحديثين مثل ريوش (H.Reusch; A. Motais, Salomon et l'Ecclesiaste Paris 1876 II, I sqg; Zschokke; Cornely Hagen; Vigouroux ecc..)

رأي ثان ينكر رأي من تقدم ذكرهم هو رأي بعض المجددين (الابروتستانت) وبعض العلماء الكاثوليكيين منهم بعض اباء الجمعية اليسوعية مثل دزنر (Zenner) ودورند (Durand) وكالس (Cales) و...

٤ — براهين الفريقين وهل لها قوة الاثبات ؟

يستند اصحاب الرأي الاول (اي التقليد اليهودي معظم جوقة الاباء كاويجانوس وغريغوريوس العجائبي وابيفانيوس وهيلاريوس ثم بعض الحديثين كفيغورو وكورنيلي وسكوكه) الى براهين داخلية نفس الكتاب :

١ً كون الجامعة ابن داود (الجامعة ١ ، ١)

٢ً وكونه ملك اسرائيل في اورشليم : انا الجامعة ملكت على اسرائيل باورشليم (جامعة ١ ، ١٢)

٣ً وكونه سما حكمة كل من كان قبله كما قال في الفصل الاول عدد ١٦ : لقد ناجيت قلبي قائلاً هاءنذا قد عظُمتُ وازددت حكمة فوق كل من كان قبلي باورشليم واكثر قلبي من مطالعة الحكمة والعلم ... فينتجون من هذا شخصية سليمان قائلين : لا تنطبق كل هذه الاوصاف إلا على سليمان ، اذ هو ابن داود وملك اسرائيل والمفعم حكمة سما بها على الجميع .

اما الفريق الآخر فيدعم نظريته بما يأتي :

١ً كانت اللغة العبرانية قبل الجلاء البابلي بالغة اوجها اما في عهد الجلاء وبعده فانحطت انحطاطاً عظيماً بامتزاجها بالتعابير الارامية التي تظهر باجلى بيان في سفر الجامعة ، ما ينفي انه كتب في عهد ازدهار اللغة ، ويثبت انه كتب في عهد الجلاء او بُعَيده .

فكتاب الجامعة يحوي تعبيرات ارامية ركيكة تشبه التعبيرات

الموردة في كتاب عزرا ونحميا واستير ، التي وضعت في عهد الجلاء

٢ً والكتاب نفسه يحوي ما يؤيد رأينا هذا ايضاً ، كما يقول اصحاب هذا الرأي ، فكلمات الكتاب : ولد مسكين وحكيم خير من ملك شيخ وجاهل لا يحسن التبصر فيما سيجيء ٤: جامعة ١٣ لا يستطاع عزوها الى سليمان ولا بنوع من الانواع . وكلمات الفصل الخامس عدد ٧ ، ان رأيت ظلم الفقير وعكس القضاء والعدل في بعض الاقاليم فلا تعجب من الامر فان فوق العالي اعلى منه يلاحظ ، وفوقهما من هو اعلى منهما . لا يمكن ان تكون خارجة من فم سليمان ... ثم في الفاتحة تميز الواضع نفسه عن الجامعة اذ يتكلم عن الجامعة بثالث شخص غائب مفرد .

ما تقدم من البراهين وخصوصاً براهين الفريق الثاني لا قوة ثابتة له في الحقل الانتقادي الصحيح اذ برهان ركاكة اللغة لا يدعم رأياً اولياً ، فقد يكون ان سليمان كتب هذا السفر لطبقة الشعب الوسطى فلم يلتزم في هذا الكتاب فصاحة الكلام التي التزم بها في كتبه الاخرى التي وضعت للمتعلمين ، ناهيك بما يكون قد ادرك اللغة من انحطاط مكاني ايام سليمان ، وانقاد له هذا الملك مراعاة للسير العام الجارف ما بقي من سمو كان قبلاً .

واما البرهان الثاني للفريق الثاني فليس باقوى من الاول فالمقابلة بين الولد الحكيم والملك الشيخ الجاهل ، لا يظهر للحصيف الرأي ، ان صدورها عن سليمان يتعذر بل بالأحرى قريبة الصدور عنه منه عن غيره اذ تكلم عن غيره من الملوك الجهال الذين لا

يحسنون تدبير الرعية وفضل الولد الحكيم عليهم ،

فاين الغرابة في هذا ؟

واما استعمال ثالث شخص مفرد غائب فلا تأثير له في هوية الواضع (راجع ما قلناه في المجلد الاول من الكتاب الاول من الجزء الاول عن موسى في كتبه ، اذ يتكلم بثالث شخص مفرد غائب) .

وبهذا قضينا على الرأي الثاني وبقي امامنا الرأي الاول الذي نميل اليه بكل طواعية ، اذ يمثل لنا التقليد القديم اعظم فريق من جوقة الاباء وبعض ائمة عصرنا الحاضر كفيغورو وسكوكه وكورنيلي وهيفل وغيرهم ..

وهناك غير هذين الرأيين ، اراء اضربنا صفحاً عن ذكرها اذ اوهى ما وهى من الاراء .

٥ — متن الكتاب ونسخه .

كامل هو اصل هذا السفر العبراني ، اما النسخة السبعينية فمحوّرة جزئياً . والنسخة العامة ؛ عمل القديس ايرونيموس ، حرّة على الاطلاق اعني ان المترجم لم يتقيد بالتدقيق بقواعد الترجمة . والسريانية على تحسن جزئي لا ينهض بها الى مستوى الاصل . وعلى كل فنسخ هذا السفر تقارب اصلها اكثر من تقارب نسخ باقي الكتب الى اصلها

٦ – سهام الانتقاد تُصوَّب الى صاحب سفر الجامعة ؟!

في الفصل الثالث يظهر بعض التشويش للمعتقدات الاساسية وبالاخص ما يأتي : لان ما يحدث لبني البشر هو يحدث للبهيمة وللفريقين حادثة واحدة كما تموت هي يموت هو ولكليهما روح واحد فليس للانسان فضل على البهيمة لان كليهما باطل . كلاهما يذهبان الى مكان واحد . كان كلاهما من التراب وكلاهما يعودان الى التراب . مَن يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلا وروح البهيمة الذي ينزل الى اسفل الى الارض، جامعة ٣، ١٩ – ٢١

غير ان هذا التشويش ليس بالحقيقي بل يظهر لاول نظرة مما دعا المنتقدين ان يعزوا الى واضع هذا السفر المذهب الارتيابي ، اذ يرتاب بحالة الانسان، ثم المذهب اللاإرادي، إذ يقرر عجز الارادة حيال افعال الانسان، التي تحددها ارادة الله، وبعده المذهب المادي اذ لا يفرق بين الانسان والحيوان، وغير ذلك من المذاهب المغالطة، التي تمس واضع سفرنا هذا في الصميم وتطعن الوحي طعنة نجلاء ..

قلنا يظهر تشويش غير ان التشويش يُبَدَّد عندما ننزل الى تفسير بعض فقر هي كل ما وجده الاخصام للطعن بحق وحي هذا السفر . فما لنا الآن سوى تفسير ثلاث فقر اوردناها في بدء هذه النقطة (٦) نردّ بها كيد الاخصام الى نحرهم ونخرج بهذا السفر سالماً الهيأ شأن باقي الاسفار الموحاة ، غير ان هذا التفسير نقتطفه عن نسخة الكتاب المقدس المحشاة من الاباء اليسوعيين الافاضل ، المطبوعة سنة ١٨٩٧ والتي نقّحها المرحوم اليازجي، ذلك

لان ما علّقه الآباء اليسوعيون من التفسير على هذا السفر ، هو اوفى واصح تفسير اقتطفوه عن معظم اقوال الآباء والعلماء . هاك ما يأتي : « الفصل الثالث ١٩ و٢٠ الجامعة ؛ لان ما يحدث للبشر هو »
« يحدث للبهيمة ... كما تموت هي يموت ولكليهما روح واحد . الخ . »
« لفهم هاتين الآيتين ينبغي ان ننتبه الى انهما واردتان على صورة »
« مقابلة يحصرها المصنف بين الانسان والبهيمة في جانب الحياة »
« الحيوانية لا غير . فوضح من ثم ان ليس الملحوظ في هذه »
« المقابلة الا النسمة التي بها تقوم حياة الجسد ، والمراد بتشبيه »
« الانسان بالبهيمة انما هو جهة الحياة الحيوانية منظوراً في هذا »
« التشبيه الى امر واحد وهو ان كلاً من الطرفين نهايته الموت ، »
« وان الانسان في وجوده الخارجي لا يتفاوت عن البهيمة في »
« شيء من الخضوع لاحكامه تعالى » . هذا ما ارتآه الآباء من التعليق على هذه الفقر وجمعه الآباء اليسوعيون في حواشيهم على الكتاب الالهي . وعلى ما اراه تفسير مصيب يقصي كل معارضة ترد على هذا الفقر .

الفصل الخامس

سفر نشيد الاناشيد

اصغر الاسفار الحكمية واسماها تشبيهاً للحب الالهي به تشاهد صورة بل صور هذا الحب مع كل ما لهذه اللفظة من معنى وقوة غير انه خطر مداهم لمن لا يرى فيه سوى المعنى اللفظي والحب الحيواني الناقص. لهذا كانت تلاوته محرمة على الشبان والشابات المنقادين بالطبع بعنان الشهوات، على ما صرّح به المعلم اوريجانوس والقديس ايرونيموس. وارى، كما لا يخفى على البصير، ان وجوب تحريم قراءته على شبان وشابات هذا العصر المادي ضروري. لان من يكاد يفقه امور دينه الاولية كيف يتسنى له فهم سفر، كل معانيه المرادة وحياً، على عكس ما تظهر لفظاً للقارىء الشاب غير العارف بالحقائق الالهية. بناء على هذا استعطف الكرسي الرسولي ومن بعدها اصحاب الغبطة في امصارنا الشرقية ألا يجيزوا لشبان هذا العصر، الغير الواقفين والعارفين بالمعاني الروحية، قراءة هذا السفر، لان من كان مطبوعاً على حب الارضيات ومنهمكاً في الاهواء الجسدية يرى كل شيء بالعين الجسدية المحضة. عسى طلبي يحقق من هذا القبيل.

في الآونة الاخيرة، قد اخرج اصحاب الشركات السينمائية، فيلماً عنوانه: نشيد الاناشيد، صوروا كل ما سطّر في سفرنا هذا حسب الطريقة المادية القحة، من انواع حب خسيس كلها نيل من

كرامة ومقام هذا السفر الالهي ! فالى من نشكو هذا الامر ؟

أإلى لجنة المراقبة على الافلام وقد سبق فعرض عليها ، قبل ان يعرض للشعب ، واجازته كانه لا يحمل سوى مجد الفن السينمائي المصري وليس غير ! ولم تنظر الى ما هنالك من النيل من كرامة وقداسة الكتب الموحاة وحرمة الدين .

ام نشكو الى رؤساء الاديان ، وقد سبقوا فاعترضوا على احد الافلام ، كله مس بالاداب ، ولم يجب طلبهم ! ومن المؤسف ان اول من اعترض على اعتراض رؤساء الاديان بعض الصحافيين المسيحيين من يتكلفون الدفاع عن الاداب الحميدة قائلين : ليس من مهمة رجال الدين التدخل في هذه الشؤون وتحديد ما يجب عرضه في دور السينماء . فالتدخل في هذه الشؤون هو من مهمة لجنة المراقبة للافلام ؟

فتباً لهذه الاقوال الزائفة ! كأن رجال الدين لا صلاحية لهم في ما يمس الدين والاداب ! !

حددوا لنا ، ايها المتبجحون على الدين ورجاله ، ما هي وظيفة رجال الدين حيال سقوط الاداب ونشر الفساد ورفع شأن المادة وتفضيلها على الروح ؟

نعود الآن الى موضوعنا قائلين : عنوان هذا السفر في اللغة العبرانية ܫܝܪ ܫܝܪ̈ܝܢ اي نشيد الاناشيد ، ومعنى هذا التعبير لا يعني مجموعة عدة اناشيد او نشيد طويل اصله اكثر من نشيد واحد بل تأويله النشيد الاجل والاسمى من اي نشيد آخر ، كما نقول

عنه تعالى اسمه : سيد السادات وملك الملوك . اي ارفع واعظم الملوك على الاطلاق . هذا ما يريده الواضع من عنوان سفره . اما تحديد صورة هذا السفر الادبية فستعصي جداً ، غير ان بعضهم (مثل كولين .Kaulen, Eienleitung II 150 sq) اطلق عليه اسم قصيد تمثيلي هو على غاية السمو ، والمعلم اوريجانوس سماه : نشيداً زفافياً وضع بنسق تمثيلي .

٢ — تجزئة هذا السفر المختلفة

ابطال هذا السفر الذين يلعبون دورهم فيه كثيرون ، ومن الصعب تمييز عددهم وتقدم الحوادث من اختلاف الافعال والمشاهد التي تظهر للقارئ على حين غرة دون ان يكون في انتظارها ، ما يجعل لهذا السفر نسقاً فريداً في عدم ترتيبه . لهذا كان للعلماء تباين في الآراء في تقسيم هذا السفر : ودونك بعضها :

١ رأي كولين (Kaulen) الذي يجزئ هذا السفر الى ثلاثة اقسام :

ا — الفصول الاولى الاربعة ، حيث تعترف العروس امام بنات اورشليم بحبها للملك ثم تذهب عنهم فتجد حبيبها ، وهنا نرى العبارات البليغة الرفيعة الرشيقة في وصف كل منهما للآخر . . .

ب — الفصل الخامس والتسعة الأعداد الاولى من الفصل السادس ، فيها يوصف بغاية الدقة اتيان العريس لدى العروس ليلاً وقرعه بابها وتباطؤها عن فتح الباب له ثم اعراضه عنها دون ان يدخل . حينئذ

تخرج العروس جادة في طلب حبيبها في احياء المدينة ، دون ان تحظى بلقياه ، فيتعرض لها الحراس ويرمونها بوابل الضرب ، وبعده تبدأ تصف جمال حبيبها فيسمعها عذارى اورشليم ويتسارعن اليها ليسمعن ذلك الوصف الرائع ، اثناء هذا يظهر الحبيب للعيان مترنماً بمدائح واوصاف حبيبه ويتهادى كالسكران من عظم افتتانه بحبيبته

ت- الفصول ٦:١٠-٨ ، ١٤ فيها يستعرض لوصف مصادفة العروس لرجل نبيل ، أخذ يصفها لوقوعه في اشراك حبها ، غير ان العروس استمرت على امانتها للملك ، ورجعت الى البيت فنامت مستسلمة لحلم جميل ذهبي الى ان اتى سليمان حبيبها فايقظها ، ثم وهب كرماً للاخوة اكراماً لشأن عروسه.

ثم يميز كولين في هذا السفر الاشخاص الآتي ذكرهم :
١ً العروس الشولمية . ٢ً سليمان العريس . ٣ً اخوة العروس . ٤ً عذارى اورشليم ٥ً رجل (هو عميناداب) حاول استمالة العروس اليه دون جدوى . هذا رأي كولين .

٢ً رأي ايولد (H. Evvald, Das Hohelied Salomon's, Göttingen 1826) المميز في هذا الكتاب ثلاثة اشخاص ، هم اهم ابطاله المتكلمين . راعٍ ما هام ، داخل اورشليم ، بآنسة ودّ ان يعقد له عليها غير ان سليمان وقف حائلاً دون تتميم هذا الزواج ، لكونه هو وقع ايضاً في شراك حب هذه الفتاة ، راغباً اقتيادها الى قصره الملوكي . انما الفتاة رفضت هذا الطلب وبقيت على اخلاصها لحبيبها الراعي .

٣ً رأي سشيج (Schegg, Das Holeleid Salomo's etc. 2 sqq.)

فهذا العالم يرتأي، ان سليمان ، عندما كان يصطاد في الجليل (قرب بزوغ الشمس) اذ تذكر فتاة جميلة احبها بكل جوارحه حباً جماً ، ولم يستطع عقد قرانه عليها بسبب ظروف قهارة ، لانه لم يتمكن من طلاق ابنـة فرعون ، راح يصوّر بنسق شعري خيالي سعادة ذلك القران ، الذي لم يستطع اليه سبيلًا في الحقيقة .

٤ً رأي بوسيه (Bossuet) فبوسيه يجزىء هذا السفر الى سبعة اناشيد تقابل سبعة ايام العرس : الاول يحوي ١،٢ – ٦،٢ . الثاني يتضمن ٢،٧ – ١٧ . الثالث يستغرق ٣،١ – ٥،١ . الرابع يحتوي على ٥،٢ – ٦،٩ . الخامس يحيط بـ ٦،١٠ – ٧،١١ . السادس يجمع ٧،١٢ – ٨،٣ . اما السابع فيضم مـا تبقى من اعـداد الفصل الثامن (٨،٤ – ١٤)

٥ً رأي الاب هيتسنوِر ، من يجعل هذا السفر جزأين : اولهما يأتي على ذكر حب العريسين والثاني يصف حب الزوجين . فحب العريسين يكون قبل الزفاف (١،١ – ٣،٥) واثناء الزفاف (٣،٦ – ٥،١) . اما حب الزوجين فيكون اما حال كونهما منفصلين (٥،٢ – ٧،١٠) واما حال كونهما متحدين (٧،١١ – ٨،١٤)

وغيرها وغيرها من الاراء التي لو اوردناها لما كفاها كتاب برمته

٣ – ماذا يرتأي غير الكاثوليك في تجزئة هذا السفر ؟

فريق كبير من هؤلاء يرون في سفر نشيد الاناشيد مجموعة اناشيد ، ويتبعون قولهم : ان الشاعر وصف استعمال وعادات اقامة

حفلات الاعراس ، التي كانت تصير في الشرق مثلما يصنع في هذه الايام في بعض انحاء شرقية كفي ناحية جبال حوران . فالأعراس كانت تقام ايام الشتاء طيلة اسبوع كامل كانت تدعى السبة الملوكية فطيلة هذا الوقت كان يخلع على العريس والعروس لقب الملك والملكة . وكان يهيء في بهو طلق عرش تجلله الازهار يجلس عليه العروسان بينما اصحابهما وانسباؤهما كانوا يحتفلون بالاناشيد . وكان اصحاب العريس يذهبون معه تحت ستار الليل . قاصدين مقصورة العروس في بيتها ليعودون بها من حيث اتوا بعد ان تكون قد اصلحت شأنها وتزينت بافخر ما لديها من ثياب وذلك بواسطة من يلتف حولها قبل وصول العريس اليها ليلاً مع آله واصحابه . في اليوم الاول تقلد العروس سيفاً لجهة اليسار وتنشد القوافي .

هذا الرأي يصعب احتماله ، لان وحدة الكتاب تستلزم وحدة الواضع ، لهذا لا مجال للمحاورات ولانشاد القوافي في تلك الاحتفالات الزفافية . وعروس سفر نشيد الاناشيد لم تكن قط بالملكة . اما بشأن استعمال احتفالات الاعراس فنسلم . فالاعراس عند العبرانيين كانت تدوم سبعة ايام وفي مساء العرس كانت العروس توشح باحسن ما لديها من الملبوس وتظهر للعريس متوجة كما وان العريس كان يقابلها متوجاً ، وكانت القطع الموسيقية تعزف بالالحان الشجية امام الجمهور والعريسان متوجان وجالسان على عرشهما مستعرضان لانظار الجميع .

٤ — على اي وجه يجب حمل معاني هذا السفر ؟

تعددت المذاهب في تفسير معاني هـذا السفر ، منها المذهب الحرفي الصرف، الذي لا يعرف في فصول سفرنا هذا سوى حوادث واقعية جرت لسليمان مع ابنة فرعون في عرسها. واول من ذهب هذا المذهب هو تاودورس المبسوسطي سنة ٤٢٨. وكان ان حرمه المجمع القسطنطيني الثاني، المنعقد سنة ٥٥٣ ، والمذهب الثاني هو المذهب الرمزي ، الذي يقبل نسقين تفسيريين ، نسق حرفي، يصوّر اتحاد الحب بين سليمان والشولمية ، إن واقعياً وان خيالياً ، ونسق روحي او رمزي يعبر عن حب الله لشعبه المختار او عن حب يسوع لكنيسته، ومن زعماء هذا المذهب، هوغو غروسيو (Hugo Grotius 1645)

اما ثالث المذاهب فالشعري الصرف، وهو المذهب الخاص بالامة اليهودية ، التي لم تكن لتقبل قط في عداد الكتب الموحاة كتاباً وثنياً. يقول اليهود : ان سفر نشيد الاناشيد يعبر عن حب الله لشعبه المختار وبالعكس. ففي العهد القديم كان الله يبث العهد بينه وبين بني اسرائيل غالباً ، المرموز عنه بصورة الاتحاد الزواجي (انظر هوشع ١، و٢، ١٩ والتابع ؛ وارميا ٢، ٢ والتابع ...)

وعن اليهود اخذت الكنيسة هذا النسق في كيف يجب حمل معاني هـذا السفر. اما اشخاص هذا السفر فقد يمكن ان تكون تاريخية (كما في الرواية الالهية لدانتي الشاعر الايطالي = فيرجيل ، بياتريس) ولكن اتحاد الحب بين العروس والعريس فلا يمكن ان يكون سوى شعري خيالي ، رامزاً عن اتحاد الله بالجنس البشري ،

وبالاخص بالشعب المختار في العهد القديم حيث يظهر بنوع نبوي اتحاد المسيح بكنيسته . لذا فالمعنى الشعري لدى الشرّاح المسيحيين يحتمل ثلاثة انواع : اولها المعنى الشعري العقيدي ، الذي يعرف في العريس المسيح وفي العروس الكنيسة ، وهذا التفسير بني على اقوال الكتاب المقدس : هل يستطيع بنو العرس ان ينوحوا ما دام العروس معهم ، متى ٩ ، ١٥ ؛ ومثله يوحنا ٣ ، ٢٩ . ثم بُنيَ ايضاً على اقوال الاباء منهم : اوريجانوس ، القديس اثناسيوس ، والقديس اغوسطينوس وغيرهم .

ثانيها المعنى الشعري الروحي ، الذي يفسّر العريس بالمسيح والعروس بالنفس الانسانية . واصحاب هذا التفسير ، اوريجانوس ، باسيليوس ، امبروسيوس ، برنردوس ، فرنسيس سالس ، القديسة تراازيا ويوحنا الصليبي .

ثالثها المعنى الشعري المريمي ، الذي يقول : ان صاحب هذا الكتاب يريد بالعروس مريم البتول ، من في مستودعها الاعذر تمّ سرّ اتحاد ابن الله بالانسانية ، اذا هي خيمة العريس الالهي . من اصحاب هذا التفسير كورنيليوس الحجري ، ديونيسيوس كارتوزيانوس وغيرها . هذا ما ذهب اليه العلماء من التفسير ، سوى ان ما يجب الفات النظر اليه هو انه لا يجب ان نعتقد بكل الامور كرموز شعرية . فمن يحمل كل معاني هذا السفر على اوجه شعرية (خيالية) محضة يعرّض هذا السفر لسخرية الغير المؤمنين .

٥ – واضع هذا الكتاب سليمان

ان فئة من العلماء تنكر على سليمان وضع هذا السفر بسبب التعبير الارامي ، غير ان الفريق الاكبر لا يخاف ان ينسب الى الحكيم كتابته ، اولاً نظراً لما هو مصرح في فاتحة هذا السفر ، نشيد الاناشيد لسليمان . ثانياً لما يبان من ان المؤلف عاش قبل انقسام المملكة ، لانه يتكلم دون تمييز ، عن اورشليم ، وجبال جلعاد وجبل لبنان وحرمون والكرمل وغيرها . ثالثاً يظهر جلياً تحلي الواضع بمعارف حقائق الاشياء الطبيعية ، لانه في الفصل الـ ٢١ يعدّد خمسة عشر نوعاً من الحيوانات (انظر سفر الملوك الاول ٤ ، ٣٣) . رابعاً ويقابل بين العروس ومركبة فرعون ١ ، ٨ . بهذا تفوق براهين الفريق الثاني برهان الفريق الاول . فبرهان الفريق الاول لا يقوم اذا اعتبرنا سليمان يكتب هذا السفر ليقرأه الجميع . فجرى فيه مجرى السهولة وسمح لذاته دسّ بعض عبارات ارامية .

الفصل السادس

سفر الحكمة

١ – لقب هذا السفر .

حكمة سامية تنبثق من سطور هـذا السفر الالهي ، جملها الاسلوب الفلسفي الذي وضعت فيه ، فباتت سهلة سامية من غير مغالاة البتة ، اذ سكبت بقالب حكمي ادبي ، كان شائعاً في مدينة الاسكندرية (كما قال المعلم اوريجانوس) . شرح صاحب هذا السفر الحكمة واوصافها مع نتائجهـا ثم استعرض العبادة الوثنية وخساستها عبرة لمن يعتبر ، مستنتجاً وجوب التقرب من الحكمة الحقة الموصوفة هنا .

عنوان هذا السفر ، في اليونانية Sufia Salomonos = حكمة سليمان . اما النسخة السريانية فقـد عنونته بكتاب حكمة سليمان العظيمة = ܚܟܡܬܐ ܕܫܠܝܡܘܢ ܪܒܐ . اما يوسيفوس فقد خلع عليه لقب : الحكمة المعلمة كل فضيلة ...

٢ – تجزئة هذا السفر .

قسمه بعضهم الى قسمين ، قسم ادبي وقسم تاريخي .

١ القسم الادبي (فصول ١ – ٩) فيـه يتحدث عن الحكمة واوصافها وثمارها . اولاً التأهب المطلوب لنيل الحكمة: يجب الانقطاع

عن التصورات والاحاديث والاعمال الرديئة (فصل١) . ثانياً يخطيء الاشرار اذ ينكرون الازلية وينقادون وراء رذائلهم (فصل ٢) ثالثاً حظ الاخيار والاشرار المختلف : فالله يمتحن الابرار في هذا العالم بمصائب مختلفة ؛ غير انه وقت الثواب يهبهم السعادة . واما الاشرار فيعد لهم الموت الابدي (٣–٥) اقتصاصاً هائلاً .

رابعاً كل هذه الامور يجب على الامراء وضعها نصب اعينهم ومن يتولى سياسة الغير احتاج الى حكمة اعظم (٦،١ – ٢٣)

خامساً هنا يعلم الكاتب كيف تبع الحكمة ، اعني بواسطة الصلاة ثم يأتي على ذكر اوصافها وثمارها (٦،٢٤ – ٩،١٩)

القسم التاريخي (١٠ – ١٩) يجمع الكاتب ثمار الحكمة من التاريخ اخصه تاريخ الشعب . فانه اذ يصور الوثنية في الفصل الثاني عشر ، يشرح باسباب اصلها ثم ينوّه بانواعها المختلفة (كاللادينية وعبادة الحيوانات و و . .) فصول ١٣ – ١٥ . بعد هذا يعود الى قضيته باسطاً ثمار الحكمة وثمار الغباوة والجهل من اطوار المصريين والاسرائيليين المختلفة

اما البعض الاخر فقد جزأ هذا الكتاب الى ثلاثة اجزاء : اولها يقول : ان الحكمة تقود الى الازلية ، ثانيها يمدح الحكمة ، ثالثها يصف ضياء الحكمة ومفعولها .

٣ – أيكون اصل هذا السفر عبرانياً ام يونانياً ؟

اصل هذا السفر يوناني ، على ما صرّحت به كتيبة الاباء على الاطلاق ، استناداً الى التعابير اليونانية القحة ؛ ولخلوه من التعابير

العبرانية ، فالنسخ اليونانية الكبرى [(الالفا و ABC) واصحها B] تحوي كل هذا السفر .

اما نسخة هذا السفر العامة فقد أُخذت عن النسخة اللاتينية القديمة ، دون ان يهذبها القديس ايرونيموس ، فتماثل المخطوط اليوناني حرفياً اللهم الا في بعض تعاليق (التي ليست سوى حواشٍ وذيول لجسم الكتاب الاصلي) اصلها غير اكيد عند فريق العلماء الاكبر .

٤ – لا بد من هدف لكاتب هذا السفر .

وان لم يهمل الكاتب شأن الحنفاء في كتابه هذا ، فمع ذلك اراد توجيه هدفه الى العبرانيين يثبتهم في ايمان اجدادهم وينعش فيهم الرجاء بالحياة المستقبلة داعياً اياهم الى احتقار الوثنية والمذهب المادي بضاعة اليونان ، وراغباً اليهم حفظ العهود واحترام الحكمة الحقة التي لا تعادلها كنوز الدنيا قيمة ؛

فهذا السفر ثمين ، وهو درر منضدة المعاني ، وحافل بالقواعد الاجتماعية الحقة ، لا ترى فيه سوى البرهان السامي و كشف النقاب عن الحقيقة التي دونه لا تبدو برهة الا ويغشاها الضلال المسدل على اذهان البسطاء بعض اللون المبدل ظاهر الحقيقة !

٥ – لا بدَّ من كاتب لهذا السفر .

تتفرق اراء العلماء بشأن من وضع هذا السفر ، ففئة ترعم ان الواضع هو سليمان . ومن هذه الفئة اكليمنضوس الاسكندري ، واوريجانوس ، وترتوليانوس وقبريانوس . يخالفهم ايرونيموس واغوسطينوس

من الحديثين من ينضم الى اصحاب الفئة الاولى شميد (I.A.Schmid) ومارغوليوث (Margoliorth) . غير ان رأي هذه الفئة غير ممكن تصديقهُ اذ ان الكتاب وضع باللغة اليونانية وفيه من الاسماء الشاملة المطلقة ما يبعده عن الاصل العبراني، الذي يخلو من هذا الاستعمال

واستنتاجنا هو، ان الكاتب كان رجلًا يهودياً عاش في مصر، والمظنون في الاسكندرية، التي كانت كعبة العلم. فهو (اي الكاتب) العاقد لحكمة اليونان على حكمة الشرقيين عقداً لا تتفكك حلقاته المتينة، ثم الباسط باسهاب حطِّ المصريين، من ضربهم الله، ايام موسى، بالضربات العشر. والفصل الثاني يبسط مذهب الابيكوريين مع المذهب المادي الصرف بكل اطرافهما.

فالبطليموسيون حكام مصر، في ذلك الحين، كانوا متجلببين بالقساوة، وبطليموس الرابع (او فيلوباتور)، الذي ركب منصة الملك من سنة ٢٢١ الى سنة ٢٠٥ قبل المسيح، دفع اليهود الى الاضطهاد (كما يشير الى هذا السفر المكابيين الثالث الغير القانوني) . اما بطليموس السابع (اوفيسكون)، (من ملك من سنة ١٤٥ الى سنة ١١٧) فكاد لهم (اي اليهود) المكائد (كما روى يوسيفوس المؤرخ في كتابه ضد ابيوني ٢ ؛ ٥) هنا يزعم بعض المؤلفين ان حرباً قامت في زمان احد هؤلاء الملكين ؛ اذ افترض المؤلف اضطهاداً للاتقياء (٢؛ ١٠ الخ. ؛ ١٥؛ ١٤) وحسب كورنيلي مرك، قد حدث ذلك الاضطهاد من سنة ٢٠٠ حتى سنة ١٥٠ قبل سني المسيح. سوى ان بعض علماء العصور الاولى، كما يشهد القديس ايرونيموس،

يعزون كتابة هذا السفر الى فيلون اليهودي (سنة الـ ٤٠ من عهدنا الحاضر) . غير ان هذا الرأي لا يقول به سوى بعض الرابينين ، الذين عنهم اخذ لوتاريوس وكلفينوس .

٦ - يحتفظ هذا السفر بوحدة الجسم

في الجيل الثامن عشر قسم هوبيغانت (احد رهبان الوعّاظ) هذا السفر الى قسمين مختلفين لواضعين مختلفين ، وكلاهما في اللغتين العبرانية واليونانية . ولغة القسم الاول العبرانية ، اما لغة القسم الثاني فاليونانية . من اصحاب هذا الرأي برتولدس (Bertholdt) وغيره . بينما فئة اخرى تريد ان تجزىء هذا الكتاب الى اربعة اجزاء او اربعة كتب ، منهم وبيبر (W. Weber) وغيره . ورأينا في هذه الفئة رأي معاكس على خط مستقيم ، اذ ان رأي تكثرة هذا الكتاب رأي عارٍ عن البراهين السديدة ، حتى الوسطى منها ، كما تشير طريقة الكلام اليونانية في كل اقسام الكتاب ، ثم استعمال الالفاظ النادرة والجمل المبتذلة و . . كل هذا يدور في كل اجزاء الكتاب على طريقة واحدة .

٧ - هل لسفر الحكمة من قوة قانونية ؟

لم يكن هذا السفر مدرجاً في قانون اليهود الفلسطيني لانه كتب في اللغة اليونانية . قال ايرونيموس في توطئته على كتب سليمان : سفر حكمة سليمان لم يوجد قط لدى العبرانيين . اما العهد الجديد فلم يذكره باسهاب جدلي ، بل له فيه بعض تنويهات اخصها

في رسائل القديس بولس، رومية ١: ١٨-٢١ (حكمة ١١، ١٣-١٥) رومية ٩، ٢١ (يقابل ١٥، ٧ في سفر الحكمة) افسس ٦، ٣ والتابع (يقابل ذلك ٥، ١٧ في سفر الحكمة) عبرانيون ١، ١٣ (وفي سفر الحكمة ٧، ٢٦) ...

اما رأي الاباء فلا يختلف عن رأي القديس العلّامة الاشهر، فجميعهم لم يكلّوا عن اطرائه بانواع التقريظ السامية. منهم تاتسيانو (في كتابه ضد الامم اليونانية ٧؛ يقابل ذلك في سفر الحكمة ٦، ٢٠) ثم اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس، ضد شيلسيوس ٣، ٧؛ ثم اثناسيوس، في خطابه ضد الاريوسيين ٢، ٣٢؛ وترتوليانوس ضد مارشوني ٣، ٣٢؛ والقديس قبريانوس، في كتابه حول العفة ١٠، اخيراً القديس اغوسطينوس، في كتابه حول الانتخاب المقدس ١٤ وغيرهم وغيرهم.

٨ - وعلى هذا السفر ايضاً يسطو مهند الاخصام!

قد ذهب الكثيرون ان سفر الحكمة لا يخلو من التعاليم المغالطة للفلسفة الاسكندرية. هاك منها ما يأتي:

١ً التي (يدك) صنعت العالم من مادة غير مظورة (حكمة ١١، ١٨). واصلها اليوناني هو (Ktisas ton Kósmon ex amórfu urles)

يقولون: كاننا بالمؤلف يشرح مادة الكون الصافية، لا الخلق من العدم اذ سطر الكلام السابق من الآية المورده.

غير ان المؤلف قد قسم الخلق قسمين، الخلق الاول والخلق

الثاني ، فالاول هو ما سطّره موسى في سفر التكوين وافترضه صاحب الحكمة فلم يتعرض لذكره ، اما الخلق الثاني فهو الذي سطّره واضع هذا السفر ويتناول تأليف هذا الكون الحاوي ترتيباً فائقاً في الجمال . وبهذا كفاية لافحام المعترضين .

٢ً ويواصل المعترضون الكلام ويقولون : في هذا الكتاب يتجلى بابهى مظاهره رأي افلاطون وفيلون في وجوب سبق خلق الانفس لخلق الأجساد ، اذ نرى في الفصل الثامن والعددين الـ١٩ والـ٢٠ صورة طُبعت على غرار صورة فكرة افلاطون في وجوب سبق خلق الانفس لخلق الأجساد . اليك بقول السفر : وقد كنت صبياً حسن الطباع ورُزقتُ نفساً صالحة . ثم بازديادي صلاحاً حصلت على جسد غير مدنّس (حكمة ٨ ، ١٩ — ٢٠) على ان ما تعنيه الفاظ الآيتين المتقدمتين هو ما يأتي : رزقتُ جسداً حسن التأليف ونفساً صالحة طبيعياً . اذا كان يوجد انتظام كامل بين الجسد والنفس . وكلمة « ثم » (وفي اليونانية Manlon dé) تدل على ان ما يقال في الجملة الآتية مصلح ، بنوع ما ، لما قيل في الجملة السابقة ، التي يظهر فيها ان المؤلف يعدّ النفس جزءاً ثانياً للانسان اذاً كأني به يصلح ما قال في الآية التاسعة عشرة . اذاً لما كنت صالحاً بالنظر الى النفس رزقت جسداً غير مدنس مزداناً بنفس صالحة ، اعني ان النفس هي علة صورية للجسد واسمى منه ، اذ تتقدمه بالطبيعة والشرف وليس بالزمان . فهذا التعليم المتقدم عن الانتظام الحاصل بين النفس والجسد (كما يقول المثل السائر : العقل السليم

في الجسم السليم) لا يشابه ولا باي طريقة من الطرق رأي افلاطون القائل بوجوب سبق خلق الانفس للاجساد!

٩ – طيف سر التثليث الكلي القداسة والسمو في سفر الحكمة ماثل للعيان!!

من تروّى في مطالعة هذا السفر لا يلبث ان يتحقق ويتلمس ما فيه من الاشارة الى اهم اسرار العهد الجديد نعني سر التثليث الكلي العظمة! تلك الاشارة لا تشمل الاقانيم الثلاثة متحدين سوية، بل تشمل كل منها على حدة.

اولاً – اثر الابن «الكلمة» التي بواسطتها خلق الله كل الاشياء، تتجلى في الفصل التاسع عدد اول (وفي انجيل يوحنا ١ : ٨). والحكمة الشخصية (التي هي الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس كما هي الكلمة) الصادرة عن الله، والحاوية، بقوة هذا الصدور، فضيلة الله وكرمه الفائقين، تتراءى في الفصل السابع عدد ٢٥ والتابع. فهذه الحكمة تلازم العرش الالهي ابداً سرمداً (شاهد فصل ٩، ٤ حكمة، مزمور ١٠٩) وهي الكلمة، التي نعرف فيها الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، كما عرف فيها القديس يوحنا الانجيلي هكذا (١، ٣). ثم الحكمة المتجسدة او الشخصية هي نفس الحكمة الملازمة للعرش الالهي. بهاتين المزيتين نرى رسم الابن بادٍ للعيان بين طيات هذا السفر!!.

ثانياً – اثر الروح القدس. واما رسم الروح القدس فنراه في

بعض فصول هـذا السفر ، كما في الفصل الاول والعدد الخامس (لان روح التأديب القدوس يهرب من الغش ١ ، ٥) وفي الفصل التاسع والعدد السابع عشر (ومن علم مشورتك لو لم تؤتِ الحكمة وتبعث روحك القدوس من الاعالي ٩ ، ١٧) .

اخيراً لا حاجة بنا الى الشهادات على وجود اقنوم الاب ، اذ سفرنا هـذا بكامله شاهد حيّ لوجود هذا الاقنوم الاول من الثالوث الاقدس ، الذي يجب ان نبدي له ، وللاقنومين السابقين ، دائماً اهم واسمى ضروب الاحترام الواجبة للخالق الواجب الوجود الذي ابدعنا عن جودة محضة دون ايما استحقاق .

الفصل السابع

سفر يشوع بن سيراخ

١ – افتتاحية .

لما كنا قد قاربنا الانتهاء من مبحثنا هذا لا يسعنا الا ابداء اعجابنا باداب اسرائيل السامية التي هيهات ان تماثلها اداب باقي الامم مهما ارتفعت الى اوج الحضارة والفلسفة البشرية ، كالامة اليونانية الشهيرة مثلاً . وهـذا يدلنا على ان اسرائيل لم يستقِ هذا من عند نفسه ، بل اخذه عن طريق الوحي بواسطة عظائه من قديسين (كموسى واشعيا وارميا وباقي الانبياء) ومفكرين (كسليمان

وعزرا ...) لهذا يتحتم على الجميع ان يعترفوا بالحكمة الالهية الساطعة من بين سطور هذه الكتب السامية ، التي يجب ان يرمقها الانسان ، مهما كان دينه ، بعين الاحترام العميق ، لان سكبها لا يقوى عليه اي انسان كان بل من انزلها الله عليه بطريق الوحي والالهام !

وختام كلامنا عن هذه الكتب الادبية، آخرها رتبة وموازيها قيمة، ونعني به سفر يشوع بن سيراخ ، الحاوي واحد وخمسين فصلاً رتبت على هذا المنوال ؛ فصول ١ – ٤٢، ١٤ مؤلفة القسم الاول من هذا السفر ، وتتكلم عن مصدر الحكمة ونفعها (التي قد تكون مخلوقة وغير مخلوقة كما سيأتي في الذيل الذي نعلقه في آخر هذه الكتب الادبية) ثم تستعرض ، بطريقة غير منسقة او غير مرتبة ، الوصايا حول استعمال الفضائل في كل ظروف الحياة الانسانية . يتبع ما تقدم صلوات وابتهالات (انظر مثلاً : ٢٣، ١ –١٦ ؛ ٣٤، ١ – ٩ الخ) . اخيراً يرفع المؤلف الحكمة الالهية بنشيد سامي المعاني دقيقها . هنا يتم القسم الاول من هذا الكتاب ويلحق به القسم الثاني، الجامع ثمانية فصول (٤٢، ١٤–٥٠، ٢٣) فيها يستعرض المؤلف تاريخ رجال العهد القديم العظام ، الذين تساموا باستعمال الفضائل وتفانوا في حفظ المشورات الالهية وذلك باختيارهم المطلق . لم يعد يبقى من فصول هذا السفر سوى ما يقارب الفصل (٥٠، ٢٤–٥١، ٢٨) الذي هو خاتمة هذا السفر وصلاة يشوع بن سيراخ

فالواضح يستخلص من كتب العهد القديم الحكمة . واذ قام

لسياحات عديدة اكتسب لذاته درجة اختبار عظيمة ، هي على جانب كبير من الاهمية . يعلم ان الانسان تباح له افراح هذه الحياة مرفوقة بالاعتدال والضمير الحي ، ثم يقتص من التجارب بالاحتمال . اما الموت فيجب اقتباله بالرضى . اخيراً يتكرم واضع هذا السفر باعطاء بعض نصائح عملية لكل ظروف الحياة ، معلماً كيف يجب معاملة الاصدقاء والاعتناء بالبنين وما العمل وقت مداهمة المرض . ثم يعطي مبادىء عملية للحياة الزوجية ، وللحياة الاجتماعية و و و . . .

٢ – لغة هذا السفر وزمان كتابته .

لا خلاف في ان هذا السفر كتب اساساً في اللغة العبرانية ، يدعم هذا قول المترجم ، حفيد المؤلف ، ثم شهادة القديس ايرونيموس الذي يصرّح بانه رأى الاصل العبراني معنوناً بالامثال ، اخيراً ما نراه باقياً في النسخة اليونانية من الاساليب العبرانية الاصل ، التي ابقاها حفيد المؤلف دون ان يتعرض لابدالها باساليب يونانية الاصل وها نحن الان نورد المقدمة التي صدر بها المترجم هذا الكتاب ، مع حواشٍ وذيول عليها . وهاك المقدمة .

المقدمة

« لما كنا قد تلقينا من الشريعة والانبياء ومن اقتفى اثرهم »
« كثيراً من الفوائد الجليلة الحرية بان يثنى لاجلها على ادب »
« اسرائيل وحكمته وكان اللائق بارباب المطالعة ان لا يقتصروا »
« على التعلم وحده بل ان يشركوا من عداهم في فوائد علمهم »
« مشافهة ومكاتبة ، كان ذلك داعياً لجدي يشوع بعد ان لزم »
« تلاوة الشريعة والانبياء وسائر اسفار ابائنا ورسخ فيها كما ينبغي »
« ان اقبل هو ايضاً على تدوين شيء مما يتعلق بالادب والحكمة »
« ليقتبس منه الراغبون في التعلم ويزدادوا من حسن السيرة »
« الموافقة للشريعة . فلذلك ارغب اليكم ان تقبلوا على المطالعة »
« بانعطاف وتيقظ وان تصفحوا عما وقع لنا من القصور في اصابة »
« الالفاظ الملائمة للمعاني ، لان ما يعبر عنه بالالفاظ العبرانية لا »
« يبقى على قوته اذا نقل الى لغة اخرى بل ان الشريعة والنبوآت »
« وسائر الاسفار بينها وبين نصها الاصلي فرق ليس بقليل و كنت »
« حين قدمت مصر في السنة الثامنة والثلاثين في عهد اوورجيتس »
« الملك واقمت بها مدة عثرت على كتاب واسع الفائدة فاوجبت »
« على نفسي ان اصرف شيئاً من العناية والجد في ترجمته ومن ثم »
« عكفت على السهر والدرس في تلك المدة حتى آتي على هذا »
« التأليف بتمامه والقيه للمتغربين الذين يبتغون التعلم ممن اهبتهم »
« اخلاقهم للسلوك في سنن الشريعة » (تمت المقدمة)

حواشٍ وذيول

قول المترجم : لان ما يُعبر عنه باللفظ العبراني لا يبقى على قوته اذا نقل الى لغة اخرى .. يعني صريحاً ان الكتاب كتب باللغة العبرانية، وقوله الثاني : وكنت حين قدمت مصر في السنة الثامنة والثلاثين في عهد اورجتيس الملك ... يدل على ان الترجمة اليونانية تمت في ذلك الوقت والعبرانية قبلها بنصف جيل . فمن تراه يكون هذا الملك اورجتيس ؟

يُعرف ملكان بهذا الاسم: بطلمايس الثالث او اورجتيس الاول (الذي ملك من سنة ٢٤٧ الى سنة ٢٢٢ ق.م.) وهذا لا يمكن ان يكون صاحب العهد، لان مدة حكمه، دامت خمساً وعشرين سنة، والمترجم يريد اكثر، اي ثمانية وثلاثين على الاقل. والثاني الذي حمل اسم اورجتيس هو بطلمايس السابع، من تزوج من شقيقته كليوبطرا، اما ملكه فقد بدأ عهده من سنة ١٧٠ قبل المسيح ودام دون تقطع، ست عشرة سنة، بسبب قساوته الغريبة، فطرد من الملك ... غير انه عاد ثانية فتسلم زمام الملك من سنة الـ ١٤٥ حتى سنة ١١٧ . فتكون السنة الثامنة والثلاثون موافقة لسنة الـ ١٣٢ قبل المسيح، لان حكمه بدأ من سنة الـ ١٧٠ وانتهى سنة الـ ١١٧ . فيكون اذن حكم ٦٣ سنة . وبهذا التعديل يكون جد المترجم، يشوع بن سيراخ، عاش حوالي سنة الـ ١٩٠ – ١٧٠ وعاصر سمعان الثاني ابن اونيا الكاهن الاعظم (حوالي ٢١٩ - ١٩٩ انظر

تاريخ يوسيفوس المعنون بالقدمية اليهودية (١٢، ٤، ١٠) الذي يمدحه الفصل الخمسون (عدد ١ – ٢١) من هذا السفر .

٣ – قوة هذا السفر القانونية .

قد ادرجت الامة اليهودية هذا السفر الالهي في قانون الكتب الالهية . والتلمود ايضاً يذكره مراراً في بيراخوت فصل ٧ وغيره . اما العهد الجديد فينوّه بـه بعض المرار ، مثلاً : رسالة القديس يعقوب ١، ١٩ = سيراخ ٤، ١٩ ؛ ٥، ١١ ، يعقوب ٥، ٣ = سيراخ ٢٩، ١٠، ١١ . اخيراً الاباء لا ينكرونه قط فقد اشاروا اليه في بعض الاحيان ؛ مثلاً ، اوريجانوس في «المبادي» ٢، ٨ . والقديس اثناسيوس في خطبته الثانية ضد الاريوسيين ٧٩ . والقديس ايرونيموس ، ضد البيلاجانيين ١، ٣٤ الخ . .

آية واضحة الفصل الـ ٢٤ للقوة العقيدية ، اليك بقوله في الاعداد ٥ – ١١ : اني خرجت من فم العلي بكراً قبل كل خليقة . . . ما يشير الى صدور الحكمة الالهية عن الله بمنزلة كلمة قد صدرت عن العقل الالهي . وليست هذه الكلمة سوى الاقنوم الثاني من الثالوث الكلي القداسة ، اي سيدنا يسوع المسيح له المجد الابدي .

٤ – نظرات اجمالية في نسخ هذا السفر .

في اواخر القرن المنصرم وجد بعضهم بعض بقايا للنص العبراني الاصلي في اوقات مختلفة ، رتبوها في اربعة مخطوطات : اولها مخطوط B الموجود حالياً في Oxford ، ثانيها مخطوط A الموضوع الآن في

Cambridge ، ثالثها مخطوط C الذي يوجد في اغلب المكاتب الاوروبية الشهيرة ، اخرها مخطوط D ووجوده ليس بالنادر. لكن هل هذه البقايا هي من النص الاصلي ام لا ، فالاكثرية الساحقة من العلماء تثبت اصلها من النص الاصلي نفسه ، ولا اعتبار لقول المعترضين اذ يعجزون عن تأييد آرائهم بالبراهين السديدة .

اهم النسخ ثلاث : ١ اليونانية التي ترجمها حفيد المؤلف ، الا ان ترجمتها حرة اي انه لا يتقيد فيها بالنص الاصلي العبراني ، وفي بعض المراد لا تتفق معانيها مع معاني الاصل العبراني ، حتى ولا في التبويب تحاكي النسختين ٢ السريانية (التي طبعت على غرار الاصل العبراني ، وشبهت بالنسخة المصورية غير انها اقدم منها عهداً واصح عبارة ومعنى ، وعوض الترجمة غالب الاحيان تشرح وتذيل الآية بتصرف زائد) ٣ الايرونيمية (التي هي النسخة اللاتينية القديمة ، صُورت على ما يرجح كثيراً ، عن النسخة اليونانية الصحيحة) . انظر تغاير الفصول بين النسختين اليونانية واللاتينية . هاك بعضاً منها :

النسخة اليونانية		النسخة اللاتينية
فصل ٣٠ عدد ١ — ٢٤	=	فصل ٣١ عدد ١ — ٢٦
« ٣٣ « ١٢	=	« ٣٣ « ٢٧
« ٣٤ « ١ — ٣١	=	« ٣١ « ١ — ٤٢
« ٣٥ « ١ — ٢٣	=	« ٣٢ « ١ — ٢٨
« ٣٦ « ١ — ١٦ª	=	« ٣٣ « ١ — ١٦ª

النسخة اليونانية		النسخة اللاتينية
فصل ٣٠ عدد ٢٥ – ٤٠	=	فصل ٣٣ عدد ١٦[b] – ٣٣
〃 ٣١ 〃 ١ – ٢٦	=	〃 ٣٤ 〃 ١ – ٣١
〃 ٣٢ 〃 ١ – ٢٠	=	〃 ٣٥ 〃 ١ – ٢٦
〃 ٣٣ 〃 ١ – ١١	=	〃 ٣٦ 〃 ١ – ١٣[a]

.....

هـذا ما وُفِقنا بالوقوف عليه في كلامنا المتقدم على الاسفار السابقة، بعون القدير.

ذيل

تعريف الحكمة وما لها من التقسيم

(نقلاً عن العلاّمة روفيني بتصرف)

للحكمة تعاريف عديدة خصوصاً في الكتاب الالهي ، منها التعريف الآتي : الحكمة تسكب المعرفة وعلم الفطنة وتعلي مجد الذين يملكونها ، سيراخ ١ ، ٢٤ .

قد تكون هذه الحكمة ، مخلوقة وغير مخلوقة . فالمخلوقة تكون طبيعية وفائقة الطبيعة

١ً فالطبيعية ، حسب اللفظ العبراني ، لها معانٍ منها الفطنة (١ ، ١٧ سيراخ) ومنها الخبرة (ملوك اول ٧ ، ١٤ ؛ اشعيا ٤٠ ، ٢٠) ومنها الدقة في العمل (خروج ١ ، ١٠ ؛ ايوب ٥ ، ١٣) اخيراً عرافة الامم ، كما يقال عن عرافي مصر (تكوين ٤١ ، ٨ . .) وعرافي بابل (اشعيا ٤٧ ، ١٠) وعرافي صور (خروج ٢٧ ، ٢٧ ، ٨ والتابع) حكماء .

لما كانت هذه الاخيرة بشرية فتقسم الى حسنة (كما قلنا سابقاً) وشريرة (اشعيا ٥ ، ٢١) وفاسدة وان رفعها العالم المادي الى الاوج .

٢ً والحكمة المخلوقة الفائقة الطبيعة ، قد تأتي بمعنى الحكمة التي هي من عطايا الروح القدس (اشعيا ١١ ، ٢) وتكون بمعنى خوف الله (ايوب ٢٨ ، ٢٨) اخيراً تفسر بالشريعة الالهية او التورة (تثنية الاشتراع ٤ ، ٥ — ٨)

اما مصدر هذه الحكمة فالهي : وخفيت عن اعين كل الاحياء

(ايوب ٢٨ ، ٢١) وطبيعتها ذلك الشيء الذي تنعطف اليه اوليـاً الكتب الحكمية. اما سموها فيظهر من مصدرها الذي هو الله.

٣ً ثم الحكمة المخلوقة وهي التي ينسبها الكتاب الالهي الى الناس، موهوبة من الله. وقد حددها القديس توما اللاهوتي بقوله: الحكمة التي بحسبها نضحي حكماء صورياً، هي مشاركة ما للحكمة الالهية التي هي الله (٢ ، ٢ مبحث ٢٣ فصل ٢ على الاول)

١ً وتأتي اولاً وصفية وبهذا المعنى هي الله نفسه لانها:

ازلية كل حكمة فهي من الله ولا تزال معه الى الابد (سيراخ ١ ، ١)

ومسكنها عرش الله نفسه (سيراخ ٢٤ ، ٧ . . .)

وهي خالقة ومدبرة كل الاشياء (حكمة ٨ ، ٤٨) وعنها تصدر القوة والفطنة والمشورة وكل النعم والمواهب (سيراخ ٢٤ ، ٢٤ - ٣١)

وهي ضابطة الكل وعالمة بكل شيء (حكمة ٧ ، ٢٣ - ٢٧)

٢ً وتأتي ثانياً شخصية، اذ هي ابن الله وصورته (حكمة٧ ، ٢٥) وكلمته = انا خرجت من فم العلي (سيراخ ٢٤ ، ٥)

٣ً وتأتي اخيراً متجسدة، اي سيدنا يسوع المسيح، لانتساب كل ما تنبأ به اشعيا عن المسيح اليها (امثال١٨ ، ١٤ ؛ اشعيا ١١ ، ٢) وهي بكر الخلائق (سيراخ ٢٤ ، ٥ ؛ كورنثس ١ ، ١٥) لهذا دعا القديس لوقا المسيح حكمة الله (E sofia tu teu) لوقا ١١ ، ٤٩ . كل حكمة اخرى تأخذ مصدرها عن هذه الحكمة الغير المخلوقة. فشعب الله المختار لم يعدم حكمة بشرية كسليمان الحكيم والانبياء

وغيرهم بواسطة الشريعة ثم بواسطة الفطنة والموهبة (سيراخ ٢٤، ١٤ الخ)

وما عدا المسيح فالى الطوباوية مريم البتول، بنوع خصوصي، تنسب الحكمة الشخصية، دليل هذا تسمية الكنيسة اياها: بكرسي الحكمة!

يا كرسي الحكمة، صلي لاجلنا.

﴿ تم الكتاب الثاني من الجزء الاول بعونه تعالى ﴾

«ان تجد عيباً فسدّ الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا»

ثمن كل من مجلدات هذا (الكتاب)

		غرش سوري لبناني
الكتاب الاول	المجلد الاول	٣٠
	المجلد الثاني	٧٥
الكتاب الثاني	او المجلد الثالث	٥٠

وتبرئهم بواسطة الشريعة ثم بواسطة النعمة والموهبة (سيراخ ٢٤ و ١٤ الخ)

وما عدا السيح فالى الطوباوية مريم البتول وبنوع خصوصي تنسب الحكمة الشخصية ، دليل هذا تسمية الكنيسة اياها: بكرسي (الحكمة) [illegible]

يا كرسي الحكمة ، صلي لاجلنا .

[illegible]

٥٦	[illegible]	[illegible]
٥٧	[illegible]	
٥٥	[illegible]	[illegible]

﴿ تم الكتاب الثاني من الجزء الاول بعونه تعالى ﴾

« ان تجد عيباً فسدّ الخللا ، جلّ من لا عيب فيه وعلا »

كشف النقاب

عن حقيقة الكتاب

كتاب تاريخي علمي للاسفار الالهية

او

مدخل في الكتاب المقدس

الكتاب الثالث من الجزء الاول

وضعه

الاب الياس نابت العشقوتي

الراهب الحلبي اللبناني

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونيه

١٩٣٥

لا مانع من طبعه في ١٧ حزيران سنة ١٩٣٥

الحقير

✠ انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

كلمة

الى ابناء الجيل الآتي ان كانوا من المنصفين !

كأنها حرب ضروس بسيوف مرهفة، وقفة ابناء هذا الجيل في وجهنا عن متابعة هذا العمل الخطير : فقد لامونا، وقد اسمعونا من قوارس الكلام الشيء الكثير في قالب النصح والعتاب. كأننا بوضعنا هذا الكتاب قوّضنا اركان المجتمع وهدمنا صروح الآداب فكانت منا جناية لا تغتفر !

وكان منا نقص في الوضع !

وكانت منا فرية كبرى !

وكان منا شذوذ في انتقاء موضوع لا يريده ابناء الساعة، وزعجهم. لان موضوع درسنا، كما قالوا، هو من الامور التي لا يجب ان يبذل العناء في سبيلها، فهو نظري محض !

فقلنا لهؤلاء الاسياد : يا كرام، انتم مخيرون لا مسيرون في اقتنائه فلكم ان تعيروا هذا الفرع اهمية ولكم ألا تعيروه هذه الاهمية يكفينا ما بذلنا من عصر الدماغ والقلب سوية، وطوي النهر والليالي في سبيل فرع لا يزال بعد في المهد عندنا وهو جزيل الفائدة لا كما قلتم عديمها. فما يضيركم لو عرفتم اصل اسفار هي كل اساس للتاريخ والآداب والحكمة والنبوءة ؟ وهلّا تصدقون كون هذه الاسفار هي دائرة معارف ترقم اعمال الله التي كان يذيعها للكون بذاته او

بواسطة ملاكه الرسول الامين . فمن منكم يقول ان دائرة المعارف عارية من الفائدة جافة قديمة نظرية ؟ . ناهيك بان عصرنا مجبر على تحليل ادب القديم والبت بشأنه . ونحن مع كل منصف نرى ان ادب شعوب كثيرة يبدو رسمه في الكتاب الكريم ، كما هي الحال في ادب وتاريخ المصريين الذين جاءوا في ذلك الحين يقظة للمعارف والتاريخ .

وهذا كله نتناوله تحت نقاط مختلفة . اذن من اي وجه ترون عدم اهلية هذا الفرع لاهتمام العقل بشأنه ؟ ؟ ؟

لذلك نفترق عن ابناء هذا الجيل دون القليل منهم (من محضونا كلمة اخلاص في نوايا هذا الجيل الذي لا ينتظر سوى القصص الخالعة العذار . . . ومن هؤلاء الكرام جناب سيدي الاستاذ فرنسيس افندي الشمالي الكاتب البليغ) متحولين الى ابناء الجيل الآتي إن كانوا من المنصفين .

الاب ثابت

اما عدم ادراجنا بعض رسائل كنا عزمنا على نشرها في اول صفحات هذا الكتاب ، فلان بعضها ضاع ، على غير قصد منا . لذلك امسكنا عن نشر الباقي منها خشية استياء اصحاب الرسائل الضائعة ان نحن نشرنا الباقية التي بيدنا . لهذا نسأل العفو والمعذرة فالعفو من شيم الكرام

الواضع

توطئة

١ – الانبياء والنبوءة

ان اللفظ العبراني (نَبِيئِيم جمع نَبِيء من فعل نَبَا = تكلم اي دفع بالصوت او الرنة = أخبر . وقد يكون من فعل نَبَع = نبع تدفق اغزر . هذا ما يشير اليه اللفظ العبراني من المعنى) هو من اصل نبأ الدال على ارتفاع الشيء وخروج رجل من ارض الى ارض وو... ثم أنبأ يعني اخراج شيء من عالم الخفاء واظهاره والاخبار به . اما النبي فيفسر بمظهر الخفاء او بمخبر الغيب وما يجري في مستقبل الايام بوحي خصوصي شخصي من الله بالاصالة... والمخبر بالغيب وبما يجرى في مستقبل الزمان، يطلق عليه عدة اسماء عند العبرانيين اليك بعضها : ١ً – رائي اشارة الى النوع الذي بواسطته يعرف النبي تلك الاشياء الواجب ايضاحها (ملوك اول ٩،٩) ؛ ٢ً – ملاك الرب (اي رسول الاله بما يجريه هذا الاخير في المستقبلات حجاي ١ – ١٣) ٣ً – رجل الله (اي خادمه ومنفذ اوامره بما يخص الزمان الاتي، (ملوك اول ٢، ٢٧) . ٤ً – حارس . (دعي الانبياء بالاصالة ليقوموا بمهمة لم تكن تكتسب بالحق الوراثي من الاب الى الابن) كما يحدث في تولي منصب الملك والارتقاء الى الكهنوت القديم .

انبياء هذا النوع في الازمنة القديمة هم، موسى، صموئيل، ناثان،

غاد .. على ان سلسلة الانبياء المتواصلة تبدأ بصموئيل وتنتهي بملاخي.
لهذا حق لصموئيل ان يدعى اول الانبياء : كل الانبياء من صموئيل
ومن بعده كل من تكلم منهم قد انبأ بهذه الايام : اعمال الرسل ٣ : ٢٤.

سار الشعب المختار ردهة من الزمن على الطريق المستقيم الى
ان حدث الانقسام في المملكة ايام رحبعام بن سليمان الحكيم (٩٢٩ —
٩١٢ ق.م.) فكانت به الطامة الكبرى على الشعب المختار اذ بدأ
يتضعضع الكيان الوطني جاراً وراءه الى السقوط المادي والادبي
شعوب المملكتين، مملكة يهوذا مع سيدها رحبعام، ومملكة اسرائيل
مع مولاها ياربعام الاول عبد سليمان. واذ تداعى الشعب الاسرائيلي
الى السقوط الادبي، بعد انقسام المملكة، كما سبق القول فقدت
السلطة المدنية الشرعية مهمتها السامية فانصاعت الى الوراء واهية
القوى منحلة العزائم. فكان سقوط هيبتها قاب قوسين منها او ادنى
بل نقول : لم تعد تملك تلك الاهابة التي كانت تملكها ايام ملوكها
العظام كداود وابنه سليمان، ازاء هذا لم ير آل اسرائيل بداً من
اعادة هيبة السلطة الى نصابها فنفح الشعب تباعاً بمرسلين من لدنه،
هم الانبياء الذين وكل اليهم ارجاع الشعب الى الصراط السوي.

اما مهمة الانبياء فكانت على نوعين : عادية، وخارقة العادة
فاصحاب المهمة العادية كان يطلق عليهم لقب مشترعين ومعلمي
الشعب ومفسري الشريعة الصادقين وحاضي الشعب (كما حض ناثان
النبي داود على التكفير) ضد الوثنية (كايليا وتلميذه اليشاع النبيين)
و كانوا يوبخون ويبكتون ويؤنبون على تعدي الشرائع الالهية بكل

جزاءه، دون ان يستطيع احد على الوقوف في وجوههم الا ويناله الغضب الالهي الشديد!

اما اصحاب المهمة الخارقة العادة فهم الذين كانوا يتنبأون يقينياً بحوادث عتيدة لا يمكن الاهتداء اليها باسبابها ومقدماتها بمجرد استدلال العقل. وهؤلا هم الذين دوّنوا نبؤاتهم ونظمت اسفارهم في عداد الكتب المقدسة من العهد القديم، وعددهم سبعة عشر نبياً اربعة منهم يدعون بالانبياء الكبار نظراً لكبر حجم اسفارهم نسبة لحجم اسفار غيرهم من الانبياء الصغار. هاك اسماءهم: اشعيا (سنة ٧٦٠ ق.م. وستأتي ترجمته فيما بعد) ارميا (سنة ٦٢٧ ق.م. ترى ترجمته فيما يأتي) حزقيال ودانيال (سنة ٥٩٤ ق.م. اقرأ عنهما في الفصلين الثالث والرابع) وباروك الذي ألحق سفره بسفر ارميا لانه كان ملازماً لهذا الاخير وتلميذاً له.

واثنا عشر يكنون بالانبياء الصغار هم الآتية اسماؤهم: يونان ويوئيل (سنة ٨٣٠ ق.م.) عاموص وهوشع وعوبديا (سنة ٧٨٤ق.م.) ميخا وناحوم (سنة ٧٢٣ ق.م.) صفنيا وحبقوق (سنة ٦٢٧ ق.م.) حجاي وزكريا (سنة ٥٢٠ ق.م.). اخيراً ملاخي (سنة٤٣٥ ق.م.)

هنا تتخلل فترة كبيرة خالية من الوحي. وسبب ذلك كون ملاخي تنبأ عن ظهور المعمدان. الذي يفتح الطريق للمخلص له المجد. لهذا كان من الضروري ان تبقى نبؤة ملاخي منزهة عن ادنى صوت يبلبل صداها كي يرقب الشعب ذلك الوعد الخطير والقريب جداً.

وفيا نحن نتحدث عن الانبياء لا يسعنا المقام الا التصريح الحقيقي بكون الاسفار النبوية رائعة بل جوهر الروائع الوصفية من حيث التشابيه الموردة لتأييد ما اوحاه الكائن، لاناس لا هم في العير ولا هم في النفير من معرفة المستقبل لو لم تتدخل اصابع الله في الامر !!.

في النبوءة غموض ويهيمن الابهام على كل فصولها . ذلك لاننا نجهل حد الزمان الذي فيه تتحقق، ومتى تمت لم تبق بعد بالغامضة (لهذا تعذر اليهود القدماء اكثر من اليهود الحديثين لان اولائك لم تتم في ايامهم كل النبوآت بشخص المسيح ؛ اما الحديثون فقد سمعوا التاريخ يقص تحقيق كل النبوآت المختصة بشخص المخلص ولم يريدوا الاذعان !...) . فالغموض اذن ينشأ من جهتنا لعدم بلوغنا ظروف وزمان نهاية النبوءة . لذلك لا نرى اثراً للوضوح الى ان تتم في الوقت الذي اراده الله .

من شروط النبوءة استعمال الرموز، فحين تقرأ حادثاً تاريخياً وتظنه خارجاً عن دائرة النبوءة اذا به اشارة الى ما سيحدث في المستقبل الحرّ البسيط . خذ لك مثلاً : ثقبوا يديّ ورجلي واحصوا كل عظامي : يتبادر الى الذهن اولاً ان هذا القول لا يخرج عن الحقل التاريخي في حين انه نبوءة عظيمة عدا كونه تاريخاً . وما الى هذا من الايات ذات الوجهين والصورتين وجه تاريخي بناء على ظاهر الالفاظ ووجه نبوي بناء على تحقيق ذلك في المستقبل (في المسيح ام في غيره) ذلك حسب مضمون معنى الفقرة .

تختلف قيمة كتابة السفر النبوي من الوجهة اللغوية فن ناحية

سمو الكتابة يتبوأ المقام الاول اشعيا ويتبعه ميخا ويعقبه صفنيا ويليه حبقوق ويأتي بعده عاموص ... ونعم ما قاله صاحب الحواشي على الاسفار النبوية في الترجمة العربية التي هذب عبارتها المرحوم اليازجي وطبعت على نفقة حضرات الاباء اليسوعيين : فليتصفح المؤمن هذه النبوءات بايمان حي وخشوع باطن وروية متيقظة واذا استعان بالتعليم التقليدي الذي سنؤثره منه بالنصيب الافضل في هذه الحواشي تسنى له ان يتمثل بيسوع المسيح وكنيسته في كل صفحة منها على التقريب وارتاح اليها ارتياحه الى افضل غذاء لايمانه وتقواه .

دونك الآن اسماء الانبياء الذين بعيد هذه الكلمة نأتي على ذكر كل منهم باسهاب :

نبيأ الجيل التاسع ق . م .

يونان (٨٣٠) يوئيل (٨٣٠)

انبياء الجيل الثامن (قبل المسيح)

عاموص — هوشع — عوبديا (٧٨٤ ق . م .) اشعيا (٧٦٠ ق . م .) . ميخا — ناحوم (٧٢٣ ق . م .)

انبياء الجيل السابع قبل المسيح

ارميا — صفنيا — حبوق (٦٦٧ قبل المسيح)

انبياء الجيل السادس قبل المسيح

حزقيال دانيال (٥٩٤ قبل المسيح) حجاي - زكريا (٥٢٠ قبل المسيح)

نبي الجيل الخامس قبل المسيح

ملاخي (٤٣٥ قبل المسيح)

هذه اللائحة أنشأها فريق من العلماء خلاف فريق آخر . اما نحن فلا نتقيد الا بآخر ما خرج من آراء اكثرية العلماء العصريين . لذلك ترانا ندرج على غير هذه اللائحة

٢ – الانبياء الكذبة

يحمل اسم نبي كاذب من يدعي النبوءة خارجاً عن دائرة الوحي الالهي . والانبياء الكذبة على نوعين على حد قول الله في سفر تثنية الاشتراع : واي نبي تجبر فقال باسمي قولاً لم آمره او تنبأ باسم آلهة أخر فليقتل ذلك النبي : تثنية الاشتراع ١٨، ٢٠ . اي اما يتنبأون كذباً بعزوهم ما يقولون الى الله واما يتنبأون باسم آلهة كذبة، وفي كلا الامرين ادعاء ومين . لذلك ساغ لنا ان ندعو اولائك الرجال بالانبياء الكذبة .

قام كثير من الانبياء الكذبة في اسرائيل وباقي الشعوب . فعند كل الامم كالمصريين والبابليين والاشوريين واليونان والرومان، نشأ انبياء كذبة غير انه لم يكن يطلق عليهم اسم انبياء بل اسم عرافين

او سحرة او مشعبذين او متفائلين او غير ذلك من الاسماء التي كان يخلعها عليهم التاريخ . اما في اسرائيل فكانوا يكنون بلفظة انبياء، ومما لا ريب فيه ان عددهم كان كبيراً ايام الملوك، كشاول (ملوك اول ٢٨، ٩) . حتى وبعد انقسام المملكة لم يضعف عددهم لا من افرائيم (ارميا ٢٣، ١٣) كفي ايام احاب الملك (ملوك ثالث ١٨، ١٩ و ٠٠)، ولا في يهوذا (ارميا ٢، ٨) . اثباتاً لهذا تصفح ما يأتي من الاسفار : ملوك ثالث ٢٢، ٦ والتابع ؛ اشعيا ٢٨، ٧ ؛ ميخا ٣، ٥ - ١١ ؛ صفنيا ٣، ٤ ؛ ارميا ٢٣، ١٤ ؛ ٢٩، ٢٣ ؛ ٢٣، ٢٣ - ٣٢ ؛ ٦، ١٤ ؛ ١٤، ١٣ - ١٥، حزقيال ١٣، ٤ والتابع ؛ ١٣، ٣ - ٦ ؛ ٢٢، ٢٨ ؛ ١٣، ١ - ١٦ ...

لم تنحصر هذه المهنة الشريرة في الرجال بل تخطتهم الى النساء اللواتي ادعين النبوأة وضارعن الرجال في الكذب وغيره من ضروب الشر اللاصق بالانبياء الكذبة . قلِّب سفر حزقيال الى ان تبلغ الفصل الثالث عشر في اعداده التي تتراوح ما بين الثاني عشر والرابع والعشرين . ترى حقيقة ما قلناه عن النبيات الكاذبات . سوى ان ازدهار اولئك النبيات الكاذبات كان بعد الجلاء البابلي، خذ لك شاهداً نحميا ٦، ٧ - ١٤ . ومن الفروق التي تميز النبي الصادق من الكاذب هي :

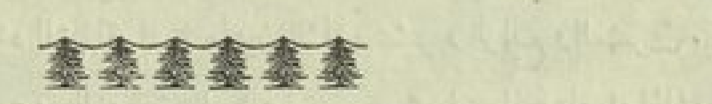
١ً - العجائب . تحقيق النبوءة والحض على الثبات في الديانة .

٢ً - نسق حياته وتحدثه واعماله الظاهرة و ... اما الكاذب فيقود الى الوثنية ويتعرى من التواضع ثم لا تتحقق نبوأته ..

اساس النبوءة ارادة الله المعلنة لاشخاص لايقتضي لهم شيء من

الاستعداد، اذ هم كالآلة الجامدة بيد الله لتنفيذ الرغائب الالهية السامية التي تتم في المستقبل . وفي بعض المرار قد لايفهم النبي كل ما يقوله تماماً نظراً لعلاقته بالمستقبل .

والآن نتخطى الى صلب الموضوع الاساسي لهذا الكتاب الاخير من الجزء الاول، الى الانبياء . على اننا نفضل ان نقدم الكلام في الانبياء الكبار لتحدينا طريقة الكتاب المقدس الذي يقدمهم على الصغار وان وجد في الآخرين من هو اقدم من كل من الانبياء الكبار .



الفصل الاول

نبوءة اشعيا (النبي الانجيلي)

١ً – اسم اشعيا وحياته

(ܐܫܰܥܝܳܐ = خلاص الكائن) هو ابن اموص اخي امصيا ملك يهوذا، حسب التقليد اليهودي، الذي قبلته الكنيسة . فيكون سرى اذن في عروق اشعيا الدم الملكي رغم ان قتله حدث على يد منسى بن حزقيا ملك يهوذا نسيب اشعيا .

اما حياة هذا النبي العظيم فيكتنفها الغموض من اغلب نواحيها، لا نعرف عنه إلاَّ النذر القليل من انه تنبأ نيف وستين سنة اثناءها تتابع على عرش يهوذا خمسة ملوك، عوزيا، يوتام، آحاز، حزقيا، منسى. وسنو يوتام واحاز وحزقيا احدى وستون سنة .يضاف اليها سنةٌ لعوزيا وبعض سني منسى (من الثلاث حتى الثماني سنين)، فتصبح مدَّة خدمة اشعيا تتراوح بين الـ ٦٥ سنة والـ ٧٠ سنة ومدَّة حياته ما بين الـ ٨٥ والـ ٩٥ . لهذا النبي ابنٌ يُدعى شآر ياشوب ذهب معه وقت امره الرب لاستقبال احاز الملك . اذن لقد كان اشعيا متزوجاً بامرأة إلاَّ انه لم يأت على ذكر اسمها، وإن كانت نبية (اشعيا ٨، ٣)

٢ - تآليف اشعيا

عدا النبوءة المصدرة باسمه له رسائل تشرح اعمال الملكين عوزيا وحزقيا، وتؤلف جزءاً من جسم اسفار الملوك واسفار الايام (اخبار الايام الثاني ٢٦، ٢٢، ٣٢، ٣٠)، ذلك لعظمة الشبه الموجود بين ما يُروى عن هذين الملكين في سفر اخبار الايام وما يُذكر عنهما ايضاً في نبوءة اشعيا.

٣ - نبوءة اشعيا

عرف العلماء في هذه النبوءة قسمين منفصلين يتوسطهما حادث تاريخي كحدّ يفصل بين القسم الاول والقسم الآخر. على انهم اتخذوا هذا الحادث الفاصل كذيل للقسم الاول.

١ - . القسم الاول (ف ف ١ - ٣٥) هو كتاب تهديد فيه تذاع الاحكام الالهية، التي بها خاطب الكائن شعبه المختار مع باقي الشعوب ليمهد صرامة الاقتصاص الالهي. وذلك لاجل يهوذا بواسطة الرجاء بالملك المسيحي.

في الفصل الاول يرسم النبي، كتوطئة، السقوط العام ثم يحرّض على الانابة الواجب عملها لاسترضاء الله. اما الاربعة الفصول التالية فتكوّن قصة كرم الحبيب، تلك القصة التي تشير الى غضب الله على ناكري الجميل وقادة الشعب الاشرار. بعيد ذلك يبدو رسم رؤيا النبيّ على الشعب الاسرائيلي، وفيها يُدعى الرب قدوس اسرائيل ويظهر انقراض الشعب المختار، الذي يبقى منه فقط الزرع المقدس

منشئ اسرائيل الجديد . هنا نبلغ كتاب عمانوئيل الذي يشغل الفصول الستة التالية (٧ - ١٢) المتضمنة كيفية ميلاد المسيح وظهوره من عذراء والانذار بانزال القصاص بيهوذا العاتي الذي بقي في الوجود فقط لاجل عمانوئيل الموعود به . يلتحق بما تقدم نبوءة اشعيا عن الامم ايام حزقيا الملك، كبابل (١٣ - ١٤، ٢٣)، واشور (١٤، ٢٤ - ٢٧)، وفلسطين (١٤، ٢٨ - ٣٢)، وموآب (١٥ - ١٦)، ثم سوريا ودمشق (١٧، ١ - ١١؛ سنة ٧٣٥ ق٠م٠م و٠و٠٠٠ ٢٤، ٢٣ : الرب الصباؤوت يملك في صهيون وفي اورشليم .

واذ نمرّ الان بالفصول ٢٨ - ٣٣ نقرأ القضاء الالهي على السامرة وعلى اورشليم، اللتين وضعتا رجاءهما في المصريين، بعد هذا يؤتى على ذكر مذبحة الاشوريين (سنة ٧٠١ ق٠م٠).

وفي خاتمة القسم الاول بعض حوادث هي : حكم الرب على سكان ادوم، وصورة مجد اسرائيل وتراها في الفصلين الاخيرين خاتمة القسم الاول (٣٤ - ٣٥) بقي ذيل القسم الاول الذي فيه نقرأ كيف غزا الاشوريون شعب الله أيام تولى سنحاريب زمام الحكم وركب منصة الملك (سنة ٧٠١ قبل م٠)، ووصف مرض حزقيا الملك وارسالية مروداك بلأذان الى حزقيا من قبل ملك بابل

٢ً - ٠ القسم الآخر (٤٠ - ٦٦) يدعى كتاب التعزية، فيه نبوآءت عن نهاية الجلاء البابلي وعن تجديد ملك الله ، يوعز الله الى احبائه ان يعزّوا شعبه مبشرين بانقضاء النقمة وقرب مجيء المسيح الموعود به . ثم تذاع قدرة الله وحكمته، قصد توطيد رجاء الشعب

المختار باعطاء الاسس الراهنة المبني عليها هذا الرجاء (فصل ٤٠) . بعدئذٍ يدعو الله جميع الشعوب ليناظرهم في قضية اوثانهم مثبتاً شعبه بوعده الصادق (٤١) . غير ان رقة الوصف تتراءى في الفصل الثاني والاربعين بوصف المسيح باوصاف رقيقة . يغيب هنا مثال كورش فلا يعود يُرَى في هذا الوصف سوى نبي واستاذ كثير الاناة واسع الحلم همه نشر معرفة الله وشرائعهِ بين الامم . بعدما مَرَّ رسم النبي النجاة من الجلاء البابلي، ورمز افتداء الجنس البشري مع انتصار المملكة الالهية على الامم (فصول ٤٢ — ٤٨) .

ومن الفصل الـ ٤٩ الى الـ ٥٧ ذكر خادم الكائن وكل ما يرقبه من اتضاع والام (يشير بهذا الى المسيح) . غير ان كتاب الانتصار ورسم اسرائيل الجديد العتيدة ان تخدمه كل الامم، يشغل مع رؤيا اورشليم الجديدة ومجد المملكة المسيحية، كل باقي فصول هذه النبوءة السامية . على ان بعضهم يعتبر هذه الفصول الاخيرة ذيلاً تاريخياً — نبويّاً للقسم الثاني وخاتمة النبوءة .

٤ً — أتكون فصول هذا السفر الـ ٦٦ من قلم امير الانبياء، ام يشاركه آخر في وضعها ؟

اصعب مسائل كتب الانبياء مسألة سفر اشعيا فتكون النقطة الوحيدة التي تستحق الاهتمام الدقيق، اذ هي وأيم الحق! عويصة جداً بسبب انهم وضعوها تحت المبضع الانتقادي العصري دون ان يراعوا فيها الناحية النبوية المهيمنة على جميع الفصول ان لم نقل على جميع الفقر .

قبل القرن الثامن عشر لم يكن ليدور في خلد احد ان في هذا السفر تجزؤ يستلزم اكثر من واضع . اما في ما بعد فقد وضع في مقدمة كتب الانبياء الخارجة عن دائرة التمحيص والالتحام، معلن النفسية الواحدة والقلم الواحد . اول من وطن النفس على وضع هذا السفر على بساط التشريح العقلي الصرف والارتياب بوحدته هم المحتجون (البروتستان) والعقليون اصحاب الشواذ البين واعداء التقليد والتاريخ القديمين، فقد عزوا كتابة القسم الثاني (٤٠–٦٦) الى رجل مجهول الاسم عاش في اواخر زمان الجلاء البابلي . اما البراهين التي يتذرعون بها لتأييد صحة زعمهم فها كها : ١ً وجود التناقض اللفظي . ففي القسم الثاني (٤٠ – ٦٦) يقول المعترضون، توجد الفاظ غريبة يجهلها اشعيا القديم . ثم غيرها من الالفاظ التي تتحد بالنسق الذي جرى في الاستعمال فيما بعد غب انصرام عهد اشعيا .

٢ً وجود تناقض الجمل . بيان اختصاص القسم الاول بالنسق المقتضب بطانته التهديد الصارم وصبغته الفخامة السامية، بينما نرى القسم الآخر يمتاز بتبسط النسق وسلاسة الجمل وسهولة التعبير القريب المنال

٣ً وجود تناقض التعليم . في القسم الاول يذاع سمو الله، وقدرته وقداسته (اشعيا ٢، ١٠ – ١١ : ١٢، ١٢ ؛ ٣، ٨ – الخ ..) اما في القسم الآخر فتشهر ازليته ووحدته وقوته المبدعة (اشعيا ٤٠، ٨ : ٤١، ٢١ ؛ ٤٢، ٥ – ٨، ٤٣، ١٠ – ١١، ١٣ .....) . ثم يصور المسيح في القسم الاول ملكاً ممجداً (٩، ٨، ١١، ١ – ٨ : ٣٢، ١ – ٥) . لكنه لا يلبث ان ينحط في القسم الثاني الى خادم الكائن والى حامل الآلام وان اولى الخلاص ورفع خطايا الانسان (٤٢، ١ – ٤؛

٤٩ : ١ - ٦ ، ٥٠ : ٤ - ٥٢ : ١١ ، ٣ - ٥٣ : ٥ الخ . .)

٤ً وجود تناقض الزمان . كيف يعقل ، يتابع المعترضون ، كلام اشعيا بصيغة الحاضر ، عن ملك اتى بعد اشعيا بقرن ونصف القرن وهو كورش ؟ هذه براهين المعترضين على عدم وجود نسب كل السفر الى ابن آموص . وها نحن نجيب عليها ببراهين تفوقها قيمة واهمية ووجاهة :

لنا اولاً بالتاريخ اسطع برهان ، فهذا التاريخ يخذلهم الى النهاية ويراعي جنبنا تمام المراعاة ، على ان حملتهم النارية لا تدعم الا بالبراهين الداخلية او الانتقاد الداخلي . فيما لو كان انتقادهم هذا موجهاً الى كتاب عادي او بشري ، لا الى كتاب نبوي الهي ، للقوى العلوية يد طولى في ايجاده . اقرأ اذا شئت ما قاله ابن سيراخ في اشعيا : لان حزقيا صنع المرضي امام الرب وجدّ في السلوك في طرق داود ابيه ، التي اوصاه بها اشعيا النبي العظيم الصادق في رؤياه (ابن سيراخ ٤٨ : ٢٥) ، وهذا المديح (مع اعتراف المعترضين انفسهم بـه مثل Gauter و Minocchi) يلاحظ القسم الثاني التاريخي من النبوءة ، ذلك القسم الذي نبذه المعترضون . والمؤرخ اليهودي يوسيفوس (في كتابه القدمية اليهودية ، ١١ ، ١ ، ٢) ، يلمح الى قول اشعيا السابق (٤٨ : ٢٥) عارفاً به نبوة عن الملك كورش . وهل العهد الجديد يهمل ذكر القسم الثاني (٤٠ - ٦٦) ؟ كلا وليس فقط يأتي على ذكره بل يشفعه بنسب الى اشعيا كواضع له احدى عشر مرة (متى ٣ : ٣ ، ٨ : ١٧ ، ١٢ : ١٧ ، مرقص ١ : ٣ ، لوقا ٣ : ٤ ، ١٧ : ٠٠٠ ؛ يوحنا ١ : ٢٣ ؛ ١٢ : ٣٨ ؛ اعمال ٨ : ٣٠ = (اشعيا ٥٥) ؛ رومية ١٠ : ١٦ ؛ ٢٠) .

دون ذلك ، لغاية الساعة ، لم يتصل بنا شهادة او مسوغ حقيقي يفصل بين القسمين من كتاب اشعيا . فاذا لم يكن امير الانبياء

واضع الجزء الثاني لماذا ضم هذا القسم الى كتابه ؟ ثم لو كان الكاتب غير اشعيا لكانوا اظهروا اسمه : فكتب الانبياء دائماً تحمل اسماء مصنفيها (وان كانت صغيرة كما هي الحال في كتاب عوبديا) . فالقسم الثاني، وهو نبوي، ليس باصغر من نبؤة عوبديا ليدع جانباً ذكر واضعه

لنا ايضاً براهين داخلية تثبت رأينا هذا، اليك بها :

١ً في كلا القسمين وجه شبه عظيم وعلاقة متينة فموضوع القسم الاول . التجديد بواسطة الهدم . وموضوع القسم الاخر من الهدم الى التجديد اذن توجد علاقة دقيقة بين القسمين .

٢ً الكلمات النادرة الاستعمال خارج كتاب اشعيا، تظهر في القسمين بالسوية خذ لك مثلاً : استعمال « قدوس اسرائيل » يكرر ١٢ مرة في القسم الاول و١٧ مرة في القسم الاخر ، اما في كل باقي اسفار العهد القديم فلا يكاد تكرارها يتخطى المرار الست . « وفم الرب تكلم » تراها في القسمين (١ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٥ ، ٥٨ ، ١٤ الخ .)

٣ً حتى والنسق الكتابي في القسمين هو كلي الشبه بحيث يمكننا الجزم بعدم الاختلاف الجوهري ولا في شيء البتة .

لا يريد النقدة العصريون ان يتعرفوا الى شهادة خارجية تؤيد صحة انتساب هذه النبوة الى اشعيا، بل لهم الكتاب نفسه كل شيء وان خذلهم (الكتاب) في حادث ا كتناههم اياه جيداً . لذلك تراهم لا يودون لا شهادة ما تاريخية ولا رأي عالم قديم . ونود ان نصارحهم بهذا : الم يكن لهذا الكتاب من وجود قبل القرن الثامن عشر ؟ او لم يفهمه القدماء فهم الحديثين له ؟ او لم يكن علماء القديم متقنين اللغة العبرانية لسبر غور سفر اشعيا كما سبر غوره العصريون ؟ بل نقول الم يتسامى القدماء على الحديثين بفهم الكتاب العبراني الذي

درسوه درساً شافياً حتى احاطوا بكل ما فيه من شوارد ودوارد؟

مع ذلك لا نرى براهين المعترضين يقوم لها قائم عندما نفهم ان بعض التغاير بين القسمين من الضروري ايجاده متى قصد الكاتب غايتين مختلفتين لجزئين يؤلفان موضوعاً واحداً. فاشعيا لاختلاف نوع النبوآت والغاية القريبة جعل القسم الآخر يختلف عن القسم الاول في بعض اشياء عرضية. لانه لما بدأ ينذر الشعب بالتهديد ليرتدع عن غيه التزم اظهار لهجة قاسية جداً. وعندما تاب الشعب فيما بعد عدل عن تلك اللهجة الى غيرها اخف صرامة واكثر ليناً. وقد يكون ان حمية الشباب في القسم الاول هي التي دفعت بالنبي الى تلك اللهجة الشديدة في الكتابة، وعندما بلغ سن الشيخوخة فارقته تلك الروح الوثابة النارية فلم يعد بامكانه ان يكتب باسلوبه الاول الشديد اللذع. ولا من ناحية التعليم نرى اختلافاً بيناً بين القسمين يستلزم لهذا الكتاب عدة واضعين، كما قال العلامة فيغورو الطائر الشهرة [Vigouroux : Les livres saints et la critique rationaliste 13 (Paris 1891) 10, 7 s.]

اما قولهم: ان اشعيا يتكلم عن المستقبل بصيغة الحاضر، فيفسر بكون المهم في الوحي الالهي تكوين صور المستقبل في ذاكرته كصور الحاضر. لهذا متى افترضنا وجود النبوءة لم يبق بعد من اعتراض على التنويه في المستقبل بصيغة الحاضر. هذا ما نقوله دون ان نزيد كلمة واحدة كي لا يتضعضع القاري بكثرة الشرح الممل الذي عوض ان يكشف الابهام يضاعف كثافته، والذي لاجله انتقينا هذا الاسلوب المختصر، فهو خير كاشف، وان بطريقة الاختصار لخير راغب في الاطلاع على الحقيقة التي لا تقبل اللون ذات الوجهين والصورتين

٥ – أمن قوة الهية لهذا السفر؟

لهذا السفر القوة الالهية، ما ليس لغيره من كتب الانبياء. فهو بكامله مجموعة نبوآت تحققت في شخص المسيح طيلة حياته كلها من الولادة حتى الصلب. اول هذه النبوآت ولادة المسيح من عذراء (٧، ١٤؛ متى ١، ٢٣)، انظر الخطيب الشهير بوسيه (J. B. Bossuet Explication de la prophétie d'Jsaïe sur l'enfantement de la Vierge. Paris 1704) واثبات كون هذا المسيح الها وانسانا (٩، ٦) وخروجه من اسرة داود (١١، ١ = اعمال ١٣، ٢٣) وتبشيره في الجليل (٩، ١ – ٣ = متى ٤، ١٤ – ١٦) وعجائبه (٣٥، ٤ – ٦ = متى ١١، ٥)، ونذير المسيح (يوحنا) (٤٠، ٣ = متى ٣، ٣؛ مرقص ١، ٣؛ لوقا ٣، ٤؛ يوحنا ١، ٢٣)، والمسيح المتألم (٥٣ = اعمال ٨، ٣٢ اولى بطرس ٢، ٢٢، مرقص ١٥، ٢٨ متى ٨، ١٦ والباقي) وسجود ملوك المجوس (٦٠، ٦)

قال القديس ايرونيموس (في مقدمته على انجيل يوحنا)؛ هو (اشعيا) نبي عظيم، غير انه بقدر ما هو نبي بقدر ذاك هو انجيلي وازيد. ثم يتبع في محل اخر: يبان لي ان اشعيا سطر انجيلاً لا نبوة. والقديس كيرلس الاسكندري (في توطئته لكتاب اشعيا) يدعوه نبياً ورسولاً سوية. وتبع القديس كيرلس القديس اغوسطينوس (في كتابه مدينة الله ١٨، ٢٩.

٦ – نقتطان لسفر اشعيا

١ً – النقطة الاولى. بها نميز في هذا السفر تعليم ابن اموص ثم نبوآته.

١ – فتعليمه يشرح كون الكائن هو رب الجيوش (اشعيا ٤٤ ، ٦ والباقي ٤٤ ، ١٤ ؛ ٤٤ – ٢٠ ؛ ٤٥ ، ٥ ؛ ٤٦ ، ٩ والتابع) ، متجلبب بكلية القدرة ، اذ ليس له من شبيه ، مبدع كل المبروآت (٤٥ ، ٦ واللاحق ؛ ٤٥ ، ١٢ ؛ ٤٨ ، ١٢ وما يأتي) ازلي (٤٣ ، ١٠ ، ١٣) ، كلي الفهم (٢٩ ، ١٥ والتابع ؛ ٤٠ ، ٢٧ والتابع . مدبر الامم (١٠ ، ٥ – ١٥ ؛ ١٠ ، ١٢ – ١٥ ؛ ٢٢ ، ٩ – ١١) . قدوس اسرائيل (١ ، ١٠ – ١٧ ؛ ٢٩ ، ١٣ ؛ ٥٨ ؛ ٤٩ ، ١٤ – ١٥ الخ .) . مخلص شعبه (٤٣ ، ١ – ٣) ومعزيه (١٥ ، ١٢ ما يلحق) تحت ستار الابوة (٣٧ ، ٢٢ – ٢٩ ؛ ٦٣ ، ١٥ – ١٩ ؛ ٦٤ ، ٨) .

٢ – اما نبوآته فتترتب في خمسة اقسام ، اولها يختص باسرائيل ويهوذا مع الكهنة والمتقدمين والانبياء الكذبة من وجهة الانتقام العتيد ان يحل بهم (١ ، ٢٤ ؛ ٢ ، ٦ – ١٣ ؛ ٥ ، ٢٥ – ٣٠ ؛ ٢٢ ؛ ٢٣ وما يعقب) ، ذلك الانتقام الذي تم بواسطة الاشوريين من دكوا حصون المملكتين المنيعة هادمين ومدمرين البنايات الفخيمة الجبارة مع الهيكل العظيم ومجلّي شعب الله (٧ ، ١٨ – ٢٠ ؛ ٩ ، ١٧ – ١٩ ؛ ٦٤ ، ١١ الخ) . ثانيها يشير الى انقراض اعداء اسرائيل ؛ كسكان فلسطين وموآب وسوريا وبابل وغيرها من الشعوب المعادية لاسرائيل (١٣ – ٢٣ ؛ ٤٧) . ثالث هذه الاقسام يذكر ما قيل عن ذلك الملك المنصور كورش ، من حله اسر المجلوين من شعب الله وسماحه لهم بالعودة الى وطنهم بعد ان امر بترميم اورشليم والهيكل (٤١ ، ١ – ٢٠ ؛ ٤٥ ، ١ – ٥ ؛ ٩ ، ١٢ – ١٣ ؛ ١٤ ، ١ – ٣ ؛ ٤٤ ، ٢٨ ؛ ٤٥ ، ١٣ ؛ ٤٩ ، ١٧)

اما رابع الاقسام المتقدم ذكرها فينوه بولادة المسيح من عذراء وباقي مراحل حياته البشرية (٧، ١٤؛ ١١، ١؛ ٩، ٦؛ ٤٢، ١-٤؛ ٤٩، ٦؛ ٥٠، ٤-٦؛ ٥٣، ٢-١١ وما يأتي). وخامس قسم والاخير يكرّس الملك المسيح الجديد، ولما كان هذا الفادي ملكاً روحياً صدر كونه يملك سرمداً ومملكته تشمل كل الشعوب التي لا تنال الخلاص والسعادة الا بواسطة انجيله الكريم، منارة الكون (٥٤، ٩-١٠؛ ٥٥، ٣؛ ٦٠، ٢٢؛ ٦٦، ١٩؛ الخ)

ب - النقطة الثانية وتحوي تعليقاً على ثلاث الفاظ : العذراء [التي تحبل (اشعيا ٧، ١٤)]، عمانوئيل [المولود (اشعيا ٨، ٨-١٠)] عبد الكائن »او خادمه (اشعيا ٥٢، ١٣؛ ٥٣، ١٢)«.

اولاً. العذراء. في العبراني ܗܥܰܠܡܳܗ تفسر بصبية ما، على ان اصل اللفظة العبرانية المتقدمة هو ܥܠܰܡ (فعل ثلاثي معلوم) المترجم عربياً باخفى، ومنه شقوا (كما يقول القديس ايرونيموس) اللفظة الاولى العبرانية وخلعوا عليها معنى مالكة الطهارة. اما اليوم فيقوم في الوسط رأيان يعاكس الواحد الآخر في فهمه معنى لفظة ܗܥܰܠܡܳܗ، رأي كاثوليكي يريد هذه اللفظة مرادفة للفظة ܒܬܘܠܗ = بتول. ورأي لا كاثوليكي يعرف بتفسيرها الفتاة الناضجة وقد يكون انها تعني الامرأة

بجانب مَن من الاثنين الحق؟

اذا سلمنا بترجمة القديس ايرونيموس (التي تلامس الذروة من الصواب في هذه الامور) وجب ان نقول: ܥܠܡ تترجم بفتى او بولد بلغ سن الزواج (غير انه لم يتزوج بعد). و ܥܠܡܗ (بقوة

اللفظ ، كما يظهر جلياً) تعني فتاة لم تبلغ بعد حد الزواج ، اي عذراء. وان عرفها الاستعمال بغير هذا التعبير . وقد نبه العلامة لاغرانج (P · Lagrange) الى لفظة Junglau الامانية فقال : يفهم بهذه اللفظة (بقوة اللفظ) امرأة ، غير ان الاستعمال لم يفهم بها سوى عذراء . وهكذا في العبرانية .

– كيف تترجم النسخ الاولى القديمة لفظة ܥܠܡܐ ؟

اللفظة اليونانية (في السبعينية) المترجمة ܥܠܡܐ هي E Partenos التي لا تحتمل حصريا الا بمعنى عذراء . اما السريانية المسماة بالبسيطة فتترجم اللفظة العبرانية بلفظة سريانية (ܒܬܘܠܬܐ) لا تقبل سوى معنى عذرا ان بقوة اللفظ وان بالاستعمال الجاري . يؤيد الترجمتين اليونانية والسريانية التقليد المسيحي : كالقديس يوستينوس ، وترتوليانوس والقديس قبريانوس واوريجانوس ، والقديس ايفانيوس مع القديس ايرونيموس وغيرهم . ناهيك بشهادة القديس متى الانجيلي (اشعيا ٧ ، ١٤ = متى ١ ، ١٨ – ٢٥) . والنص الاصلي لا يحتمل الا كونها بكراً كما سبق فبين القديس ايرونيموس وسائر من اتى بعده من الاباء . فلو افترضنا كونها ذات بعل فاي عجب من انها تلد اليس كل النساء ذوات الرجال يلدن . اذن يجب الا تكون ذات بعل كي يقوم معنى الآية : فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية (١) هذا ان العذراء تحبل وتلد ابناً ... (اشعيا ٧ ، ١٤) . وحسبنا مصداقاً لذلك قول متى (١ ، ٢٣) : ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، اي مع بقائها عذراء والا فلا آية هناك البتة ، بجميع ما في هذا الفصل من اطناب في الكلام .

اجعلي، يا سيدتي، هذا راسخاً في العقول، وانت القديرة على كل شي اذ امسيت اماً لربك ورب الكون . آمين .

ثانياً . عمانوئيل .

من هو هذا؟ وعلى من يطلق هذا الاسم؟

تختلف الآراء في هذا . فاليهود مع القديس ايرونيموس يعرفون به حزقيا احاز . وغروسيوس (grotius) مع جوقة تنتمي اليه يرون فيه ابناً لاشعيا . واخرون كروس (Reuss) وشميت (R. Smith) طفلاً ما ولد منذ اشهر قليلة اما الكاثوليك فبصوت واحد يرددون : إن عمانوئيل هو المسيح، لان ما ينسب اليه لا يتحقق إلاّ في المسيح : فارض يهوذا التي تدعى ارض الكائن وميراثه تسمى ارض عمانوئيل (اشعيا ٨، ٨) . وإن عمانوئيل المبشر به سيعمل على هدم وسحق قوى كل من تحدثه نفسه بالوقوف موقف العدو لاسرائيل الجديد (اشعيا٨، ٩ وما يتبع) حتى واشعيا نفسه يوضح مرامه بعمانوئيل (٩، ٦ . . .) اذ يميز الطفل العجيب عن الذي اتى على ذكره في الفصلين ال ٧ وال٨، اذ يسبل على كيان الاول رداء الاهياً . دونك المقابلة التي تؤيد نظرية الكاثوليك، وذلك بين كتاب اشعيا و كتاب ميخا :

ميخا		اشعيا
٥، ٢	=	٩، ٧
٥، ٣	=	٧، ١٤
٥، ٤ – ٥	=	٩، ٥ – ٦

والحال ان ميخا في فصوله السابقة يدل دلالة صريحة على المسيح،

فلا حزقيا ولا ابن اشعيا ولدا من عذراء الا المسيح . اذن باجماع رأي النبيين نتج كون عمانوئيل هو الاله المسيح .

ثالثاً . خادم الكائن (ܥܒܕ ܝܗܘܗ)

خادم الكائن هو عبد الكائن والاسفار الآهية تصف به : ١ً عباد الله الاتقياء ، كابراهيم (تك ٢٦ ، ٢٤ ؛ مزمور ١٠٤ (١٠٥) وموسى (سفر العدد ١٢ ، ٧) ، وكالب) سفر العدد ١٤ ، ٢٤) ويشوع بن نون (يشوع ٢٤ ، ٢٩ ؛ القصاة ٢ ، ٨) ، وايوب (ايوب ١ ، ٨ ؛ ٢ ، ٣) وداود (مزمور ١٨ ، ١ ؛ ٣٦ ، ١) ، وزوربابل (حجاي ٢ ، ٢٤) . ٢ً رسل الله الانبياء . (عاموص ٣ ، ٧ ؛ ارميا ٧ ، ٢٥ الخ .) . ٣ً منفذي الارادة الالهية ، لهذا دعا ارميا نبوكدصر خادم الله (ارميا ٢٥ ، ٩ ؛ ٦٧ ، ٦ ؛ ٤٣ ، ١٠) ٤ً الشعب المختار ، اي آل اسرائيل (اشعيا ٤١ ؛ – ٩ ؛ ٤٢ ، ١٩ ؛ ٤٤ ، ١ – ٢ ؛ ٤٥ ، ٤ ؛ ٤٨ ، ٢٠ ؛ ارميا ٣٠ ، ٢٠ ؛ ٤٦ ، ٢٧ –٢٨ ؛ حزقيال ٢٨ ، ٢٥ ؛ ٣٧ ، ٢٥) . ٥ً اخيراً المسيح (زكريا ٣ ، ٨) . على ان المراد بخادم الكائن ، طبقاً للتقليد القديم ، على حد قول الاباء كاكليمنضوس الروماني يوستينوس الشهير وايريناوس وايبوليتوس وا كليمنضوس الاسكندري وغيرهم . . ولتعليم الكنيسة الكاثوليكية ، بل طبقاً لتعليم اشعيا نفسه (٥٢ ، ١٣ ؛ ٥٣ ، ١٢) لا يكون سوى المسيح الرب .

وهكذا فهم الربينيون حتى نفس المحتجين (البروتستان) لغاية الجيل الثامن عشر . فكل ما نسبه اشعيا الى خادم الكائن قد تم فقط في شخص المسيح . فمن تألم لاجلنا غير المسيح ؟ ومن خلص وافتدى

الكل بموته غير ابن الله ؟ عدا هذا يعزى الى خادم الكائن البرارة والشعب الاسرائيلي متى كان باراً ؟ يقولون : تتحقق اوصاف خادم الكائن في اسرائيل الروحي واسرائيل النظري . وها نحن نسألهم: هل تألم اسرائيل الروحي ؟ ومن اعتق من اغلال الاثم ؟ واسرائيل النظري هل كان له من وجود وضعي ؟ وهل استطاع ان يتألم ؟ فلا يمكنهم ان يجيبوا على هذه الاسئلة الا بكلا . . إذن لا يبقى سوى المسيح الذي تمّ فيه كل ما قيل في خادم الكائن .

على ان فقرة تعارض رأينا وهي : وقال لي انت عبدي يا اسرائيل فاني اتمجد بك (اشعيا ٤٩، ٣) . يجيب اغلب النقدة (كجينيزيوس Genesius، ودوهم Duhm على هذا بقولهم : ان لفظة اسرائيل في هذا الموضع ليست بالاصلية في النسخة القديمة انما ادخلت فيما بعد . بينما فريق آخر من النقدة لا يرتاب بصحتها وسلامتها إلاَّ انه لا يطلقها على غير المسيح، لان النبي في الاعداد اللاحقة من الفصل نفسه يميز بين خادم الكائن والشعب الاسرائيلي : والآن قال الرب الذي جبلني من البطن عبداً له لارد يعقوب اليه (فكيف يرد ذاته يعقوب ويتميز عن نفسه ؟) فيجتمع اليه اسرائيل . . . .قال : قليل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب (؟ !) وترد المحفوظين من اورشليم (اشعيا ٤٧، ٥ — ٦) هنا نمسك الكلام عن كتاب النبي الانجيلي والسلام على من عرف الهدى فاهتدى آمين .

الفصل الثاني

نبوءة ارميا

(النبي الباكي والمحب لاخوته ولاسرائيل)

هو الرجل الذي رثى خراب اورشليم اكثر من غيره، بكلام يثير الجوارح ويهز العواطف الكامنة داخل الاحشاء هزاً عنيفاً وذلك في خمسة فصول له، تدعى مراثي ارميا . وسوف نقول فيها كلمتنا في الآتي، اذ جعلناها ملحقاً لكتاب نبوءته . ابو هذا النبي يسمى حلقيا، وهو احد كهنة عناتوت، غير حلقيا الكاهن الاعظم (الذي كان في ذلك العهد) الذي محل اقامته كان اورشليم، شأن كل عظيم كهنة عند العبرانيين . وعناتوت (ويقال لها اليوم عناتا) تبعد عن اورشليم لناحية الشمال نحو ساعة، وهي من المدن الصغرى التي دخلت في نصيب الكهنة اللاويين حين قسمت ارض الميعاد ايام يشوع بن نون خليفة كليم الله .

اتفق عامة المفسرين على ان ارميا خصص لخدمة الله من بطن امه ثم طهر من الخطيئة الاصلية، وكان ارميا حين كاشفه الله بدعوته صغير السن لا يتجاوز خمس عشرة سنة فخاف الاقدام على امر كذا كبير واعتذر عن القيام بالمهمة العظمى . غير ان الله أبى عليه إلاّ قبول المهمة النبوية فاطاع النبي اخيراً وانقاد لتدبير الارادة الالهية السامية .

موضوع هذه النبوءة تشييد اورشليم الجديدة مع اقامة شعب جديد ووجوب استئصال الكفرة من بني ابراهيم المؤمن، وذلك بتبسط تام .

اما شروع ارميا بخدمته فبدأ في ثالث سنة بعد العاشرة ليوشيا الملك (١ ، ٢) واستمر عليها طيلة ايام يوآحاز ويوياقيم ويوياكين، وصدقيا التي هي ثماني عشرة سنة . وبعد نكبة اورشليم، ونفي صدقيا الملك الى بابل، منح ارميا حرية الاقامة في اي موضع يريد . فاختار وطنه المدمر حيث القى مراثيه المؤثرة التي تلمس الطف ناحية من الاحساس الدقيق . ثم صحب جماعة اليهود الى مصر لالحاحهم الشديد عليه وهناك عاش مدة بعدها نال كأس الاستشهاد بواسطة الرجم من بني قومه لانه كان يردعهم عن اتيان الرذائل بقالب التوبيخ الابوي . هذا ما يعرفه التقليد اليهودي والاباء القديسون .

تآليف هذا النبي الآتية : مراثي ارميا، وسفر نبوءته المتضمنة اثنين وخمسين فصلاً، فيها من الرقة والانسجام ما يبلغ بها درجة سامية. فان كانت العظمة تهيمن على سفر اشعيا بنوع فائق فلا يعدم هذا السفر بعضها على انه (اي كتاب ارميا) من جهة الرثاء يفوق كتاب اشعيا بدرجات . فارميا هو الباكي دائماً . وتلمس بعض التأوه في كل فصل من فصوله وان من طرف خفي، فلا يسطِر العظمة والسرور الا ليتضم ويغتم حتى في اعماق سره كأنك تراه من بين سطوره يجري الدموع من مقلتيه كالسيول الجارفة وسط الكانونين دون ان يعتري حاسة نظره التعطيل كأنها اخذت قوتها من جوهر الالوهية

بان تظل ثابتة رغم النوائب والمفاجآت المحزنة التي تهد الصخور وتذيب الحجر الاصم. ان جاز التأثر بقراءة شعر الخنساء تحتم البكاء بقراءة نبوة ارميا ومراثيه، وان وافق البكاء من جراء قراءة ديوان بنت عمرو (الخنساء) سليلة امرئ القيس، وجب استنزاف العيون دموعاً بل دماً لمجرد سماع اقوال ابن حلقيا النبوية والرثائية!

كفى بالكلمة المتقدمة تعبيراً عن حزن ارميا الصادر (اي الحزن) عن محبته لله ولوطنه ولتعلقه الشديد بهما. وكان بودنا الاستزادة في الكلام عن هذا النبي نظراً لاهمية نبوءته في عالم الوحي والالهام والرموز (من انه رمز للمسيح بوقوعه في اشراك اخوانه اليهود) الا اننا نجتزئ بما تقدم محافظة على قاعدة الايجاز التي سنناها لانفسنا ووضعناها سمة لهذا المختصر.

٢ – نبوءة ارميا في دائرة التخطيط

كتاب ارميا كالكرة الارضية (على طريق المقابلة) فكما تضم هذه خمساً من القارات، او الاقسام الكبرى ذات الحدود الطبيعية التي تفصل كيان احداها عن الاخر. هكذا تلك (اي النبوءة) تحيط بخمسة اجزاء يضم كلٌّ منها افكاراً او فكراً رئيسياً اولياً مساحته لا تطالها المادة مهما تضاعف مجموعها ومهما تطورت ادوارها. الخمسة الاقسام هي: ١ً فاتحة (الفصل الاول). ٢ً النبوءة الهاجية اليهود (فصول ٢ – ٣٥). ٣ً اعمال ارميا في حياته (٣٦ – ٤٥). ٤ً نبوءته ضد الامم (٤٦ – ٥١). ٥ً ذيل تاريخي (٥٢).

وها نحن نبسط مضامين هذه الاجزاء الخمسة:

اولاً — في الفاتحة يخطط رسم دعوة ارميا الالهية بنسق جميل شائق يأخذ بمجامع القلوب؛ هي كلمة الرب لارميا، الذي تقدس وهو في احشاء امه : فكانت كلمة الرب اليَّ (اي الى ارميا) قائلاً : قبل ان اصورك في البطن عرفتك وقبل ان تخرج من الرحم قدستك وجعلتك نبياً للامم (ارميا ١، ٤ و٥)

ثانياً — ارميا يتفاءل شراً بيهوذا (٢ – ٣٥) بسبب جنحه الى الخطأ . هنا في هذا الجزء نذكر ستة خطب لارميا عن لسان الرب :

١ً الخطاب الاول هو تقريع لاسرائيل التارك الهه والذاهب وراء البعل، يطلب ما لا فائدة فيه . وهذا الخطاب يشغل الفصل الاول مع الخمسة الاعداد الاولى من الفصل الثاني .

٢ً الخطاب الثاني (٣، ٦ – ٦، ٣٩) يصور قساوة الشعب الاسرائيلي المتعنت على سيده دائماً ابداً . وكما تغدر المرأة بخليلها هكذا يغدر آل اسرائيل بمولاهم الاسمى : لكن كما ان المرأة تغدر بخليلها كذلك غدرتم بي يا آل اسرائيل يقول الرب؛ ارميا ٣، ٢٠ . غير ان الرب، الرقيق القلب، يعد بان يرجع عن الانتقام متى رجعت اورشليم عن الخطأ وتابت . لكنها، على ما يظهر، لا ترجع لذلك سيضربها الرب دون ان يفنيها : فانه هكذا قال الرب ستستوحش الارض كلها لكني لا افنيها؛ ارميا ٤، ٢٧ . ثم يحرص الله الغير للتطواف في اورشليم لايجاد انسان واحد يجري العدل ويقيم الحكم كي يعفو هذا الاله عن المدينة لاجل هذا الواحد، ويحض الجميع على الهرب من داخل اورشليم لانه قد عزم على تدمير بنت صهيون الخائنة بالوعد . لهذا

قال : هاءنذا ادمر الجميلة المترفة بنت صهيون؛ ارميا ٦ ، ٢ .

٣ً الخطاب الثالث (٧ - ١٠) يرذل الثقة الكاذبة في هيكل الله وعبادته الخارجيين : لا تتكلوا على قول الكذب قائلين : هيكل الله هيكل الله هيكل الله (٧ ، ٤) ... : اتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور وتقترون للبعل وتتبعون آلهة أخر لم تعرفوها . ثم تأتون وتقفون بين يديَّ في هذا البيت الذي دعي باسمي وتقولون قد انقذنا حتى تصنعوا جميع تلك الارجاس . أفصار هذا البيت الذي دعي باسمي مغارة للصوص امام عيونكم (٩) ٧ ، ٩ - ١٢ . اما الفصل التاسع فليس هو سوى رثاء لحال صهيون الشكلي التي فقدت بنيها بسبب استهتارها الشائن . والعاشر هو حض للرجوع الى الله بالقلب والنية .

٤ً الخطاب الرابع (١١ - ١٣) يتكلم عن وجوب تقويم طرق بني اسرائيل ثم عن انذارهم بعقاب صارم إن لم يعملوا بحسب القول السابق؛ غير ان النبي يتظلم من خدّام عناتوت لانهم كانوا يتآمرون على قتله . اما يهوذا فقد فسخ عهد الرب بغباوة لا مثيل لها .

٥ً . الخطاب الخامس (١٤ - ١٧) يصف الكائن يقسو على شعبه ذلك انه لم يعد يعرفه (اي شعبه) ولم يكن يدفع عنه العقاب حتى وإن صلّى اليه .

٦ً الخطاب السادس (١٨ - ٢٠) يرسم رذل مملكة يهوذا وذلك بالرموز النظرية الشائقة .

عدا ما تقدم من الخطب بقي خمسة عشر فصلاً لتكملة الجزء

الثاني . وهذه الفصول هي نبوآءت قيلت (ايام صدقيا) عن ملوك يهوذا وعلى الرعاة الخونة لافسادهم الرعية . بعد هذا يؤتى على ذكر الفداء والعهد الجديد عهد المسيح، ثم النبوءة على صدقيا وشعبه بالشؤم لمجاوزتهم العهد الذي بته الله معهم .

ثالثاً — الاعمال التي اتاها ارميا في حياته (٣٦ — ٤٥) . هذا الجزء يورد حادث احراق يوياقيم لكتاب نبوآت ارميا بعد ان سمع قرأته هو ومن كان بحضرته، لان ذلك الكتاب كان يحوي تقريعاً مراً لمخالفي العهد الاسرائيلي — الالهي . غير ان الرب أسمع ارميا نفس الكلام الذي امره بكتابته اولاً . وقبض على ارميا وزج في الحبس لتهمة باطلة اختلقها له رئيس الحراسة يوئيا بن شلميا بن حننيا وزادوا بان طلبوا قتله من الملك لانه تنبأ بتسليم المدينة الى ملك بابل فما كان من الملك الا ان دفعه الى ايديهم . فاخذوه والقوه في جب ملكيا الى ان غاص النبي في الحمأة داخل الجب . غير ان عبد الملك الكوشي، احد خصيان الملك، سأل ملكه عفواً لارميا فنال وذهب فانتشل ارميا . بعد هذا حاصر نبو كدنصر، ملك بابل، اورشليم واخذها، فهرب الملك صدقيا غير ان الجيش جد في اثره فادركه واقتاده الى الملك الذي قتل كل اولاده امامه وفقأ عيني صدقيا واوثقه بسلسلتين مرسلاً اياه الى بابل . ثم احرق البابليون المدنية وهدموا الاسوار ثم اجلوا بعض الشعب الاسرائيلي الى بابل . ومعهم ارميا الذي نال حظوة في عيني الملك نبو كدنصر ورئيس شرطته نبوزردان فسلماه الى جدليا بن احيقام بن شافان ليخرجه الى البيت فاقام بين

الشعب ... الخ . الخ ..

رابعاً — نبوآت ارميا على الامم (٤٦ — ٥١) تنبأ النبي في الفصل الـ ٤٦ بانهزام مصر وفي الفصل الـ ٤٧ بتدمير الفلسطينين وفي الفصل الـ ٤٨ بتحطيم موآب وفي الفصل الـ ٤٩ بردم وحرق عمون وتشتيت ذرية عيسو التي هي آدوم واسترخاء ورعدة دمشق من حرق الله لها بالنار، وبتدمير قيدار وتحطيم قوس عيلام وتخريبها ثم برجوع مجدها اخيراً اليها وو...

خامساً — اخيراً الذيل التاريخي الذي يذكر حصار المدينة من ملك بابل، نبو كدنصر، واستيلاءه عليها وقتله اولاد صدقيا الملك وقلع عيني هذا الاخير مع هدم الهيكل وسلب كل ما كان يحوي من امتعة ثمينة دون ان يوفر الحريق عن المدينة . على انه (نبو كدنصر) اقام يوياكين ملكاً على اليهود بعد اخراجه من السجن . هذه كلمة مقتضبة في مضمون هذا السفر الذي يهمل ترتيب الزمان في سرد الوقائع التاريخية .

بين النسخة العبرانية والنسخة اليونانية تناقض عظيم . فاليونانية على جانب كبير من الايجاز اذ تقلّ عن العبرانية ما يوازي الثمن (ينقص النسخة اليونانية ٢٧٠٠ كلمة لتساوي حجم النسخة العبرانية) وتختلف عنها بالترتيب فبينما نرى النسخة العبرانية على ترتيبها المعروف نقف على ترتيب مغاير لهذا في اليونانية . حسبك المثل الآتي : يتنبأ ارميا في الفصل الـ ٢٦، ٢—٢٨ ضد المصريين وفي الفصول ٢٧—٢٨ على بابل و ...

اما نحن فلا نجد سببا لهذا التناقض، غير ان بعضا من العلماء (مثل كورنيلي Cornely - Hagen, Compendium) افترضوا وجود نسختين عبرانيتين لنبوءة ارميا، الاولى وافية والثانية وجيزة، صدرت عنها النسخة (او الترجمة) اليونانية . فخالفهم بهذا فريق آخر من العلماء الذين قالوا : سبب هذا التناقض بين النسختين هو المترجم اليوناني الذي اهمل ذكر مرادفات واعادات كثيرة (اقرأ من الفصل الثامن الاعداد ١٠ — ٢٢ ترى نفس ما جيء قبله في الفصل ال ٦، ١٣ — ١٥ ثم ١٧، ٣-٤ نفس ٢٥، ١٣-١٤) اوحشواً (مثلا وضع Kurios موضع الرب اله اسرائيل، سيد الجيوش اله اسرائيل) . ولفظة ارميا تسبقها دائماً لفظة نبي في العبراني، اما في اليوناني فقد اهمل المترجم ذكرها خمساً وستين مرة . والفقرة « قال السيّد » لم تترجم الى اليوناني الخ ...) . فان ثبت هذا (وهو قريب جداً من التصديق) يجب ان ننسب الى المترجم اليوناني قلة الاهتمام والتدقيق وعدم الاهلية . يجب التسليم، طبقاً لما تقدم، بان النسخة العبرانية الحالية قبلت كثيراً من الزيادات على النسخة الاصلية، كما وان النسخة اليونانية اهملت بعضاً من تلك الزيادات التي أدخلت على النسخة العبرانية . ومع هذا نحترم كلتا النسختين لانهما متفقتان جوهرياً وصادقتان وبسبب ان النسخة العامية المأخوذة عن النسخة العبرانية تتداولها الكنيسة اللاتينية، والنسخة اليونانية تحترمها الكنيسة اليونانية، وقد ايد بولس الرسول قوله بها في رسالته الى العبرانيين في الفصل الثامن عدد تاسع .

٣ – دائماً هم ومبضعهم يعملوه في كل سفر الهي !

حاول فريق من النقدة العصريين ان يزعزعوا وحدة كتاب ارميا بسلخهم عن مجموعه عدة فصول مدعين كون روح ارميا لا تشمل الكتاب برمته بل جزءاً صغيراً يكاد يساوي سدس المجموع. فمن الف وثلاثمائة وخمسين فقره يسلمون لارميا فقط بمئتين وثمانين منها وبمئتين وعشرين لباروك. ولواضعين اتوا بعدهما بثمانمائة وثمانين. من هؤلاء النقدة برنرد دوم (Bernard Duhm, Das Buch Ieremia xx - xxx (Tubingen 1921)). اما الفصول التي لا تتحلى بروح ارميا فهي ٤٦ – ٤٩، التي تبدو عليها النفسية الهادئة الوضيعة، بينما يظهر ارميا في باقي الفصول ذلك العبراني الوادّ وطنه والناقم كثيراً على خطايا بني امته، تلك الخطايا التي اضحت سبباً للتشتيت والخراب والتدمير على هذا نجيب : ان اختلاف النفسية في هذه الفصول نشأ عن اختلاف البرهان لا عن اختلاف الواضع، وفي بعض امكنة تحتم على ارميا التواضع، بخلاف غيرها حيث وجب عليه فيها النقم على الذات.

وللمعترضين فصول اخرى يتذرعون بها لتأييد نظريتهم اولها الفصول الـ٥٠ والـ٥١ التي هي انذار لخراب بابل الذي تمّ مؤخراً.

ذلك افك يطعن الحقيقة في الصميم واحتقار لقدرة الله التي توحي المستقبلات بالاساليب النبوية.

وثاني هذه الفصول التي يعتبرها المعترضون حجة لتأييد رأيهم الهزيل السخيف والواهي هي الفصل الـ٥٢. يقولون : ختم كتاب

ارميا بآخر فقر الفصل الـ ٥١ التي هي : الى هنا كلام ارميا ؛ ارميا ٥١، ٦٤ . غير انه يأتي بعد هذه الفقرة فصل كامل فيه يتضح ان عهد ارميا كان مؤخراً عما ذكر قبلاً !

هذا لا يقدم حجة تدعم رأي المعترضين، فقد يكون ان الفصل الـ ٥٢ ضم الى الكتاب بعد ان كمل هذا الاخير . ثم لا يبعد عن التصديق بان الكاتب بوضعه الفصل الـ ٥٢ يكون نقل الفصل الـ ٥٢ من سفر الملوك الثاني، الذي هو عمل ارميا على اكثرية الاحتمال .

ثم كل ما يبتدعه المعترضون من الاعتراضات لا يقوى على الوقوف كحاجز في وجه التقليدين اليهودي والمسيحي المؤيدين رأينا المذكور . اما قول المستقبلات واختلاف نفسية الكاتب فتطابق تماماً مهنة ارميا النبوية ونفسيته المختلفة باختلاف الظروف والاحوال التي تتابعت على النبي في اوقات مختلفة .

وها نحن نقول مع الفريق الاكبر من العلماء : ان كتاب ارميا النبوي تم جمعه بعد مرور بضع سنين، لكن التقطع الزمني، اثناء كتابته، داهمه، وذلك بحسب زمان هبوط الوحي على الكاتب ليكتب ما يؤمر به : خذلك درج الكتاب واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به ؛ ارميا ٣٦، ٢ .

كان لارميا النبي كاتب خاص يكتب ما يملي عليه ارميا، هذا الكاتب هو النبي باروك الذي عزا اليه العلماء ترتيب نبوءة ارميا بهيئتها الاخيرة .

٤ – اي حظ من القوة الالهية لهذا السفر؟

لهذا السفر حظ كبير من القوة الالهية لان بعض كتب العهدين القديم مع الجديد ترجع اليه رجوعها الى كتاب الهي موحى . دونك الامثلة : [(دانيال ٩، ٢ = ارميا ٢٥، ١١ ؛ ابن سيراخ ٤٩، ٨ والتابع = ارميا ٢٩، ١٠) ؛ (متى ٢، ١٧ واللاحق = ارميا ٣١، ١٥ : صوت سمع من الرامة ؛ متى ٢١، ١٣ = ارميا ٧، ١١ : بيتي بيت الصلاة يدعى) ؛ (الى العبرانيين ٨، ٨ – ١٣ ثم ١٠، ١٦ = ارميا ٣١، ٣١ – ٣٤) الخ...]

غير ان ارميا يمتاز ببعض نبوآت مسيحية سامية وذات اهمية كبرى : هذا هو دمي العهد الجديد ؛ ارميا ٣١، ٣١ – ٣٤ – متى ٢٦، ٢٨ . ويشير الى تجديد المملكة الداودية ؛ ٣٠، ٩ ... الخ . نتبع السفر بثلاثة ذيول ، اولها نتناول فيه الكلام عن مراثي ارميا ؛ وثانيها نخصص به نبوءة باروك (ذلك لانه كان الملازم الاول والدائم لارميا وكاتباً له ولكون نبوءته تعتبر كجزء لنبوءة ارميا) اما الثالث فيدور فيه الكلام على رسالة ارميا ، التي هي سادس وخاتمة فصول نبوءة باروك .

الذيل الاول

مراثي ارميا

ينال واضع فصول هذا الكتيب القدح المعلّى في عالم الرثاء اذ، وايم الحق ، قد لمس ذروة الابداع من الوجهتين الفنية والكتابية فنسق هذا السفر الصغير غاية في الابداع من الوجهة النفسية ،

ومن المقرر عند العلماء الحديثين ان الانسان مهما بلغ من علو الكعب في الكتابة وسمو النظرية في الفن لا يستطيع ان يأتي باعظم من هذا السفر في عالم الرثاء. اما النسق الشعري فهو سام وعلى اتم الضبط دون استعمال اي مجاز؛ وقد راق للواضع ان يأتي بما عجز عنه كل من تقدمه من كتبة الاسفار الالهية؛ بل بما لم يجاره فيه كل من اتى بعده من واضعي تلك الكتب المقدسة.

خمسة فصول هي خمس قصائد رثائية من ابلغ وافصح ما كتب في هذا الفن. غير ان ما يملك من هذه الفصول الهيئة الشعرية؛ مع بعض التزام خصوصي؛ هي الاربعة الفصول الاولى؛ التي نظمها الكاتب بنسق شعري صعب جداً؛ فيه التزام الشاعر افتتاح كل فقرة باحد الحروف الابجدية على نسق ترتيبي ابجدي؛ ليس فقط بل في ثالث الفصول تقيد بما لم يتقيد به في غيره؛ بان قسم كل فقرة الى ثلاثة اعداد كل منها مصدَّر باحد الحروف الابجدية؛ كالالف والبات والجمل وو... فاول فقرة تحتوي ثلاثة اعداد يبتدئ كل منها بحرف الآلف وثاني فقرة تجمع نفس الاعداد التي تحويها الفقرة الاولى؛ غير ان كلاً منها يبدأ بحرف البات؛ و كذا الفقرة الثالثة ومثلها الرابعة وهكذا دواليك الى نهاية الفصل الذي يضم من الفقر اثنتين وعشرين؛ كل منها يخص بحرف من الحروف العبرانية الاثنين والعشرين.

اما الفصل الخامس فشعري ايضاً ويبتدئ كل عدد منه باحد الحروف الابجدية؛ لكن فقره لم تجزّأ الى اعداد كما هي الحال

في الفصل الثالث المذكور .

يحتوي هذا الكتيب الرثاء البليغ الذي فاه به النبي الوطني ارميا وقت سقطت المدينة بين ايدي البابليين ايام نبوكدنصر ملك بابل وصدقيا ملك اسرائيل عام ٥٨٧ او ٥٨٦ قبل المسيح .

فصول هذا السفر خمسة ؛ اولها يرسم نَوح وبلاء صهيون ؛ ثانيها يأتي على ذكر محق اسرائيل وتدمير حصونه المنيعة و كثرة النوح والنحيب ؛ ذلك لان الله ثقل الضربة ووطئ قوسه كعدو الى ان بات خصماً لا يرضى الا بتحطيم اسرائيل الحانث بالوعد ؛ ثالثها يصف مصائب الصديقين باسهاب تام واول هؤلاء الصديقين ارميا الذي تراكمت عليه الضيقات ؛ لان الكائن ابتلاه مع من ابتلا من ابناء ذلك العهد . لذلك يقول النبي : اهرم لحمي وجلدي وهشم عظامي (٣ ؛ ٤) ؛ هو لي دبٌ واسد في الستر (٣ ؛ ١٠) : جرعني مرارات ارواني افسنتيناً (٣ ؛ ١٥) هشم بالحصى اسناني وداسني في الرماد (٣ ؛ ١٦) ؛ غير ان الواضع يعود فيتذرع بالثقه برحمة الله ويرقب ورودها عليه حيث يقول : من رأفة الرب انّا لم نضمحل لان مراحمه لا تزول (٣ ؛ ٢٢) . رابعها يروي حظ سكان المدينة المقدسة التعس وما يؤثر ما ذكر ارميا في رابع فصوله : كيف اكدَّر الذهب وتغير النضار الخالص وانهالت حجارة القدس في رأس كل شارع . بنوصهيون الكرام الموزونون بالابريز كيف حسبوا آنية من فخار عمل يدي الخزاف (٤ ؛ ١) . . . الاطفال طلبوا خبزاً ولم يكن من يكسره لهم .

... فصار اثم بنت شعبي اشد عقاباً من خطيئة صادوم ....
ايدي النساء الشديدات الحنو طبخت اولادهن فكانوا لهن طعاماً
في حطم بنت شعبي .... لاجل خطايا انبيائها وآثام كهنتها الذين
سفكوا في وسطها دم الصديقين .... (الى ان قال في الخاتمة :) قد
انقضى اثمك يا بنت صهيون . انه لا يعود يجليك . قد افتقد اثمك
يا بنت آدوم وكشف عن خطاياك .

خامسها يبسط صلاة ارميا الاستغفارية التي قالها ليستحث الرحمة
الالهية لترأف بحال اسرائيل التعس والملاشى من جراء الضربات
الالهية العادلة .

واضع هذا السفر على حد قول جمهور العلماء اجمع ، هو ارميا .
يؤيد ذلك ، التقليد العبراني والنسخة السبعينية في انفس المخطوطات
واقدمها للنسخة السابقة (السبعينية) . ثم يوسيفوس المؤرخ يدين
بهذا الرأي ايضاً . اسمعه يقول : ان سفر المراثي كان يعتبر كجزء لنبوءة
ارميا وكان يوضع في آخرها . حتى والتلمود يقر هذا صراحة
(انظر كتاب Baba bathra 15a) هذا عدا التقليد المسيحي المتعارف
منذ القديم : هناك ، القديس ايرونيموس (انظر كتابه Prolog. Galeatus
والمعلم اوريجانيوس (خذ تاريخ اوسابيوس الكنسي ٦ ، ٢٥) وغيرها
اما النسخ القديمة السريانية والايطالية والعامة فتعترف صراحة بسفر
المراثي لارميا النبي اذ تتبعها بسفر نبوءته ، بل النسخة الايرونيمية
تضع عنوانا للفصل الخامس هذا : صلاة ارميا النبي . وهكذا نرى
في النسخة العربية التي يتداولها الان ابناء الضاد .

ومن جهة ثانيـة نرى روح ارميا في نبوّته هي هي في سفر المراثي ، كمحبة الوطن والاغتمام لابتلاء بنيه وو . . (ارميا ١٤ = كل فصول المراثي ، ارميا ١٤ ، ١٧ = مراثي ١ ، ١٦ الخ) .

العلل الجالبة الضربات على اسرائيل تبدو عينها في الكتابين هاك : خطايا الشعب (مراثي ١ ، ٥ ، ٨ ، ١٤ – ١٨ ، ٣ ، ٤٢ ، ٤ ، ٦ ، ٥ ، ٧ – ١٦ = ارميا ١٤ ، ٧ ، ١٦ ، ١٠ – ١٢ ، ١٧ ، ١ – ٣ الخ) اثام الانبياء والكهنة (مراثي ٢ ، ١٤ ، ٤ ، ١٣ – ١٥ = ارميا ٢ ، ٧ – ٨ ، ٤ ، ٥ ، ٣١ ، ١٤ ، ١٣ ، ٢٣ ، ١ – ٤٠ ، ٢٧ الخ) ، رجا الشعب الكاذب في مساعدة الامم (مراثي ١ ، ٢ – ١٩ ، ٤ ، ١٧ = ارميا ٢ ، ١٨ – ٣٦ ، ٣٠ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٥ – ١٠ ، . .) .

حتى التشابيه التي يستعملها ارميا في سفر نبوّاته نجدها حرفياً في سفر المراثي دونك من الامثلة اثنين ١ً اورشليم تقابل مع ابنة عذراء في الكتابين (مراثي ١ ، ١٥ ، ٢ ، ١٣ = ارميا ٨ ، ٢١ ، ٢ والتابع ، ١٤ ، ١٧) ؛ ٢ً من كأس غضب الكائن يُسكر (مراثي ٤ ، ٢١ = ارميا ٤٩ ، ١٢ الخ) ، مع كل هذا لا يخلو من ينكر على ارميا كتابة هذا السفر اما لعلو نسقه الكتابي (وهذا ما يقتضيه النسق الشعري في كتاب المراثي بخلاف كتاب النبوءة التي لا يجب ان يراعى في كتابتها السمو ، ومع ذلك فنبوءة ارميا لا تخلو من السمو . .) واما لوجه شبه بين هذا السفر وبين غيره من الاسفار كنبوءة حزقيال ولا غضاضة بهذا فقد يكون ان حزقيال نهج نهج ارميا في الكتابة ، هذا عدا ان نسق النبوءة واحد في الجميع لا يتغير . والكلام النبوي

كثير الشبه بين بعضه ، لان العامة كانت تتداوله غالباً وكان يذهب مضرب الامثال . فقد يكون ان المتأخرين من الانبياء حذوا حذو المتقدمين بوضع الكلام من جرّاء شيوعه على السن الجميع) الخ .
اما نحن فلا نأبه لهذا لانه دون الاعتراض البسيط . لذلك نمر به مروراً سريعاً دون ان نوقف القارئ طويلاً في اعتراضات اقل ما يقال فيها انها تافهة واهية كخيوط العنكبوت يأتي نسيم الحقيقة فيزعزعها ويبدد شملها ايدي سبا .

ثانياً – الذيل الثاني –

– نبوّة باروك –

باروك لفظة عبرانية معناها مبارك . هذا النبي هو ابن نيريا بن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا . كان كاتباً لارميا النبي وامين سره . وبعد ان احرقت اورشليم ذهب صحبة سيده ارميا الى مصر . وفي خامس سنة لحريق اورشليم (سنة ٥٨٣ ق . م .) قرأ باروك كتابه في مكان الجلاء (بابل) على مسامع يكنيا بن يوياقيم ملك يهوذا ، وجميع الشعب الذين اتوا لاستماع الكتاب ، وعلى مسامع جميع المقتدرين وبني الملوك وكل الشعب من الصغار الى الكبار الساكنين في بابل . فاذ قرأ هذا الكتاب اوقع تأثيراً عظيماً في عقول السامعين الذين بلغوا درجة البكاء ثم صاموا امام الرب وارسلوا بالفضة الى اورشليم لتقام بها ذبائح استغفار عن الخطايا . على اننا لا نعلم شيئاً آخر عن حياة هذا النبي وعن كيفية موته .

ميز العلماء في هذا الكتاب قسمين عدا التوطئة التاريخية (١ع١-١٤ باروك) . اول هذين القسمين اعتراف يهود المنفى النادمين وتكريسهم (١ع١٥-٣ع٨) . اما ثانيهما فرجاء باروك باستعادة المجد الغابر للمدينة المقدسة في المستقبل القريب فيما لو كفّ اسرائيل عن العودة الى الخطأ وصنع إنابة كافية عما الحق من الاهانة بالكائن (٣ع٩ - ٥ع٩ باروك) . واما الفصل السادس فنخصص به كلمة تؤلف الذيل الثالث، لانه يحوي رسالة ارميا الى من كان عتيداً ان يداهمهم الجلاء الى بابل بامر نبو كدنصر الملك .

اصل هذا الكتاب فُقِدمن عهد بعيد، بعد ان كان لا يزال متعارفاً لغاية القرن الثاني بعد المسيح، وقت ترجمة تاودوسيون الى اللغة اليونانية . واقدم ترجمة له الترجمة اليونانية المدرجة في النسخة السبعينية . على ان وجود المتن العبراني تؤيده النسخ السريانية القديمة مع تاودوسيون، الذي ترجم الاصل العبراني الى اليوناني كما هو شهير . عدا ما تقدم لنا برهان النسق والاستعمال والكلام العبراني الذي لا يخفى حتى في الترجمات التي نتداولها الساعة : اليك بمثلين : واصنعوا « لباناً » عوض تصدقوا (وفي العبراني מִנְחָה Manna) (باروك ١ع١٠) . ومضينا . . . عابدين الهة اخرى ١ع٢٢ (وفي النص العربي ليس من ابهام البتة في هذه الفقرة لرجوع المترجمين بها الى اللفظ العبراني آخذينه بمعناه الحقيقي، فلفظة עבד العبرانية تحتمل معنايين؛ عبد وصنع . على ان المترجم اليوناني فقد انتقى معنى صنع اذ قال :- Operari — Ergazestai diis alienis— صانعين الهة اخرى

« مكان » عابدين الهة اخرى . اذن الترجمة اليونانية لا يمكن ان تكون اصلية وإلاّ لما ضلَّ صاحب النسخة اليونانية عن تأدية الحقيقي وما الى ذلك من شذوذ في الترجمة .

افتتاحية هذا السفر تدل على الواضع وعلى الزمن الذي كتب فيه : هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروك ... في السنة الخامسة .. حين اخذ الكلدانيون اورشليم واحرقوها (باروك ١:١ – ٣ .

مع هذا لم يتقاعس المعترضون عن تصويب سهامهم الى هذا السفر كعادتهم مع باقي الاسفار يقولون :

١ً) في الفصل ١:١ و٧ يذكر باروك كاهن اورشليم يوياقيم بن حلقيا بينما نعرف حق المعرفة ان الكاهن الاعظم في تلك الايام كان يوصاداق . اذن ...

نجيب : ان يوصاداق كان بين المجلوين في بابل اما يوياقيم فكان في اورشليم في غير وظيفة الكاهن الاعظم .

٢ً) يذكر سفر باروك ١١:١ ان ابن نبوكدنصر كان يدعى بلشصر (يتابع المعترضون) غير ان التاريخ صريح من هذا القبيل فلا يعطي لنبوكدنصر ابناً باسم بلشصر بل باسم أميلمرودوك (٥٦١ – ٥٦٠ ق م.) . واما بلشصر فهو ابن آخر ملوك بابل الذي يدعى نبونيد (٥٥٥ – ٥٣٩ ق.م.) وعلى هذا نرد : ان اميلمرودوك عقب اباه في الملك (سنة ٥٦١ ق.م.) وقد يكون ان نبوكدنصر كان له ابن آخر يحمل اسم بلشصر مات قبل ابيه (لكن سنة ٥٨١ ق.م.) ولما كتب باروك كان وقتئذٍ (بلشصر) في عداد الأحياء . او ان

نسلم بكون نبونيد (والد بلشصر) اتخذ ابنة نبوكدنصر زوجة له ومن ثم حقَّ له ان يُدعى جداً لبلشصر او ابا له باتباع المعنى .

اخيراً يختمون اعتراضاتهم بما يأتي : ان ما كتبه باروك في الاعداد الخامس عشر والسادس عشر والثامن عشر من الفصل الاول هو نقل عن كتاب دانيال النبي (٩ـ٧٤ – ١٠) . على انهم يجب ان يفقهوا كون باروك اقدم من دانيال وإن جاز لنا التكلم عن النقل كان الاولى بنا ان نقول : ان فقر دانيال في المحل السابق مأخوذة عن باروك ، في المحل الآنف الذكر .

قوّة هذا السفر القانونية

ان كتاب التقليد الرسولي (Didaké ٢٠٤٥) يثبت ان كتاب باروك كان يقرأ في هياكل اليهود في الجيل الثالث بعد المسيح . اما في الكنيسة فقد كان دائماً محصياً في عداد الكتب القانونية المقدسة التي كان ينظر اليها بعين ملأى بالاحترام .

ولنا من شهادة الاباء لهذا السفر دليل آخر على قانونيته : اقرأ كتاب التهذيبات (او الاديبات) ١٠٤١ للقديس اكليمنضوس الاسكندري وقابله مع باروك ٣ـ١٦٤-١٩ . ثم أري العظة السابعة على سفر الخروج عدد٢ للمعلم اوريجانوس ومثله التعليم المسيحي ٣٥٤٤ للقديس كيرلوس الاورشليمي ، وايضاً رسالة القديس اثناسيوس التاسعة والثلاثين . . وآية باروك (٣٦ـ٣) : وبعد ذلك تراءى على الارض وتردد بين البشر . هي شهادة بل نبوءة كبرى تشير الى تجسد ابن الله والوهية الكلمة ، على حد قول اكثرية اباء الكنيسة .

ثالثاً – الذيل الثالث

– رسالة ارميا –

رسالة ارميا ان هي الا سادس فصول نبوءة باروك، الا انها تتميز عن سفر باروك بموضوعها وبواضعها.

هي رسالة بعث بها ارميا الى اليهود الذين كانوا على وشك الذهاب الى المنفى البابلي، فيها يحثهم على الابتعاد عن الوثنية البابلية الشريرة، ونبذ الالهة الغريبة لانها ليست على شيء من القدرة اذ لا تملك لا حولاً ولا طولاً. وبالنتيجة ليست بآلهة حقيقية.

١ً لانها سبك ذهب وفضة وخشب وحجارة (باروك ٦، ٣٨. ٥٦، ٦٩).

٢ً لان ما يقدم لها من العبادات هو كاذب (باروك ٦، ٤٢، ٤٤).

٣ً لانها عديمة الاستطاعة على الاخذ بثأر نفسها. فهي عاجزة ابداً عن تأديب مغضبيها ولا تنتصر للخير وتقتص من الشر. وبوجيز الكلام ان وجودها وعدمه شيء واحد (باروك ٦، ٣٣، ٤٩، ٦٣).

اغلب المخطوطات اليونانية تحفظ الترتيب الآتي:

١ً نبوءة ارميا

٢ً نبوءة باروك

٣ً مراثي ارميا

٤ً رسالة ارميا

والواضع لهذه الرسالة هو ارميا . يؤيد هذا

١ً نفس ارميا (ارميا ١٠، ٥، ٢٩)

٢ً كتاب المكابيين الثاني (مكاب ٢، ٢، ٢)

٣ً عنوان هذه الرسالة (باروك ٦، ١)

٤ً التقليد (كاوريجانوس . انظر في تاريخ اوسابيوس الكنسي ٦، ٢٥

٥ً المطابقة التامة بين الرسالة

مع ما تقدم ، تنشأ صعوبة قوية ، على ما يظهر من مظاهر الكلام وهذه الصعوبة مصدرها الفصل الـ٦ ، ٢ من نبوءة باروك ، حيث يصرح بان الجلاء البابلي يجب ان يستمر طيلة سبعة مواليد خلاف ما في نبوءة ارميا (٢٩ ، ١٠) التي تضع سبعين سنة لانتهاء الجلاء البابلي .

نرد على هذا الاعتراض الابتر مع الفريق الاكبر من العلماء قائلين : ان لفظة דּוֹר العبرانية تؤخذ بمعنى قسم (ما على الاطلاق) من الزمان . فقد ترجمها مترجم نبوءة ارميا بعشر سنين ، واما مترجم باروك فترجمها بمولد (او ولادة) . وان شئت فقل ، ان الـ ו العبرانية ترجمت بالزين (١) لتقارب وجه الشبه بين الحرفين في اللغة العبرانية فحرف الدالت (ג) في عدد الجمل يعني ٣ واما الزين فتدل على ٧ . وهكذا تم ونشأت هذه الصعوبة الظاهرة السهلة الحل جداً كما قلنا الان . هنا نقطع عن الكلام في ارميا فنمسح القلم والعين سوية !

الفصل الثالث

– نبوءة حزقيال (ابي المنفيين) –

١ – حزقيال .

حزقيال هو ثالث الانبياء الكبار ومضاهيهم قيمة في الحقل النبوي ، بل يزيدهم شأناً من وجهة الرؤى . اذ نبوءته ، وهذا لا يختلف عليه اثنان ، مجموعة احاجي ورؤى علوية كثيرة ، ترفع من قيمته الشعرية فتجعله في مصاف اعظم الخالدين في العالم الخيالي الوصفي ان لم تجعله اولهم رتبة وقدمية بلا مشاحنة البتة .

(ܚܙܩܝܐܝܠ = ܚܙܩܝܐܝܠ = Ezechiel = حزقيال = الرب القوي) ابوه بوزه الكاهن ، قاده (سنة ٥٩٧ قبل المسيح) الى الجلاء البابلي مع الملك يكنيا نبوكدنصر ملك بابل ، حيث بقي مع امرأته (التي توفيت في ثامن سني ذلك الجلاء . .) بين المجلوين بقرب تل ابيب على ضفة نهر كبار ، حيث هبط عليه الوحي العلوي وخط سفره الجليل . اما المهنة النبوية فقد القيت على عاتقه في السنة الخامسة من سني الجلاء ، واستمر يتنبأ بالرموز لآل اسرائيل دون تقطع طيلة اثنتين وعشرين سنة . فانقطع اخيراً بانقطاع حبل حياته دون ان نستطيع تحديد مدتها . وآخر نبوآته كانت في السنة السابعة والعشرين للجلاء البابلي (ما يقارب السنة الـ ٥٧١ قبل المسيح) .

يقول التقليد اليهودي (الذي ذكره القديس ايفانيوس ، في كتابه ، حياة الانبياء ٩ ، والقديس ايزيدورس الاسباني ، في كتابه حياة ووفاة الاباء ٣٩ ،) : ان حزقيال قتله احد رؤساء امته بسبب زجره اياه عن عبادة الاوثان !

٢ – حال آل اسرائيل في موطن الجلاء .

لم يثقل البابليون على اليهود بشيء بعد ان ابعدوهم عن اوطانهم واسكنوهم بلاد الموصل قرب نهر كبار ، المذكور ، مظهرين نحوهم شفقة عظيمة باعطائهم اياهم حقوقاً تفيد مصالحهم وتعمل على نجاحهم ، منها حق الحراثة والتجارة والاستغناء والمرافعات . فكان لليهود محاكم خصوصية ومجالس شرعية يقضون فيها دعاويهم الدينية والمدنية (دانيال ١٣ ، ٤ وما يأتي) . سوى انه كان ينقصهم الهيكل لهذا لم يكونوا ليستطيعون تأدية العبادة الالهية ، وان تمكنوا من حفظ شريعتي السبت والختان ، والاجتماع كل سبت لقرأة الشريعة والصلاة فبدأ اليهود يختلطون بالبابلين ومال بعضهم (اي اليهود) الى العبادة الوثنية بسبب ايعاز بعض البابليين الغيورين على دينهم الوثني . فقامت الوثنية تجتاح قلوب اليهود !

واحتدم غضب الله على هؤلاء الابناء الناكري الجيل ! فنهض الكاهن يتكلم بفم ابي المنفيين حزقيال بشر عظيم على شعبه الناكث العهود

هذه هي الظروف التي الزمت النبي ان يهدد الشعب بالضربات الشديدة إنْ لم يرعو عن غيه . فكان حظه القتل شهيد دينه !

٣ - تقسيم هذه النبوءة .

اذا ضممنا التوطئة الى اقسام الكتاب اصبحت هذه الاخيرة اربعة :

اولها - التوطئة (١-٢، ٢١) التي تبين رسالة هذا النبي الالهية بواسطة ظهور المجد الالهي فوق مركبة الكروبيم ...

ثانيها - القسم الاول (٣، ٢٢ - ٢٤، ٢٧) المتضمن القضاء الذي عزم الله على انزاله بمملكة يهوذا العاتية المتكبرة على احكامه السامية . هنا يصور النبي عقاب المدينة المقدسة بالرموز والامثال وذلك بسبب صلابة وقساوة قلوب آل اسرائيل (٣، ٧) . والفصول الاربعة الاولى ليست سوى تصاوير مخيفة لكيفية انزال القضاء بمدينة الله وشعبه . اما الاربعة التالية من الفصول فتسطر اسباب العقاب وشدته (٨ - ١٠) . وضرورة انزال العقاب بسبب الشر العام (١٢-١٩ لان الجميع فسدوا ، الملك والانبياء والشعب) تقرأها كأنك تراها في ثمانية فصول تتبع المتقدمة . آخر الاحاديث (قبيل هدم المدينة وتضعضع الملك) تراها في الخمسة الفصول ، التي تؤلف خاتمة هذا القسم . وهي ، وايم الحق احاديث غاية في التهديد ، اذ فيها يقول النبي لمن حوله من شيوخ اسرائيل انهم غير اهل لسماع وحيه تعالى . ثم يبكتهم على فعالهم الشريرة وعلى عكفهم على عبادة الوثن ، بضاعة ابائهم . وانه عز وجل ، بعد ان يئس من توبتهم اهملهم في تيههم كي يزيدوا اثماً على اثم الخ يتبع النبي كلامه ويتمه على اسرائيل في الفصلين الاخرين من هذا القسم (٢٣ - ٢٤)

ففي الفصل الثالث والعشرين شبّه السامرة واورشليم بشقيقتين .

اتخذهما الرب زوجتين له . فسمّى الكبرى (السامرة) أهـلة التي تترجم بـ خبائها . ووجه هـذه التسمية ، على حـدّ قول القديس ايرونيموس ، هو ان اسباط آل اسرائيل العشرة كانوا معدمين من خباء الكائن ، لاجل اختيارهم خباء الاصنام الذي فضلته السامرة ، بشخص ياربعام ، على خباء الرب . وسمى الصغرى (اورشليم) أهليبة المترجمة خبائي فيها ، لان هيكل الرب كان في اورشليم . لهذا لم يرض الله عن الكبرى فطلقها وذهبت نحو الخراب في طريق الدمار . واذ لم تأخذ الصغرى عبرة من سؤ مصير اختها فترعوي عن الفساد بل فاقتها شروراً ، حكم عليها بعلها الالهي بان مصيرها سيكون مصير اختها السامرة بل اكثر تعاسة ، بقسوة ليس لها زيادة لمستزيد فتشوّه تشويهاً قبيحاً الى ان تعدم الحياة بتاتاً وتقطع جثتها ارباً ارباً .

ليس هذا فقط بل ويذهب اولادها فريسة للسيف ! اما الفصل الرابع والعشرون فهو صورة لما سينزل باورشليم من النوائب وتاريخ وحي هذا الفصل هو يوم مشهود فيه شرع ملك بابل (نبو كدنصر) يحاصر اورشليم اذ ضرب حولها نطاقاً حديدياً حتى جعلها في حوزته بوقت قصير ، ذلك اليوم هو العاشر من عاشر شهور السنة التاسعة لصدقيا الملك .

على ان حزقيال كان ، وقت حوصرت اورشليم ، بعيداً مائـة فرسخ عنها ، اذن كيف عرف ذلك ؟

عرفه بالوحي الالهي . وسطره بطريقة الامثال ، غير انه اختار مثلين فقط جعلها موضوع هذا الفصل (٢٤) .

المثل الاول هو ان قدراً ممتلئة ماء، فيها قطع لحم لذيـذة، موضوعة (القدر) فوق النار، الا ان هذه الاخيرة تتلف القطع وتجفف الماء الموضوع في القدر . فزنجار القدر لم يتلاشَ كيانه لهذا يضاعف وقود النار فتمسي اعظم من الاولى، حتى تذوب جـدران القدر ويحترق نحاسها . وهذا المثل وضع لما سيحل باورشليم من انقراض سكانها وانهدام بناياتها بكاملها .

المثل الثاني يشير الى ان الله ابتلى النبي بامرأته، اذ فصلها عنه بالموت الفجائي، وابى عليه ان ينوح ويبكي على شريكة حياته هذا تنويه بما سيحدث وقت تهدم اورشليم وتدمر، مع عدم المبالاة وترك القيام بواجب الموتى، لعدم وجود احد من ذوي النسب يبكي عليهم

اما الثمانية الفصول التابعة لهذا الفصل فلا تتعلق به اذ انها نبوءة على الامم الاجنبية وهي دون ترتيب، تاريخي بحسب نزول وحيها . اذن هذه الفصول الثمانية التي تتخلل هـذين الفصلين ٢٤ و٣٣ لم توضع في هذا المكان لترتيب الزمان بل لاهميتها . وفيها لم يصمت النبي عن اورشليم نهائياً بل صمت ليقوي اشتياق القاري لسماع ما سيتكلم بعدئذ عنها في نهاية هذه الفصول الثمانية .

ثالثاً — القسم الثاني

الحاوي قضاء الله على الامم (٢٥-٣٢) كعمون وموآب وادوم وفلسطين وفينيقيا وصور وصيدا (التي بلغت الاوج في ذلك الحين في عالم الملاحة والتجارة) ومصر واشور، التي ضايقت يهوذا وشمخت

(اي الامم) عليها (اي على يهوذا) ، وزجتها في قعر الفساد ، وتركتها امة ضعيفة ثم ضاءَت بها كثيراً الى غير ذلك مما جعل سيد اسرائيل ينتقم لشعبه من هؤلاء الخوارج .

رابعاً — القسم الثالث

الذي يتحدث عن اصلاح المملكة الالهية واعادة السلام الى نصابه فيا بين الامة اليهودية . في اول فصول هذا القسم تحريض للشعب المبتلى لصنع الكفارة (٣٣) . فالله هو الراعي الذي يجمع قطيعه المبدد ، فيمحق ادوم ، وينهض بشعبه اسرائيل .

اما رؤية العظام اليابسة التي جعل الله النبي يمر عليها فترمز انبعاث اسرائيل الرميم بالخطايا . ثم يأتي على ذكر ضرب الرب لجوج ملك ماجوج ويختم الفصل التاسع والثلاثين بانتصار ملك الله النهائي والتسعة الفصول الباقية تجد فيها بنسق نبوي ، مملكة اسرائيل الجديدة ، الهيكل الجديد وتكريسه (٤٠ — ٤٣) ، عبادة الله الجديدة (٤٤ — ٤٦) ، ثم ارض كنعان وقسمتها (٤٧ - ٤٨) هنا ينتهي هذا السفر المملوء من الرؤى السامية والاستعارات البديعة التي لا تغادر عقل القارئ او السامع الا (وتترك من) التأثير الشيء الكثير .

٤ — حزقيال ينهج في نبوءته ، نهجاً خصوصياً .

لا ينكر احد على حزقيال كتابة هذا السفر النبوي ، لهذا فضرب صفحاً عن الواضح . سوى ان نسق هذا الكتاب ليس هو

بالسامي الرفيع ولا هو بالساقط الوضيع ، بل له صبغة الاعتدال . ومن الراهن ان حزقيال لا يلمس سمو وتحلق خيال اشعيا الكتابي في الاسلوب الانشائي. فكتابة حزقيال نثرية وفي غالب المرار يبدو نسقه عديم النضوج والرفعة ، سوى انه (حزقيال) عند ما يبكت شعبه على سقوطه ، يلمس قمة الفصاحة في التعبير الكلامي فيحلق في افق الخيال كأنه النسر ملك الطيور ! ولا يقل شأناً ورفعة لما يصور شدة الالم ومفعوله ، فليس له من نظير في الدقة والتعمق ! شاهد قولنا هذا الفصل السابع والعشرون ، الذي يصف ، بنسق شعري صرف ، سقوط صور المدينة الكبرى في ذلك الزمان . ودون شك ان ما اتاه حزقيال ، في فصله هـذا من دقة الوصف وبلوغ ذروة الخيال والبيان لسحراً . .

لهذا جاز لنا الحكم على حزقيال انه يملك ناصية ، ولم يستعملها دائماً بل غيرها في كثير من المواضع ، حتى ان القارئ يسقط في خلال الحكم على حزقيال بكون هذا الاخير لم يكن عـلى شيء من الثقافة اللغويـة ، بينما في غير فصول يضرب حزقيال القياس الاقصى في المزمور والرؤى النظرية والتشابيه الجميلة والاستعارات ذات الذوق الحسن . هذا هو النهج الجديد الذي تبطن به حزقيال . غير ان هذا النبي يفوق من تقدمه ومن تأخره من الانبياء بوجود كثرة الرؤى في سفره (مركبة الكاروبيم ، العظام اليائسة فصل ٣٧ ؛ الهيكل الجديد فصل ٤٠ . الخ . .) وبدقة وصف تلك الرؤى . فهذه النبوءة غزيرة بالحوادث الرمزية والامثلة القصصية ، التي تلتذ

بها روح القارئ. نظراً للجديد وللجرأة اللذين تحويهما . على ان آخر الاقسام يرتفع شأناً على القسمين المتقدمين اذ انه (القسم الاخير ٤٠ — ٤٨) كما قال القديس ايرونيموس اوقيانوس الكتب المقدسة وهوة عميقة لاسرار الله!

٥ — على اي وجه يجب حمل معاني هذا السفر النبوي؟ من المؤكد ان معاني هذا السفر لا نتمكن من حملها دائماً على الوجه التاريخي الصرف وان اراد هذا النبي الاحتفاظ برسم هيكل اورشليم او تخطيطه بعد ترميمه غب انصرام زمن الجلاء البابلي . لكن الواجب يقضي بتأويلها بالمعنى الرمزي ، من جهة ان حزقيال تحت صور الهيكل والعبادة رسم جمال وقداسة المملكة المسيحية المستقبلة

٦ — قانونية كتاب حزقيال .

لم ينبذ اليهود ولا مرة واحدة هذا السفر بل كانوا يجلونه اجلالهم لباقي كتب الانبياء . فكان في قانون كتبهم المقدسة ويقرأونه وقت قراءتهم الكتب الموحاة في نظرهم . يؤيد هذا قول يشوع بن سيراخ ورأى حزقيال رؤيا المجد التي اراه اياها بمركبة الكروبين : ٤٩ ، ١٠ — ١١ . وفي العهد الجديد بعض تنويهات بهذا النبي (دون الذكر الصريح) . خذ مثلاً : يوحنا ١٠ ، ١ — ١٨ حيث يدعو المسيح بالراعي الصالح = حزقيال ٢٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٨ .

٧ — تعليم حزقيال .

لحزقيال ثلاثة انواع من التعليم ، اولها ان الله بقضائه على اسرائيل الخاطئ والامم الجانحة الى الاثم والفساد ، وباظهار رحمته

نحو ابنه البكر اسرائيل التائب ، اراد ان يظهر سموه الرفيع وقداسته الفائقة (حزقيال ٦، ١٤، ٧، ٢٧، ٢٥، ٥، ٣٠، ٢٦، ٣٩، ٢٨، الخ .)

ثاني انواع تعليم حزقيال . كل يوآخذ بذنبه والمرء مسؤول عن اعماله الشخصية، ما بالكم تتمثلون بهذا المثل على ارض اسرائيل قائلين : الاباء اكلوا الحصرم واسنان البنين ضرست ، حزقيال ١٨، ٢ = ارميا ٣١، ٢٩، حزقيال ١٨، ٢ – ٤ ، ١٨ ، ١٠ – ١٨ ، ١٨، ٢٠)

اما ثالث انواع هذه التعاليم فهاكه :

ان الاثيم لا يستثنى من رحمة الله والخلاص، (لا اريد موت الخاطيء بل ان يتوب عن طريقه ويحيا . . . . . حزقيال ٣٣، ١١، ١٨، ٣٢، ٣٣ ١٢ – ١٦)

٨ – ترتيب سفر حزقيال .

هذا الكتاب يحتفظ بعض المرار بالترتيب الوقتي (اي الزماني) ولكن ليس دائماً .

هاك وجهة هذا الترتيب :

حزقيال فصل	سنة	شهر	يوم
١، ١ – ٢	٥	٤	٥
٨، ١	٦	٦	٥
٢٠، ١	٧	٥	١٠
٢٤، ١	٩	١٠	١٠
٢٦، ١	١١	(؟)	١

١،٢٩	١٠	١٠	١٢
١٧،٢٩	٢٧	١	١
٢٠،٣٠	١١	١	٧
١،٣١	١١	٣	١
١،٣٢	١٢	١٢	١
١٧،٣٢	١٢	٢ (السبعينية)	١٥
٢١،٣٣	١٢	١٠	٥
١،٤٠	٢٥	(١)	١٠

هذا ما رأينا بسطه لتعميم الفائدة في الدروس الانتقادية الادبية ليظهر هذا السفر كما هو لمن يرغب في الوقوف على كلمتنا هذه؛ ويعرف جيداً ان بعض التلخبط في ترتيب الزمان يعتري هذا الكتاب الالهي النبوي. وهكذا ننتهي من ثالث الانبياء الكبار بعد ان اخذنا بتحلّقه في الخيال عند سرده الرؤى؛ ذلك الخيال جعله ان يحلق ما طاب له التحلق !

الفصل الرابع

نبؤة دانيال (الفتى اللامع ورجل الرغائب)

١ - دانيال .

نشأ هذا النبي من اسرة عريقة في النبل والشرف ، كما قال المؤرخ العظيم يوسيفوس فلافيوس (اقرأ كتاب القدمية اليهودية ١٠، ١٠، ١) بل من اسرة ملكية كما المع ايرونيموس القديس (حول دانيال ١، ٣) .

نفي هذا النبي الى بابل ، وهو في ربيعه الرابع عشر وفي ثالث سنة لملك يوياقيم (٥٠٦ قبل المسيح) وانضم الى حاشية الملك نبوكدنصر الذي عطف عليه عطفاً خاصاً لدقة نظريته وسلامة ذوقه وسمو معارفه . الى ان رفعه الى مقام العلماء وجعله مع اصحابه الثلاثة حننيا وميشائيل وعزريا (الذين ابدل اسماءهم رئيس خصيان الملك : فسمى دانيال بلشصر ، وحننيا شدرك ، وميشائيل ميشك ، وعزريا عبد نجوَ) في مقدمة العلماء والقضاة . غير ان دانيال بعد ان فسر ذلك الحلم العظيم (التمثال الهائل) لنبوكدنصر زاد ارتفاعاً على الجميع بحيث سلط على كل اقليم بابل . حينئذ عظم الملك دانيال واغدق عليه العطاء بان رفعه الى رياسة ولاة وحكماء بابل . فرجا دانيال الملك ليولي رفاقه شدرك وميشك وعبد نجو على اقليم بابل ، فنال

مبتغاه اما هو فكان في باب الملك (دانيال ٢ ٤٨ – ٤٩)

ذلك لان الله اراد افتقاد شعبه في المنفى فاقام رسالة الهية لدى البابليين وكل امرها الى دانيال في ارض الجلاء البابلي لذلك منحه الله مع اصحابه الثلاثة معرفة تامة وعقلاً حصيفاً في كل كتابة وحكمة (دانيال ١ ١٧) .

وفي ايام بلشصر وكورش كان لم يزل بعد دانيال باقياً في منصبه الرفيع .

اما زمان ومكان وفاة هذا النبي فليس لنا بهما اي علم وتكهن . فقط نتيقن من حدوث آخر رؤى هذا النبي بانه وقع في العام الثالث لحكم كورش (سنة ٥٣٦ قبل المسيح) .

٢ – كتاب دانيال على بساط التشريح (١)

راق علماء المحتجين (البروتستان) سلخ الفصلين الاخرين (١٣ – ١٤) مع بعض اعداد الفصل الثالث عن جسم كتاب دانيال

---

(١) لما كانت الاسفار الالهية متفاوتة القيمة عند اليهود ، اذ منها قانونية وغير قانونية (مثلاً كالفصلين الاخيرين مع بعض اعداد ثالث فصول نبوءة دانيال) اضطررنا الى وضع كلمة تثبت قانونية كل الاسفار الغير القانونية عند العبرانيين والتي ادخلتها الكنيسة في عداد الكتب القانونية او ما تدعوها بالقانونية اللاحقة Deutorocanonici لانما سلم به العبرانيون من الاسفار الالهية وكانت تؤلف الكتب الموحاة عندهم دعتها الكنيسة . القانونية السابقة) . على اننا آثرنا نقل كلمة وردت في كتاب « تيسير الوسائل في تفسير الرسائل » تعالج هذا الموضوع باسهاب . مستندة الى التاريخ . وهذه الكلمة تشغل ثلاثة فصول من مقدمة هذا الكتاب (٧ – ٩) : حسبكها فاقرأ :

وحجتهم رفض قانون الاسفار الالهية العبراني اياها [اما الرد على هذا فتجده تحت هذه السطور في الحاشية وفي غير موضع من هذا

في قانون الاسفار الالهية عند الكنيسة المقدسة

ان لفظة قانون يونانية ومعناها قاعدة وبهذا المعنى استعملت قديماً ثم عبر بها عن مجموع او سلك تنتظم فيه الاسفار الالهية المقدسة فصار مجموع هذه الاسفار يدعى قانوناً والسفر الذي هو من جملتها يدعى قانونياً . وقانونية سفر كذا عبارة عن كونه من جملة الاسفار المقدسة اي من الاسفار المشتمل عليها الكتاب المقدس .

ان من الاسفار الالهية الآتي تفصيلها فيما بعد قد سلم بقانونيته منذ الاول من غير اختلاف ولا ارتياب ومنها ما وقع الريب في قانونيته عند بعض كنائس صغيرة او اشخاص حيناً ما لان الكنيسة المقدسة لم تجعل منذ الاول قانوناً يطلع عليه جميع المومنين في كل الامصار ليعلموا ما هي الاسفار الالهية الواجب قبولها دون ريب وذلك لانه لم يكن باعث على ابراز قانون كذا على ان الكنيسة الرومانية قد قبلت منذ الابتداء جميع اسفار العهدين القديم والجديد ولم ترتب بقانونية سفر منها ومثلها الكنائس الكبيرة فانها حافظت على الاسفار الالهية واستعملتها بهذا الاعتبار من دون اشتباه بشيء منها ولعمر الوقت حينئذ لم يكن يتسهل اشتهار قانونية كل هذه الاسفار عند الجميع اينما كانوا ولكن لما ظهر اراطقة نكروا قانونية بعض الاسفار عينت الكنيسة الاسفار القانونية بقوانين اشهرها قانون المجمع التريدنتيني فانه لما ظهر لوتاورس وكلوينوس وجعلا يقرضان بعض اوراق من الكتاب المقدس وياكلا اسفاراً منه كما ياتي فقد رأت الكنيسة المقدسة في مجمع تريدنتو في المجلس الرابع ان تنظم اسفار الكتاب المقدس في قانون وتحكم به دفعاً لكل ريب في الاسفار الالهية المقبولة عندها واما الاسفار الالهية التي نظمها ابآء المجمع المذكور في القانون فهي هذه « اسفار العهد القديم خمسة اسفار موسى وهي التكوين والخروج والاحبار والعدد والتثنية . وسفر يشوع وسفر القضاة وسفر راعوت واربعة اسفار الملوك وسفرا الايام والسفران

الاول والثاني لعزرا والسفر الثاني منها يدعى سفر نحميا وسفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر استير وسفر ايوب والمزامير لداود وعددها مائة وخمسون مزماراً . وسفر الامثال وسفر الجامعة ونشيد الانشاد والحكمة وابن سيراخ واشعيا وارميا مع باروخ وحزقيال ودانيال والانبياء الصغار الاثنا عشر وهم هوشع ويوئيل وعاموص وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصوفنيا وحجي وزكريا وملاخيا وسفرا المكابيين الاول والثاني . واما اسفار العهد الجديد فهي الاربعة الاناجيل لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا واعمال الرسل المكتوبة من لوقا الانجيلي . ورسائل القديس بولس وهي اربع عشرة . رسالة الى اهل رومية . ورسالتان الى اهل قورنثية . ورسالة الى اهل غلاطية . ورسالة الى اهل افسس . ورسالة الى اهل فيلبسيوس ورسالة الى اهل قولوسايس ورسالتان الى تسالونيقي . ورسالتان الى طيموثاوس . ورسالة الى طيطوس ورسالة الى فيليمون . ورسالة الى العبرانيين ثم رسالتان للقديس بطرس الرسول . وثلاث رسائل للقديس يوحنا الرسول . ورسالة ليعقوب الرسول . ورسالة ليهوذا الرسول . والرؤيا ليوحنا الرسول اه . » فهذه الاسفار جميعها حكم اباء المجمع المذكور بقانونيتها (اي بكونها اسفاراً مقدسة ملقنة من الروح القدس دون ريب) بجميع اقسامها واصحاحاتها واعدادها كما كانت مستعملة في الكنيسة المقدسة منذ القديم وحرموا كل من ينكر شيئاً منها .

هذا القانون الذي نظمه مجمع تريدنتو كما تقدم هو في غاية الموافقة والمطابقة للقانون الذي نظمه البابا اينوشنسيوس الاول في رسالته الموجهة الى ازوباديوس اسقف تولوز سنة ٤٠٥ وللقانون الذي نظمه البابا جلاسيوس عندما حكم بالاسفار المقدسة في مجمع رومية سنة ٤٩٤ . وللقانون الذي نظمه القديس اغوسطينوس سنة ٤٠٠ وللقانون الذي نظمته المجامع المقدسة في الاجيال الاولى مثل مجمع ايبون المنعقد سنة ٣٩٣ ومثل مجمع قرطجنة الثالث سنة ٣٩٧ وللقانون الذي

خلعت عليها اسم الكتب القانونية اللاحقة Deoterocanonici (اي تلك التي ادرجتها في عداد الكتب القانونية القديمة لحجج قوية سنوردها

نظمه البابا اوجانيوس الرابع في الجيل الخامس عشر اي سنة ١٤٣٩ وقد كانت الترجمة اللاتينية التي جرى استعمالها في الكنيسة اللاتينية منذ عصر الرسل تتضمن كل الاسفار المقدسة التي عدّها اباء مجمع تريدنتو والاحبار والمجامع المذكورة ويوجد غير هذه البينات تؤيد كون القانون الذي نظمه مجمع تريدنتو وعدّ فيه جميع الاسفار المقدسة هو نفسه كان جارياً في الكنيسة المقدسة منذ اول جيل وقد اعرضنا عن استجماع تلك البينات كلفاً بالاختصار وسيأتي في قانون الاسفار المقدسة عند البروتستانت بينات غير هذه اثباتاً لقانونية الاسفار المقدسة التي حكمت الكنيسة المقدسة بقانونيتها وهم لم يسلموا بها ٠

في قانون الاسفار المقدسة عند اليهود

قد كان عند اليهود قانون للاسفار المقدسة يتضمن اثنين وعشرين سفراً عدد حروف الهجاء عندهم كما اخبر يوسيفوس الخبير بامور اليهود في كتابه ضد ابيون راس ٢ وقد عدّها القديس ايرونيموس مفصلاً وهي « التكوين والخروج والاحبار والعدد والتثنية ويشوع والقضاة مع راعوت وصاموئيل (وهو السفر الاول والثاني للملوك) وسفر الملوك واشعيا وارميا مع مراثيه وحزقيال والانبياء الصغار الاثنا عشر وايوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد ودانيال وسفر الايام وسفرا عزرا واستير» اه ٠ وقد عدّها ابيفانيوس في الهرطقة ٨ ٠ وكيرلس الاورشليمي في التهذيب الرابع وايلاريوس في مقدمته على المزامير واوريجانوس كما ذكر اوسابيوس في ك ٦ فصل ٢٦ ولكن منهم من جعل عددها اربعة وعشرين ومنهم من جعله ستة وعشرين ومنهم سبعة وعشرين وذلك بتشطيرهم ما عدّ اولاً سفراً الى سفرين او ثلاثة ٠ وقد كان اليهود يقسمون هذه الاسفار الى ثلاثة اقسام ٠ الاول التوراة وهي اسفار موسى الخمسة ٠ والثاني الانبياء وهو ثمانية اسفار يشوع والقضاة مع راعوت وصاموئيل (وهو سفرا الملوك الاول

فيما بعد) . اما تلك التي عرفها القانون العبراني فدعتها بالقانونية السابقة = Protocanonici .

والثاني عندنا) والملوك (وهو الثالث والرابع من اسفار الملوك) واشعيا وارميا مع مراثيه وحزقيال وكتاب الاثني عشر نبياً (وهم الانبيا الصغار عندنا) ٠ والثالث الكتبة وهو تسعة اسفار ايوب ومزامير داود وامثال سليمان والجامعة ونشيد الانشاد ودانيال والايام وعزرا واستير ٠ فتكون جملة الاسفار عند اليهود اثنين وعشرين كما سبق ٠

واما نظم هذه الاسفار في قانون اليهود فأسنده بعضهم الى التقليد واسنده اخرون الى عزرا والمجمع الكبير بعد السبي وقد كان في ذلك المجمع حجي وزكريا، وملاخيا كما قال والتن وهو الاقرب لان اكثر العلماء والاباء على ان عزرا والانبياء الذين كانوا في عصره نظموا قانون الاسفار المقدسة لليهود ٠ الا انهم لم ينظموا في ذلك القانون الا الاسفار التي كانت في العبرانية واما الاسفار التي كانت مكتوبة بغير العبرانية والاسفار التي كتبت من بعد ذلك العصر فقد كانت معتبرة عند اليهود ومصدقة لكن لم تكن بطبقة الاسفار الاولى ولا نظمت في قانونها واما عدم نظمها فكان لعدم ظهور انبياء بين اليهود يخلف احدهم الاخر كما كان في زمان عزرا وقبله وقد اورد هذا السبب يوسيفوس في ك١ ضد ابيون حيث قال «ومن عهد ارتحشستا الى ايامنا هذه قد اودع كل شيء بطون الاسفار ولكن هذه الاسفار ليس لها من الاعتبار والاعتقاد ما للاسفار الاولى وذلك لعدم ظهور خلافة انبياء » اه (وكان ظهور عزرا قبل المسيح بنحو ٥٣٤ سنة) غير ان هذه الاسفار قد كانت متداولة عند اليهود الذين كانوا في جهات اسكندرية وقد استشهدها علماء اليهود في التلمود الاورشليمي وفي التلمود البابلي وفي غيرهما واخذوا بها كباقي الاسفار المقدسة ٠ وانزلها يوسيفوس منزلة دون منزلة الاسفار الاولى قليلاً لكنه اخذ بها في ك٢ ضد ابيون كالاسفار الاولى وقد علمت ان انحطاط منزلتها عند اليهود عن منزلة الاسفار الاولى قليلاً انما كان لانها لم تكن في اللغة العبرانية التي كان اليهود

لهذا كان لنا ان نميز في كتاب دانيال قسمين ، قسماً قانونياً سابقاً (١ — ١٢) وقسماً قانونياً لاحقاً (١٣ — ١٤ ، ٢٤ — ٩٠) .

يرعون حرمتها ويذبون عن شرفها كثيراً ولا نظمت في القانون مع الاسفار الاولى من عزرا والانبياء الذين عاونوه في نظم ذلك القانون . ولكن هذا لا يضر بقانونيتها ولا يدل على انها ليست من الاسفار المقدسة لما سبق هنا وما ياتي في الفصل التالي .

في قانون الاسفار المقدسة عند البروتستانت

قد اختلف البروتستانت على عادتهم في الاسفار المقدسة فلوثاروس والبروتستانت الاوائل نبذوا بعض اسفار من العهد القديم والعهد الجديد وهي التي ياتي ذكرها واثبات قانونيتها واما كلوينوس واتباعه فلم ينبذوا من هذه الاسفار الا ما هو من العهد القديم ولم يثبت لهم حجة في نبذ هذه الاسفار الا مضادة الكنيسة المقدسة ومخالفتها كما فعلوا في نبذ الاسرار وغيرها من الامور التي تعتقدها الكنيسة المقدسة وسياتي في اخر هذا الفصل تفنيد ما يعتلون به في عدم قبولهم الاسفار الاتية وهي من العهد القديم .

الاصحاحات السبعة الاخيرة من سفر استير

ان هذه الاصحاحات السبعة هي تتمة لسفر استير وهي قانونية مثل باقي الاصحاحات التي فيه ويؤيد ذلك المجامع القديمة مثل مجمع اللاذقية راس ٥٩ ومجمع قرطجنة الثالث قانون ٤٧ . والاباء الاوائل مثل اوريجانوس في المزمور الاول واوسابيوس في ك٣ من تاريخه راس ٢٥ . وكيريلوس في التعليم ٤ . والدمشقي في ك٤ فصل ١٨، وايلاريوس في المزمور الاول . واينوشنسيوس في الرسالة ٣ . واغوسطينوس في ك٢ من التعليم المسيحي راس ٨ . فهولاء وغيرهم قد ذكروا سفر استير بين الاسفار المقدسة على ما كان مستعملاً وقتئذ في الكنيسة بحسبما كان في الترجمة التي كانت متداولة حينئذ وتلك الترجمة كان فيها سفر استير برمته اي مع الاصحاحات السبعة الاخيرة كما نص على ذلك

اثناسيوس وايرونيموس . لا بل ان بعض الآباء قد ذكروا على الخصوص ان هذه الاصحاحات السبعة قانونية وبهذا الاعتبار اوردوا منها شواهد ومنهم الذهبي في خطبته الثالثة بالشعب الانطاكي . واغوسطينوس في رسالة ١٩٩ . وقد افصح عن ان هذه الاصحاحات قانونية اوريجانوس في رسالته الى يوليوس الافريقي حيث قال « ومن سفر استير صلوة مردخاي واستير ليست عند العبرانيين وهي جزيلة المنفعة للمطالعين . ولا رسالة هامان في امر تدمير الامة اليهودية ولا الرسالة التي كتبها مردخاي عن امر الملك احشوروش في امر تخليص الامة المذكورة من الموت ولكن هذه توجد في الترجمة السبعينية وفي ترجمة تاودوسيون حذار من ان نحكم بتعطيل النسخ الجارية في كنائس متفرقة او من ان نكلف جماعة المومنين نبذ الاسفار المقدسة المتداولة بين ايديهم » اه وقد رايت قبلاً ان المجمع التريدنتيني حكم بان سفر استير برمته من جملة الاسفار القانونية . ومن قبل هذا المجمع كانت الكنيسة تتلو من هذا السفر من الاصحاحات المشار اليها قطعاً فانها في الاحد ٢٢ من بعد البنديكستي تتلو صلاة استير الواردة في الاصحاح الرابع عشر من السفر المذكور . واما عدم وجود هذه الاصحاحات في النسخ العبرانية فليس بدليل على كونها غير قانونية لانه لا يبعد ان كانت قديماً موجودة ثم فقدت لغايلة كما قال اوريجانوس في المحل المشار اليه آنفاً وقد ذكر يوسيفوس رسالتي احشوروش وصلوة مردخاي في ايراده خبر استير في ك ١١ فصل ٦ من القدميات مع ان هذه غير موجودة الان في الاسفار العبرانية . ولا يخفى ان الاصحاحات السبعة المشار اليها لا تتضمن الا تفصيل وتوضيح ما في باقي الاصحاحات ولا مناقضة ولا مخالفة بينها وبين الاصحاحات السابقة . وقد شهد يوسيفوس في ك ٢ ان سفر استير برمته كان عند اليهود في سلك الاسفار المقدسة .

٢٤ — ٩٠ من الفصل الثالث) ينقسم الى قسمين : قسم تاريخي وقسم نبوي . فالقسم التاريخي (١ — ٦) يعرض دانيال في غرفة الملك ،

سفر طوبيا

قد نظم هذا السفر في سلك الاسفار المقدسة المجامع الكبيرة مثل مجمع قرطجنة الثالث في القانون ٤٧ ومجمع تريدنتو في الجلسة ٤ . والاحبار الرومانيون مثل اينوشنسيوس الاول في رسالته الى ازوير اسقف تولوز وجلاسيوس الاول في حكمه بالاسفار المقدسة واغوسطينوس في ك ٢ من التعليم المسيحي . وقبريانوس في خطابه في الصدقة حيث اشار الى هذا السفر خصوصاً بقوله « ان الروح القدس قال في الكتاب انه بالصدقة والايمان تتمحص الخطايا » . وامبروسيوس في كتابه في طوبيا راس ١ دعا سفر طوبيا كتاباً نبوياً ، وباسيليوس في كلامه على البخل اورد قولاً من سفر طوبيا ودعاه وصية الحية . وغير هولاء .

سفر يهوديت

قد افصح عن قانونية سفر يهوديت المجمع النيقاوي الاول ونص نصاً صريحاً على انه من الاسفار المقدسة التي لا ريب في شيء من اقوالها كما افاد القديس ايرونيموس في مقدمته على هذا السفر حيث ذكر شهادة المجمع المذكور لهذا السفر بانه قانوني من جملة اسفار الكتاب المقدس وانه كان عند العبرانيين من الاسفار المقدسة ، وبمثل ذلك قال فيه القديس اكليمنضوس الروماني واكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس وترتوليانوس والقديسون امبروسيوس وايرونيموس واغوسطينوس في ك٢ من التعليم المسيحي راس ٨ ، وايسدوروس في ك٦ راس ١ وغيرهم ، وزد عليه ان المجامع العامة مثل مجمع قرطجنة الثالث في قانون ٤٧ ومجمع تريدنتو في جلسة ٤ والاحبار الرومانيين مثل اينوشنسيوس الاول في رسالته الى ازوير اسقف تولوز . وجلاسيوس الاول في حكمه بالاسفار المقدسة وغيرهم قد نظموا هذا السفر بين باقي الاسفار المقدسة .

وكيف سمع حلم هذا الاخير وفسره له . ثم يذكر زج الفتية الثلاثة في الاتون المتسعر مع مرض الملك وشفائه . ثم يخبر ان الملك دعا

سفر الحكمة

قد شهد بقانونية هذا السفر المجامع المقدسة القديمة مثل مجمع قرطجنة الثالث ومجمع سردقية في الرسالة الموجهة منه الى جميع الاساقفة وقد ذكر هذه الرسالة تاودوريطوس في ك٢ من تاريخه راس ٨ . ومجمع تولاتو الثاني في راس١ . وبمثل ذلك شهد له الاباء مثل ديونيسيوس في راس ٤ من كتابه في الاسماء المقدسة . وميليطوس الاسياوي في رسالته الى اونوسيموس . وقبريانوس في كتابه في ثوب البتولات حيث قال « ان الكتاب المقدس يقول (عن لسان الاغبياء الاشرار) ماذا نفعتنا الكبرياء » واغوسطينوس في ك١ في الانتخاب راس ١٤ قد ابان عن قانونية هذا السفر وان فيه شواهد تؤيد العقائد حيث قال « انه ينبغي لجميع الكتبة الذين يكتبون في امور المذهب ان يضعوا سفر الحكمة هذا نصب اعينهم اذ قد وضعه كذلك الكتبة البارعون الذين ازهروا في الاعصار المقاربة عصر الرسل واستشهدوه في ما كتبوا ولو لم يعتقدوا فيه انه سفر الهي وشهادته صادقة لما استشهدوه » . وزد على ما تقدم ان جميع الاقدمين قالوا ان هذا السفر هو لسليمان وذلك دليل على انهم عرفوه من الاسفار المقدسة لانه لم يكن عندهم ريب في كون اسفار سليمان قانونية كما قال اوسابيوس في ك٤ من تاريخه راس ٢٢ .

سفر ابن سيراخ

قد نظم هذا السفر بين اسفار الكتاب المقدس اكليمنضوس الاسكندري في ك٧ حيث استشهد في الفصل الاخير منه قول ابن سيراخ في الاصحاح الرابع فقال « اننا نثبت ما تقرر سنداً الى قول الكتاب المقدس » . (يريد بالكتاب المقدس سفر ابن سيراخ) والقديس قبريانوس في ك٣ في الرسالة ٩ عند استشهاده الاصحاح ٧ من هذا السفر بقوله « ان سليمان شهد وعلم وهو متلقن من الروح

بلشصر ليتبسط امامه بتفسير ما خطته تلك اليد العجيبة على جدران الغرفة. اخيراً ينوه بذكر داريوس المادي ويصف وجود دانيال في جب الاسود.

القدس». وابيفانيوس في كتابه في الهرطقات. وامبروسيوس في ك٤ في الايمان راس ٤ حيث دعا قول ابن سيراخ في ص ٢٤ قولاً الهياً. واغوسطينوس في كتابه الى اروسيوس حيث قال «ان الكتاب المقدس يقول لا تطلب ما هو اعلا منك» ولا يخفى ان هذا القول من السفر المذكور. وقد نسب بعضهم هذا السفر الى سليمان ولم يكن عندهم ريب في كون كتب سليمان قانونية من الاسفار المقدسة منهم اكليمنضوس وقبريانوس في المحال المشار اليها. والبابا سيستوس الثاني في رسالته الى غراتوس والبابا داماسيوس في رسالته الى اساقفة ايطاليا. وباسيليوس وامبروسيوس وايرونيموس واخرون. وزد عليه ان المجامع المذكورة قبلا التي نظمت قانوناً للاسفار المقدسة قد نضدت هذا السفر في القانون بين باقي الاسفار المقدسة.

سفر المكابيين

قد شهد بقانونية هذين السفرين مجمع قرطجنة الثالث في القانون ٤٧ والقديس قبريانوس في تحضيضه الشهداء راس ١١. والقديس غريغوريوس النريتري في خطبته على المكابيين. والقديس امبروسيوس في ك٢. وعلى الخصوص القديس اغوسطينوس في ك١٨ في مدينة الله راس ٣٦ فانه قال «واما سفرا المكابيين فهما عند الكنيسة قانونيان وليسا كذلك عند اليهود» وقد علمت قبلاً ان كتابة هذين السفرين كانت من بعد نظم عزرا قانون الاسفار المقدسة لليهود ولذلك لم يكونا عند اليهود من الاسفار القانونية. وقد اوضح ذلك غير هولاء مثل اوريجانوس وترتوليانوس وديونيسيوس والدمشقي في خطبته على الموتى. وايرونيموس في ص ٢٣ من اشعيا واخرين واخص ما حمل البروتستانت على انكار القانونية لهذين السفرين انما هو عمل يهوذا المكابي في تقدمة ذبائح لاجل الموتى كما ذكر في السفر الثاني منهما ص١٢. وهم اي البروتستانت لا يسلمون

اما الجزء النبوي (٧ – ١٢) فيبسط لنا رسم اربع رؤى تشير الى حوادث مستقبلة :

بجواز تقدمة مثل هذا الاسعاف للموتى مع ان الكتاب المقدس قد اجازه كما تعتقد الكنيسة المقدسة والعقل ايضاً اجازه كما هو ظاهر من عمل جميع اصحاب المذاهب في الترضي عن موتاهم وطلب الرحمة لهم والعفو عنهم وتوزيع الحسنات لاجلهم وما اشبه من انواع المساعدة والاسعاف لهم ·

سفر باروخ

قد قال بقانونية هذا السفر الاباء الاقدمون مثل قبريانوس في ك٢ ضد اليهود راس ٥ حيث قال « وقد ورد ايضاً في باروخ هذا هو الهنا » · وفي خطابه على الصلوة الربية استشهد رسالة ارميا التي هي الاصحاح الاخير من سفر باروخ فقال « ان الروح القدس قد القى الى ارميا وعلم قائلاً انه ينبغي لك ان تسجد للرب باروخ » وايلاريوس في مقدمته على شرح المزامير قد نظم رسالة ارميا باسمها في قانون الاسفار المقدسة · وكيرلوس الاورشليمي في ك ١٠ ضد يوليانوس اورد قول ارميا باسمه · واكليمنضوس الاسكندري في ك ٢ من تاليفه المدعو الهادي راس ٣ حيث اورد قول ارميا في ص ٣ فقال « حسناً قد قال الكتاب المقدس » وامبروسيوس في ك ١ في الايمان راس ٢ حيث اورد قول باروخ في ص٣ وهو هذا هو الهنا ولا يحسب معه آخر فقال ان الكتاب المقدس لا يقول الا باله واحد ... وما لنا والتبحث عمن قال عنه النبي العظيم والروح القدس انه لا يحسب معه آخر » · وتاودوريطوس فانه شرح كل هذا السفر وقال قولاً صريحاً بانه من الاسفار المقدسة · واوسابيوس في ك ٦ في الكشف عن الانجيل راس١٩ حيث استشهد الاصحاح الثالث من سفر باروخ فقال « ولا يلزم ان تزيد شيئاً على الاقوال الالهية » واعلم ان الاولين كانوا يستشهدون هذا السفر باسم ارميا لا باسم باروخ وذلك لان باروخ كان كاتباً وتلميذاً لارميا كما يظهر من ص٣٦ من سفر ارميا ولهذا السبب لم تذكر المجامع القديمة ولا الآباء الاوائل هذا السفر باسم باروخ بين الاسفار المقدسة بل كانوا يعدونه جزءاً من نبوات ارميا

وبهذا الاعتبار كان عندهم من الاسفار المقدسة ومن الذين استشهدوه باسم ارميا اكليمنضوس الاسكندري في ك ١ من تاليفه المذكور قبلًا راس ١٠ فانه اورد باسم ارميا قول باروخ في ص ٣ وهو اسمع يا اسرائيل وصايا الحيوة . وقوله في ص ٤ وهو الطوبى لنا يا اسرائيل لاننا قد اطلعنا على الاشيآء التي ترضي الله . اه . وامبروسيوس في ك ١ في التوبة وباسيليوس في ك ٤ في الراس الاخير ويوحنا فم الذهب في خطبته على الوهية المسيح ضد زعم الامم اورد باسم ارميا قول باروخ في ص ٣ هذا هو الهنا . واغوسطينوس في ك ١٨ من مدينة الله راس ٣٣ قال ان هذه الاية قد اوردها بعضهم باسم باروخ واوردها اكثرهم باسم ارميا . وكذلك الاحبار الرومانيون مثل سيستوس الاول في رسالته العامــة الى جميع المؤمنين وفاليكس الرابع في رسالته الى بطرس الانطاكي . وبيلاجيوس الاول في رسالته الى ويجيليوس قد اوردوا الاية المذكورة باسم ارميا . فبنآء على مــا تقدم لا يمكن نبذ سفر باروخ من دون نبــذ سفر ارميا ايضاً ولكن سفر ارميا لم يقع ادنى ريب في قانونيته عند الاولين وهكذا كان عندهم سفر باروخ ايضاً لانــه كان معدوداً عندهم جزءًا من سفر ارميا . ولا يخفى ان دانيال اقتبس كثيراً من اقوال سفر باروخ في نبوته .

بعض قطع من سفر دانيال

نبذ الهراطقة بعض قطع من سفر دانيال مثل تسبحة الفتية الثلاثة الواردة في ص ٣ وخبر سوسنة المذكور في ص ١٣ . وحادثة التنين الذي قتله دانيال كما ورد في ص ١٤ جرياً على اثار اليهود الذين لم يكونوا يقبلون هــذه القطع كما قال ايرونيموس في مقدمته على سفر دانيال . ولكن هذه القطع كلها قانونية مثل باقي سفر دانيال وقد اثبتت قانونيتها الكنيسة المقدسة في مجمع تريدنتو في مجلس ٤ حيث امر المجمع بقبول الاسفار المقدسة مع كل اقسامها واصحاحاتها بحسبما كانت جارية تلاوتها في الكنيسة المقدسة . ومن البين ان تسبحة الفتية

الرؤيا الثانية : (في ثالث سنة لبلشصر) تذكر الكبش والتيس (فارس الوسطى ومكدونية) فصل ٨ .

الثلاثة كانت تتلوها الكنيسة في القداس يوم السبت من الازمنة الاربعة وفي صلوة الفرض صباحاً ايام الاعياد . وان خبر سوسنة يقرأ في القداس يوم السبت السابق الاحد الرابع من الصوم . وان خبر التنين الذي قتله دانيال يقرأ في القداس ايضاً يوم الاربعا بعد الاحد الخامس من الصوم . وقد كانت تلاوة هذه القطع جارية في الكنيسة قبل الجيل الثاني عشر كما شهد روفينوس في ك٢ . ويؤيد كون القطع المذكورة قانونية ايراد الاقدمين لها بهذا الاعتبار منهم القديس اغناطيوس وترتوليانوس في كتابه على اكليل الشهيد فان كلًا منهما ذكر خبر سوسنة من ص ١٣ من سفر دانيال . والقديس قبريانوس في كلامه على الصلوة الربية اورد تسبحة الفتية الثلاثة وذكر انها وردت كذلك في الكتاب المقدس . وفي موعظته للساقطين اتى بما قاله هولاء الفتية وهم في النار وقال ان الكتاب المقدس قال ذلك . وفي ك١ رسالة ٨ ذكر خبر سوسنة . وفي ك ٤ رسالة ٦ ذكر خبر التنين وفي ك١ رسالة ٤ في خطابه على الصلوة الربية وفي خطابه على الصدقة ذكر خبر حبقوق اذ جآء بطعام الى دانيال . والقديس باسيليوس في كتابه في الروح القدس راس ٣٠ . ويوحنا فم الذهب في العظة ٤ فانهما ذكرا خبر الفتية الثلاثة وتسبحتهم . وقد شرح هذا القديس خبر سوسنة والفتية الثلاثة وقال ان خبرهم هو من اخبار الكتاب المقدس وذلك في كلامه عليهم في اخر المجلد الاول من تاليفه . وغير هولاء مثل تاودوريطوس وامبروسيوس واغوسطينوس اوردوا القطع المشار اليها على انها من الكتاب المقدس . وقد اجتهد اوريجانوس في مقالته ١ على سفر الاحبار وفي رسالته الى يوليوس الافريقي باثبات كون القطع المذكورة قانونية مثل باقي سفر دانيال . وكذلك القديس اثناسيوس فانه في كلامه على سفر دانيال وايراده خلاصته ذكر على الخصوص خبر سوسنة والفتية الثلاثة والتنين المقتول وقال صريحاً ان ذلك من سفر دانيال . وقد كانت هذه القطع موجودة في النسخ اليونانية التي كانت مستعملة في الكنيسة

الرؤيا الثالثة : (في السنة الاولى لداريوس بن احشوروش المادي) تحدد السبعين اسبوعاً للمجي٠ فصل ٩ ٠

كما يظهر من كتب الذين فسروا الكتاب المقدس مثل تاردوريطوس واتناسيوس بحسب تلك النسخ ومن مقدمة القديس ايرونيموس على سفر دانيال فانه قال فيها ان ترجمة تاودوسيون كانت جارية في الكنيسة وتلك الترجمة قد كان فيها هذه القطع دون شك ٠

هذا ما اوردناه بالاختصار من البينات والشواهد لاثبات قانونية الاسفار المذكورة من العهد القديم التي ينكر قانونيتها البروتستانت ٠ واعلم ان البينات التي ذكرناها في الفصل السابع ايضاحاً لكون قانون الاسفار المقدسة الذي نظمه مجمع توبدنتو هو في غاية المطابقة للقانون الذي نظم من قبل من المجامع المقدسة والاحبار الرومانيين والاباء وما جرى في الكنيسة الرومانية منذ الاول تؤيد ما قررناه في هذا الفصل ايضاً فراجع ٠

واما اعتراضات البروتستانت التي يوردونها احتجاجاً عن نبذهم الاسفار المذكورة في هذا الفصل فاخصها واشهرها اعتراضان ٠ الاول كون اليهود لم يكونوا يتخذون هذه الاسفار كالاسفار التي كانت عندهم في القانون ثانيهما كون المسيح ورسله لم يستشهدوا هذه الاسفار كما استشهدوا تلك ٠ والجواب على الاعتراض الاول هو ان عزرا والانبياء الذين كانوا معه لما نظموا قانون الاسفار المقدسة لليهود لم يتصدّوا لنظم ما كان من تلك الاسفار مكتوباً في غير العبرانية واذ انقطعت سلسلة الانبياء عند اليهود من بعد عصر عزرا فالاسفار التي لم تنظم في القانون بوقته او الاسفار التي كتبت بعد ذلك مثل سفري المكابيين لم يتأتَّ نظمها بين الاسفار الاولى وعليه كان اليهود يعتبرونها دون الاسفار الاولى بقليل الا انهم كانوا ياخذون بها ويصدقونها وقد اوردوا اقوالها في التلمود الاورشليمي وفي التلمود البابلي واستعانوا بها وقد عدَّها يوسيفوس بين اسفار الكتاب المقدس التاريخية وانزلها منزلتها وتأيد بها في كتابه ٢ ضد ابيون وبهذا الاعتبار كانت عند اليهود خصوصاً الذين كانوا في جهات اسكندرية كما مر اخر الفصل الثامن

الرؤيا الرابعة : (في ثالث سنة لقورش) تلمح الى التاريخ المستقبل بطلمايس والسلوقيون انطيوكس . فصول ١٠ — ١٢ .

وقد رايت ان الكنيسة المقدسة تداولت هذه الاسفار منذ عصر الرسل وان الابآ الاولين تواردوها باعتبار كونها اسفاراً مقدسة كباقي اسفار العهد القديم . واما الجواب على الاعتراض الثاني فهو ان استشهاد اسفار العهد القديم وايراد اقوالها في اسفار العهد الجديد من المسيح ورسله ليس بدستور مُطّرد لتمييز الاسفار القانونية لان ايراد آية تارة بمعناها او بلفظها من سفر كذا ليس بحكم صريح بقانونيته ولا بدليل على ان غيره ليس بقانوني فالمسيح ورسله لم يستشهدوا سفر القضاة ولا سفر راعوت ولا سفري الملوك الاول والرابع ولا سفري الايام ولا سفر عزرا ولا سفر استير ولا سفر الجامعة ولا نشيد الانشاد ولا عوبديا ولا صوفنيا ومع ذلك قد سلم البروتستانت بقانونيتها واتخذوها اسفاراً مقدسة وقد وردت في العهد الجديد اقوال واقتباسات من بعض الاسفار المذكورة في هذا الفصل ومع ذلك لم يشأ البروتستانت ان يتخذوها اسفاراً مقدسة ولا ان يقروا لها بالقانونية ولاثبات ذلك نورد بعض اقوال وردت في العهد الجديد مقتبسة من الاسفار التي ينكرون قانونيتها . فان ما رواه لوقا ص ١٢ عد ١٩ من قوله تعالى عن ذلك الغني وهو « واقول لنفسي الك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة فاستريحي وكلي واشربي فقيل له بهذه الليلة يطلبون منك نفسك والخيرات التي اعددتها لمن تكون » يشابه ما قاله ابن سيراخ ص ١١ عد ١٨ وهو « ومن الناس من يستغني ويقول لقد وجدت لنفسي راحة فاكل الان من خيراتي وهو لا يعلم ان الموت ياتي فيموت ويخلف كل شيء لغيره . » اه . وكذلك قول بولس في رسالة رومية ص١ وهو « ان معرفة الله ظاهرة فيهم لان خفيات الله استبانت لخلايقه بالتفكر . . . حتى لا يكون لهم عذر لانهم عرفوا الله ولكن لم يسبحوه كانه الله بل تعطلوا بافكارهم وحين ظنوا انفسهم حكماء جهلوا . واستبدلوا مجد الله الذي لا يناله فساد بشبه صورة الانسان الفاسد وبشبه الطير وذوات الاربع ودبابات الارض وعبدوا المخلوقات واتقوها اكثر من الخالق » فانه مقتبس

اما القسم القانوني اللاحق لكتاب دانيال (٣ ٢٤ – ٩٠ : ١٣ – ١٤ ويوجد في النسخة العامة المأخوذة عن نسخة تاودوسيون)

من قول الحكيم ص ١٣ « ان جميع الذين ليس فيهم معرفة الله جهلة .متطلو الافكار لانهم لم يعرفوا من الخيرات المنظورة من هو الموجود (اي الاله) ولا تاملوا في الاعمال ليعلموا من هو المبدع . لكنهم حسبوا النار والهواء والكواكب والشمس والقمر آلهة . فان كان قد اعجبهم جمال هذه الاشياء فحسبوها آلهة فليفهموا كم يكون سيدها افضل منها جمالاً . وان كان قد اذهلهم عملها وقوتها فليعلموا من هذه كم يكون الذي خلقها اشد منها قوة على انه من عظمة هذه الاشيآء المنظورة يمكن ان يرى من خلقها » اه . ومثله قول بولس في الرسالة العبرانية ص ١١ عد ٣٤ « واخمدوا قوة النار » فانه اشارة الى خبر الفتية الثلاثة الذي مرّ عليه الكلام . وكذلك قوله في عد ٣٥ من الاصحاح المذكور « وماتوا في العذاب ولم يرغبوا في النجاة لتكون لهم قيامة افضل » فانه اشارة الى خبر المكابيين كاليعازر الشيخ واقرانه فانهم كانوا يستطيعون التخلص من العذاب لو امتثلوا امر الملك في اكل المحرمات لكنهم آثروا العذاب على الراحة والموت على الحيوة رجآء ان ينالوا حظاً افضل عند الله كما ورد عن اليعازر المذكور عند مكابدته العذاب فانه قال وقتئذ « انت يا رب يا صاحب العلم المقدس تعلم انني كنت استطيع ان انجو من الموت لكنني قد احببت لاجل مخافتك ان اكابد اوجاعاً مبرحة في جسدي وانا في نفسي اكابدها بهواي » . مكابيين ٢ ص ٦ . وكذلك قول ابن سيراخ في ص ١٤ عد ١٨ « وكل بشر يبلى كالحشيش وكالورق في الشجر الاخضر » فان يعقوب الرسول استعاره حيث قال عن الغني ص ١ عد ٩ انه يزوي كزهر العشب . وتوجد غير هذه الاقوال من اسفار العهد القديم التي ينكر البروتستانت قانونيتها مقتبسة في العهد الجديد ولكن عدلنا عن استجماعها اكتفآء بما اوردناه لدفع الاعتراض وتكذيب قول البروتستانت المذكور . وقد رايت في هذا الفصل ان الآبآء استشهدوا الاسفار المذكورة ودعوها اسفاراً مقدسة وذلك من الاجيال الاولى فصاعداً .

فيتفرع الى ثلاثـة فروع : ١ً صلاة عزريا ونشيد الفتية الثلاثة (٣ ٢٤ - ٩٠) ؛ ٢ً تاريخ سوسنة العفيفة وذينك النجسين راميي تلك البريئة بتهمة الزنا الشنعاء (١٣) ٣ً قصة الصنم بال والتنين (١٤)

٣ً — الاجزاء القانونية السابقة (Protoca) واللاحقة (Deutero) لسفر دانيال في الميزان العلمي — الانتقادي . ازاء هذا ينقسم العلماء الى شطرين شطر كاثوليكي مع بعض غير كاثوليك كهنجستيفبيرج)

Hengstenberg ; Die Authentice des Daniel

F. M. Fuller, On the authenticity of the book of Daniel, فولير

Cambridge 1864 وغيرهم ينسبون الى النبي دانيال كتابة الاجزاء القانونية السابقة لهذا السفر (١ - ١٢ الا الاعداد ٢٤ - ٩٠ من الفصل الثالث) وقسم غير كاثوليكي ينكر على النبي كتابة هذه الاجزاء المتقدمة عازياً اياها الى رجل اتى في العهد المكابي ، بالنتيجة اتى بنبوءات بعد زمان مجيء المسيح . اول مدافع عن هذا الراي بورفيريوس ، عدو المسيحيين اللدود (بدليل شهادة القديس ايرونيموس في مقدمة كتابه «حول دانيال») الذي انكر على دانيال وضع هـذا الجزء (١ - ١٢) معزياً اياه الى رجل عاش في اليهودية ايام الملك انطيوكس (الذي يدعى ابيفانوس) . لهذا لا يمكن تسمية هذا السفر نبوءة لان كل ما قيل فيه تم قبل عهد انطيوكس المذكور (هذا قول بورفيريوس)

واما من جهة اسفار العهد الجديد فالبروتستانت الان على انها قانونية بتمامها وسترى في مقدمـة كل من الرسائل التي انكر بعضهم قانونيتها ذات حين الشواهد والبينات التي توضح ثبوت القانونية لها ومن ثم لا حاجة هنا الى ايراد شيء في هذا الشأن بعدُ

غير ان بعضاً آخر يرتأي كتابة هذه النبوّة في العهد المكابي .
وغيرهم يقول : ان حياة دانيال كتبت في زمان المكابين بعد ان كانت شائعة قبل ذلك العهد .

براهين اصحاب الرأيين الاخيرين لتأييد رأييهما .

ادلة اصحاب المذهب الاول :

١ً التقليد اليهودي (بالاجماع)

٢ً يوسيفوس (في كتاب القومية اليهودية ٩ ، ٨ ، ٥) الذي يذكر ان اليهود اروا اسكندر الكبير وقت دخل اورشليم نبوآت دانيال . وواضع سفر المكابين الاول عرف كتاب دانيال (مكاب الاول ٢ ، ٥٩ والتابع ٤ ، ١ ، ٥٧) .

٣ً السيد المسيح (متى ٢٤ ، ١٥) رجع بالسامعين الى ما قيل في دانيال النبي (دانيال ٩ ، ٢٧)

٤ً يذكر الواضع بدقة كلية عادات البابليين . خذ لك مثلاً : استعمالهم نار الاتون للتعذيب و كذا الرمي في جب الاسود . .

٥ً لا ينكر على الواضع معرفة العبرانية والارامية على ماهو ظاهر في كتابه ما يطابق استعمال ذلك الزمان للغتين شائعتين . والتاريخ العام يذكر عن اليهود بانهم عند وشك انقراض وزوال لغتهم بدأوا يدرسون اللغة الارامية ويتقنونها جيداً مكان لغتهم الاصلية

هذه براهين الفريق الاول . اما ادلة اصحاب الراي الثاني فتأتيك تباعاً . دونكها فاقرأ :

١ً وجود كتاب دانيال في مصاف الكتب الادبية (عند

اليهود قديماً) لا في مجموعة الاسفار النبوية .

٢ً – ارامية غريبة لغة هذا السفر خلاف ما وجب ان تكون لان العصر الواضع كان يختص بالارامية الشرقية .

٣ً – لماذا سكت يشوع بن سيراخ عن ذكر دانيال في معرض مدحه الاباء (فصل ٤٩) ؟

٤ً – يلحظ كون الواضع لا يتقن جيداً لغة بابل وتاريخها؛ اليك بالشاهد : اسم بلشصر الذي خلع على دانيال ولازمه كاسم مستعار كان اسما لبال إله بابل ويفسر احفظ حياة الملك (او) احفظ حياته . سوى ان هذا الاسم كان لابن نبونيد ؛ وليس لابن نبو كدنصر . ونبونيد هو آخر ملوك بابل . وفجأة يظهر داريوس المادي (٦، ١٤، ٩، ١ دانيال) . على انه من المعلوم ان غوبارو ، قائد جيش الملك كورش ، بعد ان ظفر بعسكر نبونيد احتل بابل ، بعيد هذا يتبع غوبارو نفس الملك كوروش ، الذي ولى الاول (غوبارو) حكم بابل

هذه براهين كلا الفريقين لتأييد نظريته . اما نحن فنرى براهين الفريق الاول اقرب الى الصواب لما تحمله من قوة وطيدة ، وإن لم ننكر لبراهين القسم الاخر بعض القوة .

لهذا نميل بارتياح الى رأي الفريق الاول ، الذي لا يعرف واضعاً لهذا الكتاب سوى النبي الفتى دانيال ؛ محاولين اذلال براهين الفريق الثاني وذلك دفاعاً عن هذا الكتاب الالهي وعن انتسابه الى النبي دانيال نحن هنا للرد على براهين القسم المعاكس ؛ لانها سيئة النهاية .

فاسمع وع؛ اذن نجيب

على الاول – (اي على اول براهين الفريق الثاني) بان وجود سفر دانيال بين الأسفار الادبية النبوية ليس بصحيح في كل النسخ. فالنسخة السبعينية (التي لها المكان الاول بعد المتن) تضع دانيال في عداد الانبياء؛ ويوسيفوس المؤرخ (في كتابه ضد ابيون ١؛ ٨) بينما يتحدث عن الانبياء الثلاثة عشر؛ الذين عرف دانيال بينهم (كتاب القدميات ١٠؛ ١١؛ ٧) يخلع على نبيّنا اسم النبي الاكبر بين المذكورين (الثلاثة عشر نبياً) . وهكذا هوت قوة البرهان الاول للفريق الثاني الى الحضيض .

على الثاني – (ثاني براهين الفريق الثاني) مسلمين بان اللغة الارامية في كتاب دانيال ارامية غربية؛ غير اننا نشرح هذا بقولنا: لما كان كتاب دانيال كثير الاستعمال طرأت عليه بضعة تغييرات ونقح طبق اللغة الدارجة الاستعمال في ذلك الحين التي لم تكن سوى غربية [على ان السيد ويلسن العالم) Wilson, The Aramaic of Daniel Biblical and Theological Studies 1912; 261 — 305) يحاول اثبات كون لغة سفر دانيال لم تكن سوى ارامية شرقية . والاب هيتسنور اكبوشي (Theologia Biblica 1, 321) يوافق ويلسن على هذا الرأي . الا ان العالم ويسنش (Wissensch. N. F. IV (1927)81133) يرتأي خلاف المتقدمين قائلاً : لا نستطيع بتأكيد ان نحكم على لغة كتاب دانيال الارامية اهي ارامية غربية ام ارامية شرقية . ويوافق غير واحد ويسنش على رأيه المقدم] .

على الثالث - (ثالث براهين الفريق الثاني) قائلين ان ابن سيراخ لم يتعرض لذكر كل رجال العهد القديم العظام . فعزرا الذي يستحق ان يذكر اول الجميع لاعماله العظيمة لم يذكره ابنُ سيراخ (ويقول دوكوورث (Duckovorth) في الفصل الاول عن دانيال : في زمان ابن سيراخ نشأت مناظرة بين العلماء حول قانونية كتاب دانيال الاول (القسم القانوني السابق ١ - ٢٠) . الا ان حزقيال لم يكن ليألوا جهداً عن ذكر دانيال مراراً وذلك كلما كان يتسع له المجال في معرض اتيانه على ذكر الانبياء المتقدمين والاباء الاولين . وبهذا تلاشي البراهان الثالث (للفريق الثاني) .

على الرابع - بالتسليم يكون اسم بلشصر (اسم دانيال المستعار) هو اسم لاله بابل وتفسيره احفظ حياة الملك . على ان اطلاقه على ابن نبو كدنصر (بينما كان لابن نبونيد، قائد جيش كوروش الملك) لا يحمل حصرياً بل توسيعياً . فلفظة الابن كما تشير الى الابن الطبيعي تشير ايضاً الى الابن الغير الطبيعي ويكون ابن الابن او ابن ابن الابن . فالكتاب المقدس يجري على هذا الاستعمال اكثر من مرة . خذ شاهداً الملك حزقيا . فهذا كان ابناً لاحاز ملك يهوذا، ومع ذلك فقد اعتبره واضع سفر الملوك الرابع ابناً لدواد بقوله : وصنع (اي حزقيا) القويم في عيني الرب كجميع ما صنع داود ابوه . ملوك رابع ١٨، ٣ . اذن لفظة ابن في استعمال الكتاب تعين ابن الابن وابن ابن الابن ، عدا الابن الطبيعي .

وقد يكون ان الملك نبونيد اتخذ ابنة نبو كدنصر زوجة له :

فيضحي نبو كدنصر المذكور جد بلشصر الحقيقي واباه باتساع المعنى (لهذا سوغ الكاتب لنفسه استعمال لفظة أب للجد نبو كدنصر جرياً على عادة استعمال الاسفار الالهية المتقدمة وبالاولى حجة اجاز لذاته اطلاق لفظة ابن على ابن الابنة بلشصر) . هذا ما نرجحه وهو قريب جداً من الواقع .

اما الجزء الثاني من الاعتراض الاخير فعلى غاية الصعوبة كما يبان ويتناول داريوس بن احشورش المادي الذي يظهر فجأة في فاتحة الفصل السادس وفي فاتحة الفصل التاسع من هذا الكتاب فمن ياترى يكون هذا الملك الذي استولى على الصولجان بعد اغتيال بلشصر المقدم ذكره ؟ هنا تنقسم اراء العلماء اذ بعضهم (كهينسنور Theol. Bil.1313 وغيره) يوحدون بين داريوس المذكور وغوبارو قائد جيوش كوروش الذي ولاه الحكم على بابل ثم استرجعه لنفسه ، وبعض آخر لا يعرف بداريوس إلا كوا كساوس الثاني، صهر الملك كوروش . على ان فئة اخرى من العلماء يشوقها ان تعرف بداريوس الكمبيسي بن كوروش

وكلمتنا بشأن ما تقدم هو ان طارءاً طرأ على كتاب دانيال من الوجهة المادية فشوش نظامه الاصلي بان قدم فصل محله التأخير وأخر فصل محله التقديم . وعلى ما يبان ان الفصلين السابع والثامن وجب وضعهما مكان الخامس والسادس وهذان الاخيران مكان السابقين . بهذا يزول بعض التقطع في المعنى والتناقض الكلامي الظاهر فقط .

ننتقل الآن الى اجزاء كتاب دانيال التي تدعى بالقانونية اللاحقة (دانيال ٣، ٢٤ – ٩٠، ١٣–١٤) . ينكر قانونية هذه الاجزاء اصحاب

شيعة المحتجين (البروتستان) مستندين الى قول جوليوس الافريقي الذي نبذ قانونية هـذه الاجزاء ظهرياً الى المعلم اوريجانوس (الذي خالفه بهذا الرأي) . غير ان جوليوس المذكور لا يستند الى برهان ثابت وطيد لنبذ هـذه الاجزاء التي اقرتها اشهر الترجمات القديمة كالسبعينية والتاودوسيانية والسريانية القديمة . . .

على ان تغييرات عديدة توجد في هذه النسخ لدى مقابلة الواحدة بالاخرى ، مما يجب ان نسلّم باصل يرجع اليه هو العبراني – الارامي ، الذي فقد قديماً (عندما احرق ملوك اسرائيل الاشرار كتب الله) وبقيت ترجمته في النسخة السبعينية (لان اجزاء كتاب دانيال كانت منفصلة عن بعضها ، فيمكن ان الاجزاء القانونية اللاحقة كانت قليلة الانتشار ، وبالنتيجة كانت نسخها قليلة ، فقضي على جميعها (في اللغة العبرانية) وقت أمر الملوك الاشرار باحراق الاسفار الالهية . وبقيت ترجمتها اليونانية (عند يهود الاسكندرية) . اما الاجزاء القانونية السابقة فكانت كثيرة التداول ، و كثيرة النسخ ، التي (النسخ) قضي على بعضها وسلم البعض الآخر) وذلك لما يلوح على هذه الاجزاء من الاستعمال والصبغة ذات الجوهر الارامي (دونك الآتي : = upo schinon sub shino = تحت الضرورة (شجرة الكمكام = اي علك) دانيال ١٣ ، ٥٤ . وموضع ، انا ارى (١٢) ترى انا مستيقظ = حَصْ (او حَصْ) .

من المؤكد ان المترجم اليوناني (في الجيل الثاني قبل المسيح) رأى الاصل الارامي لاجزاء كتاب دانيال القانونية اللاحقة . اما

لو تساءلنا عما اذا كانت هذه الاجزاء اصلية في الكتاب ام اضيفت اليه فيما بعد، فلا نستطيع القطع مطلقاً لعدم وجود الادلة الصريحة الثابتة. هنا نحيل القارىء العزيز الى الحاشية السابق ذكرها.

٤ – كتاب دانيال في اقدم النسخ.

يوجد هذا السفر: ١ً في النسخة السبعينية (التي خطت بعد السنة الـ ١٦٨ قبل المسيح) وذلك في المخطوط الكيزيانى (الذي خط في زمان يتراوح بين الجيل التاسع والجيل الحادي عشر).

٢ً في النسخة السريانية القديمة المسماة بالبسيطة (التي ترجمة عن الاصل العبراني للعهد القديم وعن الاصل اليوناني للعهد الجديد، وقد عوّل عليها واطراها بالثناء الجزيل اكثر الاباء منهم: امبروسيوس واسابيوس، وباسيليوس، واغوسطينوس وافرام السرياني وغيرهم؛ إلاّ القديس ايرونيموس الذي لم يكن يحسن اللغة السريانية اولاً. ولانه لم يوجد باحتياج اليها والاصل العبراني بين يديه ثانياً. وهذه الترجمة السريانية لم تكن سوى ترجمة الاصل العبراني بامانة كلية، عارية عن كل تزخرف لغوي. هنا نحيل القارئ المجتهد الى ما كتبه حضرة الاب المحترم يوسف العلم المرسل اللبناني، بهذا الشأن في « كتابه « تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ». وذلك في الفصلين الثاني والثالث من مقدمة كتابه المذكور).

٣ً في النسخة الايرونيمية (التي أخذت عن الاصل العبراني) التي تخالف النسخة المصورية في ما يقارب المائة موضع.

٥ – أيشاطر هذا السفر باقي الاسفار النبوية بالقوّة الالهية؟

الاجزاء القانونية السابقة (١ — ١٢ دون الاعداد ٢٤ — ٩٠ من الفصل الثالث) تتحلّى بالقوّة الالهية الصريحة (انظر سفر المكابيين الاول ٢، ٥٩ والتابع؛ متى ٢٤، ١٥ . . .) . اما الاجزاء القانونية اللاحقة وإن لم تذكر صريحاً قوتها الالهية فلا تتعرّى من القوّة الضمنية، لان الكنيسة منذ اجيالها الاولى حتى الساعة ما فتأت تعتبرها كأجزاء موحاة وحياً الهياً . فالاباء دائماً يرجعون الى هذه الاجزاء . دونك بعضهم : القديس اكليمنضوس الروماني، في رسالته الى اهل كورنتس (٤٥، ٦؛ ٤٩، ٣) يأتي على ذكر نشيد الفتية الثلاثة . والقديس يوستينوس، في كتاب محاماته ١–٤٦ مع القديس ايرونيموس (٤، ٢٥، ٣) يذكر ان تاريخ سوسنة العفيفة . والقديس اكليمنضوس الاسكندري (في كتابه Stron. 121) يصف بال والتيو، كذلك ترتوليانوس في كتابه الوثنية ١٨، يأتي بما اتاه اكليمنضوس الاسكندري ومثلها القديس قبريانوس في مواعظه الاعتقادية ٢١ . لنا ايضاً، غير الاباء، شاهد آخر (لقوة الاجزاء القانونية اللاحقة)، هو النقوش والتصاوير في الداميس والمقابر المسيحية القديمة .

٦ — قوّة هذا السفر الاعتقادية تلامس المرتبة العليا (١) . اما قوّة سفر دانيال الاعتقادية فهي اكثر وضوحاً في هذا السفر منها في غيره . ذلك لان دانيال لم يتنبأ بالاشارة عن المسيح فقط، بل حدّد مجيئه وموته برؤيا السبعين اسبوعاً ا لهذا هتف القديس ايرونيموس قائلًا : انبه الى هذا وهو ان دانيال فاق كل الانبياء باعلانه زمان مجيء المسيح بالتدقيق وذلك بالسبعين اسبوعاً، وإن

اختلف المفسرون بطرق شرحها افراديا. ثم ذكر مجيء ابن الانسان بالغمام في الفصل ٧: ١٣ (دانيال) مشيراً الى المسيح ، الذي اثبته على نفسه (متى ٢٦: ٦٤ ؛ مرقص ١٤: ٦٢).

٧ – استغراق وجيز في معاني دانيال النبوية .

لكل متمعن في سفر دانيال تظهر ثلاثة انواع من النبوءة : ١ً النبوءة عن الممالك الاربع . ٢ً النبوءة عن المملكة الخامسة (مملكة القديسين المستمرة مدى الابد) . ٣ً نبوءة السبعين اسبوعاً .

ها نحن نعلق على هذه النبوآت ما يجعل القارئ واعياً اهميتها وقوّتها :

اوّلا – الممالك الاربع السابقة عهد مملكة المسيح . (خذ سفر دانيال فاقرأ ٢: ٣١ – ٣٣، ٣٦ – ٤٣؛ ٧: ٢، ١٢ – ١٥، ١٧ – ١٩، ٢١ – ٢٣، ٢٦ – ٢٦؛ ٨: ٢ – ١٢) .

فهذه الممالك تحقق وجودها كما نوّه بها دانيال (لك التاريخ المدني اكبر مؤيد لهذا) وهي الآتية اسماؤها : اولاها المملكة الكلدانية التي رأسها نبوكدنصر (بلا خلاف)

ثانيتها مملكة ماداي الفارسية ، فهذه لم تطل عظمة المملكة الاولى ولم تستمر ما استمرت تلك (وهذا مجمع عليه تقريباً) .

ثالثتها المملكة اليونانية التي انشأها اسكندر الكبير . فقد بسطت سلطانها على معظم الممالك ، كمصر ، وسوريا ، وتراقيا ومكدونيا و ...

رابعتها المملكة الرومانية التي قضت على كل تلك الممالك التي

سبقتها ، ونشرت (اي المملكة الرابعة) ظلها على اكثر المعمور ، اذ حكمت ثلاث قارات كبرى من المعمور ، إن هذه القارات إلا اوروبا وافريقيا واكثر من نصف اسيا .

على ان عزو المملكة الرابعة الى مملكة رومية ينكره بعض الاباء كالقديس افرام السرياني ، وبعض العلماء مثل لاغرانج (Lagrange. In R. B. 13 (1914) 494 — 520) وبوزي Buzy, Denes Buzy, in R. B. 27] (1918) 406 — 413; 416 — 419. Les Symboles de l'Ancien Testament (Paris 1923) 270 — 280] وغيرهم . فهم ينسبون رابع مملكة الى المملكة السورية السلوقية ، موردين عشر ملوك (هي العشرة القرون المصرّحة في دانيال) من هذه المملكة :

١ً – سلوقس الاول = نيكانور (سنة ٣١٢ – ٢٨١ قبل المسيح)
٢ً – انطيوكس الاول = سوتير (« ٢٨١ – ٢٦١ « «)
٣ً – انطيوكس الثاني = تيوس (« ٢٦١ – ٢٤١ « «)
٤ً – سلوقس الثاني = كالينيكس (« ٢٤١ – ٢٢٦ « «)
٥ً – سلوقس الثالث = كالاونوس (« ٢٢٦ – ٢٢٣ « «)
٦ً – انطيوكس الثالث = العظيم (« ٢٢٣ – ١٨٧ « «)
٧ً – سلوقس الرابع = فيلوباتر (« ١٨٧ – ١٧٥ « «)
٨ً هيليو دوروس الذي قيد سلوقس فيلوباتر بالسلاسل كي يستولي على الصولجان الملكي مكانه (سنة ١٧٥ قبل المسيح)
٩ً – ديمتريوس بن سلوقس فيلوباتر المقدم ذكره ، الذي اعدمه الملك انطيوكس ابيفانوس (حوالي سنة ١٧٥ قبل المسيح)

١٠ – بطليس السادس فيلومتور (ملك مصر ١٨٠ – ١٤٥ قبل المسيح) الذي حاول الاستيلاء على مملكة اسيا وادماجها بمملكته.

غير انّ انطيوكس ابيفانس ظفر بالثلاثة الملوك الاخيرين.

هؤلاء الملوك العشرة (يقول اصحاب هـذا الرأي) رمزت عنهم قرون الحيوان الرابع المؤتى على ذكره في الفصل السابع والعدد ٧ من نبؤة دانيال.

وموافقتنا مع احترامنا لكلا المفسرين

ثانياً – النبوآت المسيحية (او المملكة الخامسة الالهية) (انظر دانيال ٢، ٣٤ وما يتبع و٤٤ ؛ ٧، ١٣ – ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٧ ؛ ١٢، ١ – ٣) بعد ان تكلم النبي دانيال عن الممالك الاربع المقدّم ذكرها اعقبها، بمملكة خامسة قال عنهـا هكذا : وفي ايام هؤلاء الملوك يقيم اله السماء مملكة لا تنقض الى الابد، وملكهُ لا يترك لشعب آخر فتسحق وتغني جميع الممالك، وتثبت الى الابد ؛ دانيال ٢، ٤٤.

اما رئيس هـذه المملكة فيكون انساناً الهياً (اي المسيح) وتخدمـه كل قبيلة ولغة وشعب. وسلطانـه ابدي ليس له انقضاء (٧، ١٣ – ١٤)

ثالثاً – نبوءة السبعين اسبوعاً. (انظر الفصل التاسع من دانيال). يصدِّر النبي نبوءة السبعين اسبوعاً بتصريح يشير الى انه فهم ما قيل من اتمام السبعين سنة على خراب اورشليم (ارميا ٢٥ ؛ ١١–١٢) ثم يوجه صلاة حارة مقرونة بالصوم ولبس المسوح وذرّ الرماد على الرأس يستغفر الله عن بني شعبه، وإنه لكذلك نظر الملاك جبرائيل

في الرؤيا يطير اليه ويلمسه في وقت تقدمة المساء ثم يقول له : يا دانيال اني خرجت الآن لأعلمك فتفهم ، حتى بلغ ان قال له : ان سبعين اسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لافناء المعصية وازالة الخطيئة وتكفير الاثم والاتيان بالبر الابدي واختام الرؤيا والنبوءة ومسح قدوس القديسين . فاعلم وافهم . من صدور الامر باعادة بناء اورشليم الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً فتعود تبنى السوق والسور في ضيق الاوقات . وبعد الاسابيع الاثنين والستين (مع السبعة الاسابيع) يُقتل المسيح والشعب الذي ينكره لا يكون له وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس . وكما بالطوفان يكون انقضاؤها والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضي . وفي اسبوع واحد يثبت لكثيرين عهداً ثابتاً وفي نصف الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب والى الفناء المقضي ينصب غضب الله على الخراب (دانيال ٩، ٢٤ - ٢٨) .

نقول تعليقاً على هذه النبوءة العظمى ، المراد بالاسابيع المذكورة اسابيع سنين لا اسابيع ايام ، كما يفهم المسيحيون واليهود . فتكون اذن مدة اسابيع السنين ٤٩٠ سنة . غير انه يجب اولاً انصرام تسعة وستين اسبوعاً الى المسيح (والواقع الى عماد المسيح) . اما الامر بتجديد اورشليم وبنائها فصدر سنة ٢٩٩ لتأسيس رومية (عزرا ٧ ١١ - ٢٦) وهي السنة العشرون للملك ارتحششتا [هذا ما يدعمه التاريخ العام . فسنة ٣٠١ لارتحششتا توافق السنة ٢٩٩ لتأسيس

رومية. وكان ظهور المعمدان وتعميده المسيح السنة الخامسة عشرة لطيباريوس قيصر (لوقا ٣: ١) الموافقة سنة ٧٨٢ لتأسيس رومية. فاذا طرحنا ٢٩٩ من ٧٨٢ (وقت عمد المسيح) كان الحاصل ٤٨٣ سنة وهي المدة التي تتخلل السنة الـ٢٠ لارتحشستا والسنة التي اعتمد فيها يسوع (اي ٧٨٢ لتأسيس رومية). وهذه السنة ليست إلاّ مجموع سني الـ٦٩ اسبوعاً المسطرة في سفر دانيال] اما امر ارتحشستا لليهود باعادة بناء اورشليم فهو رابع امر صدر لليهود

الامر الاول اصدره كورش وينحصر باعادة بنا الهيكل دون المدينة (عزرا ١: ٢-٤)

والثاني انشأه داريوس بن هستاسب وليس هو الا تثبيت امر كوروش السابق (عزرا ٦: ١-٢١).

ثم الثالث اخرجه ارتحشستا ويختص بالذبائح وحقوق اهل الكهنوت (عزرا ٧: ١٢-٢٦).

اخيراً الامر الرابع وجهه ارتحشستا الى نحميا في السنة العشرين لملكه يأمره بترميم اسوار المدينة (نحميا ٢: ١ وما يتبع). ونبوءة دانيال عنت هذا الامر الرابع، كما ذكرنا آنفاً]

اذن كان ظهور المسيح (كما تحقق) في نهاية الاسبوع الـ٦٩ وقتله في منتصف الاسبوع السبعين، اي بعد اعتماده من يوحنا بثلاث سنين ونصف السنة. وهذا ما يوافق عليه التاريخ تمام الموافقة. اذن لقد حدد النبي دانيال زمان ظهور المسيح وقتله بتمام الدقة. فحق له الاعجاب لرغائبه السامية فهو الفتى اللامع ورجل الرغائب!

الفصل الاول

– الانبياء الصغار الاثني عشر –

مجموع كتب الانبياء الاثني عشر كان منذ القديم يشغل مجلداً واحداً على ما يشهد به التقليد اليهودي (بن سيراخ ٤٩، ١٢ ؛ يوسيفوس المؤرخ في كتابه ضد ابيون ١، ٨) . والتقليد المسيحي [حسب تصريح الاباء الخالمين على كتاب (مجموعة كتب) الانبياء الاثني عشر اسم : كتاب الاثني عشر نبياً (To Dodecaprofeton)] . توضع نبوآت الاثني عشر في النسخ العبرانية طبق الترتيب التاريخي المستطاع يومذاك . اما النسخة العامة فدرجت على تنسيق النسخة اليونانية ، كما ان النسخة التي يتداولها ابناء الضاد طبعت على غرار النسخة العبرانية . ها من الان دون اي توطئة نبدأ الكلام بالاثني عشر اصحاب رؤى المستقبل ومشاهده .

المطلب الاول

– عاموص (محامي الفقراء بشجاعة ثابتة) –

موطن هذا النبي قرية تقوع بيت لحم يهوذا ، كان راعياً فتنبأ على اسرائيل (في بيت لحم) ايام الملكين عوزيا (سيد يهوذا) ويوربعام الثاني (والي اسرائيل) في مدة تتراوح بين سنة ٧٦٠ وسنة ٧٥٠ قبل المسيح .

لهجة عاموص نخيمة تهديدية . اما لغته فغاية في الصفاوة وغزارة التشابيه والامثال الحسية . لهذا صحّ الحكم على ادبه بانه شعري واضح وخال من الابهام . له حظ كبير من التفوق ولا يقل قيمة عن كبار الانبياء في الاجادة الوضعية والاستعارة والمجاز البياني

كتاب انذار لاسرائيل ولباقي الامم ، هذا الكتاب يتضمن من الفصول تسعة تقسم الى قسمين خلا التوطئة التي تشغل الفصلين الاولين من هذه النبوءة .

توطئة (١ – ٢) فيها يوصف التهديد الالهي على دمشق (١، ٣) ، وغزة (١، ٦) واشدود واشقلون وعقرون (١، ٨) ، وصور (١، ٩) ، وادوم (١، ١١) ، وتيمان (١، ١٢) ، وعمون (١، ١٣) ، ويهوذا (٢، ٤ – ٥) ، واسرائيل (٢، ٦ – ١٦) .

القسم الاول (٣ – ٦) فيه يعدد النبي خطايا اسرائيل والعقاب الالهي الذي سوف ينزله الرب بشعبه الناكث العهود التي بتها معه . ثلاثة فصول تفتتح بهذه الفقرة « اسمعوا هذه الكلمة » توجيهاً الى بني اسرائيل وعجال باشان التي في جبل السامرة خصيصاً لآل اسرائيل كرثاء سقوط عذراء اورشليم الطاهرة التي لم تصادف من يقيمها .

القسم الثاني (٧–٩) الآتي على ذكر خمس رؤى رمزية : ١ً رؤية الجراد القاضي على كل عشب الارض (٧، ١ – ٣) ٢ً رؤية النار الآكلة الغمر والبر (٧، ٤ – ٦) ٣ً رؤية السيد وبيده مطمار (٧، ٧ – ٩) ٤ً رؤية زنبيل الفواكه علامة انقضاء اسرائيل دون ان يحظى

بالعفو (٨٠١ - ٣) . . . ٥ً رؤية الرب واقفاً على المذبح (٩٠١ - ٧)
يلتحق بما تقدم ترميم مسكن داود المتهدم . .

اسفار العهد الجديد تجعل لهذا السفر قوة قانونية شأن كل كتاب موحى [اقرأ كتاب اعمال الرسل ٧، ٤٢ = عاموص ٥، ٢٥ : هل قربتم لي ذبائح وتقادم اربعين سنة في البرّية يا آل اسرائيل (؟ ؟) وابق ايضاً في كتاب اعمال الرسل ١٥، ١٦ = عاموص ٩، ١١ وما يتبع : ذلك اليوم اقيم مسكن داود الذي سقط الخ . .]

النسخة المصورة لكتاب عاموص هي التي بقيت سالمة لغاية الساعة ، وايضاً لا يستهان بقيمة وشأن نسخة القديس ايرونيموس اما باقي النسخ ، كالسبعينية والسريانية البسيطة ، فتأتي بدرجة ثانية بعد النسختين المقدمتين .

واضع هذا السفر عاموص . كذا يرن في اذاننا صدى صوت التقليد القديم . فشوهه وللوسن وابدله بصدى يخالفه (Wellhausen Die Kleinen Prophèten Berlin 1892,1898) اذ لم يرقه نسبة هذا الكتاب لعاموص فاعترض على ثماني جمل من آخر فصول هذه النبوءة (٩، ٨ - ١٥) وحججه الاتية :

١ً نبوءة هذه الاعداد لا تتفق مع ما هو في الاعداد السابقة .

٢ً مضمون هذه الاعداد يخالف رغائب عاموص الذي لم ينتظر اي رجاء لاسرائيل .

٣ً لما قيل يبني مسكن داود المتهدم ، وايام عوزيا بلغت المملكة اوج العز والعظمة ،

على الاول نجيب : بالتسليم دون اي غضاضة على الواضع . فالنسق نبوي وحسب الايحاء يكون اليس النبي آلة بيد الروح القدس ؟ وروح الله اليس باستطاعتها ايحاء الرحمة كما باستطاعتها ايحاء الغضب ؟ بهذا جواب على الاعتراضين السابقين سوية .

اما على الثالث فنرد : تنبأ النبي عن المسكن الداودي المتهدم في الزمان المقبل وليس في الحال ، ذلك يعني ان مسكن داود سيهدم ثم يبنى ، وفي كلتا الحالتين نبوءة موحى بها من سيد السماء . تعاليم سامية تتدفق من بين سطور هذه النبوءة الصغيرة . فالله هو مبدع ورب كل الاشياء واله الجيوش (عاموص ٤ ، ١٣ ؛ ٥ ، ٨ . ٠ ؛ ٨ ، ٩ ؛ ٩ ، ٥ ، ٦) وهو رب واحد كما لاسرائيل كذا لباقي الامم (٩ ، ٧) ، محام عن الفقراء والايتام والارامل . غير انه يطلب قلوب البشر تقدمة عوضاً عن الشفاه ويقتص من الخطايا دائماً . . . .

— المطلب الثاني —

هوشع (النبي الكثير الحب)

نبينا هذا هو ابن بئيري من بني اسرائيل تنبأ ايام رحبعام الثاني ملك اسرائيل (٧٨٣ — ٧٤٣ قبل المسيح) وسكن في المناطق التي اخلاها السوريون بعد تقهقرهم . غير ان الوثنية عادت تسكن بين شعب الله لهذا قام هوشع ينذر بالحكم الالهي الاسباط العشرة طيلة عشرين او ثلاثين سنة .

يجمع هـذا السفر قسمين اولها يستعرض رسوم افعال رمزية [أمر هذا النبي بعقد زواج على امرأة فاسقة اتاه منها ثلاثة اولاد

ذكران وانثى فالذكران هما «يزرعيل» و«ليس بشعبي» اما الانثى فاسمها «غير مرحومة» هي اسماء رمزية لما سيفعل الرب بشعبه. ثم هبط اليه امر الرب الثاني ليحبب امرأة فاسقة فابتاع النبي فاسقة بخمسة عشر من الفضة وبحمر ونصف حمر من الشعير وابقاها اياماً في بيته مانعاً اياها عن الاختلاط مع غيره من الرجال. هنا بعض الاباء كاغوسطينوس وباسيليوس وافرام مع بعض الحديثين كفيفورو والحجري يثبتون حدوث هذا الزواج وضعياً. خلاف غيرهم من يؤلفون جبهة ثانية تقاوم الاولى على انها ليست بمنيعة ووطيدة الاركان من قبيل الحجج العقلية من هذه الفئة ايرونيموس واوريجانوس وغيرهم ينكرون حدوث هذا الزواج الوضعي. ونرى ان رأي الفريق الاول ارجح من رأي الفريق الثاني لان هوشع باتخاذه امرأة زانية يمنع عنها الحرم ويحملها تتوب عن معاصيها وفسقها. ثم تتم المقابلة مقابلة شعب الله والاهه مع امرأة هوشع الزانية ورجلها. يختم هذا القسم بذكر علاقة مملكة اسرائيل لرب العهد].

اما القسم الثاني (٤ – ١٤) فيحيط باحاديث النبي اذ يشكو هوشع خطايا شعبه (٤ – ٨) الوثنية وسقوط العادات ويقول: ان شر الكهنة كان سبباً لسقوط الشعب. لهذا وجب انزال العقاب بالابناء العاصين (٩ – ١٣) اخيراً يصف النبي ارتداد الشعب وسعادته (١٤).

نتخطى الان الى العبارة؛ فهذه تعتريها الابهام الا انها وافية المنال ونسقها لا يخلو من التعقيد والتقطع. ويمكننا البتّ بكونها

بقايا احاديث وقطع نبوءة لا احاديث كاملة .

اما نسخ هذا السفر فليست على ما يرام . والتي تفضل على جميعها هي النسخة اليونانية لا العبرانية ولا الايرونيمية لانهما مشوهتان . يذيع هذا السفر حلم الله السامي ومحبته الفائقة .

ثم يمتاز عن باقي الاسفار (عدا نشيد الاناشيد) بانه يذكر وحدة الحال بين الكائن وشعبه وضرورة الزواج الذي تم بين اسرائيل والكائن . فرجل اسرائيل هو الله . وكلما كان الاول يبتعد عن الثاني كان يقترف فعل خيانة لا يقدر شره .

اما قوة هذا السفر القانونية فتبان من العهد الجديد (متى ٢ ١٥ = هوشع ١١ ، ١ ؛ متى ٩ ، ١٣ = هوشع ٦ ، ٦ لوقا ٢٣ ؛ ٣٠ = هوشع ١٠ ، ٨ رومية ٩ ؛ ٢٥ = هوشع ٢ ؛ ٣٥ ؛ اولى كورنتس ١٥ ؛ ٥٥ = هوشع ١٣ ، ١٤ : بطرس الاولى ٢ : ١٠ .. الخ)

– المطلب الثالث –

– يوئيل (نبي القضاء) –

نبي غضوب ناقم على شعبه يجرى في عروقه دم الغيرة على معبوده الاسمى . لا نستطيع ذكر شيء من حياته ووطنه لان التاريخ لم يرنا لهما من اثر .

ثلاثة فصول تؤلف سفره في النسختين السبعينية والعامة واربعة في النسخة المصورية .

نشاء ان نميز جزئين من كتاب يوئيل الاول هو الفصل الاول مع السبعة عشر عدداً من الفصل الثاني . والثاني بقية السفر . في

الجزء الاول نقرأ حكاية الجراد الذي يتلف الحقول ويخرب الارض العامرة ويعقب ذلك جوع شديد في مملكة يهوذا (فصل ١) ثم يأتي ذكر خروج جيوش جرارة على اليهودية لترمي هذه الاخيرة بالدمار (فصل ٢) بعدئذٍ تفد ازمنة السكون والرخاء والنجاح لتحل فيها موهبة النبوءة وروحها على الرجال والنساء من كل طبقة وسن (فصل ثالث) هذا لا يقصي اليوم المحتوم للرب الذي فيه يحاج شعبه فوق وادي يوشافاط بكل عظمة وارهاب و . . . بعد ذلك يسود الامان والغبطة محيط بني يعقوب الاخيار .

اسلوب هذه النبوءة بديع معانيها دقيقة لهجتها فخمة شديدة ذات وقع فعّال في نفس القارئ شعرية المذهب لها مكانة رفيعة من الطلاوة وسهولة الانشاء .

لا اتفاق بين طبقة العلماء على تحديد زمان كتابة هذا السفر بل جنح اراء من كل جانب . فمنهم من يقرر هذا الزمان في عهد احزيا الملك [(٨٤١ قبل المسيح) على مثل كورنلي Cornely - Hagent Compendium 450] ومنهم من يجعله في عهد يوشيا (٦٣٨ – ٦٠٨ قبل المسيح) ككونيج König Einleitung 60] . وبعضهم يريده بعد الجلاء البابلي في عهد العجم او اليونان (سنة ٥٠٠ – ٤٠٠ قبل المسيح) وغيرهم غير هذا لكن براهينهم جميعها لا تتعدى حد الافتراض لذلك نضرب صفحاً عنها . اما نحن فنقف موقف الحياد من هذه المشكلة الى ان يجلو لنا التاريخ بعض النواحي منها ويأتينا بما يسهل لنا طريق معالجة هذا الموضوع المبهم .

اوضح مكان في العهد الجديد يقوم بقسط وافر من اعلان قانونية كتاب يوئيل هو الاصحاح الثاني (الاعداد ١٦ – ٢١) من سفر اعمال الرسل حيث القديس بطرس يذيع نبوءة يوئيل عن حلول الروح القدس المعزي. هذا ورسول الامم (بولس) لا ينزوي عن رفيقه امام الرسل في هذا الرأي (الى اهل رومية ١٠، ١٣ – يوئيل ٢، ٣٢ – عبرا : ٣، ٥) : وكل من يدعو اسم الرب يخلص.

قيل – ما تراه يكون يوم الرب الذي عناه يوئيل في بضع فقر؟ ايوم الرب عند يوئيل كما هو عند باقي الانبياء وفي باقي الاسفار؟ (عاموس ٥، ١٨ – ٢٠، ٨، ٩ و ... اشعيا ١٣، ٦ والتابع .. ؛ صفنيا ١، ٧ والتابع ؛ حزقيال ٣٠، ٢ والتابع ؛ ملاخي ٤، ٥ وما يأتي – يوئيل ١، ١٥ ؛ ٢، ١ – ٢، ١٣ – ٣، ٤ – ٤، ١٤ – ١٥ الخ) كلا على ما يبان فهؤلاء الانبياء يشيرون الى امور فردية والى حوادث خصوصية لبعض الامم (« فيوم الرب » حسب اشعيا هو ذلك اليوم الذي فيه يحاجج الرب البابليين. اما صفنيا فيريد بيوم الرب يوم الكائن مع يهوذا واسرائيل اما حزقيال فيشاء يوماً يتم فيه انقراض المصريين) اما « يوم الرب » لدى يوئيل (٤، ١٢ في النسخة المصورية) فلا يمكن ان يكون الا يوم الحشر او وقت زوال الكون!

يجب ان نفهم من انواع المعاني في هذه النبوءة النوع الشعري فقط. لان اشياء كثيرة قيلت في هذا السفر لم يقرها التاريخ.

– المطلب الرابع –

عوبديا (ناعي آدوم)

عوبديا (ܥܒܕܝܐ) – عبد الكائن) لم يذكر عنه شيء الا من التقليد اليهودي الذي يضع على عاتق هذا النبي مهنة قيم في بلاط الملك آحاب. يكون اذن ذلك الرجل التقي الورع الذي اخذ مئة نبي واخفاهم في مغارتين خشية ان ينالهم اذى من اعوان ايزابال او تفتك هذه الاخيرة بهم كما فتكت بغيرهم من الانبياء قبلا (على حد قول سفر الملوك الثالث فصل ١٨، اعداد ٣ – ٦) يقول القديس ايرونيموس عن جسد عوبديا انه كان باقياً (ايام هذا القديس) ومحفوظاً في سبسطية (اي السامرة) حفظ اجساد القديسين اذ كانوا يأخذون من ثيابه وجسده بركة بمثابة ذخيرة.

سفره اصغر اسفار العهد القديم حجماً لكنه لا ينحط عنها شأناً وقوة ومعنى. وهو شديد اللهجة فخمها يحمل على آل ادوم حملة شعواء يردد صداها ارميا بعبارات وجيزة وذلك في الفصل ٤٩، ٧ – ٢٢

تتضمن هذه النبوءة فصلاً واحداً فيه ينذر عوبديا اهل ادوم بالقضاء الصارم العادل الذي يلاقيهم فيما بعد غب تدمير مدنهم وتفكك اواصر قوميتهم. اما الشعب المختار فيدخل في ردهة جديدة وملك اجد فيه يقلد الكائن زمام الحكم العادل. على هذا الوتر تضرب هذه النبوءة وتنتهي كما رغب واضعها. ولا نزيد لان مسألة

الزمان والمكان أني واين كتب هـذا الفصل الصغير ذو الاعداد القليلة) لم يجلها التاريخ بعد . لذلك نرى كتيبة العلماء لا تبت بشأنها امراً ، ونحن بعد أن وضعنا هذا السفر تحت المعظمات وفتشنا الزوايا لم نجد منفذاً ندخل فيه الى المسألة المذكورة .

– المطلب الخامس –

نبوءة يونان (النبي المرسل)

نشأ هذا الاسم (يونان) عن اصل عبراني (يُونَه – حمامـة) شأن كل الاسماء العَلَمية القديمة التي كانت تطلق على اباء وانبياء العهد القديم . قال صاحب كتاب الملوك الرابع في الفصل ١٤ : ٢٥ على حسب قول الرب اله اسرائيل الذي تكلم به على لسان عبده يونان بن امتاي من جت حافر فيكون وطن يونان جت حافر وسبطه زبولون وقد عاش في عهد يوربعام الثاني (الذي تولى منصة الحكم من سنة ٧٨٧ الى سنة ٧٤٩ قبل المسيح)

كتاب يونان لا يحمل بين دفتيه شيئاً يجعله بحق كتاباً نبوياً على طراز كتب باقي الانبياء ، بل هو تاريخ رجل ارسله الله لينذر آل نينوى بالتوبة وصنع انابة ، فتمرد ولم يشأ تتميم وصية ربه . فذهب متوارياً وقصد البحر حيث وجد مركباً مهيئاً للسفر نزل فيه يريد النزوح عن وطنه كي يتوارى عن وجه الهه فيتخلص من ذلك الانذار الذي خالف رأيه الشخصي تمام المخالفة . فاخذه المركب من مرفأ يافا قاصداً وجهة ترشيش . على ان الله امر الرياح ان تهب

على البحر وتأخذ بالازدياد فكان ذلك وبدأت (الرياح) تتقاذف المركب ذات اليمين وذات اليسار الى ان امسى في خطر عظيم من جراء زوبعة واعاصير هائلة وهيجان شديد وسط اليم الخضم ما جعل المركب على وشك الانكسار والغرق. فارتاع الملاحون والركاب شديد الارتياع حتى ارتعدت فرائصهم واصطكت منهم الاسنان وتولاهم الرعب العظيم. وبينما يونان مضجع داخل السفينة اذا برئيس المركب يتقدم منه فيوقظه ليستنجد الهه كي يقيهم الخطر الذي استهدفوا له. قام يونان... اما هم فرموا القرعة على من يجب ان يكون بينهم اصل تلك البلية، ووقعت على يونان. لذا حدقوا به وطرحوا عليه السؤال: ما حكايتك؟ : فما كان من يونان الا اخبارهم بكل ما جرى له مع الهه!!!

– ماذا نصنع وها البحر في هياج متزايد؟ القوني فيه فاخلص من هذه الحياة اجاب يونان. اما هم فتمموا رغبة النبي بعدما استنجدوا الله. فللوقت وقف البحر عن اضطرابه. خاف الرجال وذبحوا لاله يونان ذبيحة. على ان ما لاقاه يونان في البحر كان عظيماً جداً فقد صادفه حوت هائل ابتلعه حال سقوطه في البحر. وفي جوف الحوت بقي سالماً من اي اذي. وانه لعلى تلك الحال خاف ورجع يسأل الهه ويطلب وجهه بصلاة شهيرة هي بنات جنانه بل جوهر عقله وقلبه هاك بدؤها: الى الرب صرخت... الى ان اتمها. فاستمع الله لنبيه وامر الحوت فقذف يونان الى الشاطئ. لكن الاله لم يتحول عن عزمه الاول فاعاد الكرة على يونان ليذهب

الى نينوى . وما امكن النبي هذه المرة الا التلبية السريعة لاوامر ناشله من البحر بيد قديرة . سار يونان حالاً الى نينوى ونادى بالتوبة عن الاثم فسمع له الشعب كله وصام اربعين يوماً من الملك حتى آخر صعلوك، بل والبهائم جميعها لم يكن ليؤتى لها بالمأكل . عندئذٍ رجع الله عما كان قرر انزاله من العقاب باهل نينوى . وما كان من يونان الا الغضب على ما بدا من الرب وحاججه على صنيعه الرحمة معهم . اجابه الرب : ابحق غضبك ؟ ثم دبر له امراً ليذكره بوجوب صنع الرحمة . الامر هو الآتي : خرج يونان قاصداً جهة المدينة الشرقية فصنع لذاته مظلة يستظل بها الى ان يري ما سوف ينزله الرب بالمدينة اثناء ذلك راى النبي خروعة تكبر وترتفع حتى صارت ذات ظل كبير حجبه تحته ووقاه حرّ الهاجرة . غير انه عند طلوع فجر اليوم التالي ضربت الخروعة بدودة جعلتها تجف سريعاً وعند بزوغ الشمس هبّت ريح شرقية حارة من عند الرب فضربت الشمس رأس يونان حتى طاش وغشي عليه وبعد ان استفاق طلب الموت لنفسه وتذمر على الله لاستئصاله تلك الخروعة التي كان يستظل بظلها . فارسل الله اليه بالكلام الاتي مخاطباً اياه : لقد اشفقت انت على الخروعة التي لم تتعب فيها ولم تربها التي نشأت بنت ليلة ثم هلكت بنت ليلة . افلا اشفق انا على نينوي المدينة العظيمة التي تضم اليهـا اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم هذا عدا البهائم الكثيرة التي لم تسيء الى بشيء ما . هنا ينتهي السفر والقارئ باشتياق الى ما سوف يبديه يونان من الحجج رداً على قول

الله هذا . على ان يونان كما يبان قد أفحم ببرهان الله الساطع الحامي عن الرحمة التي صنعها بجانب شعب نينوى الذي بينه عدد كبير من الابرياء .

اذن هذا الكتاب قصة؛ لكنها واقعية طبق ما يذكر التقليد المتوارث منذ القديم من اول عهد الكنيسة. قال القديس اغوسطينوس العلامة ردا على من انكر وضعية هذا الحادث : اما يجب انكار كل المعجزات واما التسليم بها . وان انكرناها يفحمنا التاريخ الصريح بصدور معجزات لا تعداد لها . وان سلمنا بها وجب علينا التسليم بهذا الحادث ايضاً (اي حادث يونان) اذ لا نرى له مانعاً يمنعه [خذ رسالة هذا القديس ذات الرقم ٢٠٢ الموجهة الى ديو كراتسيا المبحث السادس ٣١ ؛ وفي مجموعة اباء اللاتين للعالم مينيه (ML) المجلد الـ ٣٣ عمود ٣٨٢] بل كما قال السيد المسيح نفسه : وكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان . متى ١٢، ٤٠؛ ١٦، ٤ ؛ لوقا ١١، ٣٠ من هذا القبيل فقط (اي من وجهة كون كتاب يونان يشير الى موت المسيح وقيامته) ادخل كتاب يونان في عداد الكتب النبوية . وفيه تتجلى الرحمة الالهية بابهى حللها مع اتمام المشيئة الربانية السامية رغم انف كل معارض يريد ان يقف صداً امامها .

هذا الكتاب بصورته الحاضرة وضعه رجل غير يونان بعد خراب نينوى (سنة ٦١٢ قبل المسيح) وبهذا الرأي نفسر الفقرة : ونينوى كانت مدينة عظيمة ؛ يونان ٣، ٣

– المطلب السادس –

نبوءة ميخا (حامل محاججة الرب لشعبه بغلاف التوبيخ المر)

من مثل الكائن ؟ بهذا تفسر لفظة ميخا (ܡܝܟܝܗܘ = ܡܝ ܟܝܗܘ) النبي؛ معاصر امير الانبياء اشعيا الذي عنه اخذ بعض آي (٤، ١ – ٣ ميخا = اشعيا ٢، ٢ – ٤) . موطن ميخا مورشة جت (انظر ميخا فصل ١ عدد ١٤)؛ وهي قرية صغيرة من قرى فلسطين؛ تعرف حالياً ببيت جبرين؛ موقعها شمالي غربي اورشليم . غير انها ليست من القرى الفلسطينية ذات الشأن الخطير والاثار الشهيرة . نثر هذا النبي نبوءته ايام ملوك يهوذا : يوتام وآحاز وحزقيا؛ كما نرى في اول فقر هذه النبوءة (ميخا ١، ١) وكما قال عنه ارميا النبي (ارميا ٢٦ ١٨) في سفر نبوءته . فيكون زمان نبوءة ميخا؛ على حدّ قول ارميا متراوحاً ما بين السنتين الـ ٧٢١ والـ ٦٩٧ قبل عهد المسيح . زعم بعضهم ان ميخا في نبوءته هذه سطر فقط ما قاله ايام حزقيا؛ اما ما نادى به ايام الملكين السابقين (يوتام واحاز) فلم يذكره هنا . على اننا ونحن لا نلمس البراهين الثابتة التي تؤيد صحة هذا الرأي؛ لا نميل الى الاذعان لصدقه . دعي نبينا هذا باسم ميخا المورشتي للتمييز بينه وبين ميخا بن يملة المؤتى على ذكره في سفر الملوك الثالث ٢٢ ٨ . نعرف في هذا السفر ثلاثة اقسام اول كل منها مصدّر بلفظة اسمعوا .

١ – الحكم الالهي على السامرة (التي كانت في ذلك العهد حاضرة قبائـل اسرائيل العشر وعاصمة مدنها وفيها كانت ترتكز

عبادة عجلي الذهب) وعلى اورشليم (مصدر العبادة الوثنية وسط عشائر يهوذا وعاصمة مملكة داود وخلفائه .) وهو وايم الحق حكم شديد على المدينتين ترتعد له الفرائص (اسمع : هوذا الرب يخرج من مكانه .... فتذوب الجبال تحته وتنحل الاودية كالشمع من وجه النار وكالمياه التي تصب في منهبط : ميخا ١ ٣-٤ يشتهون حقولاً فيغتصبونها وبيوتاً فيحوزونها ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه لذلك هكذا قال الرب : هاءنذا مفكر على هذه العشيرة بشر لا تحولون عنه اعناقكم ولا تمشون متشامخين لانه زمان سوء . في ذلك اليوم يتخذ عليكم مثل ويرثى رثاء اي رثاء (١) : ميخا ٢ ٢-٤) وهذا القسم الاول من الفصلين من هذه النبوءة

٢ - النبي يبكت ويؤنب حكام اسرائيل ويهوذا على أفعالهم السيئة والغير العادلة . ويخطئ انبياءها الكذبة محترفي العرافة بالفضة ويجرمهم قاضياً عليهم بالعقاب العظيم ثم يظهر حكمه على ما سيحدثه الكائن في صهيون واورشليم اذ يقول : لذلك ستحرث صهيون بسببكم كحقل وتصير اورشليم رجماً وجبل البيت مشارف غاب (ميخا ٣ ١٢) . على ان النبي يعود فيترنم بارتفاع جبل بيت الرب ومجده المستقبلين : ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يوطد في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليه الشعوب (ميخا ٤ ١) . يعقب ذلك اشهار سقوط قاضي اسرائيل والاخبار بمجيء المخلص من بيت لحم افراتة : وانت يا بيت لحم افراتة انك صغيرة في الوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على

اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل (١) ميخا ٥،٢ وهذا القسم يتناول الفصول ٣ – ٥ من النبوءة المار ذكرها .

٣ – الرب يحاجج شعبه مذكراً اياه بالنعم والمطايا التي كان يصنعها له . ثم يطلب (الرب) منه (اسرائيل) الحكم والرحمة والتواضع بدليل قول النبي : قد بين لك ايها الانسان ما هو صالح وما يطلب منك الرب . انما هو ان تجري الحكم وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع الهك : ميخا ٦، ٨ يتخطى الان ميخا الى رثاء الارض التي افسدها الانسان اذ يقول : قد هلك الصفي من الارض وليس في البشر مستقيم . جميعهم يكمنون للدماء وكل منهم يصطاد اخاه بشرك . انما اليدان لتمام الشر . الرئيس يسأل والقاضي يقضي بالاجرة والعظيم يتكلم بهوى نفسه فيفسدونها ... لا تأمن صديقاً ولا تثق بصاحب واحفظ مداخل فمك من التي تنام في حضنك . فان الابن يستهين بابيه والابنة تقوم على امها والكنة على حماتها واعداء الانسان اهل بيته (هذا ما اعاده المسيح طبقاً لما جيء في متى ١٠، ٣٥ وبه تعلن قانونية هذه النبوءة) . على ان النبي يسترحم الله ليظل شعبه بحمايته ارع شعبك بعصاك غنم ميراثك الساكنين وحدهم في الغاب (ميخا ٧، ١٤) . اخيراً يترنم برحمة الله نحو شعبه : من هو اله مثلك غافر للاثم وصافح عن المعصية لبقية ميراثه لا يمسك الى الابد غضبه لانه يحب الرحمة . سيرجع ويرأف بنا ويدوس اثامنا ويطرح في اعماق البحر جميع خطايانا . تجعل الصدق ليعقوب والرحمة لابراهيم كما اقسمت لابائنا من ايام القدم (ميخا ٧، ٨ – ٢٠) كلام حي فعال ذو

لهجة شديدة يؤثر في نفس القاري اشد تأثير هـذا الكلام مبطن بتشابيه سامية ومقابلات ذات تقارب كبير من الامرين المتقابلين. نلمس في الحديث الدقة والسمو البالغين الذروة وان لم يستوف في هذه النبوءة التاريخ التام على ان الانتقال من شخص الى آخر ومن زجر الى وعد وعكسه لا يعتريه هنا ادنى صعوبة بـل هو من السهولة بكثير.

عدا ما ذكر يتبوأ هذا السفر مكانة سامية في الافق القانوني الالهي. لان ارميا في نبوءته (٢٦، ١٨) يأخذ عن ميخا بعض فقر (٣، ١٢) يدخلها في جسم كتابه دلالة لما لميخا من القوة القانونية. واليهود حددوا مكان مولد المسيح من نبوءة ميخا (٥، ٢ ميخا = متى ٢، ٦؛ يوحنا ٧، ٤٢) بل المسيح نفسه ردد ما قاله ميخا (٧، ٦ ميخا = متى ١٠، ٣٥) من ان اعداء الانسان اهل بيته.

– المطلب السابع –

نبوءة ناحوم (الصارخ بتدمير نينوى)

لا يطابق هنـا الاسم المسمى اذ اللفظ العبراني נַחוּם يفسر بالمعزي بينما نقرأ هذه النبوءة برمتها فلا نجد محلاً فيه يتكلم هذا النبي بالتعزية بل ترى التهديد الشديد صبغته الثابتة خصيصاً لاهل نينوى الفاسدة والضالة الطريق السوي (١)

موطن ناحوم القوش كما جاء في فاتحة نبوءته [القوش هي قرية صغيرة من قرى الجليل على ما قاله القديسين ايرونيموس وكيرلس

الاسكندري بخلاف غيرها من عرفوا بالقوش بلدة على مسافة قريبة من الموصل ازاء نهر الدجلة . وهذا الرأي الثاني في الجيل السادس عشر ، من من زعمائه لهمان هوپب (Lehmann—Haup, Israel. Seine Entwicklung in Rah men Derzeit geschiclte 150) سوى ان هذا الرأي الاخير يفوته الدليل الكافي لاثبات صحته ولو المحتملة]

هذه النبوءة اكبر نذير لخراب نينوى العاتية المتكبرة بنوع ان ناحوم صور ذلك الخراب بصورة كذا حية ملونة بالوان الحماسة المختلفة تذهب بعدها كل محاولة ، باستجلاب رضى الله اليها دون جدوى .

من التنويه بجلاء نوآمون المدينة (ناحوم ٣ ، ٨ — ١٠) نستنتج زمان وضع نبوءة ناحوم . فنوآمون ليست غير مدينة تيبايس في مصر ، كما اجمع عليه رأي العلماء . والحال ان اشور بانيبلو ملك اشور الذي ظلّ متربعاً في دست الملك زهاء ثلاث وثلاثين سنة (٦٦٨— ٦٣٥ قبل المسيح) وذلك في زمان يتراوح عهده ما بين السنة الرابعة والستين بعد الستمائة والسنة الثالثة والستين بعد الستمائة قبل المسيح ، هو (اي الملك اشور بانيبلو) الذي سبى تيبايس وجلا اهلها . مما تقدم يكون زمان وضع نبوءة ناحوم (من هذا النبي نفسه) قبل سنة ال٦٦٤ او ال٦٦٣ قبل المسيح ، ايام منسى ملك يهوذا (٦٩٣ — ٦٣٩ ق . م .) .

اما كلامنا في هذه النبوءة الجامعة من الفصول ثلاثة فلا يخالف رأي معظم العلماء العصريين الذين يولونها من الدقة والسمو الشعري ما لم يجودوا به على غيرها من نبوآت الانبياء الصغار الاثني عشر

اذ يقولون : لا احد من الانبياء الصغار يبلغ مقام ناحوم النبي في سموّ المعاني والنسق البليغ .

اخيراً نلفت نظر القارئ الى امر عدم تعرضنا لقانونية هذا الكتاب لسبب عدم اقدام احد على انكارها (القانونية) لذا نسدل الستار عليها باعتبار التسليم بها .

— المطلب الثامن —

— نبوءة صفنيا (بوق القضاء الاخير) —

يمت هذا النبي بصلة القربى من الاسرة المالكة على سبط يهوذا اذ يجري في عروقه الدم الملكي من جده حزقيا . هذا اذا صح ان المراد بحزقيا الوارد اسمه في افتتاحية هذه النبوءة نفس الملك حزقيا بن احاز ملك يهوذا (٧٢١ – ٦٩٣ قبل المسيح خلصه الكائن – [illegible] .

اجل لقد خلصه من خطايا اتاها شعبه تكراراً دون ندامة عليها حتى جعل الله منها موضوعاً لليوم الاخير الذي امتاز نبينا هذا بوصفه بصورة ترعزع الفرائص القوية .

بعض ظروف تسطرها هذه النبوءة تدل على ان صفنيا اقام في اورشليم مدينة الكائن ؛ ومن المرجح ان هذه المدينة هي وطنه الاصلي لانه يكثر من الاسهاب في وصفها ووصف احداثها . تنبأ ناحوم ايام يوشيا (٦٣٨ – ٦٠٨ قبل المسيح) بن آمون (٦٣٩ – ٦٣٨ قبل المسيح) ملك يهوذا (ومن المرجح ان يكون تنبأ قبل السنة

الثامنة عشرة لملك يوشيا ، طبق ما قال العالم هيلد برندو هيغل احد رهبان القديس مبارك في مولفه « الوجيز عن الاسفار الالهية » المجلد الـ ٢ صفحة ٣٤٨) . اذن يكون صفنيا معاصراً لارميا النبي .

كتاب صفنيا يحيط بثلاثة فصول : في الاول انذار هائل لاورشليم وتنويه بيوم الحشر . تبدو لهجة النبي شديدة للغاية في هذا الفصل اذ في مجرى الكلام ، يلبس سحنة رجل ذي سلطان عظيم ، وان كان ناقلاً قول الرب الهابط عليه بطريقة الوحي . اسمعه يصف اليوم الاخير وخراب المسكونة برمتها : قريب يوم الرب العظيم وسريع جداً . صوت الرب مرٌ . هنا يصرخ الجبار . يوم حنق ذلك اليوم . يوم ضرر وضيق . يوم إبادة واتلاف . يوم ظلمة وديجور يوم غمام وضباب . يوم بوق وهتاف على المدن الحصينة وعلى البروج الشامخة . وأضايق البشر فيمشون كالعمي لانهم خطئوا الى الرب وتهال دماؤهم كالتراب ولحومهم كالرجيع (الدواب المهذولة) . فلا تقدر فضتهم ولا ذهبهم على إنقاذهم في يوم غضب الرب بل بنار غيرته ستؤكل جميع الارض لانه يوقع فناء سريعاً على جميع سكان الارض (!!) صفنيا ١ ، ١٤ - ١٨ . لله درك يا صفنيا ، لا فض فوك لقد وفيت موضوعك حقه حتى جعلت القارئ يمسك قلبه بيمينه من الخوف الذي اوقعته في قلبه بوصفك اليوم الاخير . وما أتيت من البيان لسحرُ ا فجملك سامية وذات قوة تهز المكامن الداخلية . ونسقك الخطابي فخيم الى درجة تخطِّي اقصى الحدود التي تدور في خلد بشر !!!

هذا هو الفصل الاول من النبوءة وكما قلنا هو انذار شديد ليهوذا واسرائيل بما ينتظرهم من العقاب الالهي بعدما جعل تقدس اسمه مكانتهم لديه سامية وانزلهم من نفسه منزلة لم يتبوأها احد قبلهم وقد حاول ان تصفو كأس الود بينه تعالى وبينهم ؛ اما هم فهزأوا بكل عطف الهي نحوهم الى ان ثارت حفيظة الكائن عليهم وقرّر عقاباً شديداً لفريتهم المصنوعة إن لم يتلافوا الامر بالمبادرة الى صنع إنابة حقة تفي عما اتوه من الحوب مراراً .

يأتي الان ثاني الفصول وفيه يسطر النبي ما سوف ينزله اله اسرائيل من الانتقام باعداء شعبه . على انه يبدأ بحض الودعاء على طلب الرب والحكمة والعدل والدعة عساهم يستترون في يوم غضب الرب . وفي منتصف هذا الفصل يشار الى رد سبي آل يهوذا بعد تبديد الكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم من امم الارض التي (الامم) ظلمت شعبه في اوقات مختلفة ؛ مثل اهل موآب والعمونيين ثم يذكر استئصال جميع الهة الارض الكذبة مع الكوشيين والاشوريين . . . اسمع القول : الرب رهيب عليهم (على الامم) فيستأصل جميع آلهة الارض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه . . وانتم ايها الكوشيون ستقتلون بسيفي . يمد يده على الشمال ويبيد اشور ويجعل نينوى مستوحشة قاحلة كالقفر . . . . وفي العتبة الخراب لان ارزها معرّى . هذه هي المدينة المرحة الساكنة على دعة القائلة في قلبها : انا وليس غيري . كيف صارت مستوحشة مربضاً للوحوش ! كل من يمر بها يصفر ويهز يده (٩) صفنيا ٢ : ١١ – ١٥ . ثالثاً واخيراً

(الفصل الثالث) يلمع النبي الى مجي المسيح وانضمام جميع الشعوب الى ديانته الجديدة وذلك في ثالث فصول نبؤته وآخرها . لكنه يوجه كلاماً تهديدياً الى تلك المدينة التي شمخت بانفها ولم تسمع لاقوال الرب . لذلك عزم السيد على استبدال شعبها (الاسرائيلي) بشعب جديد (المسيحي) : وأبقي فيما بينك شعباً وديعاً فقيراً فيعتصمون باسم الرب . . . ترنمي يا ابنة صهيون . . . افرحي وتهللي بكل قلبك يا ابنة اورشليم . فقد ألغى الرب قضاءك واقصى عدوك . في وسطك ملك اسرائيل الرب (المسيح) فلا ترين شراً من بعد . . . إن في وسطك الرب الملك الجبار فهو يخلص ويسر بك فرحاً وهو يسكن في محبته ويبتهج بك بترنيم . . . ولاجلهم قد حملت العار (الالام) . .

اما قانونية هذا السفر فلا يصوب اليها اي اعتراض ، لذلك نطوي عنها كشحاً باعتبار كون العلماء يسلمون بها من غير مشاحنة ولا معارضة البتة . اللهم سمر في القلوب خوف يومك العظيم !

– المطلب التاسع –

– نبوءة حبقوق (الرائي الدائم !) –

محبوب حقاً حبقوق ، على حدّ معنى اللفظ العبراني ، والمحبوب يجب ان يحب . لذلك نراه يودّ شعبه بقدر ما كان هذا الاخير يبغضه فلا عجب والحالة هذه ان يضطهد فهو نبي لا يجب ان يكرم في مدينته (١) على حد قول المسيح . لذلك وضع لامته هذا السفر الصغير كما ابان له كائنه العالي عظة لمن اتعظ وعبرة لمن اعتبر . كي يقلع الشعب عن آثامه ويكفر عن الماضي وذلك اذا ما قرأه (اي الشعب)

لا نستطيع الجزم بزمان حبقوق بالتأكيد، على اننا من باب الرجحان ننضم الى الرأي الواضع زمان هذه النبوءة في عهد نبوبولصر (٦٢٦ — ٦٠٥ قبل المسيح) مؤسس المملكة الكلدانية. وقت كان على رأس الحكم في يهوذا يوياقيم بن يوآحاز (٦٠٨ — ٥٩٨ قبل المسيح).

يجب الاقرار بسمو هذه النبوءة وبحظها الكبير من الفخامة اذ تترك تأثيراً لا يستهان به في عقول السامعين لدى قراءتها. أما ما تجمعه من الفصول فثلاثة:

في الاول يسترحم النبي الله، على ان الله يكل الى الامة الكلدانية امر الانتقام الذي سيوقعه بشعبه بعدما يشير الى فروسيتها (اي الامة الكلدانية) النادرة. اما في الثاني فنقرأ ما امر الله به النبي من حفر الرؤيا على الالواح وغيرها.. خلاصة رؤيا هذا الفصل ذمّ المتكبر واطراء البار: اما البار فيحيا بايمانه ٢، ٤. على ان المتكبر لا يكتفي بهلاكه الشخصي بل يرغب في اهلاك جميع الناس وهو كالموت. غير ان السيد الرب يسلبه (المتكبر) كل ما سلب اولاً من الامم ويهدده بالويل والثبور إن حرص على مكسب خبيث وقبيح، وإن بنى مدناً بالدماء وشاد صروحاً شامخة بالاثم، يناله قسط كبير من الفضيحة التي تهتك عرضه ابد الدهر. هذا ويتابع النبي رميَ الويل بصانعي المنحوتات وعابديها مبيناً بطلانها وسخافتها الى ان ينتهي بالقول: اما الرب فهو في هيكل قدسه فاسكتي امام وجهه يا جميع الارض. ثالث وآخر فصول هذا

الكتاب صلاة حبقوق النبي رفعت للعزة الالهية بقالب غايـة في الجمال والطلاوة والدقة والسمو لغتها متينة عالية اسلوبها جذاب جميل. لكن النبي سار في فصله هذا على طراز المزامير الداودية الفخيمة ذات الوقع الفجائي والكنيسة اللاتينية ادخلته في فرضها وذلـك ليوم الجمعة.

هاك بعض مقاطع من هـذا الفصل الجميـل: الرب يأتي من الجنوب والقدوس من جبـل قاران (الجنوب وقاران هي البلاد العربية التي فيها اظهر الله مجـده على جبل سينا؛ انظر سفر تثنية الاشتراع ٣٣، ٢)... قدام وجهـه يسير الوباء وامام قدميه تبرز حمى ملهبة. وقف ومسح الارض نظر واذاب الامم وتبددت جبال الدهر وخسفت إكام القدم. مسالك الازل له... لقـد خرجت لخلاص شعبك للخلاص مع مسيحك... اما انا فاتهلل بالرب وأبتهج بالله خلاصي (حبقوق ٣).

قصيده انيقة سامية المعاني شعريتها حافـلة بالتصريح عن مجي المسيح المخلص. هذه القصيدة النبوية (١) يسلم العلماء (بالاجماع) بقانونية كتاب حبقوق بلا جدال شأن النبوتين السابقتين وغيرهما (اقرأ: اعمال الرسل ١٣، ٤٠ وما يتبع = حبقوق ١، ٥؛ رومية ١، ١٧؛ غلاطية ٣، ١١؛ عبرانيين ١٠، ٣٨=حبقوق ٢، ٤؛ القديس كبريانوس في كتابه «ضد اليهود» ٢، ٢١؛ القديس اغوسطينوس في كتابـه «مدينة الله» الكتاب الـ ١٨ الفصل الـ ٣٢. وغيرهما) يقطعون بمسيحية هذه النبوءة صراحةً، خلاف قسم آخر [مثل L. Reinke , Die Mes-

sianischen weissangungen der grosen u. kleinen propheten III 39 (1861)] seg. لا يعترف بمسيحيتها إلا بطريق الرمز. على كل فلا تعدم الاشارة الى المستقبل المسيحي سواء أكانت تلك الاشارة صريحة مباشرة (تلك هي نظرية القسم الاول) أم رمزية (على حد زعم الفريق الثاني). هذا ما يتهامس به العلماء بشأن حبقوق ونبوءته ولكن همس قليلي السمع. وكفى الله المؤمنين القتال.

— المطلب العاشر —

— نبوءة حجاي (حامل الوحي الى زربابل الحاكم والى يشوع الكاهن الاعظم، بترميم بيت الله العظيم) —

قد يكون صادف مولده احد الاعياد الشهيرة ليدعى باسم حجاي الذي معناه المعيد او المحتفل. هو نبي تحت اضراسه طعم الجلاء المرّ والنزوح عن الوطن لذلك نراه يحض حاكم شعب الله الاكبر زربابل على ترميم بيت الله كي يتمكن الشعب من العود الى الاجتماع في وطنه داخل هيكل معبوده الاعظم.

تنبأ في اورشليم (ايام زربابل الحاكم) ثاني سنة لملك داريوس الاول بن هيستاب المعادلة لسنة ٥٢٠ قبل المسيح (عزرا ٥ : ١).

يجمع كتاب حجاي فصلين في اولهما يستنهض النبي همة الحاكم زربابل ويشوع الكاهن الاعظم في ذلك الحين لترميم الهيكل الاورشليمي وذلك ايحاء من الله الى شعبه بواسطة النبي حجاي. الحجة هي: كل انسان يملك بيتاً خرباً يسعى في سبيل اصلاحه لذلك سألهم

الله : أفحان لكم ان تسكنوا في بيوتكم المسقفة وهذا البيت (مشيراً الى الهيكل) خربٌ (؟) ، حجاي ١ : ٤ ، لهذا اسرع الشعب مع رئيسيه الاكبرين ، يشوع وزربابل ، وباشروا بالترميم ، بعد ان نبّه الرب روح زربابل بن شألتئيل حاكم يهوذا ، وروح يشوع بن يوصاداق الكاهن العظيم وارواح كل بقية الشعب . اما في ثاني هذين الفصلين فتبدو صورة نزول الكلمة الالهية الى حجاي (في الرابع والعشرين من سادس اشهر سنة داريوس الثانية ثم في الحادي والعشرين من سابع شهور السنة نفسها) ، تلك الكلمة التي كانت تحضيضاً لزربابل ويشوع ليتشددا في العمل دالة على ما سوف ينال هذا البناء الجديد من العظمة والمجد اضعاف عظمته ومجده قبل انهدامه . ها الكلمة الالهية تهبط على حجاي مرة ثانية وتوجه بطريقة الاستفهام الانكاري : اذا حمل انسان لحماً مقدساً في طرف ثوبه ولمس بطرفه خبزاً او طبيخاً او خمراً او زيتاً او اي طعام كان أفيتقدس (؟) فاجاب الكهنة وقالوا : لا . . . فالان وجهوا قلوبكم الى ما كان من هذا اليوم فما قبله ، قبل ان يوضع حجر على حجر في هيكل الرب . . . اني ضربتكم باللفح والذبول والبرد في جميع اعمال ايديكم ولم تتوبوا اليَّ . . . وتعقب الكلمة السابقة كلمة اخرى كانت الى حجاي من قبل الله : كلم زربابل حاكم يهوذا قائلاً : اني ازلزل السماء والارض . واقلب عرش الممالك وادمر قدرة ممالك الامم واقلب العجلة وركابها كل واحد بسيف اخيه . في ذلك اليوم يقول رب الجنود : آخذك يا زربابل بن شألتئيل عبدي يقول الرب واجعلك

كخاتم فاني قد اخترتك (حجاي ٢).

على ان ما يجب ان يسترعي الانتباه في الكلام السابق. الاطراء كل الاطراء على زربابل. فهذا (حسب اجماع رأي العلماء) لم يوجه اليه هذا الثناء إلا باعتبار كونه رمزاً للسيد المسيح. عدا ما تقدم نقرأ تصريحاً بينا بشخصية المسيح، في الفقرة الثامنة من الفصل الثاني بادٍ للعيان؛ اسمع القول: وازلزل جميع الارض والامم ويأتي متمنى جميع الامم. من يا ترى يتمناه الكون ويرقب مجيئه بفروغ الصبر إلا المسيح؟ دليل هذا قول احد الانبياء: انشقي ايتها السماء وامطري الصديق.

لغة سفر حجاي تنحط قليلاً عن لغة الانبياء السابقين. لذلك تحل في المقام الثاني من الناحية اللغوية الانشائية. وإن لم تعدم بعض السمو والطلاوة الانيقة في بعض مواطن نبوية مسيحية.

اما قانونية هذا الكتاب فلا تشوبها شائبة ولا يعتريها ادنى ريب لذلك نطوي عنها كشحاً ولا ندخلها دائرة البحث الانتقادي. لنا ايضاً مقابلة بعض آيها بآي عدة اسفار كاسطع برهان لتلك القانونية الثابتة اليك بالمثل: كيف تعظم زربابل إنه كخاتم في اليد اليمنى يشوع بن سيراخ ٤٩: ١٣ = يقول الرب واجعلك (يا زربابل) كخاتم حجاي ٢: ١٤ ثم انظر حجاي ٢: ٧ = العبرانيين ١٢: ٢٦ الخ. وما الى ذلك من الامثلة التي تقوم بالدليل القاطع لقانونية هذا السفر الصغير الحجم والكبير المعنى

– المطلب الحادي عشر –

نبوءة زكريا (حامل لواء تجديد الملك وتوحيد الالوهية)

« ويكون في ذلك اليوم ربٌّ واحد واسمه واحد : زكريا ١٤، ٩ »

اسمه عبرانية تفسر بذكر الكائن ؛ لان هذا النبي يمتاز بالاشارة الى مملكة الكائن الجديدة (المسيحية) . هو نبي التوحيد الظاهر، دون ما التباس . ففصوله الاربعة عشر يجمع آيها اسطع ادلة لوحدانية معبود جميع الامم : في ذلك اليوم يكون رب واحد واسمه واحد ويكون ملكاً على الارض كلها ؛ زكريا ١٤، ٩ .

زكريا هو ابن بركيا بن عدوّ من نسل لاوي . يذكر سفر نحميا (١٢، ٤ – ١٦) بين من رجعوا مع زربابل الحاكم ويشوع الكاهن الاعظم من الجلاء الى الوطن عائلة عدوّ، ومن هذه الاخيرة كرّس كهنة ايام يوياقيم عظيم الكهنة يُذكر بينهم زكريا .

بدأ يتنبأ بعد حجاي بشهرين (كما ينتج من مقابلة اول اعداد الفصل الاول من نبوءة حجاي بفاتحة اول فصول نبوءة زكريا) وسطر كلامه في سفر ذي اربعة عشر فصلاً جزّأه العلماء جزئين : ١ً الفصول ١–٦ . ٢ً ٩–١٤ يتوسطها قصة تاريخية (٧–٨)

الجزء الاول يصف اربعة رؤى ليلية ١ً رؤية فارس بين الآس في مستظل وراء افراس حمر وشقر وبيض . هذا بعد ان نقرأ كلمة الرب الى زكريا : توبوا اليّ فاتوب عليكم . اما تفسير هذه الافراس

فاليك به من نفس النبوءة : فاجاب الرجـل الواقف بين الآس (اجاب على سؤال النبي الطالب من الملاك معرفة حقيقة الافراس) وقال : هؤلاء هم الذين ارسلهم الرب ليجولوا في الارض . ثم استرحم الملاك الرب باورشليم ويهوذا المغضوب عليهما سبعين سنة فارتضى الكائن بتحويل غضبه عن شعبه بتوسط الملاك الذي عـاد فطيب خاطر النبي من هذا القبيل . على انه (الملاك) امر زكريا ان ينادي بما يأتي : نادِ قائلاً : هكذا قال رب الجنود اني قد غرت على اورشليم وصهيون غيرة عظيمة .... لذلك اني رجعت عن اورشليم بالمراحم .... وان مدني ستعود تفيض خـيراً والرب يعود يعزي صهيون ويختار اورشليم (زكريا ١ : ١٤-١٩)

٢ً بعيد ذلك تظهر للنبي اربعة قرون (التي هي الممالك الاربع المذكورة في سفر دانيال كما مر) عتيدة ان تبدد يهوذا واسرائيل . ومع هذه القرون يبدو اربعة صنّاع ليسوا الا قوى الممالك الاربع المذكورة على حد قول المفسرين .

٣ً ثالث الرؤى رؤيا رجل يمسح اورشليم ليتأكد من طولها وعرضها . على ان الماسح يكلف ملاكاً يشرح للرائي (زكريا) المعنى الذي هو سكون اورشليم بغير سور لان الرب يكون لها سور ، ومجده في داخلها ، ويغضب ان مسّها احد : من يمسكم يمس حدقة عيني . تأتي الآن نبوءة تشير الى مجئ المسيح واتحاد الامم بشعب الله .

٤ً والرؤيا الرابعة هي في بداية الفصل الثالث وتختص بتطهير

عظيم الكهنة (الذي كان وقتئذ يشوع) ووضع تاج طاهر على مفرقيه يلمع لمعانا يوجب الاحترام وتطأطئ الرأس . غير ان الله اشهد الملاك على يشوع ليحفظ شرائعه ويسير في طرقه سيراً مستقيماً وبعدئذ يقيمه على بيته، ويأتي بعبده النبت : هآنذا آت بعبدي النبت ، زكريا ٣، ٨ (هذا النبت لا يكون الا المسيح كما يظهر من اشعيا ٤، ٢، وارميا ٢٣، ٥) ويستتلي الله قائلًا : هوذا الحجر الذي جعلته امام يشوع . ان على حجر واحد سبع اعين (هذا الحجر هو الاساس الاوحد المعد لبناء كنيسة المسيح على ما يبان في المزامير ١١٧، ٢٢ = متى ٢١، ٤٢، ٤٤؛ اعمال ٤، ١١ اما الاعين السبع فهي حرص الابن الالهي على جمع شمل كنيسته واغنائها ورمقها بعنايته القدوسة) وهآنذا انقش نقشه . . . وازيل اثم هذه الارض في يوم واحد (كلام الله الاب هذا الكلام ويشير الى يوم آلام ابنه الوحيد الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس . في هذا اليوم ينقش نقشه، اي يرسم الجراح الاليمة في يوم واحد الذي هو يوم موت المخلص على الصليب اذ فيه ازال اثم الارض)

٥ً تأتي الان خامسة الرؤى الراسمة تلك المنارة المصنوعة من خالص الذهب على رأسها كوب وحاملة على جزءها الاعلى سبعة سرج مع سبعة مساكب وفوقها زيتونتان اولاهما عن يمين الكوب والثانية عن يساره . معنى هذه المنارة روح الرب التي تشدد سواعد زربابل ليتم تأسيس بيت الرب المتهدم قبلًا . اما اعين الرب السبع الجائلة في الارض كلها فهي تفسير السبعة السرج المرتكزة فوق

قسمها الاعلى (المراد بهذا الملائكة السبعة الذين يستخدمهم الله للاشراف على اعماله العظيمة كأعين له) في نهاية هذا الفصل (الخ) يقال : ابنا الزيت ويدلان على يشوع وزربابل او بطرس وبولس الرسولين اللذين كانا في ابتداء الكنيسة المدبرين الاولين لمراحم (المرموز عنها بالزيت) الرب

٦ً نتخطى الآن الى سادس الرؤى التي هي خبر الدرج الطائر (قضاء الله على البشر) والذي يبلغ طوله عشرين ذراعاً وعرضه عشر اذرع . فهذه الرؤيا يفسرها الملاك للنبي اذ يقول : هذه هي اللعنة الخارجة على وجه الارض كلها . فكل سارق يُجتاح (يحكم عليه) على حسب المكتوب هناك وكل حالف يجتاح على المكتوب هناك . اني اخرجه يقول رب الجنود فيأتي بيت السارق وبيت الحالف باسمي زوراً ويبيت في وسط بيته ويفنيه مع خشبه وحجره . خلاصة القول لا يكون هذا الدرج سوى كتاب القضاء المسطَّرة فيه آثام الخطاة الذين يحاكمون بحسبه في يوم النشر العظيم .

٧ً تبلغ الساعة سابع تلك الرؤى التي موضوعها امرأة في وسط ايفة وتلك المرأة رمز النفاق الذي حملته امرأتان اخريان في الايفة قاصدتين ارض شنعار حيث يؤسس له بيت (شنعار هي بابل كما مر بك في الكتاب الاول وتمثل رومة الوثنية كذلك شنعار ترمز المملكة الرومانية التي اجلت اليهود اليها وبددت شملهم من غير ان تتيح لهم بجمع الشتات وذلك في عهد المسيح)

٨ً والان نتحول الى ثامن رؤيا التي تشغل الفصل السادس

هاك جل ما فيها : اربع عجلات خارجة من بين جبلي نحاس ، يقود كل واحدة منها افراس ذات صنف يختلف عن صنف افراس غيرها ؛ حمر ودهم وبيض وغر . وهي رياح السماء الاربع الطالعة من الجهات الاربع . يختم هذه الرؤى حدث رمزي هو تتويج عظيم الكهنة يشوع بن يوصاداق . ثم التنويه بمجد مملكة المسيح . اما السنة التي قيلت فيها هذه النبوءة فكانت الخمسمائة والعشرين قبل مجيء المسيح . يتخلل كما اسلفنا القول القسم والقسم قصة تاريخية واقعية تستغرق الفصلين السابع والثامن (والمرجح انها كتبت سنة ٥١٨ قبل المسيح) فيها يسأل يهود بابل كهنة بيت الرب والانبياء قائلين : ابكي في الشهر الخامس ترهداً كما كنا نصنع في هذه السنين ؟ فيجيبهم النبي زكريا : قال رب الجنود . لم يكن صيامكم لي ، وهو لم يفرضه صياما وبكاء بل عدلاً ورحمة . في النهاية يحث الشعب لترميم الهيكل .

الجزء الثاني (٩–١٤) نقسمه الى حديثين اولهما (٩ – ١١) يعلن القضاء الالهي على الامم (كسوريا وفينيقيا ، وفلسطين الخ . .) وخلاص الشعب بتأسيس مملكة المسيح : ابتهجي جداً يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك صديقاً مخلصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان (زكريا ٩ ، ٩) وثاني الحديثين (١٢ – ١٤) يلمع الى ما سوف يلاقي اسرائيل من باقي الامم في التضييق ، ثم يأتي على ذكر ارتداد اسرائيل الجاحد الى المسيح الذي يرذله شعبه اولاً . بعد هذا يستعرض الكاتب مجد اورشليم .

الا ان هذا الجزء الاخير يحيط ببعض نبوآت بشأن الام المسيح : فوزنوا اجرتي ثلاثين من الفضة؛ زكريا ١١، ١٢ فينظرون اليّ انا الذي طعنوه وينوحون عليه كما يناح على الوحيد ويتفجعون عليه كما يتفجع على البكر؛ زكريا ١٢، ١٠ فيقال له ما هذه الجراح في وسط يديك فيقول : هي التي جرحتها في بيت محبيّ؛ زكريا ١٣، ٦ — اضرب الراعي فتتبدد الخرفان؛ زكريا ١٣، ٧ وفي ذلك اليوم لا يكون نور؛ زكريا ١٤، ٦

واضع هذا السفر زكريا على ما اجمع الفريق الاكبر من العلماء [مثل Cornely, Zschokke, Kaulen, Knabenbauer, Reinke, Vigouroux, Seisenberger, Hengstenberg, Hävernik, Keil, Kohler, Pussy, Wright ذلك لان العلاقة والتشابه واستعمال نفس التعابير في الجزئين سوية بادٍ للعيان [اقرأ من زكريا =٣، ٩؛ ٤، ١٠؛ ٩، ١؛ ٢، ١٢؛ ٩، ١٥؛ ١٠، ٣؛ ١٢، ٥ الخ . كلها تتكرر في الجزئين رغم ان هذه الجمل نادرة الاستعمال في كتب اخرى] لذلك حكم العلماء المتقدم ذكر بعضهم بوجوب نسب هذا الكتاب الى واضع واحد. على اننا لا ننكر وجود بعض التمييز بين جزء وآخر سوى ان هذا التمييز لا يستدعي وجوب التسليم بعدة واضعين كما قال العالم فان هوناكر Van Hoonaker, lès douze petits prophètes , 657—655 . les chapitres IX—XIV du livre de Zacharie, Révue bibl. XI (1602) 161—183;347—378]

قال القديس ايرونيموس في توطئة شروحه على كتاب زكريا نبوءة زكريا يكتنفها الغموض التام. الا ان هذا النبي من حيث التدقيق في المعاني وقوة التشابيه يلامس المرتبة العليا عدا ان سفره

اكبر اسفار الانبياء الاثني عشر . وقوته القانونية ثابتة الدعائم ومتينة الاوصال لا تشوبها شائبة (زكريا ٩، ٩ = متى ٢١، ٤ يصف دخول المسيح اورشليم ؛ زكريا ١٣، ٧ = يوحنا ١٩، ٣٧ : قتل الراعي وتبدد الخرفان : الخ)

لماذا نسب متى الرسول ما رواه عن زكريا ١١، ١٢ في تاسع اعداد الفصل السابع والعشرين من انجليه الى ارميا ؟ أيكون شط ووقع في ضلال ؟

يحاول العلماء تخليص متى من هذا المأزق الحرج وابعاد كل ضلال عن العشار المرتد بتفاسير وبراهين عديدة تختلف عن بعضها البعض وها نحن نورد اهمها .

اولها يفرض ان زكريا كان يحمل اسمين : زكريا وارميا .

ثانيها يجب الاذعان الى ان هـذا الخطأ صدر عن النقلة الذين مكان زكريا وضعوا ارميا وقد يكون ان الانجيلي اهمل ذكر اسم النبي الحقيقي الذي نقل عنه تلك الفقرة ، فأتى النقلة ووضعوا اسم النبي الثاني (ارميا) .

ثالثها التسليم بوجود نبوءة في ارميا تقابل نبوءة زكريا

رابعها كون متى ذكر نبوءتين اولاهما لارميا (ارميا ٣٢، ٧، ١٥، ٣٧، ٤٣ حيث يتكلم النبي عن بيع حقل) على انه (اي متى) لم يذكر من النبيين الا واحداً فقط هو ارميا .

خامسها يقرر ذهاب اسم النبي الحقيقي عن بال متى ما لا ينافي الوحي ولا من جهة ، لان الاثنين ارميا وزكريا كتبا سفريهما

مدفوعين بالوحي الالهي . اذن اذ ذكر اسم الاول او الثاني فلا غضاضة

اما مسألة ملاك الرب فلها معان مختلفة :

١ً الشعب الاسرائيلي [اشعيا ٤٢، ١٩ (حسب النسخة العبرانية)]

٢ً النبي (النبي حجاي ١، ١٣؛ ملاخي ٣، ١؛ ايام ثاني ٣٦، ١٥)

٣ً الكاهن (ابن سيراخ ٥، ٥؛ ملاخي ٢، ٧)

٤ً المرسل السماوي او الملاك (تك ١٦، ٧، ٩، ٢١، ١٧؛ ٢٢، ١١ ، ١٥؛ ٣١، ١١؛ خروج ٣، ٢ (في النسخة العبرانية) القضاة ٢، ١، ٤؛ ٦، ١١و ١٢؛ ٣، ٢٠ - ٢٢ ؛ ملوك رابع ١٩ ، ٣٥ = اشعيا ٣٧، ٣٦ زكريا ٣، ١، ٣، ٥، ٦ الخ) لكن المعنى الاخير يجادل بشأنه بين علماء الكاثوليك فيما اذا كان هـذا الملاك مخلوق [كما يريد القديسون ايرونيموس (انظر مجموعة اباء اللاتين لميفيه ML المجلد ٢٦ عمود ٣٩٢) واغوسطينوس في مبحثه عن الثالوث ٣، ١١) وغريغوريوس الكبير ..) او الكلمة اي الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس كما يسلم به اكثر الاباء ؟

لهذا ينقسم الاباء الى جهتين رئيسيتين عارضتين فالثانية منها يقوم على رأسها الكردينال فرنزيلين العلامة Card. Franzelin (De Deo Trino. Romae 1895,89 sp) بمعية علامة آخر هو الاب هيتسنود الكبوشي (Het. Theol. Bib. Friburgi B. 1908;469—472) مثبتين كون « ملاك الرب » في نبوءة زكريا وغيرها من اسفار العهد القديم هو اله اوسله اله ويأتيان كشاهد لقولهما هذا امر الملائكة الثلاثة مع ابراهيم (تك ١٦، ٧ الخ ..) وكيف سجد لواحد منهم كما يسجد لاله !

على هـذا يجيب اصحاب الجبهة الاولى وفي مقدمتهم القديس اغوسطينوس ببراهين سديدة عندها يقف العقل مذعناً اذعاناً ادبياً يقول تابعو هذا الرأي [مثل لاغرانج Lagrange in R. B. 12(1903) 212—225] لنا بالعهد الجديد اكبر مؤيد لرأينا هذا اليك ببعض مواطن

١ً فالملاك الذي ظهر لموسى وسط العليقة المشتعلة دعا ذاته اله ابراهيم واسحاق ويعقوب (خروج ٣، ٢–٦) لكن القديس اسطفانوس الشهيد لم يسمه الا ملاكاً بسيطاً (Anghelos) اعمال الرسل ٧، ٣٠

٢ً قيل في سفر الخروج (١٩، ١٦ والتابع) ان الكائن انزل الشريعة في سينا بينما يصرح القديس بولس بكون الشريعة القديمة انزلها الله بواسطة ملائكته على يد موسى اما الجديدة فقد انزلها بواسطة ابنه الوحيد (غلاطية ٣، ١٩ عبران ٢، ٢)

٣ بين الملائكة الثلاثة واحد فقط كان ينسب اليه اسم كائن على ما في سفر التكوين ١٨ والحال ان بولس الرسول ينسب الضيافة الى الملائكة لا الى الله الى العبرانيين ١٣، ٢ وقد زاد الرسول بولس على هذا بان قال : قد تكلم الله قديماً بواسطة الانبياء اما نحن فقد كلمنا بابنه الوحيد (عبرا ١، ١) ثم يحتاط اصحاب هذا الرأي ببرهان آخر هو رأي الكنيسة الكاثوليكية وتعليمها : ان الله قبل تجسد الكلمة لم يكن يظهر مباشرة تحت اشكال حسية بل اناط ذلك بعمل الملائكة .

هذا هو الرأي السائد في الكنيسة الكاثوليكية ولعمر الحق جدير بالاعتبار (انظر سوارس في مبحثه عن الملائكة ٦، ٢٠، ٢٨

والقديس توما اللاهوتي في خلاصته اللاهوتية اول قسم الجزء الثاني المبحث ا٩٨ فصل ٣) قال القديس اغوسطينوس : قيل : قال الله لموسى ولم يقل قال الملاك لموسى لان موسى كان يتلقى الشرائع الالهية ولكي يجعل لها قوة فاعلية في عقول السامعين والقراء قال: قال الله لموسى مكان قال الملاك لموسى . فليس الملاك سوى مبلّغ الاوامر الالهية . اذن كأن الله نفسه بل هو (اي الله) عينه يلقي شرائعه على مسمعي موسى بفم الملاك الذي لم يكن الا آلة بيد الله يفعل بها ما يشأ . اذا قلنا هذا لم نكذب كلام الكتاب . اذ الاصل في الامرين هو الله وكفى .

ونحن نميل بارتياح وأمن الى هذا الرأى الثابت الحجة عن اذعان تام . والسلام على النبي زكريا وعلى اقواله الالهية الحقة .

— المطلب الثاني عشر —

— نبوءة ملاخي (نبوءة الذبيحة الالهية) —

اسلوب رائق منظم يكسو هذه النبوءة الصغيرة التي سبكت على طريقة السؤال والجواب او بقالب مناظرة يجادل بها ملاخي (ملاك او رسول الكائن على حد تفسير اللفظ العبراني ܡܠܐܟܐ او ܡܠܐܟܗ) الشعب الناكث العهد الالهي .

اربعة فصول تؤلف هذا الكتاب، فيه يوجه النبي كلامه الى الكهنة المتراخين في العبادة الحقة ويطلعهم على نيات الله من رذلهم

ومن اقامة الذبيحة الجديدة التي تشمل اقاصي المعمور : ولا ارضى تقدمة من ايديكم لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكان تقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة (يشير الى ذبيحة القداس الطاهر بدليل ان التقدمة التي يتكلم عنها النبي لا يصحُّ اطلاقها على التقدمة الروحية من صلاة واعمال صالحة اذ الالفاظ تصرح بتقدمة غير منتظرة وغير معلومة عند اليهود يجب ان تحل محل جميع تقادمهم والتقدمة الروحية المنوَّه بها سابقاً ما برحت مألوفة عندهم . اذن الذبيحة التي ارادها ملاخي النبي في فصله الاول يجب ان تكون ذبيحة حقيقية . وقول النبي في كل موضع تقرب، استثنى النبي ذبيحة الصليب التي قدمت في موضع واحد هو الجلجلة . وهذه التقدمة الحقيقية لا يمكن ان تكون الا ذبيحة القداس الطاهر في العهد الجديد) ويرمي باللعنة من يقدس من نزالة قطعيه تقدمة لرب الجنود . وهو تعالى يريد الكهنة للحياة والسلام ليتقوه ويهابوا اسمه فيوليهم المعرفة والحق كي يتحقق بهم القول الشريف : لان شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيه يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود ملاخي ٢: ٧ بعد هذا يطلع علينا النبي بذكر الذبيحة وكيفية اعتبارها بحسب نيات الخالق اذ يردف الكلام : لان الرب كان شاهداً بينك وبين امرأة صبائك التي غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك . اليس واحد صنعها وهي بقية روحه؟ وماذا يطلب هذا الواحد؟ زرعا لله . فاحفظوا روحكم ولا تغدر بامرأة صبائك؟ ملاخي ٢: ١٤-١٥ - اما فاتحة ثالث فصول هذه النبوة

(هآنذا مرسل ملاكي فيهيئ الطريق امامي) فيريدها الاباء بل الانجليون والمسيح نفسه (متى ١١: ١٠ مرقص ١: ٢ لوقا ٧: ٢٧) ليوحنا السابق . يتبع النبي ايراد كلام الله التهديدي لشعبه حتى يبلغ نية الله الحسنة بهم وانه مستعد لايهابهم المغفرة متى رجعوا اليه : توبوا اليّ اتب عليكم قال رب الجنود ملاخي ٣: ٧ غير انه يريد ان يحفظوا اوامره بتقديم العشور على حسب ما كتب الناموس فلا يعودوا يرون يوم الرب ثقيلاً مرعباً مزعزعاً فرائصهم بعد ان يأتي ايليا النبي الغيور ليرد قلوب الاباء الى البنين وقلوب البنين الى الاباء : هآنذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الرهيب (اليوم الاخير) فيرد قلوب الاباء الى البنين وقلوب البنين الى ابائهم ملاخي ٤: ٥-٦ هنا ينتهي كلام ملاخي النبي الذي بحق دعوناه نبي الذبيحة السرية الجديدة وذلك في صدر هذا المطلب الاخير .

لغة هذا الكتاب العبرانية صحيحة صافية ونسقه مرتب وخطابه مسهب الشرح على انه جارح اللهجة في بعض المرار دون ان يعدم ملكة البيان الساحر .

يظن اليهود (كما هو مسطر في ترجوم يونثا ملاخي ١: ١) مع بعض الاباء (ايرونيموس على ملاخي ٣: ٧) ان ملاخي هو نفس عزرا الكاهن . ويقدر كونه عاش في زمان عزرا ونحميا (سنة ٤٥٠ قبل المسيح) لما في كتابه من اوجه الشبه لكتابي هذين الاخيرين خذ امثلة

كالزجر عن العوائد الردية ودفع المشور ورغبة الكائن في الرجوع عما كان قد قرّره على الشعب من السبي والبلاء شرط ان يرجع الشعب عن اثامه صانعاً انابة ....)

هذا كل ما نلم به من هـذا القبيل وجل من يحيط بجوهر العلم احاطة السوار بالمعصم.

ذيل

في اشارات الاسفار القديمة الى المسيح
والى ما يحيق به من ظروف واشخاص وزمان ومكان

نرى الانبياء اوضح دليل لمجيء المسيح وحالته الالهية الانسانية في هذه الفانية . فقد بغوا في كلما كتبوا الاشارة الى المخلص تحت ستار الحس بطرق تشبيهية نظرية يكتنفها الابهام والغموض في بعض الاحايين . على انهم في الغالب لهم كلام ولا اوضح منه يصف احوال الفادي بدقة تامة . دونك الاتي منه :

١ً الوهية المسيح [اقرأ : مزمور ٢، ٦-٩؛ ٤٤، ٧ والتابع ١٠٩ ١-٣؛ اشعيا ٨، ٨؛ ٩، ٦؛ ٣٥، ٤؛ الخ ارميا ٢٣، ٥؛ ٣٥، ٢٥؛ ١٥-١٦ ميخا ٥، ٢ ملاخي ٣، ١ = يقابل هذا ما جيء في انجيل يوحنا ١، ١ وما يلي]

٢ً ناسوته [انظر : تكوين ٤٩، ٨ والتابع دانيال ٢٧، ٩، ٢١ وما يلي؛ حجاي (في نسخة B) ٢، ٧-١٠؛ ملاخي ٣، ١= يقابل هذا ذلك الاشتياق الى المسيح وانتظاره المحقق في ابتداء مجيئه : لك ذلك متى ٢، ٣ والتالي ولوقا ١، ١٩ وما يتبع ١٠، ٤٨؛ ويوحنا ١، ٤٥ حتى علماء التاريخ يصرحون بذلك . خذ لك مثلاً : يوسيفوس في كتابه « القدمية اليهودية » ١٨، ٢ وزفيتونيوس في كتابه عن الامبراطور

فسباسيانوس ٤ وبعدها تاسيت في تاريخه ٥؛ ١٣ ٠.]

٣ً صلبه أري. تك ١٢؛ ٣؛ ٢٢، ١٨؛ ٢٦، ٤؛ ٢٨، ١٤؛ ٤٩، ٨–١٢ متى ١؛ ٢٣ لوقا ٣، ٣٣ اشعيا ١١، ١ – ٢، ١٠؛ ارميا ٢٣، ٥ – ٦؛ ٣٣ ١٥– ١٦ ايام اول١٧، ١–٧؛ حزقيال ٣٤، ٢٣ الخ = متى١، ٦؛ ٩، ٢٧]

٤ً مكان مولده [يختص تحديده بالنبي ميخا ٥، ٢ = متى ٢،١ لوقا ٢، ١ – ٧]

٥ً امه العذراء [خذ سفري اشعيا (٧، ١٥) وارميا (٣١، ٢٢) ثم سفر التكوين (٣، ٥) وقابلها بانجيلي متى (١؛ ١٨ – ٢٥) ولوقا (١، ٢٦ – ٣٨) ترى حقيقة قيلت قديماً وتحققت فيا بعد تماماً]

٦ً سابقه يوحنا [لك الاتي اسطع برهان: اشعيا ٤٠، ٣–٥ ملاخي ٤– ٥ =متى ٣، ١ – ١٢ ؛ ١١؛ ٧ – ١٥؛ ١٤، ١ – ١٢ مرقص ١، ٤– ٨؛ ٦، ١٤ – ٢٩؛ لوقا١، ٧٦؛ ٣، ١ – ٢٠؛ ٧، ٢٤ –٣٤، ٩، ٧، ٩، ١١ ١؛ ٢٠، ٣ – ٧= يوحنا ١، ٦، ٨، ١٥، ١٩، ٣؛ ٣، ٢٣ – ٣٦؛ ٥، ٣٣ – ٣٦؛ ١٠، ٤٠ – ٤٢]

٧ً القابة المتعددة [هي ١ً عمانوئيل اشعيا ٧، ١٥ – ٨، ٨ = متى ١، ٢٢ والتابع

٢ً رئيس السلام اشعيا ٩، ١ – ٧ ميخا ٥، ٥ = افسس ٢، ٤

٣ً اصل يسّى اشعيا ١١، ١٠ = رومان١٥، ١٢؛ رؤيا ٥، ٥، ٢٢، ١٦

٤ً عبد الرب اشعيا ٤٣، ١، ٥٢، ١٣، ٥٣، ١١ حزقيال ٣٤، ٢٤

زكريا ٣، ٨ = اعمال ٣، ٢٦، ٤، ٢٧ (في النسخة اليونانية) اهل فيليبي ٢، ٧

٥ ً ابن البشر : دانيال ٧، ١٣ يغلب استعمالها في الاناجيل الـ ٤

٦ ً نبت الرب : اشعيا ٤، ٢ ارميا ٢٣، ٥ زكريا ٣، ٨ لوقا ١، ٧٨

٧ ً ملاك العهد : اشعيا ٤٠، ٦، ٤٩، ٨، ٥٥، ٣، ٥٩، ٢١، ٦١، ٨ ارميا ٣١، ١٣، ٣٠، ٤٠، ٣٣، ٢٢، حزقيال ١٦، ٦٠، ٣٤، ٢٥ دانيال ٩، ٢٧ هوشع ٢، ١٨ ملاخي ٣، ١ عبرآن ٩، ١٥

٨ ً الراعي الصالح : اشعيا ٤٠، ١١ ارميا ٤٣، ٨ حزقيال ٣٤، ٢٣ ٣٨، ٢٤ زكريا ١١، ٤ والتابع ١٣، ٨ ميخا ٥، ٤، ٧، ١٤ يوحنا ١٠، ١١، ١٤-١٦ رسالة العبرانيين ١٣، ٢٠ رسالة القديس بطرس الاولى ٢، ٢٥، ٥٤

٩ ً المخلص : اشعيا ١٢، ٣، ٤٥، ٨، ٤٩، ٦، ٦٢، ٢١ حبقوق ٣ ١٨ زكريا ٩، ٩ متى ١، ٢١، ١٨، ١ لوقا ٢، ١١ يوحنا ٤، ٤٢ اعمال الرسل ٥، ٣١، ١٣، ٢٣ طيطس ١، ٤، ٣، ٦ يوحنا ٤، ١٤

١٠ ً الفادي : اشعيا ٥٤، ٥، ٥٩، ١٩ وما يجيء بعده = لوقا ٢ ٣٨، ٢٤، ٢١ رسالة اهل افسس ١، ٧ رسالة القديس بطرس الاولى ١، ١]

٨ ً روحه [هو المعلم الذي يلقي على الانسانية امثولة جديدة في التعليم مزمور ٢ اشعيا ٢، ٣ والباقي ٣٠، ٢٠ والتابع ٤٢، ٦ وما بعده ٤٩، ٦، ٥٢، ٧، ١٠، ٥٥، ٣ وما يتبع ٦١، ١ والتالي ارميا ٣١، ٣١

. . = يوحنا ٢، ٢٣ ميخا ٤، ١ وما يعقب ملاخي ١، ١٠ والآتي = متى ٥ لوقا ١، ٧٨ وما بعده ٢، ٣٠ - ٣٢ يوحنا ٤، ٢٥ رسالة العبرانيين ٨، ٧ وما يتبع ثم بشر الفقراء وصنع المعجزات = اشعيا ١١، ٤، ٦١، ١ = متى ١١، ٥، ١٩، ٢١ مرقص ١٠، ٢١ لوقا ٤، ١٨، ٧، ٢٢ الخ اشعيا ٣٥، ٤ - ٦ = متى ١١، ٢ - ٦ لوقا ٧، ٢١ يوحنا ٧، ٣١]

٩ً عظمته وسموه [عدا انه كان الهاً فقد جمل ناسوته ؛ بالنبوءة (تثنية الاشتراع ١٨، ١٥ = متى ١٦، ١٤، ٢١ مرقص ٦، ١٥ لوقا ٧، ١٦؛ ٩، ٨، ٢٩ يوحنا ١، ٤٥؛ ٤، ١٩؛ ٦، ١٤؛ ٧، ٤٠؛ ٩، ١٧) والكهنوت (تك ١٤، ١٤ - ٢٠ مزمور ١٠٩ (١١٠) ٤ وما يتبع - رسالة العبرانيين ٥ - ٨) والملك (مزمور ٢، ٦؛ ٤٤ (٤٥) ٢، ٦ - ٨، ١٢؛ و ١٥ الخ . . ارميا ٩، ٦ وما يتبع ٢٣، ٥؛ ٣٠، ٩ حزقيال ٢٧، ٢٤ دانيال ٧، ١٣ والتابع؛ هوشع ٣، ٥ = متى ٢، ٢؛ ٢٧، ١١، ٣٧ لوقا ١، ٣٢؛ ١٩، ٣٨ يوحنا ١، ٤٩؛ ١٢، ١٣، ١٨، ٣٩) حتى حق لنا بل وجب علينا ان ندعوه بالسامي العظيم خصيصاً من جهة مملكته التي تمتاز بكونها :
١ً روحية صرفة (اشعيا ٥٨ ارميا ٣١، ٣١ - ٣٤ حزقيال ١١، ١٩ وما يعقب؛ صفنيا ٣، ٩ زكريا ٨، ٨؛ ٢١، ٢٠ = لوقا ١٧، ٢٠ واللاحق؛ يوحنا ١٨، ٣٦ رسالة اهل رومية ١٥، ١٧ الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ٦، ٩ ومايتبع) ٢ً وسلمية (مزمور ٤٥ (٤٦) ٩ وما يجي ٧١، ٧، اشعيا ٢، ٤؛ ٩، ٧؛ ١١، ٦ - ٩؛ ٥٤، ١٠ - ١٣، ٦٥، ٢٥؛ ٦٦، ١٢ ارميا ٢٣، ٤ - ٦ هوشع ٢، ١٨ ميخا ٤، ٣ حجاي ٢، ١٠ زكريا ٩، ١٠ (في نسخة A = يوحنا ١٤، ٢٧ رسالة اهل افسس ٢، ١٤ - ٢٢) ٣ً وجامعة

(تكوين ١٢، ٣، ١٨، ١٨، ٢٢، ١٨ مزمور ٢١ (٢٢) ٢٨، ٤٤ (٤٥، ١٧ والتابع، ٧١ (٧٢) ٨ - ١١، ١٧ اشعيا ٢، ٢، ٤٩، ٦، ٥٥، ٥، ٥٦، ١ - ٧ ٦٠، ٦٥، ١٨، ٦٦، ١٨ وما يأتي، ارميا ٣، ٧، ١٦، ١٩ - ٢١ دانيال ٧ ١٤، ٢١ يونان ٢، ٣٢ عاموص ٩، ١٢ صفنيا ٣، ٩ والتابع . ز كريا ٨، ٣٨ = متى ٢٨، ١٩، ٢٤، ١٤ لوقا ١، ٧٩، ٢، ٣١ وما يلي اعمال الرسل ٢، ١٧ - ٢١، ١٠، ٣٤ - ٤٣ الرسالة الثانية الى تيموثاوس ٢، ١ - ٤) ٤ً وابدية (مزمور ٤٤ (٤٥) ٧ اشعيا ٩، ٧ حزقيال ٣٧، ٢٥ - ٢٨ دانيال ٢، ٤٤، ٧، ١٤، ١٨، ٢٧ هوشع ٢، ١٩ = لوقا ١، ٣٢)

١٠ً ما يلقاه ويحدث له [له الاهانة والتضحية (اشعيا ٥٣، ٧ = متى ٢٦، ٥١ - ٥٣ الى العبرانيين ١، ٢ (في نسخة 8) ويباع بثلاثين من الفضة (زكريا ١١، ١٢ وما يعقب متى ٢٦، ١٤ والتابع) ويطأطئ الرأس امام الضاربين والجلادين (اشعيا ٥٠، ٦ متى ٣٦، ٥٧) دون ان يبقى له صورة لانه بات آخر الرجال ورجل الاوجاع (مزمور ٢١، ٧ وما يتبع اشعيا ٥٢، ١٤، ٥٣، ٢ وما يجيء بعد يوحنا ١٩، ٥) قابلًا الهزؤ والسخرية من زمرة الاشرار ذوات القلوب الحجرة (مزمور ٢١ (٢٢) ٨ والتابع (حكمة ٢، ١٣ - ٢٠ متى ٢٧، ٤٣)، ليس فقط بل وقد احصوه بين الاثمة (اشعيا ٥٣، ١٢ في نسخة B) متى ٢٧، ٣٨ مرقص ١٥، ٢٧ وما يأتي لوقا ٢٢، ٢٧) وصلبوه على خشبة عار مزمور ٢١ (٢٢) ١٧ وما يتبع زكريا ١٢، ١٠، ١٣، ٦ متى ٢٧، ٣٥، يوحنا ٢٠، ٢٥، ٢٧) نازعين عن جسمه كل ثيابه حتى انهم لم يبقوا على شيء منها طارحيها تحت القسمة والقميص تحت الاقتراح

(مزمور ٢١ (٢٢) ١٩ متى ٢٧، ٣٥) ثم قدموا له الخل في عطشه (مزمور ٦٨، ٢٢ متى ٢٧، ٣٤) لكنه قد قام فيما بعد وذلك ثالث يوم لموته (مزمور ١٥ (١٦) ٩ - ١١ متى ٢٨ اعمال الرسل ٢، ٣١، ٣٤ ، ١٣، ٣٤ الخ . .) ثم صعد الى السماء (مزمور ٦٧ (٦٨) ١٩، ٣٣ - ٣٦، ٢٣ (٢٤) ٧، ٢٦ (٢٧) ٦ اعمال الرسل ١، ٩، رسالة اهل افسس ٤، ٨ رسالة اهل كولوصايس ٢، ١٥ حيث جلس عن يمين العظمة (الاب) (مزمور ١٠٩ ١ متى ٢٦، ٦٤ اعمال الرسل ٧، ٥٦ الى اهل افسس ١، ٢٠ الى اهل كولوصايس ٣، ١ رسالة العبرانيين ١، ٣، ٨، ١، ١٠، ١٣، ٢) ومن هنـاك ارسل روحه القدوس اشعيا (٤٤، ١ يوئان ٢، ٢٨ لوقا ٢٤، ٤٩ يوحنا ٧، ٣٧ وما يتبع ١٦، ٧، ٢٠، ٢٦ اعمال الرسل ٢، ٢ والتابع) ليظهر انتصاره على اعدائه (مزمور ٢، ١٠٩ (١١٠) ١ اشعيا ٦٣ الخ رسالة العبرانيين ٢، ٨ ١٠، ١٣ الاولى اهل كورنتس ١٥، ٢٨ اهل افسس ١، ٢٢ رسالة ١ بطر ٣، ٢٢) حتى لمع مجده وسط الامم (تكوين ٩، ٢٧، ١٢ الخ . .) له كل سجود واحترام عميقين في هذا الدهر وفي ادهار الابدية الخالدة

هذا ما تم لنا بشأن هذا الكتاب الاخير من القسم الاول ، بعون الله تعالى وعسانا على بعض الحق والصواب اذ تمامها لله في كل امر وحال ، والسلام على القارئ العزيز الذي من كرمه ارجو العذر على كل الاخطاء القلمية التي يمر بها في هذا الكتاب .

عفو القارئ عن بعض اغلاط مطبعية

كشف النقاب
عن حقيقة الكتاب

هو

كتاب تاريخي علمي انتقادي للاسفار الالهية

او

مدخل في الكتاب المقدس

الكتاب الاول من الجزء الثاني

بقلم

الاب الياس ثابت العشقوتي

الراهب الحلبي اللبناني

مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونيه ١٩٣٨

لا مانع من طبعه في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٧

الحقير

موضع الختم ✠ انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

لا مانع من طبعه في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٧

الاباتي

موضع الختم ✠ جبرائيل العشقوتي

اب عام حلبي

– شرارة !؟ –

نار وجليد، ثورة واخلاد، حركة وسكون، هيام وكراهة، وجود وعدم، انتفاض وهدوء !!

كأنها الليل يمتزج بالنهار فيؤلفان جديداً لم يكن له من وجود قبل تلاشي جزئي اليوم في كائن واحد في عرفنا هو التناقض وفي عرف التاريخ والحقيقة هو العجيب ! واي عجيب !!

سرح الطرف وفكر تر الزمان عهدين . عهد يخلع عليك الخشية والجلال وعهد يسحر لبك بالحب والهيام !

الاول عهد الكائن من المعصية الى انتصاف الزمان

والثاني من الاخير الى زوال الكون بما فيه من وجود

في الاول حكم عقل الحي

وفي الثاني ملكت ارادة سامية

قديماً ساد العدل الاقصى (؟)

وحديثاً فاز قلب هائم (؟!)

في ليل دامس بهيم بعسعس بتكاثف ظلماته الحالكة ، على قبور الاحياء– الاموات ، وفوق اطلال قصر القديم الشامخ وانقاض خيور الجواهر الانساني ، وعلى اضرحة آلهة الوثنية ، مشى انسان (يتهادى الى الحادية والثلاثين) بقامة كالمهند البتار والصارم الجبار ، بخطوات بطيئة سريعة ، كانه الملك في طليعة موكب حافل ، والحارث وقت شعوره بفقدان ما اثمن عليه من نفائس وارواح تقدم مديراً وجهه الى الشرق بنظرات تقدح شراراً من غير هدنة ، وتأمل ثوان كادت توازي الدهور للناظر !

ثم سار يمشي الهوينا دون ان تغادر وجهه الجهامة والعبوس وهو في ميعة الشباب ، قواه عامرة حيّة ، تكاوينه جميلة ، لونه يميل الى السمرة الحادّة قامته طويلة . وعن بعيد يكاد يماثل الشبح الليلي . فحركته متمركزة في اعضائه الرئيسية واطراف جسمه ، وسيره يكتنفه الجلال والهيبة . وعيبه انه كامل ! وهو كذلك وقف بغتة وخفض راسه المليء بالافكار الازلية ، قليلاً ، فجال الدمع في عينيه وتساقط كأنه المزنة الهاطلة بغزارة . فباتت اعضاء كيانه عيوناً باكية !؟ فكان بهذا الشكل على مطار ثكلى أعدمت وحيدها !!

بعد ذلك رفع الطرفَ واومأ ايماء الآمر فاسرع الظلام الى الهرب حتى توارى وغاب ، وبان الغسق فانقشع عنه افق واسع لا يحده سوى نظر الشاب الواقف وقفة العظمة . على ان شابنا القدير اوجد امامه ، على حين فرّة ، اشخاصاً غريبة الشكل لا تقع العين على مثلها ، كمن الانسان المجنح العاري عن اي وشاح يستر حتى العورة منه ، الى العجل المؤنس الى الحية ذات القرون الى الشمس ذات الوجه الصبيح ، الى النار ذات الالسنة الحية الى الشيطان المجسم الى الى ...

كلها جثمت على قيد اشبار منه باحترام وخوف ووقار تنتظر منه امراً او ايماء . فما كان منه الا ان نظر اليها قائلاً : هل راقك ايتها الآلهة الكاذبة ذاك السلطان المختلس على الانسان ، حتى اوترت قسيك ورميته بنبالك السامّة فافسدت عليه عبادته الصحيحة لآلهه الحق ؟ ..

– ليس الذنب ذنبي في كل ما ناله من الضلال في عبادته ، اذ هو نفسه اقامني فوق راسه يعبدني بياض النهار وسواد الليل . بصوت واحد اجابت تلك الالهة الكاذبة ذلك الشاب –

اجابها الشاب : عرفت ذلك من قبل ان تبسطي امامي ، لكن قبولك من الانسان ، تلك المهنة السامية قد جعلك عدوة لي . فاغربي الان من امام وجهي! وحذار حذار الظهور ثانية بحضرتي ، وعليك ألا تتابعي تضليلك الانسان كفاك شراً وارحلي عنه الساعة . وستكون بيننا حرب لا هدنة فيها ! اضطرب الشاب بعد كلامه المتقدم ولمس الهواء اللطيف كمن يلمس جسماً صلداً وتمم كلاماً جعل الهواء بهياج عظيم وذات لون الدم القاني النجيع ! فاكتأب الكون من غير

تذمّر فا لام ولا عتب ولا تأفف ولا تبرّم ، لانه عرف التضحية الكبرى التي حملها ذاك الشاب له . واخذ ينظر اليه باعجاب واكبار ، على انه دهش من اعماله المتناقضة ظاهراً . فبينا كان يراه يرمي الكون بالمحبة ، ويحمل هذه الاخيرة بيت القصيد وكال الوجود وسيره وسمة اتباعه ، اذا به يشير الى النقيض الى البغض والحرب في هذه الغبراء !!

حار الكون وارتبك في تعليل هذا التناقض في شخص بشري ! وكان شابنا يأتي بشكل عجيب ويقدم على كل خطير ، والكون امامه ذاهل ابله لا يستطيع الخروج من حيرته تلك الى ان رآه فوق عود ينازع ! وانتظر منه ان ينجي نفسه فا رأى الا الخلاف (!!) وما كاد ان يميّل الى الالحاد الا ان شاهد ما هو اعظم من نجاة نفسه ! شاهد الظلام وقت الظهيرة والزلزال العظيم في يوم صفا اديمه وبانت سماؤه كالنيل ازرقاقاً ! فرجع الى ذاته وفاه بكلمة كانت خلاصة اعمال الاله المتأنس هي :

شرارة !!

نعم شرارة ولكن شرارة نار العاطفة الالهية التي اتت تغمر الانسان بحرارتها الازلية في الحقبة الثانية من الوجود الانساني على هذه البسيطة .

الاب الياس ثابت

ملاحظة

كنا نثبت في كل جزء من اجزاء كتابنا هذا المطبوعة بعض الاقوال التي كانت تأتينا من الاخدان الصادقين نزولاً عند الحاحهم ورغبتهم الشديدة، لكننا لم نستطع مع كل ذلك اثبات كل ما ورد علينا من المديح والثناء، لاننا فيما عزمنا على نشره لم نتوخَّ سوى اظهار روح الكتاب وفائدته الخاصة لا نشر التقاريظ الشخصية التي اراد اصحابها النظر الى شخصنا فقط دون التغلغل بين مطاوي الكتاب والتعريف الى اغراضه ومعانيه . لذلك ضربنا عن نشر الكثير منها صفحاً . معتذرين الى اصحابها الكرام عن عدم استطاعتنا ذلك مع بثنا اياهم الشكر مشفوعاً بالسلام الحار .

اما في هذا الجزء فافسحنا المجال لنشر ثلاثة ابيات من اصل سبعة تكرم علينا بها حضرة الصديق الصدوق والشاعر المجيد الخوري الياس قرداحي خادم رعية مار الياس الدامور مدح بها كتابنا « كشف النقاب » مدحاً عمومياً وبالغ (ما لم يشعر به هو لتسليمه الى عاطفتهِ دون الوقوف عند حكم العقل السليم) في كيل المديح لكتابنا هذا (ولو صاغ هذا المديح لنا شخصياً لكنا في دائرة عدم التمكن من نشره اما والمبالغة في الكتاب فنمر بها متسامحين وعافين عن هفوة حضرة الصديق الحبيب، وداعين لحل الكتاب المحل الذي تصوره فيه صديقنا الفاضل)، ما جعلنا نأخذها عليه وان كانت من الهنات الهينات نظراً لما نتوسم فيه من بعد النظر ودقة الانتقاد الصادق وسلامة الحكم الادبي النزيه .

ذلك كله لايمنعنا من تمحيضنا الشكر اياه لما تكرم به وقد يكون قضى الساعات الطوال لسكبه على الوزن الشعري وقت يحدث ان يخونه شيطان الشعر فيكظم غيظه الى ان ينال مناله .

اما الابيات فها هي :

« كشف النقاب عن الكتاب لقد بدا   نوراً يدل على الحقيقة والهدى »
« صغتُ القريض بمدحه ونظمت من   درر القوافي ما يدوم مخلدا »
« واقول في كشف النقاب مؤرخاً   احيا به ذكراً يظل مؤبدا »

الخوري الياس قرداحي

توطئة عامة للكتب الخمسة

١) نتخطى الآن الى الجزء الثاني من كتابنا هذا الى العهد الجديد نقطة الدائرة وهدف موضوع تأليفنا هذا دون ان نعرّج عن خطتنا الوجيزة التي رسمناها لنا في كل كتب هذا البحث الدقيق . على اننا نود ان نتبسط قليلاً في مضامين الشريعة الجديدة شريعة النور والحرّية والمساواة والاخاء ، لاهميتها في عالم الوحي الكتابي . وهذا التبسط يكون ضمن نطاق الايجاز . يقال عهد او ميثاق ما يصار بطريقة اتفاق شخصين فما فوق مع التزام كلا الطرفين القيام بما يفرضه ذاك الاتفاق على كلّ منهما . والعهد في الكتاب الالهي اثنان عهد قديم وعهد جديد . فالقديم قام بين « الكائن » وشعبه على حفظ الثاني الامانة للاول وعناية الاول بالثاني . واول من بتَّ اللهُ معه هذا العهد هو ابراهيم ثم اسحاق ويعقوب وبعدهم موسى . لكنَّ هذا العهد كان يجدَّد كل مرة كان يرى الكائن انه بحاجة للتجديد ، اما لردع شعبه عن اقتراف المعاصي واما لغير ذلك من الظروف الكثيرة .

اما العهد الجديد فهو : تحقيق ما وعد به الله قديماً اولياءهُ القديسين بشخص وحيده ثاني الاقانيم الآلهية ؛ واتفاق جديد سجل على جبل الجلجلة بواسطة المسيح الذبيح .

العهد الجديد قسمان قسم يدعى انجيلاً (لفظة يونانية تعني « البشرى » اي الخبر المفرح ، وهي قصة حياة المسيح ان الخفية او التبشيرية او المتألمة او الممجدة ، رواها اربعة اشخاص كل بمفرده دون ان يقع ادنى تناقض جوهري بين رواية الواحد ورواية الاخر . وهم متى ومرقص ولوقا ويوحنا اصدق شهود لما صنع المسيح من عظائم (كما سيأتي) . قسم يطلق عليه اما اسم رسالة (كرسائل بولس والرسائل الكاثوليكية) ، واما اسم اعمال (كاعمال الرسل) ، واما اسم رؤيا (كرؤيا القديس يوحنا الانجيلي)

والاناجيل منها قانونية (كالاربعة المار ذكرها) ومنها غير قانونية (وهي كثيرة).

الاناجيل الكاذبة تعزى الى كثيرين من الرسل ومن التلاميذ ومن الهراطقة : كانجيل الطفولية ، وانجيل القديس يعقوب الاول ، وانجيل مولد البتول مريم ، وانجيل المصريين ، وانجيل القديس توما ، وانجيل القديس اندراوس ، وانجيل ابلوس ، وانجيل بولص ، وانجيل الله الحيّ ، وانجيل القديس يعقوب الكبير ، وانجيل يهوذا الاسخريوطي ، وانجيل الحق (افلنتينوس) ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل باسيليد ، وانجيل حوّا ، وانجيل الغنوستيين ، وانجيل الابيرنيين ، وانجيل السوريين ، وانجيل تاتسيانوس . . و و .

٢ً) الفروق بين الاناجيل الصحيحة والاناجيل المشبوهة (الكاذبة) (١) — الفرق بيّن واضح بين الاولى والثانية ، وهو ان الاناجيل الصحيحة تستند الى دلائل قوية وحجج راهنة تثبت صحتها ، بخلاف الاناجيل المشبوهة التي لا تملك ما يقيم لها اركاناً ثابتة متينة للصحة . فاحد اباء القرن الثاني للمسيح (اكليمنضوس الاسكندري) اقام فرقاً محكماً بين الاولى والثانية ، متخذا حجة راهنة لاثبات الصحيحة ، اقوال الاباء [كالبابا اكليمنضوس الروماني (عام ٩٦ للمسيح) في رسالته الى اهل كورنتس استعمل ما جاء في متى ٢٦،٢٤ ، لوقا ١٧،٢ . ومثله القديس اغناطيوس الشهيد (عام ١١٠ للمسيح) ، في رسالته الى اهل فيلادلفيا : ٥ . .] ولنا ماقوال اباء القرون التالية اوجه براهين لصحة الاناجيل [كالقديس بوليكربوس (١٥٥ مسيحية) في رسالته الى اهل فيليبيوس فصل ٣ (حيث يستعمل متى ومرقس ولوقا ويوحنا واعمال الرسل ، ورسالة الرومانيين ، والاولى والثانية الى اهل كورنتس ، ورسالة غلاطية ، ورسالة اهل افسس ، ورسالة اهل فيلبي ، ورسالة اهل كولوسّي ، وثاني رسالة الى اهل تسالونيكي ، والاولى الى تيموتاوس ، ورسالة القديس يعقوب ، ورسالة القديس بطرس الاولى ، ثم رسالة القديس يوحنا الاولى) والقديس يوستينوس الشهيد (عام ١٥٠ م .) وتاسيانوس السوري

١) اما قانونية اسفار العهد الجديد فنجد حديثاً عنها في الكتاب الثالث من الجزء الاول (صفحات ٥٦–٧٢ الحاشية) من مؤلفنا هذا . لذلك غنك الكلام هنا خشية التكرار غير المفيد

(١٧ م .) والقديس ثاوفيلوس الانطاكي (١٨١ م)والقديس ايريناوس (٢٠٢ م .) وكليمنضوس الاسكندري (٢١٧ م .) والمعلم اوريجانوس الشهير (٢٥٤ م) وترتوليانوس المحامي الافريقي، واوسابيوس القيصري (٣٤٠ م: تاريخه الكنسي ٢٥٣) والقديس اثناسيوس (عام ٣٦٧م : رسالته العيدية ٣٩)، والقديس كيرلس الاورشليمي (تعاليمه ٤، ٣٣) والقديس غريغوريوس النزينزي (في خطابه ال١٢، ١٣) وافراط السرياني (عام ٣٤٥م.) . والقديس افرام السرياني (في الترجمة السريانية المسماة « البسيطة ») ، والقديس ايرونيموس (الترجمة العامية اللاتينية)، والقديس اغوسطينوس (عام ٣٩٥ م. في تعاليمه المسيحية ٢، ٨ حيث يقبل جميع اسفار العهد الجديد التاريخية ال ٢٧) .

هذا ما يؤيد صحة الاناجيل المسلم بها في الكنيسة (مع باقي الاسفار الالهية للعهد الجديد) عكس الاناجيل المشبوهة (الكاذبة) التي لم يجمع الاباء على التسليم بها لمعاكستها تعاليم المسيح الصحيحة، لان الاراطقة قد دسوا فيها سموم ضلالهم القتال لتأييد بهتانهم ومينهم ناسبين ذلك الى الرسل، في حين ان اباء الاجيال الاولى لم يأتوا على ذكر شيء من كل تلك الاناجيل المزورة، بالاجماع، وإن وجد بعضهم من مال الى التسليم ببعضها، فذلك انهم (الاباء) خدعوا بها، لما فيها من ظواهر لا تمت بصلة الى ما تشير اليه من الوجهة الاعتقادية . ولان الكنيسة آنذاك لم تكن بعد انشأت قانوناً يوجب على ابنائها التسليم به، ولان ايضاً لفظة انجيل (في القرون الاولى للكنيسة) كانوا يطلقونها على كل من اسفار العهد الجديد وعلى كل كتاب حوى ترجمة يسوع ومريم العذراء ، وعلى كل اقرار ايماني وعلى كل التعاليم المسيحية والمؤلفات الاعتقادية والادبية للاراتقة، الذين اتخذوا تلك الاناجيل الكاذبة ذريعة لبث اضاليلهم . على ان مستقيمي العقيدة ما لبثوا ان كشفوا عن تلك الاضاليل ستار المكر وتأكدوا من ادخال تلك الاناجيل الكاذبة حتى نبذوها نبذ النواة لما تحمله من افك وخداع، صنيعة اوهام شوهاء، رائدها مزج الحق بالباطل والنور بالظلام والنار بالجليد . ولم تكن تلك حال الاناجيل الاربعة (التي ستكون موضوع بحثنا في كتابنا هذا بعيده) التي سلمها الرسل للكنيسة . وكثير من الرسل والتلاميذ استعملوا انجيل متى (اول هذه الاناجيل) منهم مرقس الانجيلي في رومية، كما المعنا سابقاً . وصادق على انجيل مرقس القديس بطرس رئيس الرسل

وان لوقا استشار، طيلة اقامته في بلاد اليونان، انجيلي متى ومرقس . وكان بولس الرسول يدعو انجيل لوقا انجيله . اما القديس يوحنا، الذي كان آخر من كتب من الرسل والتلاميذ . فقد اطلع على الاناجيل الثلاثة وعارضها ببعضها ثم صادق عليها كما يشهد اوسابيوس (تاريخه الكنسي، كتاب ٣ فصل ٩)

وقد كانت الكنائس الخصوصية جمعاء تستعمل هذه الاناجيل الاربعة تالية اياها بمحضر الجميع، الى ان ادخلت نقرأ منها عديدة في كتب الاباء، والطقوس الاولية .

وكفانا بهذا دليلاً ساطعاً على صحة اناجيلنا الاربعة التي موعدنا الحديث عنها في الفصول الاتية .

ولما كانت المشكلة الانجيلية تكاد تكون نقطة الدائرة في هذا البحث وهي مستقلة عن كل انجيل بمفرده بل بعلاقته مع باقي الاناجيل والتاريخ العام وجب ان نفرد لها قسما اخر بعد ذاك القسم الذي ندرس فيه كلا من الاناجيل الاربعة على حدة من غير ان ننظر الى العلاقة الموجودة بين بعضها البعض .

القسم الاول

– الاناجيل الاربعة –

الفصل الاول

– انجيل متى الرسول –

العشار يقول : ان يسوع الناصري هو المسيح الموعود به حسب الانبياء

١ – متى ؟

كان متى عشاراً تخلى عن موائد التعشير تابعاً المسيح حالما دعاه. وقد سمى ذاته في لائحة الرسل متى العشار بينما غيره من الانجيليين يدعونه لاوي خشية تشويه شخصيته بلقب العشار .

عبراني الاصل ابوه حلفى غير حلفى ابي يعقوب الصغير . لان هذا الاسم (حلفى) كان شائعاً في ذلك الوقت ولان يعقوب الصغير كان ملقباً باخي الرب . مسكنه في كفرناحوم قبل دعوته لكنه ما كاد يتبع ربه حتى اخذ في تهيئة ذاته للتطواف في اصقاع نائية (كبلاد فارس او الحبشة) . خطَّ بشارته على الرق وماشى اخوانه الرسل في طريقة التبشير بالمسيح سيده . ظهر انجيله في فلسطين بلغة شعب ذلك البلد ثم غادر بلاده الى فارس (او الحبشة على حد رواية التقليد) وغيرها من البلدان جائلاً مبشراً باعمال المسيح سيده الى ان وافاه الاجل المحتوم فلاقى ربه في السعادة ثواب اجور الصالحين .

٢ – انجيله

بعد ان بشر هذا الرسول بحياة معلمه الالهي رأى ان يخلد هذا المعلم بكتابة حياته فاخذ يستقصي الحوادث عن مسيحه ممن آكله ورافقه وصاحبه الى ان وقف على اشياء كثيرة من حياة مخلص الكون فزفها الى الاجيال الآتية تاريخاً صحيحاً سالماً، لا نقص فيه ولا تشويش على صفحات تحمل صور حوادث الناصري واعماله الخطيرة، تكون نوراً وهدى لباغي الهداية. اما الحوادث التي سطرها متى عن المسيح فاليك بها:

نسب المخلص وشكوك القديس يوسف. سجود المسيح وهرب هذا الاخير الى مصر وقتل الاطفال ثم عود المسيح من مصر. انذار المعمدان وتعميده المسيح. شهادة يوحنا للمخلص، الصوم والتجارب الثلاث في القفر. القاء يوحنا في السجن. عودة المسيح الى الجليل. الرجوع الى كفرناحوم والتبشير في المدن الملاصقة لها. آية صيد السمك العظة فوق الجبل... شفاء حماة بطرس من الحمى. تسكين البحر ابراء المجنون الذي كان فيه لاجاون والابرص وعبد قائد المئة. عودة المسيح الى كفرناحوم. شفاء المخلع. دعوة متى العشار. ابراء ابنة يائيروس ونازفة الدم والاعميين والمجنون والاخرس. الخطاب للرسل وارسالهم. الشكر للآب. فرك التلاميذ للسنابل يوم السبت. شفاء اليد اليابسة يوم السبت. ابراء مرضى كثيرين. ذهاب تلاميذ يوحنا الى المسيح. شفاء المجنون الاعمى والاخرس. التجديف على الروح القدس. آية يونان. آل نينوى وملكة سباء. الروح النجس اذا خرج

من الانسان طوبى للبطن الذي حملك . مثل الزرع . مثل الزوان . مثل حبة الخردل . مثل الخمير . مثل الكنز الثمين والدرة والشبكة . رجوع يسوع الى الناصرة . موت يوحنا المعمدان ، معجزة الخبزات الخمس . هرب يسوع من التكريم . مشيه على الامواج . الطهارة تقتضي ان تكون داخلية . خبر الكنعانية في نواحي صور . تكثير الخبزات السبع . خمير الفريسيين . اقامة بطرس رأساً للكنيسة . نبوءة المسيح على آلامه وتأنيبه بطرس . التجلي على جبل طابور . شفاء المعذب في رؤوس الاهلة . نبؤة المسيح الثانية على آلامه . اقامته الاخيرة في كفرناحوم . اعطاء الجزية . مشاجرة التلاميذ في ايهم الاعظم . الكلام في الشك . مثل الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الشاطر . النصح الاخوي . الصفح عن الاهانة . الشكر للاب الكلام في ضيق باب الخلاص . عزم هيرودس على قتل المسيح . الزواج والتبتل . يسوع يبارك الاطفال . الشاب الغني . مكافأة الرسل . مثل عمال الكرم . طلب ابني زبدى الجلوس عن يمين المخلص وعن يساره في ملكوته . اعمى اريحا . وليمة سمعان . دخول المسيح اورشليم يوم الاحد في اسبوع الآلام . الرجوع الى بيت عنيا . العودة الى اورشليم ولعن التينة . طرد الباعة من الهيكل . التينة يابسة . باي سلطان تفعل هذا . مثل الابنين اللذين طلب ابوهما ان يذهبا الى الكرم . مثل عملة الكرم . مثل المدعوين الى العرس . سؤال الهيرودوسيين للمسيح عن اداء الجزية . سؤال الصدوقيين في امرأة اخذها سبعة اخوة والكلام في القيامة . اعظم الوصايا في تعاليم

الرب . المسيح هو ابن داود وربه . تأنيب الكتبة والفريسيين . النبوة على خراب اورشليم . مثل العذارى العشر . مثل الوزنات . الدينونة الاخيرة . نبوة المخلص عن دنو اجله . المؤآمرة على المسيح . وعد يهوذا بتسليمه . الفصح (الفصح الرابع) . ابداع الاوخرستيا . التنويه بالذي يسلمه . هرب الرسل وانكار بطرس انه يعرف المسيح الذهاب الى بستان الزيتون . الصلاة وعرق الدم . القبض على يسوع . الاشخاص امام قيافا . الشهود الكذبة . قوله انه ابن الله والحكم عليه . جحود بطرس وتوبته . موآمرة رؤساء الكهنة والشيوخ على قتله . اقتياده الى بيلاطوس . يهوذا يشنق ذاته . اسئلة بيلاطوس واجوبة المسيح عليها . تفضيل باراًبا على المسيح . الجلد واكليل الشوك . حكم الموت وقساوته . تسخير القيرواني لحمل صليب المعدوم . الصلب . وقوف النسوة عند الصليب . الشتائم . الكلمات السبع الاخيرة ؛ قد تم . حصول الظلام وايات أخر . ما كان من القائد وغيره . الدفن . حراسة القبر . ذهاب النساء الى القبر ؛ وظهور الملاك لهن . ظهور المسيح للنسوة . الحرس ورؤساء الكهنة . الظهور على جبل في الجليل . الصعود الى السماء .

إلا ان هذ التاريخ ينقسم الى ثلاثة اقسام :

١) تاريخ الطفولة (١-٢)

٢) تاريخ الحياة الظاهرة (٢-٢٠)

٣) تاريخ خاتمة حياة المسيح واعماله وقيامته بعد الموت صلباً (٢١-٢٨)

٣ً = واضع الانجيل الاول متى الرسول

يؤيد هذا براهين متشعبة الاطراف والنواحي تتنوع الى نوعين رئيسين : براهين خارجية وبراهين داخلية .

١ً – اول البراهين الخارجية عنوان الانجيل (حسب متى= (Kata Mattaion) ، الذي (العنوان) وان لم يرجع تاريخ وجوده الى تاريخ كتابة الانجيل ، فمع ذلك هو كثير القدمية التي تلامس حتى العهد الرسولي (على ما شهد به اقدم الاباء كالقديس ايريناوس . وترتوليانوس واكليمنضوس الاسكندري وغيرهم) . وقد دخل هذا العنوان في استعمال الكنائس : الرومانية والافريقية والاسكندرية. لكن بعضهم يعترض قائلاً : قيل « حسب متى » ليشير الى انه وضع حسب تعليم متى .

ونحن نجيب بعدم التسليم ، لمنافاة هذا التفسير للتقليد القديم الذي لم يعرف بـ« حسب متى » إلا الواضع نفسه للانجيل الاول. فاللفظة اليونانية kata = حسب ، لها اكثر من معنى واحد . ولما كان الانجيل واحداً (من حيث الموضوع الذي هو حياة السيد المسيح) وكتبه اربعة حسب اتجاه ابحاثهم وتفاوت مواهبهم من ناحية الدقة والذكاء الطبيعي كان من الضروري ان تختلف صور هذا الانجيل الاربع اختلافاً عرضياً ، من غير ان يمس الجوهر بشيء البتة . فمتى كتب الانجيل حسب معرفته وقيل لانجيله « حسب متى » اي حسب نسق متى اللغوي وحسب معرفته حوادث المسيح . وهكذا مرقس ولوقا ويوحنا .

ثم لو كان « حسب متى » يجب فهمه حسب تعليم متى فقط لوجب ان يقال لانجيل مرقس « حسب بطرس » لا « حسب مرقس » ، لان مرقس كان تلميذاً لبطرس ، فكتب ما املى عليه معلمه و كذا الحال بين لوقا وبولس ، فبولس املى على لوقا حياة المسيح حسب ما كان يعرفه ، ومع ذلك لم يعنون انجيل لوقا بـ « حسب بولس » بل بـ « حسب لوقا »

« اذن ، حسب » هنا لا تكتفي بتدخل الواضع تدخلاً جزئياً ، بل تستدعي التدخل الكلي الفعلي اي الكتابي التعليمي .

اما ثاني البراهين الخارجية فهو رأي الاباء الاجماعي (كالقديس ايريناوس وترتوليانوس واوريجانوس واوسابيوس القيصري ، والقديس كيرلس الاورشليمي والقديس ايرونيموس) .

وثالث هذه البراهين يتفرع الى اربعة فروع : ١ً – الترجمات القديمة كاللاتينية والسريانية (البسيطة) وغيرها كالتي ترجع الى الجيلين الثاني والثالث ، تعنون اول الاناجيل بهذه العبارة « حسب متى » (وهذه الفقرة كما اسلفنا القول ، تشهد بان الواضع هو متى الرسول) ، ٢ً – هراطقة الاجيال الاولى للكنيسة (طبق ما شهد به الاباء كايريناوس وابيفانيوس) كانوا يؤيدون اقوالهم بفقر من انجيل متى . وهذا يشير الى انهم كانوا يرفعون شأن انجيل متى الى درجة لا تتوافق مع واضع يكون غير رسول السيح ، ٣ً – في دفاع الاباء عن العقيدة ، ضد اليهود وباقي الخوارج ، كان المرجع الاساسي انجيل متى ، الذي استعان به الاباء على دفع التهم الشناع عن الدين

المسيحي، خصيصاً في ما لا وجود له في باقي الاناجيل . كتاريخ المجوس ومذبحة الاطفال (وعند القديس يوستينوس ١٧٠ شهادة من متى الرسول ا) ، ٤ً - الاباء الرسوليون (ككتاب « الاثني عشر » فصل ٥ عدد ٢٥ ورسائل القديس اغناطيوس الشهيد ...) ينوهون مراراً بتعاليم ومعاني اول الاناجيل . وفي بعض المراد ينقلون جملا بالحرف الواحد .

٢ً - اما البراهين الداخلية فهاك منها اثنين :

اولاً : الانجيل الاول يسمي متىّ عشاراً بينما باقي الاناجيل تلقبه بلاوي . وفي لائحة اسماء الرسل (في الانجيل الاول) يحتل متى المقام الـ ٨ ما لا يوافق باقي الاناجيل التي تحله في سابع مكان من امكنة الرسل الاثني عشر . واذ تذكر باقي الاناجيل عن صاحب الوليمة انه لاوي ، فالانجيل الاول يلزم الصمت عن ذكر صاحب هذه الوليمة (متىّ ٩، ١٠) .

ثانيا : الدقة في بسط ما يلاحظ وظيفة التعشير في اول الاناجيل لاتحتاج الى الاعلان . فمثل الكنز والدرّة والشبكة والاستار لا تراها في سوى الانجيل الاول ، وهذا يشرح باسهاب واتقان ما يختص بمهنة متى من تعشير وتمييز انواع الدراهم بمهارة ودقة (لك ان تتحقق من قولنا متى ١٧، ٢٤، ١٦، ٢٣، ٢٣ ...)

٤ً - كل اعتراض على ما سلف اوهى من خيوط العنكبوت (؟!) .

حصر المعترضون جهدهم في نسق الفصلين الاولين من انجيل متى . فنشأت اعتراضات كثيرة نحصرها في ثلاث رتب :

١) لما كان بعض الاقدمين قد لازموا الصمت حيال الفصلين الاولين من انجيل متى ، وجب علينا رفضها وإقصاوها عن جسم الانجيل الاول .

٢) وبما ان نسب المسيح الوارد في متى يختلف عنه في لوقا تحتم علينا انكار احد النسبين .

٣) وما ذكره متى في ثاني فصوله ، خص به دون سواه من الانجيليين الباقين (مرقس ولوقا ويوحنا)

ونحن هنا لنجيب على اصعب اعتراض يجابه الحقيقة ، فكيف نأبه لهذه الصعوبات الواهية وهل نعجز عن الرد عليها ؟ !

نقول اولاً : لابأس ان وجد قديماً من لازموا الصمت حيال الفصلين الاولين من متى (كالابيونيين الهراطقة) إذ تتغلب قوة اقدم النسخ وانفسها على قوة بعض اناس اراطقة دأبهم طمس الحقيقة وتشويه التاريخ . تلك النسخ التي تحمل هذين الفصلين كجزء اولي افتتاحي لانجيل متى ولا ينزوي الاباء الاولون عن الاتيان على ذكرها (كيوستينوس وايريناوس وترتوليانوس واوريجانس ...) وهذان الفصلان يتفقان تمام الاتفاق مع غاية متى من انجيله ومع اسلوبه وانشائه الكتابي اللذين درج عليها في انجيله .

ونجيب ثانياً : اما تناقض نسب المسيح بين متى ولوقا فان هو إلا في الظاهر فقط ، لكون متى ولوقا لم يتحريا نسق سلسلة نسب واحد ، بل كل منهما سلك ناحية في النسب (وان التقيا في داود الملك) تختلف عن ناحية الآخر . فمتى جاء بنسب يوسف بينما لوقا اتى

على ذكر نسب مريم (كما سنريك ذلك في الآتي اذ نتناول المسألة الانجيلية على ضوء التحليل العلمي - الانتقادي الحرّ الذي يُظهر الحق من الضلال).

ونرد ثالثاً مجيبين: لا ننكر وجود ما يختص بمتى دون غيره من الانجيليين، على ان هذا الاختصاص لا يخلو منه كلٌ من باقي الانجيليين وهو واجب حتمه مقصد بل مقاصد كل انجيلي. فمتى اختار ما يلائم اليهود لكونه كتب بشارته لليهود، دون ان يشرح تلك العوائد العبرانية التي ذكرها، لكونها معلومة عند اليهود لا تحتاج الى شرح واسهاب (عكس مرقس الذي علق شرحاً على كل عادة يهودية اتى على ذكرها).

٥ً - متى كتب اول الاناجيل واين وباية لغة وما الباعث ولمن وُجه؟ - اوفق الآراء واقربها الى الصواب هو الذي يضع عهد كتابة الانجيل الاول عام الـ ٤١.

فما لا ريب فيه انه كتب بعد صعود الرب الى السماء كما يُنتج عما قيل عن حقل الدم ولذلك دُعي ذلك الحقل حقل الدم الى اليوم: (متى ٢٧، ٨) وكما يروي عن هيرودس اغريبا الذي اضطهد وقتل يعقوب بن زبدى والقى القبض على بطرس، فهرب باقي الرسل. وكان هذا عام ٤٢ ميلادية، حسب رأي كورنيلي وغيره من العلماء. على ان متى كان سبق فكتب انجيله قبل ان يغادر اورشليم هرباً، بوقت وجيز، اي بسنة واحدة على ما يُبان. اذن كان تاريخ انجيل متى السنة الحادية والاربعين مسيحية.

وهذه الكتابة كانت بلغة البلاد العبرانية (او السيروكلدانية كما يشهد بذلك اكثر الاباء) على انها ما عتمت ان ترجمت الى اليونانية ، وقد تغلب استعمال الترجمة على المتن الذي مسخته وشوهته ترجمة الابيونيين ، بحيث انقلب رأساً على عقب الى ان بات في طي الزوال وذلك منذ القرن العاشر . ولانجيل متى الان ترجمة عبرانية استخرجت عن الترجمة اليونانية ، التي اخذت المقام الاول بين كل الترجمات ، لانها كانت في عهد الرسل لا تنحطّ قدراً عن الاصل العبراني ، اذ أَلِفَ اصحاب العهد الجديد ان يوردوا عنها آي الكَتاب بالحرف الواحد .

موطن انجيل متى الارض اليهودية ويترجح ان يكون اورشليم ، كما اجمع التقليد . اما الباعث لكتابة هذا الانجيل فإن هو إلا اثبات كون الناصري هو نفس المسيح الموعود به . وتصديقاً لهذا ما اتى به الواضع من نبوآت عديدة ، كشهادات تبين صدق اثباته لمسيحية الناصري .

قُرّاء متى الاولون يهود متنصرون ، كما اثبت الاباء (مثل القديس ايريناوس واوسابيوس) وكما يستنتج من نفس الانجيل [لان متى يمدح مراراً عديدة العهد القديم ، دلالة على ان الموَجه اليهم يلمون الالمام التام بالنبوآت وبباقي الاسفار القديمة . ويتطرّق (متى) الى اذاعة مفاخر المدينة المقدسة التي لا تحتل هذا النصيب في باقي الاناجيل . ثم سكوت الكاتب عن شرح بعض طقوس يهودية وعوائد مثلها ، يفسر لنا ان من وُجه اليهم يفهمون ذلك

جيداً، وان العشار يثبت مسيحية يسوع من العهد القديم.

عدا ما تقدم لا يتطرق متى الى ذكر تلك العبارات التي قالها المسيح للكتبة والفريسيين بتلك اللهجة الجارحة، كل ذلك مراعاة لشعور اليهود الذين وُجّه اليهم هذا الانجيل].

٦ً – تعاليم اول الاناجيل جدلية – اعتقادية –

أجل فالانجيل الاول يأخذ على عاتقه اثبات مسيحية يسوع بحيث يذيع:

١ً: إن يسوع هو المسيح بن داود، صانع الخوارق المثبتة عظمته الالهية.

٢ً: إن ملك المسيح هو ملك جامع روحي لا جسدي، كما ظن اليهود.

٣ً: إن اليهود قد أساؤوا فيما صنعوا بملكهم المحب.

ثلاث نقاط يحاول العشار التبسط فيها والأسهاب شارحاً شخصية الناصري وراسماً نفسيته وتعاليمه السامية، باسلوب سهل جذّاب دون ان يبدو التكلف او المبالغة إن في ثوب الكتابة القشيب او في جوهر المعاني، على ان متى اهمل ترتيب الزمان في سياق احاديثه ذلك لكونه دأب الى اظهار الحقيقة لا الى تفصيل الوقائع التاريخية كما هي الحال في المؤرخين واصحاب السير التاريخية في تواريخهم.

٧ً – رسم انجيل متى في مرآة متكلفي النقد المتمطلة!–

يتغاوى متكلفو النقد على قتل الحقيقة واعدامها غير خاشين ان يصعقهم نورها الساطع مسبلين على هيكل الضلال ثوباً كاذباً

مزيفاً ليضللوا السذج على اهون سبيل . على ان الحق لا يخلو من انصار له وان لم يكونوا كثاراً . وهؤلاء الانصار في نزال دائم مع اعداء الحق السابقين . ونحن هنا يطيب لنا ان نكون طُلّاب الحقيقة وتُباع هدى بفضل سيرنا وراء احكام العقل الثابتة والمعقولة ولا فخر ، إذ الحقيقة موضوع العقل السليم ، الذي لا يرى الواحد اثنين ولا الاثنين واحداً لئلا يمسي مضللاً او مخادعاً . لهذا ننزل ، هنا ايضاً ، الى الساحة ، ساحة الدفاع عن الحقيقة البادية لكل ذي بصيرة نيرة في اول الاناجيل قائلين :

لقد ضلّ الناقد هولتسمان (H. J. Holtzmann (1)) الزاعم ان المسيح لم يكن يريد ان يؤسس كنيسة ، بل الذي اسّسها ورتّبها ونظمها هو القديس بولس الرسول (الاولى الى اهل كورنتس ٣ ، ١٠-١٧ ؛ افسس ٢ ، ١٩-٢٢) ! فلو لم يكن يدور في خلد المسيح رسم كنيسة (مؤلفة من اعضاء رؤساء ومرؤسين) لما كان اختار له رسلاً واقام عليهم رئيساً (بطرس) .. ومثل هولتسمان قد شطّ ايضاً رش (A. Resch (1)) اذ قال : لو كانت اعداد انجيل متى (١٦ ، ١٧ - ١٩) صحيحة لما كان حق لبولس تأنيب بطرس في مواجهة حصلت له معه في انطاكية (رسالة الغلاطيين ٢ ، ١١-١٤) على ان رش لم يدرك ان هذه المقاومة من بولس لم تحدث الا من باب الغيرة على حرية الانجيل ضد اليهود المتنصرين في ذلك الوقت

---

(1) Die Synoptiker (Tubingen u. Leipzig 1901) 257 s.

(1) A. R. Aussercanonische Paralleltexte zu den Evangelien (Leipzig 1894) 189 s....

الذين (عطف) بطرس عليهم مجاملة وكياسة من قبيل الظاهر (لانهم اوجبوا على المسيحيين ان يختتنوا قبل تنصرهم ان كانوا قبلاً من الامم ام من اليهود الذين لم يكونوا حينئذٍ اختتنوا بعد) مجارياً اياهم في رأيهم لظنه انه باستطاعتهم ، اذا لم يمالئهم ولو في الظاهر ، ان يشوشوا جماعة المسيحيين ، لذلك مال الى مسايرتهم في الظاهر ، فحصلت له تلك الصدمة من بولس . لكن هذه الصدمة كان دأبها غيرة بولس ومحبته لصالح الكنيسة العام ، وتنبيه بطرس على عدم الميل مع التيار اليهودي وتذكيره ما كانا قد اتفقا عليه سابقاً . وقد دعا (بولس) عمل بطرس مع يهود انطاكية تظاهراً مما يؤيد اتفاقاً سابقاً كان بينهما وقت بولس زار بطرس زيارة خصوصية في اورشليم (غلاطية ١ ، ١٨ - ١٩) . وهذا الاختلاف البسيط لا يجحف بكرامة بطرس الرسول ولا يحط من شأن رئاستهِ ، اذ انه لا يجاوز حدّ الرأي الشخصي ، بطريقة الطلب لا بطريقة الامر ، اذ لكل وزير ان يعاكس ملكه في رأي خصوصي من غير ان يحتقر سلطان الملك ومقامه ، وهكذا كل اسقف (حتى في المجامع العامة قبل ان تحدد العقائد ويبتّ البابا بشأنها) له ان يعترض على رأيٍ خصوصي للحبر الاعظم ، دون ان يُدعى بالناهض لرئاسة قداسة البابا الجامعة .

وللتحقيق من بقاء الرسولين على حبهما السابق استشر :

١ً) رسالة اهل كورنتس الاولى (١ ، ١٢ والتابع ٤ ، ٣ ، ٢١ - ٢٣ ٤ ، ٥ ، ٣ - ٩ ، ٩ ، ٤ - ٦ .)

٢ً) رسالة بطرس الثانية (٣ ، ١٥ - ١٦ ... الخ .)

ومثل هولتسمان ورِش قد اخطأ هرناخ المثبت ان المسيح لم يكن ليريد تأسيس كنيسة منفصلة عن اليهود ! غير عالم (هرناخ) ان كل فصل من فصول الاناجيل الاربعة هو اكبر دليل لدحض هذا الرأي المغلوط

يتابع المعترضون هجومهم على الفقرة الـ١٩ من الفصل الـ٢٨ من انجيل متى متذرعين باوسابيوس، الذي انقطع عن استعمالها قبل المجمع النيقاوي (الملتئم عام ٣٢٥)

مهما يكن من شأن اوسابيوس، فلا يحق لنا ان نناهض برأيه رأي باقي الاباء حتى الاقدم منه عهداً (كالقديس يوستينوس، في كتاب دفاعه ١، ٦١؛ والقديس ايريناوس، في كتابه تاريخ الهراطقة ٣، ١٧، ١؛ والقديس ايبوليطوس، في كتابه ضد نويتو ١٤؛ والمعلم اوريجانوس، في تعاليقه على سفر ايوب ٣، ٥؛ وترتوليانوس المحامي، في كتابه حول العماد ١٣؛ والقديس قبريانوس، في كتاب شهاداته ٢، ٢٦؛ وغيرهم) الذين يستعملون فقرة متى بقضها وقضيضها.

على اننا نود ألا نخرج رأي اوسابيوس عن دائرة اراء باقي الاباء، اذ نقول (كما اجمع عليه علماء الكاثوليك الحديثون)؛ واوسابيوس نفسه قد استعمل فقرة متى (٢٨، ١٩) فاذهبوا وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس. وان بعد انعقاد المجمع النيقاوي. فاوسابيوس استعمل جملة متى بثلاثة انواع:

١ً) فاذهبوا وتلمذوا ... باسم الله

٢ً) « « ... باسمي

٣ً) « « ... باسم الاب والابن والروح القدس.

فالصورة الاولى لفقرة متى استعملها ليرسم بها انتشار المسيحية الفجائي والصورة الثانية صوّر بها اصول واسباب ذلك الانتشار السريع الغريب اما ثالث هذه الصور فكانت عنده (اوسابيوس) للاشارة الى المعمودية والى التثليث .

وهكذا يكون حتى اوسابيوس عرف صورة جملة متى (٢٨ ، ١٩) واستعملها في ظروف رآها ملائمة لهذا الاستعمال دون غيرها من الظروف التي قد تكون اضطرته الى استعمال الصورتين الأُخريين.

☆ الفصل الثاني ☆

انجيل القديس مرقس

- (يوحنا مرقس يقول : ان المسيح هو ابن الله) -

١ - مرقس الانجيلي

تنقسم اراء العلماء في حقيقة امر مرقس الانجيلي ، فنهم مَن عرف به نفس يوحنا مرقس ، الذي ذهب القديس بطرس الى بيت امه بعد ان فكّ قيوده ملاك الرب واطلق سراحه من السجن ، والذي (اي يوحنا مرقس) صنع المسيح في بيته العشاء السري صحبة رسله ، كما ارتأت فئة كبيرة من العلماء ، ومنهم مَن يزعم الخلاف . اما نحن ، بعد ان وزنّا اراء الفئتين فوجدنا ان رأي الفئة الاولى هو اميل الى الصواب ، لذا ننضمّ اليها بارتياح قائلين : ان يوحنا مرقس هو نفس مرقس واضع ثاني اناجيل ربنا .

ومرقس هذا كان تلميذاً وكاتباً لرئيس الرسل القديس بطرس الذي دعاه ، ابنه (في ختام رسالته الاولى) على ما اثبت بابيا (ذكره اوسابيوس في تاريخه الكنسي ك ٢ فصل ١٤) والقديس ايريناوس (ك ٣ فصل ١) والقديس ايرونيموس (رسالته ١٢٠) ، ولازم بولس الرسول ، مدة في جولاته الرسولية ، الى ان افترق عنه في انطاكية وسار مع برنابا الى قبرس (اعمال ١٥ ، ٣٩) . على انه انضم اخيراً الى بطرس الرسول ثم ذهب بمعيته الى روما ، حيث لم يعد يسمى يوحنا مرقس بل مرقس فقط ، لان هذا الاسم هو لاتيني . وهناك كتب بشارته (انجيله) بموازرة معلمه القديس بطرس وبأخذه عنه ما سمع ورأى من اعمال المسيح من بعد أن انضمَّ اليه رئيس الرسل .

قال ترتوليانوس الافريقي : ان مرقس كتب انجيل بطرس وذلك في احدى السنين التي تتراوح ما بين السادسة والاربعين والخمسين بعد ان انهى متى كتابة انجيله . وقد سمى البعضُ انجيل مرقس خلاصة انجيل متى ، من ظاهر معارضة الانجيلين احدهما بالآخر .

يُمثل مرقس بالاسد لانه افتتح انجيله هكذا : صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب . على ان مرقس لم يذكر في انجيله بشارة العذراء ومولد المخلص وسجود المجوس وتقدمة الرب للهيكل وهربه الى مصر ، لانه ما كتب انجيله لليهود ، الذين تهمهم هذه الاحداث في حياة طفل المغارة ، بل للامم الذين ، لا يقيمون وزناً الا لما يختص بهم من ادخالهم السماء وعتقهم من اغلال الاثم الجدي القديم . لذلك لا نرى مرقس يدعو المسيح ابناً لداود بل ابنَ البشر وابن الله .

يرتأي بعض الحديثين ان بطرس ارسل مرقس الى أكويلايا (من بلاد النمسا) ، فاقام هذا الاخير هناك ما يقارب الثلاث سنين وشاد كنيسة للمؤمنين . لكن القدماء لا يشاطرون الحديثين هذا الرأي ، بينما يجمعون على ان بطرس بعث مرقس الى مصر ، فاتى مرقس الاسكندرية واكبَّ على التبشير فربح عدداً وفيراً من المصريين للديانة المسيحية . وقد اثنى فيلون اليهودي (كتابه في السيرة العقلية) الثناء المعطار على هؤلاء المرتدين في الاسكندرية ، داعياً اياهم الثيرابوتيين (عباد الله) . ومن هؤلاء خرج النساك والزهاد بنوع ان اوسابيوس وايرونيموس دعيا مرقس اول النساك ورئيسهم . والتاريخ يقول : ان الحياة الرهبانية اخذت مبدأها عن مرقس وتلاميذه . فرقس مع كل هذا الزهد والتصوف لم يكن ليألو جهداً عن انشاء مدارس مسيحية في الاسكندرية ، الى أن باتت هذه المدينة كعبة العلوم المسيحية في ذلك الحين ، فانجبت العلماء الافذاذ والاحبار الفضلاء والشهداء الابطال ؛ وقد زهت تلك المدارس وازدهرت خصيصاً لما رأسها بنتانوس الفيلسوف في اواخر القرن الثاني للميلاد ، واكليمنضوس الاسكندري خليفة المذكور . ومن انجب تلامذة مدرسة اسكندرية اوريجانوس (معلم الكنيسة الجامعة الطائر الشهرة .) والقديس غريغوريوس العجائبي وأثناغورا والقديسون ؛ باسيليوس واثناسيوس وغريغوريوس النزينزي ...

هؤلاء كلهم تلامذة مدارس القديس مرقس !

لما كان وجود القديس مرقس في الاسكندرية عاملاً قوياً على

نسخ عبادة الصنم ، حنق عليه وثنيو تلك المدينة فالتزم القديس ان يترك مدينتهم مدة وجيزة من الزمن (وقد يكون قضى هذه المدة في رومية ، اذ جاء في التاريخ الاسكندري انه شهد مقتل الرسولين فيها عام ٦٧) بعدها رجع الى الاسكندرية وطرب حين فوجيء بعدد كثير من المؤمنين فور وصوله الي تلك المدينة . لكن الوثنيين لم ينثنوا عن متابعة اضطهادهم اياه وقد تضاعفت احقادهم عليه فوثبوا في ٢٥ نيسان عام ٦٨ (حسب قول بعضهم) واذاقوه من العذابات الوانا في نهايتها طارت روحه الطاهرة الى خالقها .

٢ - نظرة سريعة في انجيل مرقس من الوجهة العلمية

قلنا : كتب مرقس انجيله بايحاء الروح ومساعدة استاذه رئيس الرسل وايعاذ مؤمني روما . وقلنا ايضاً : تمت كتابة هذا الانجيل بعد ان كان ظهر انجيل متى الى عالم الوجود واخذ عنه مرقس بعض صور لم يكن معلمه اشار اليه عنها . ثم تابعنا القول : ان الواضع وجه بشارته الى الامم عموماً والى سكان روما خصوصاً بدليل كونه اقصى عن انجيله كل ما يختص باهتمام الشعب اليهودي من ذرية داود كنسب المسيح ، وكونه ابناً لداود وغيرها . والآن نتابع بوجيز الكلام قائلين : يظهر جلياً لكل اديب ذكي الفؤاد من قراءة هذا الانجيل ان كاتبه كان يهودياً معاصراً للرسل ، لكثرة استعماله الاصطلاحات السريانية - الكلدانية وادخاله عدداً كبيراً من الفاظ هذه اللغة التي كان يتكلم بها اليهود في ذلك الحين ،

ولمعرفته عادات سكان اليهودية واصطلاحاتهم، ولدقته بذكر قرائن اخباره؛ كوصف يائير برئيس المجمع، والمرأة الكنعانية بانها كانت يونانية من فونيقية سوريا، والاعمى بانه كان يدعى برطيما (اي ابن طيما) وغيرها . . .

ذهب بعض العلماء الى ان مرقس كتب انجيله باللاتينية لسبب انه وجهه الى الرومانيين ولان بعض نسخه (كالسريانية والعربية) معلق عليها حاشية تؤيد كتابته باللاتينية، وبارونيوس انضم الى هذا الرأي (تاريخ عام ٤٥). اما القديسان ايرونيموس (في مقدمته على الاناجيل) واغوسطينوس (ك ١ في توفيق الاناجيل) فيعارضان هذا الرأي موجبين الكتابة باللغة اليونانية، لان مرقس كتبه (الانجيل) ليمضي به الى الاسكندرية. غير ان بعضاً آخر من العلماء اتخذ طريقة التوفيق بين الرأيين السابقين اذ قال: كتب مرقس انجيله اولاً في روما باللاتينية ثم ترجمه هو نفسه الى اليونانية. اما مسألة عهد كتابة هذا الانجيل فتكاد تكون اصعب نقطة من نقاط موضوعنا هذا. فمنهم من يقول: ان انجيل مرقس كتب فيما بين عام الـ ٧٠ وعام الـ ٦٥ (مثل هرناخ). ومنهم من يزعم ان مرقس كتبه بين السنتين الـ ٦٦ والـ ٦٧. وفئة اخرى تقطع بوجوب عهد كتابته فيما بين العامين الـ ٥٤ والـ ٦١. وهذا الرأي الاخير اميل الى التصديق من غيره وصاحبه هو كورنيلي مارك. اما حجة كورنيلي فهي قول مرقس في خاتمة انجيله: فخرج اولئك و كرزوا في كل مكان: مرقس ١٦، ٢٠، يتابع كورنيلي قوله: لا يصح هذا القول

قبل رحلتي القديس بولس الاولى والثانية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى نتأكد سبق كتابة مرقس لكتابة لوقا (الذي كتب قبل عام الـ ٦٤) . ثم ان القديس مرقس عام ٤٤ كان برفقة الرسولين بولس وبرنابا في انطاكية (اعمال ١٢، ٢٥) بعدئذ تبع بولس في رحلته الاولى (اعمال ١٣، ١٣) وفي السنة الـ ٥١ كان ابحر الى قبرس مع برنابا.

لذا نقطع بدخول مرقس روما : اما قبل عام الـ ٤٣ [وهـذا مستحيل، لكون بطرس نفسه دخل روما سنة ٤٢ . ومرقس ، ابنه في المعاد، لا يمكن ان يكون تركه يعود الى الوطن بعدئذٍ (ليكون برفقة برنابا عام الـ ٥١ الى قبرس)] ، واما قبل عام الـ ٥٤ (الامر الذي لا يمكن حدوثه ايضاً ، لان كلوديوس الامبراطور الذي طرد كل يهودي من روما في السنة الـ ٥٠ بقي امره نافذاً الى ان قضى نحبه عام ٥٤) ، واما بعد سنة ٥٤، ولكن من المرجح كثيراً ألا يتخطى ذلك سنة ٦١ (بسبب موت زعيم الرسل، ذلك الموت الذي لم يذكره القديس مرقس في انجيله، لانه لم يكن حدث بعدُ وقت كتب انجيله، حتى ولم يكن نيرون حبس بطرس الرسول) . هذا يدعو الى القول : ان انجيل مرقس كتب ما بين العامين، الـ ٥٤ والـ ٦١ .

لما كان لكل مؤلف غاية من تأليفه تحتم ان يكون للقديس مرقس غاية من وضعه بشارته هذه . وهذه الغاية هي اثبات الوهية السيد المسيح بدليل افتتاحية انجيله : بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله . فمسيح مرقس هو ابن الله بل هو إله على شاكلة ابيه الاله،

قد أوتي قدرة على افتعال العجائب في الترتيبين ، الطبيعي والذي فوق الطبيعة ، ليس فقط بل انه قد كان الصاعقة تنقض على الارواح الشريرة لتقصيها عن الانسان المعذب بها . والشيطان في عرف مرقس هو الروح النجس الذي اخضعه المسيح لسلطانه وان على كره منه (من الشيطان) وقض عليه (على الشيطان) مضجعه .

يمتاز هذا الانجيل بالدقة في الوصف ، على ان ترتيب الزمان فيه يضطرب بعض الاضطراب ، إذ انه تبع نسق معلمه ، من سرده الحوادث دون ان ينظر الى زمان وقوعها ويعلقها باوقاتها . فكان بذلك على مطار القديس متى ، الذي هو ايضاً لم يراع كثيراً ترتيب الزمان ، بعكس لوقا (لك الفصل الثالث من انجيل لوقا دليل حكمنا على اتباع لوقا ترتيب الزمان) .

واضع هذا الانجيل مرقس بدليل ما يأتي : ١ً عنوان الانجيل (انظر كلمتنا في عنوان انجيل متى) ٢ً شهادة بابيا تلميذ القديس يوحنا الانجيلي ٣ً شهادة القديسين يوستينوس وايريناوس (الجيل الثاني) ٤ً شهادة اكليمنضوس الاسكندري وتلميذه اوريجانوس (الجيل الثالث) ٥ً وجود هذا الانجيل في اقدم المخطوطات كاليونانية وترجماتها ، التي لا يمكن صدورها الا عن شاهد عياني كالقديس بطرس ، الذي لقنها تلميذه مرقس (كما اجمع كل الاباء) ٧ً الامور التي لا تعود بالفخر الى القديس بطرس (مثل تسطير تلك الاشياء المعيبة رأس الكنيسة ، كجحود بطرس سيده ، وذلك بدقة كلية ، بينما لا نقع على اثر مما يعود الى بطرس بالرفعة والشرف . فثاني

الاناجيل بينما يصوّر اقرار بطرس بالمسيح يصمت عما اجابه المسيح به من اعطائه المفاتيح ومن انه الصخرة ... كل هذا يدل على ان بطرس له اليد الطولى في طوي ما خصه به المسيح من الامتياز) .

٨ً) التشابه القوي بين نسق بطرس في الوعظ وتعليم ثاني الاناجيل [فقد اهمل هذا الانجيل تاريخ طفولة المخلص ، وهذا يطابق تماماً قول بطرس في بيت قائد المئة (اعمال ١٠ ، ٣٤ - ٤٣) . ومواعظ رئيس الرسل يكتنفها بعض النواقص والعيوب اللفظية من ناحية اللغة ، وهذه ايضاً تجدها في الانجيل الثاني (مرقس ١ ، ٢٩] .

٩ً) نقص ترتيب الزمان سواء في تعاليم القديس بطرس او في ثاني الاناجيل .

كل هذا يثبت كون مرقس كتب هذا الانجيل بموآزرة معلمه الصخرة . هنا نتسآل : هل كتب مرقس كل هذا الانجيل ام قسماً منه فقط ؟ فنجيب : كتب مرقس كل هذا الانجيل . لكن قسماً من المحتجين امترى في كون الاعداد الاثني عشر الاخيرة من الفصل الـ ١٦ للقديس مرقس متعللين ، بان لا وجود لها في بعض مخطوطات قديمة ، كما يشهد القديسان غريغوريوس النيصصي وايرونيموس . ونجيب : كان سبب هذا الاهمال النساخ وقد يكون صدر عن سهوٍ منهم . والا لما كان من باعث على اضافة هذه الاعداد (في الاكثرية الساحقة من المخطوطات) لو لم تكن لمرقس . وهذه الاعداد تجدها في كل النسخ القديمة ، وقد اقر بصحتها اقدم اباء الكنيسة (كالقديس ايريناوس وترتوليانوس والقديس اكليمنضوس والقديس

ايبوليطوس والقديس امبروسيوس ....) . ناهيك بكون خاتمة العدد الـ ٨ ترفع كل شبهة وارتياب من هذا القبيل . لانه من المستحيل ان يكون مرقس نختم انجيله بهذا الكلام : لانهنّ كنّ في حيرةٍ وضرب صفحاً عن ذكر اعظم خوارق المسيح التي هي القيامة المجيدة خلاصة كل ما تقدم وبرهان الوهية المسيح الساطع .

٣ً – اقسام ثاني الاناجيل .

اربعة اجزاء كبرى تؤلف هذا الانجيل مع ذيل معظمه تاريخي اليكها :

١ً – بدء رسالة المسيح في اليهودية (١؛١ – ١٣)
٢ً – اعماله في الجليل (١٤؛١ – ٩؛ ٥٠)
٣ً – ذهابه من الجليل الى اليهودية (١٠)
٤ً – الآلام (١١ – ١٦؛ ٨)

الذيل – ارسال الرسل الى العالم؛ صعود الرب الى السماء . فاعلية الارسالية الرسولية (١٦؛ ٩ – ١٦؛ ٢٠)

هذه هي اقسام انجيل مرقس اقصر الاناجيل الاربعة، الذي لا يتناول من تاريخ المسيح الا الحياة الظاهرة (العامة) فقط باسلوب دفاعي – جدلي مستنداً الى الاعاجيب والنبوآت الكبرى، التي اتاها وقالها سيد الكون في حياته البشرية على الارض . اما مسألة اتفاقية عدم الاتفاق بين انجيل متى وانجيل مرقس في بعض مواطن فنرجئها الى نهاية درسنا كل انجيل بمفرده . حيث نبسط الكلام في مسألة الاناجيل الاربعة بسطاً كافيا وافيا بالمرام .

وهنا نغادر هذا الاسد الانيس صاحب رسم الخوارق الكبرى !

☆ الفصل الثالث ☆

انجيل القديس لوقا

- (لوقا يعلم كون المسيح هو مخلص العالم اجمع) -

١ - لوقا

ولد في انطاكية (من غير ان نعرف سنة مولده بالتمام) على ما يستنتج من كتاب اعمال الرسل، الذي فيه يعطف صاحبه (لوقا) العطف كله على هذه المدينة (اعمال ٦، ٥) فضلاً عمّا يشهد به الاباء كاوسابيوس والقديس ايرونيموس . كان قبلاً وثنياً ارتدّ الى المسيحية بواسطة رسول الامم (كما يتحصل من رسالة بولس الرسول الى اهل كولوسي فصل ٤ عدد ١٠ حيث يميزه الرسول من اليهود). ومهنته الطب كما يوضح القديس بولس (كولوسي ٤، ١٤) وكما يتفرد لوقا نفسه بين الانجيليين بوصف الامراض التي ابراء المسيح الاعلاء منها وذلك بدقة وضبط تامين . وبعد ان اعتنق الدين المسيحي صحب معلمه بولس في اسفاره التبشيرية (تيموتاوس ٢، ٤، ١١ = ومعي لوقا وحده ؟ فيليمون ٣، ٢٤ = يسلم عليك ابغراس ولوقا معاوني). قال بعضهم : انه كان رساما رسم العذراء والدة الله، لكن القدماء لم يذكروا شيئاً من هذا . اما البلد التي بشر فيها فهي مصر وليبيا والصعيد (كما قال القديس ايفانيوس في بدعة ٥١) عدا تبشيره مع بولس الرسول . ويغلب على ظن الاباء انه عمر ٨٤ عاماً . واختلف في مكان موته ونوعية هذا الموت .

٢ً – ثالث الاناجيل في الميزان العلمي – الادبي

من الثابت ان لوقا هو واضع ثالث الاناجيل، ليس فقط بل وقد كتب سفر اعمال الرسل ايضاً . على انه قد بدأ بتسطير الانجيل مستنداً في كتابته هذه على الانجيلين السابقين وعلى تعاليم معلمه القديس بولس، وعلى بعض الرسل وخصوصاً على مريم العذراء (فيا اختص بطفولة المسيح كما اقر هو نفسه في فاتحة انجيله (١:١ و٢) وما يثبت انه بدأ بكتابة الانجيل قوله في بدء كتابه الثاني، اي كتاب اعمال الرسل : انشأت الكلام الاول يا تاوفيلوس في جميع الامور التي عملها يسوع .

ونحن هنا نتساءل عن هذا الكلام الاول ايكون غير الانجيل الذي كتبه اولاً وانتهى فيه الى صعود الرب الى السماء ؟ لا لعمري لانه حيث ينتهي الانجيل يبتدئ كتاب اعمال الرسل . وهما من نفس الروح والمبنى . وفرغ لوقا من تدوين اعمال الرسل في بدء سنة ٦٣ ميلادية، على ما يظهر من ان آخر اخباره فيه يتخذ حداً بلوغ بولس روما ؛ لرفع دعواه الى القيصر واطلاق سراحه . وقد حدث هذا عام ٦٣ . ولما كان الانجيل اقدم عهداً من كتاب اعمال الرسل تحتم ان يكون كتب قبل هذا العهد ببعض سنين .

قلنا : كاتب الانجيل الثالث لوقا . ويؤيد رأينا هذا :

١ً – القديس ايريناوس واوريجانوس وترتوليانوس واوسابيوس وغيرهم من الاباء خصوصاً الاباء الرسوليون كالقديس اكليمنضوس

الروماني والقديس اغناطيوس الانطاكي ، والقديس يوستينوس .
٢ً – هراطقة القرن الثالث للميلاد كبازيليد ومارشون وفالنتينوس
٣ً – اقدم المخطوطات اليونانية واللاتينية والسريانية . ٤ً – ثقافة
الكاتب العالية ، بنوع انه انشأ بانجيله هذا ، افصح كتاب من العهد
الجديد (تستثنى رسالة العبرانيين) . فيجمع هذا الانجيل ٢٠٨٠ كلمة
٢٦١ منها ليس لها وجود في كل اسفار العهد الجديد ، بينما يختص
بانجيل متى ١١١ من اصل ١٥٤٢ وبانجيل مرقس ٧٧ من مجموعة ١٥٢٩ .
٥ً – عدم استعمال الاصطلاحات اللاتينية . ٦ً – مهنة الكاتب الطبية
فالالفاظ الطبية في انجيل لوقا ٤٠٠ (مثلاً لوقا ٤، ٢٨ ؛ ٤، ٢٩) .
٧ً – وجوب اختلاط الكاتب مع بولس الرسول ، لأن ٧٣ لفظة استعمالها
مشترك بين الرسول بولس والقديس لوقا . لك المثل التالي :

لفظة	بولس	لوقا	اعمال	متى	مرقس	يوحنا	باقي الاسفار
مغفرة	٤	٣	٥	١	٢	٠	٠
البشارة الصالحة	٢٣	١٠	١٥	١	٠	٠	٥
الخلاص	٢٥	٤	٦	٠	٠	١	٩

وغيرها مما يريك اشتراك لوقا مع بولس اكثر من غيره باستعمال
الالفاظ (لوقا ٢٢ ، ١٨ – ٢٠ = الاولى الى اهل كورنتس ١١ ، ٢٣ – ٢٥)
كل هذا يؤيد كون لوقا هو الذي وضع ثالث الاناجيل .

اما موطن هذا الانجيل فقد تباينت فيه اراء العلماء تبايناً
عظيماً فمنهم من يقول انه كتب في اخائيا ومنهم من يقول انه

كتب في بلاد الرومان وغيرهم غير هذا . لكن الرأي الذي يغلب على الظن هو رأي العالم الاب هرمان جنسان البلجكي المرجح كتابته في كورنتس لان لوقا وجهه بنوع خاص الى رجل يدعى تاوفيلوس . وتاوفيلوس هذا من زعماء روما بدليل وصفه به وهو : ايها الشريف تاوفيلوس . وهذا اللقب كان يخلع فقط على الاحبار وعمال الاقاليم ومن هم من علية القوم الروماني . نعم ان هذا الرأي ليس بذات مناعة لكنه اقوى من غيره ...

وعلى ما يتضح من انجيل لوقا انه لم يكتب لليهود ، لان الواضع تحاشى تمام المحاشاة تسطير الفاظ سريانية في انجيله حتى تلك التي فاه بها المخلص على الصليب : الهي الهي لماذا تركتني (مرقس ١٥ ، ٣٤) بل انه (اي لوقا) يسمي الامكنة مشيراً الى ما تسمى بالعبرانية كقوله : اتى مدينة داود التي تدعى بيت لحم . ثم يقول في غير موضع : اتى مدينة تدعى الناصرة ... اذن يكون توجيه هذا الانجيل الى الوثنيين كما تبين ذلك تسميته الخوارج خطاة لا امماً كما دعاهم متى . ثم انفرد واضع هذا الانجيل بذكر كثير من الوثنيين الذين احسن المسيح اليهم : كاللص اليمين والابن الشاطر والمرأة الخاطئة ، وتفضيله العشار على الفريسي والسامري على الكاهن (لوقا ١ ، ٤٨ ؛ ١ ، ٧٩ ؛ ٢ ، ١٤ ؛ ٢ ، ٢٩ ؛ ٣ ، ٣ - ٦ ؛ ٣ ، ١٠ - ١٤ ؛ ٣ ، ٢٣ - ٣٨)

لكن بعضهم (كمرشون) انكر على لوقا كتابة الفصلين الاولين من انجيله بداعي كونهما يرويان اعاجيب خاصة ويشتم منهما رائحة الاصطلاح العبراني ، الغير المدرج عليه في انجيل لوقا .

هذا اعتراض بسيط لا نضطرب لدى مجابهته ولا نتضعضع عند الرد عليه.

لقد انكر مرشون هذين الفصلين لانهما يناقضان مزاعمه كما افاد القديس ايريناوس. اما مسألة الاستعمال العبراني في هذين الفصلين فناتج عن المصدر العبراني الذي اخذا عنه. ثم ان الاعاجيب ليس ما يستدعي نفيها، فهي ثابتة لا تنافي العقل ولا تناقض سير الشريعة الطبيعية لكونها تحدث بواسطة مبدع الناموس الطبيعي. ناهيك بوجود هذين الفصلين في كل المخطوطات القديمة، وبتأييد جمهور الاباء لصحتها. على ان المعترضين لم يقفوا عند هذا الاعتراض بل استنبطوا اعتراضاً ثانياً يهدم صحة ما جاء في العددين الـ ٤٣ والـ ٤٤ من الفصل الـ ٢٢ من انجيلنا هذا قائلين: ان قصة عرق المسيح الدموي وخبر الملاك الذي عزاه وشدده في انجيل لوقا (٢٢، ٤٣ و٤٤) لم يكن لهما من ذكر في عدة نسخ يونانية ولاتينية على حد ما شهد به القديس ايلاريوس (في الفصل الـ ٤٨ من كتابه الـ ٢ في الثالوث الاقدس)

يجاب على هذا ان تينك الفقرتين ذهبتا نسياً إما لاهمال النساخ اياهما وإما لان قوماً اسقطوهما عمداً لانهم خافوا (دون سبب موجب) إن ما هنالك من دلائل الغمّ والالم التي ارتداها كيان المسيح الانساني تلحق نقصاً بالالوهية. هذا فضلا عن ان هذه الرواية التي نحن الان في صددها، مثبتة في اقدم النسخ والترجمات. وقد ذكرها القديسون: ايريناوس ويوستينوس وايبوليطوس وفم الذهب واغوسطينوس (ايريناوس في ف ٣٣ من كتابه عدد ٣٣، ويوستينوس

في محاورته مع تريفون ؛ وايبوليطوس في ف ١٣ من كتابه ضد نوتوم : وفم الذهب في عظته الـ٤ على متى ، واغوسطينوس في توفيق الاناجيل) وغيرهم من الاباء والعلماء .

نشأ مؤخراً اعتراض على نشيد مريم العذراء المورد في الفصل الاول والعدد الـ٤٦ – ٥٥ وعلى صحة نسبه الى ام الله . يقول اصحاب المعارضة (تحت قيادة لوازي الكاهن الافرنسي المتطرف في ارائه الشاذة المغلوطة) : هذا النشيد هو للقديسة اليصابات ام المعمدان وليس لمريم ام المسيح . بدليل ان المخطوطات اللاتينية (a, b, l.) تضع مكان « قالت مريم » « قالت اليصابات » . ثم ان عدة مخطوطات يونانية ادرجت على نسق المخطوطات الثلاثة المار ذكرها

لكننا هنا نقاد باكثرية النسخ وباكثرية الاباء . والمعترضون انفسهم يعرفون ان مخطوطاتهم الثلاثة التي تذرعوا بها ليست بشيء ازاء عدد من المخطوطات يكاد يفوق عددها عشر مرات إن لم يزد ناهيك باكثرية الاباء الساحقة التي يجب ان تتغلب على كل رأي مخالف شاذ (كالقديس ايريناوس ٣، ١٠، ٢ . وترتوليانوس في كتابه» في النفس ٢٦ . واوريجانوس حول لوقا الخطاب الـ٧ والقديس امبروسيوس حول لوقا ٢، ٢٧) . ثم ان تلاوة هذا النشيد في المحل المذكور، لا يلائم الا العذراء مريم التي هي وحدها رفعتها جميع الاجيال (ولا كبر ولا لوم على البتول لقولها هذا لانها اقرت بمسكنتها وبان ارتفاعها هو من الله لا منها لذلك كان على المعترضين الاذكياء (ا) ألا يلصقوا بالكلية التواضع الكبر في هذا المكان لانها صرحت

بالحقيقة وبوحي علوي حتى ومرغمة دون رضاها الشخصي) . اما مسألة نسب المسيح والاحصاء الذي ذكره لوقا في الفصل الثاني من انجيله وباقي المسائل التي لا تتوافق (ظاهراً) بالنظر الى الاناجيل الثلاثة فندعها الى القسم الثاني الذي يعالج المسألة او المشكلة الانجيلية.

٣ً - اقسام الانجيل الثالث -

كتب متى انجيله ليثبت ان يسوع هو المسيح الموعود به وجاء مرقس بانجيله يقول : هذا المسيح هو ابن الله . على انهما لم يراعيا سياق الزمان في كتابتهم ولم يوفيا الموضوع حقه الى ان اتى لوقا بانجيله يتمم ما انقص الانجيلان السابقان من حوادث بل هو ذهب الى ابعد حد منهما اذ لم يكتفي بالقول ان يسوع هو المسيح الموعود به (كما دأب متى) وانه ابن الله (كما رمى مرقس) بل زاد بان نادى بالمسيح مخلصاً لجيع الامم، فضلاً عن انه ذكر من تاريخ المسيح ما لم يأت على ذكره متى ومرقس . ولنا الان ان نجزئ انجيل لوقا الى اربعة اجزاء كبرى هي الآتية :

١ - تاريخ طفولة المسيح والاحداث الدنيوية التي جرت في ذلك الحين (لوقا ١ - ٢)

٢ً - التهيئة لوظيفة المسيح العامة (١،٤ - ١٣)

٣ً - الوظيفة العامة (١٤،٤ - ٢٧،٩)

٤ً - نهاية الوظيفة العامة (١٩،٢٨ - ٢٤،٥٣)

على ان لوقا من ناحية التدقيق في سرد الحوادث واتباع ترتيب الزمان يكاد يكفي انجيله للوقوف عن ما تمّ ايام المسيح وما صنع

هذا الاخير، دون اي احتياج الى متى والى مرقس، نعيد : أن هذا من ناحية الدقة التاريخية وتتبع سير الزمان. للوقا ايضاً مزية ثانية هي فصاحة كتابته وانسجاها وسهولتها وخلوّها من التعقيد ان لفظياً او معنوياً، حتى انه يمكن البت بكون لغة ثالث الاناجيل (عدا كتاب اعمال الرسل ورسالة العبرانيين) افصح من لغة كل ما كتب باليونانية من اسفار العهد الجديد على الاطلاق.

☆ الفصل الرابع ☆

انجيل القديس يوحنا

(التلميذ الحبيب يصيح : الكلمة هو اله من اله منذ البدء وقد لبس الجسد فبات مثلنا في الانسانية ليضحي لنا طريقاً وحقاً وحياة في نور ساطع (؟!–)

١ – يوحنا

اصغر الرسل سناً ولكنه اعظمهم حكمة وبرارة بل اسماهم طهارة، فكان على مطهار معلمه الفادي. لذلك استحق ان يتكيَّ على صدره اثناء ذلك العشاء العظيم وان يراه قبل بطرس، بعد القيامة وقت كانا سائرين الى بحيرة طبرية للصيد مع بعض من التلاميذ، وان يوكل اليه امر ام الله مريم العذراء الكلية الطهر سيدة العالمين. كان ابواه زبدى وصالومي وولد في بيت صيدا وبعد ان شبّ

عن الطوق تبع مهنة ابيه (الصيد) . اما حكاية تتلمذه ليوحنا المعمدان قبلاً فليس لها من حجة راهنة . وحين دعاه الرب مع اخيه ليتبعاه تركا كل شيء ولحقا به الى آخر حياتهما . وقد سماهما المسيح ابني الرعد (لعله لشدة غيرتهما وعظم ايمانهما) . على ان يوحنا اشار الى ذاته في انجيله انه التلميذ الذي نال عطف المسيح ومحبته اكثر من جميع الرسل . لاجل هذه المحبة سألت ام يوحنا المسيح جلوس ابنيها الواحد عن يمينه والآخر عن يساره في ملكوته . كان يوحنا دائماً مع التلاميذ الذين كان المسيح يختارهم لغايات خصوصية كالصلاة في البستان والتجلي على الطور ، بل شاء المخلص ألا يتبعه الى جبل الجلجلة من رسله إلا يوحنا . اذن لقد خص يوحنا بكثير من العطف دون غيره من اخوانه الرسل . على ان بطرس شعر بميل المسيح الى يوحنا وشاء استكشاف رأيه (المسيح) فيه (يوحنا) فسأله : وما يكون لهذا (؟) فاجاب يسوع : إن شئت ان يثبت هذا الى ان اجيء فماذا لك اتبعني انت . وقال يوحنا في انجيله تعليقاً على هذا الخطاب وما جره من الذيول بين التلاميذ : وذاعت تلك الكلمة فيما بين الاخوة ان ذلك التلميذ لا يموت ويسوع لم يقل انه لا يموت بل ان شئت ان يثبت الى ان أجيء فماذا لك (يوحنا ٢١ ، ٢٠) . وبعد حلول الروح القدس على التلاميذ ذهب بطرس ويوحنا الى الهيكل فابرأ المخلع (اعمال ٣ ، ١) فكانت هذه الاعجوبة سبباً لالقاء الرسولين في السجن ، وإن يكونا اخرجا منه في اليوم الثاني (اعمال ٤ ، ٣) لكنهما ما لبثا ان اعيدا اليه مع باقي الرسل لعدم تركهما

التبشير بالمسيح، كما حتم عليهما زعماء اليهود. اما في هذه المرّة فقد تولّى الله امر نجاتهم (كل الرسل) وارسل ملاكه فحطم قيودهم وكسر اقفالها ثم اخرجهم من السجن. فعاد الرسل يذيعون اسم يسوع في الهيكل كما كانوا يفعلون قبلاً، لكنّ اليهود اطبقوا عليهم وجلدوهم محذّرين عليهم العودة الى التكلم عن المسيح ثانية. بعد هذا كان حظّ بطرس ويوحنا من البشارة السامرة حيث كان عليهم تثبيت من كان فيلبس الشماس ردهم الى الايمان وعمدهم وظن بعضهم ان يوحنا مضى يبشر البرتيين، لكن الرأي الاوجه هو ان هذا الرسول استقر في اسيا واقام مدة طويلة في افسس مصحباً معه امه الجديدة مريم العذراء الى هنالك. وذكر القديس ايرونيموس (في كتابه. ضد جوفنيان ك١ رأس ١٤) وترتوليانوس (في كتابه: في سقوط دعوى الهراطقة فصل ٣٦): ان الامبراطور دوميطسيانوس نفى القديس يوحنا الانجيلي الى روما حيث القوه في وسط قدر زيت يغلي، فلم ينل الرسول منه اي اذى (وذلك عام ٩٥ مسيحي وقت اثار الامبراطور المذكور على الكنيسة اضهاداً جديداً) ثم نفي الى جزيرة بطمس وهناك كتب سفر الرؤيا. إلا ان الرسول عاد من منفاه بعد وفاة دومطسيانوس، وذلك بامر اصدره الامبراطور الجديد نرفا لاعادة المنفيين الى اوطانهم (عام ٩٧ م.)، فلاقى اساقفة اسيا مع الشعب رسولهم بالترحاب وطلبوا اليه وضع انجيل استناداً الى معارفه الشخصية بالمسيح. فنزل الرسول عند هذا الطلب بعد ان فرض عليهم صلاة وصوماً، وظهر رابع الاناجيل الى الوجود

حاملًا للكون كل الهي في اقنوم الكلمة، سيد الكون وفادي البشرية . وبهذا الانجيل اختزت كل بدعة تناهض الدين المسيحي القويم . وعمر يوحنا طويلًا الى درجة وهنت فيها قواه الطبيعية وما عاد يمكنه حضور اجتماعات المؤمنين في اسقفيته فكان التلاميذ (تلاميذ يوحنا) يحملونه الى تلك الاجتماعات التي فيها كان يقتصر على هذا القول : ابنائي فليحب بعضكم بعضاً . اما هم فقد سئمت نفوسهم هذا التكرار ولحظ الرسول عليهم هذا السأم فقال لهم : هذه هي وصية الرب، فان حفظت كفت . وانسل من هذه الحياة عام الـ ١٠٠ كما افاد القديس اغوسطينوس (خطبة ٢٥٣) . لكن اختلافاً وقع على تحديد عمره بين ان يكون من الـ ٩٤ الى ١٠٦ او الى ١٢٠ . ودفن في افسس (القديس ايرونيموس في كتابه : مشاهير الرجال ٩) . وروى احدهم : ان جبل بريون القائم بجانب افسس كان محجاً لمسيحيي الاعصر الاولى لاحتوائه على ضريحي تيموتاوس ويوحنا الرسول . هذا الرسول هو واضع الانجيل الرابع الجدلي المعتقد

٢ – انجيل يوحنا ومسائله العلمية .

الالوهية ارتفاع بلا نهاية وليست ككل ارتفاع تأخذ مبدأها من العمق بل هي دون ارتكاز الى اي وطوء ا هي جوهر صاف يأبى الامتزاج بكل ما هيولي، ويتنزه عن الاعراض الطارئة ! هي الماثلة بما هو بعيد عن العدم ان قيس العدم بطرق الحواس الظاهرة ! هي رابطة الوجود بالعدم او العدم بالوجود، فلولاها لما وجد

اتصال بين هذين النقيضين . وبفعل ابداعها انشأت هذه اللحمة، ان جاز هذا التعبير، او الرابطة التي لولاها لما كان للالوهية وجود (١١١).

هي الوجود المطلق بل هي جوهر هذا الوجود حتماً ! هي جوهر الحياة بجزئيها العقلي والعاطفي، بل قد ضربت قياس هذين الجزئين الاقصى، بنوع انها باتت كائناً، وهي عاقلة وعاطفة، ليست من قياس ما نفهمه عاقلاً ومیالاً لتنزه هاتين الدائرين عن المادة ولامتزاجها بهذه الاخيرة !

ولهذا وغيره من الاسباب يتعذر على المركب (الانسان) ان يكون فكراً صحيحاً كاملاً لغير المركب (الاله) الا بواسطة غير المركب (الاله) وبميل كلي الى عالم الروح بعد تملصه من قوى المادة ومفاجآتها التي تذهب بالعقول الى البله والانحطاط من مراكزها السامية (١).

لما كان ذلك كذلك حاول غير واحد وصف الالوهية او الاله (ان

---

(١) عندما يحاول احد العلماء اكتشاف احد العناصر الاولية يلتزم باعداد آلاته الدقيقة بل الكلية الدقة المصنوعة من المادة، وحصر كل قواه وما له من المجهود في رصد هذا العنصر، بعد ان يكون فقه خواص المادة ومزاياها الجوهرية . وهكذا يصنع لاكتشاف الروح المجردة، فيتحتم اولا درس خواص الروح ومزاياها الجوهرية (وهذا فوق استطاعة المادة بكثير) وجلب الآلات الدقيقة (التي يجب صنعها من الروح والتي ليست سوى الاستغراق في الالوهية) ورصد هذا العنصر الروحي (الذي هو نتائج الاستغراق في الالوهية) . اذن بوجيز الكلام تقتضي قداسة سامية لمن يرغب في الاطلاع على بعض المزايا الالهية بواسطة العون الالهي .

شئت) وكان بين ان يطاله وهو ما لا سبيل اليه ، دون سبق تجرّد تام عن المادة ، فاخفق في عمله هذا الاخفاق كله ، الى ان شاءت الالوهية ان تأخذ بيد شخص ضعيف (من جهة الطبيعة الانسانية) فنصرته على المادة وجنحته باجنحة العفاف الذي لا يستقر على هذه الارض القذرة ، فاصبح كالنسر يرتفع الى ان تناول من الاله المتأنس بعض الصفات عن الجوهر الالهي فسطرها في كتاب خرج محور العقيدة المسيحية الوحيد !

مع هذا لا يخلو الامر من بعض اناس اعترضوا على حقيقة نسبة رابع اناجيلنا الى يوحنا الرسول ، وعزوه الى يوحنا آخر يُدعى الكاهن (؟) باستنادهم الى قطعة من احد كتب المدعو باپياس (وهذا الكتاب يتحصل عهد كتابته بانه ما بين ١١٧ – ١٣٨ لانه وضع ايام ادريانوس قيصر) . وفي هذه القطعة يذكر بابيا اسم يوحنا بعد يعقوب وقبل متى ، ثم يذكر الكاهن يوحنا اخيراً بعد ارستيون . لهذا نتجوا وجوب التمييز بين يوحنا الرسول ويوحنا الكاهن المنسوب اليه رابع الاناجيل .

نحن لا ننكر ذكر يوحنا مرتين في هذا المحل ، على انه من الواجب التسليم بابهام هذا الموطن . والحقيقة ان يوحنا الكاهن يجب ان يكون نفس يوحنا الرسول (على ما في رسالتيه الثانية والثالثة) وكثيراً ما كان لقب كاهن يخلع على الرسول ، طبق ما ارتأى القديسان ايريناوس واكليمنضوس الاسكندري . ثم نقول : ان لم يكن صاحب هذا الانجيل يوحنا الرسول فمن ما تُرى يكون ؟

هل يوحنا غيره ؟ ولكن يجب ان تتوفر فيه صفات كاتب هذا الانجيل : اولاها وجوب كون الواضع يهودياً لاستعماله الالفاظ العبرانية والارامية في انجيله [مثل ربي : ١، ٣٨ ؛ المسيح ١، ٤١ ؛ الصفا ١، ٤٢ ؛ شيلوحا ٩، ٧ ؛ اوصنا ١٢، ١٣ ؛ ابن الهلاك ١٧، ١٢ ؛ اولاد النور ١٢، ٣٦ الخ .]

وثانيتها وجوب كونه (الواضع) يهودياً فلسطينياً (لك المواضع ؛ ٣، ٢٣ ؛ ٤، ٥، ٦، ١٠، ٢٣ ؛ ١١، ٥٤ ؛ ١٨، ١ الخ) .

وثالثة هذه الصفات ، هي وجوب كون الواضع كان شاهدا عياناً لما كتب (شاهد : ١، ٢٩، ٣٥ ؛ ٢، ١ ؛ ٤، ٦، ٥٢ ؛ ٦، ١٩ ؛ ٨، ٢٠ ؛ ١٤، ٢٤ الخ) . ورابعة هذه المزايا في الواضع هي كون هذا الاخير انخرط في مدرسة الرسل (١١، ١٦ ؛ ١٤، ٥ ؛ ٢٠، ٢٥، ٢٨ ؛ ٦، ٦٨ ؛ ١٣، ٦ – ٩ ؛ ١٨، ١٨ ؛ ٢٠، ٢ ؛ ٢١، ٢ ؛ ٦، ٩ ؛ ١٤، ٢٢) . وخامستها توجيه الانجيل لغير سكان فلسطين (١، ٣٨ ؛ ٢٠، ١٦ ؛ ٩، ٧ ؛ ١٩، ١٣) . اما سادسة هذه الصفات فهي ان الكاتب كتب هذا بعد زمن (٢١، ١٩ ؛ ١١، ١٨ ؛ ١٨، ١ ؛ ١٩، ٤١)

من هذه الدلائل نستخلص : يجب ان يكون الواضع رسولاً حتماً . والحال لا يمكن ان يكون بطرس (للتنويه بموته في ٢١، ١٩ يوحنا) ولا يعقوب (الذي رقد بالرب حوالي عام الـ ٤٤)، اذن يجب ان يكون يوحنا، الذي يجمع كل التقليد على الاعتراف به . ومن ناحية ثانية لم يذكر في الانجيل لا يوحنا ولا يعقوب اخوه (عدا مرة واحدة فقط وذلك في الفصل الـ ٢١، ٢، حيث نقف على ذكر

ابني الرعد) بينما اسماء باقي الرسل تتوارد مراراً (كبطرس ٣١ مرة واندراوس ٥ مرات، وفيلبس ١٢ مرة، وتوما ٨ مرات: ثم نتنائيل ويهوذا وتداوس ويهوذا الاسخريوطي يذكرهم هذا الانجيل غالباً. هذا عدا ٢٠ مرة يؤتى فيها على ذكر القديس يوحنا المعمدان) اذن لا يكون الواضع غير يوحنا الرسول الذي اجمع التقليد عليه.

وقولنا هذا در على مزاعم الألوج المنكرين على يوحنا كتابة رابع الاناجيل مع الرؤيا ايضاً. فهؤلاء الكفرة يرذلون الاعتقاد بالروح القدس وينزعون الالوهية عن شخصية الكلمة (واللفظة اليونانية « A logos » تعني ضد الكلمة، او اقصاء الكلمة. ويريدون بهذه الكلمة الكلمة الالهية ابن الله. الاقنوم الثاني بحسب تعريف القديس يوحنا الانجيلي: في البدء كان الكلمة والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة؛ يوحنا ١، ١..) لذلك لاقوا كل صدم عنيف سواء من الكنيسة، كالمجامع الاولى، اومن الاباء كالقديس ايفانيوس (في كتابه: تاريخ الهرطقات ٥١، ٣؛ او في مجموعة الاب مينه للاباء اليونان M G مجلد ٤١ عامود ٨٩٠ والتابع) والقديس فيلاستريوس (في كتابه تاريخ الهرطقات ٦٠؛ او في مجموعة الاب مينه لاباء اليونان مجلد ١٢ عامود ١٧٤ والتابع) وغيرهما، فضلاً عن شهادة كتاب قديم هو من الاهمية بمكان اكتشف في رومية، ويرتقي عهده الى القرن الثاني للميلاد ويعرف بلائحة (موراتوريانو). فهذا الكتاب يصرح في الكتاب الـ ٩، ١، ٢٢ ما يلي: واضع الانجيل الرابع هو يوحنا التلميذ، يوحنا الرسول.

يزيد ما تقدم قوة وتأييداً شهادة ايريناوس (١٨٤ - ١٨٩ م.)
في بدء كتابه الثالث ١، ٤ من مؤلفه المعنون بـ - « ضد الهرطقات »
القائل : بعدئذٍ يوحنا ، تلميذ الرب الذي اتكأ على صدر هذا الاخير ،
هو نفسه وضع انجيلاً ، وقت كان مقيماً في افسس ، احدى مدن
اسيا (انظر مجموعة مينه لاباء اليونان مجلد ٧ عامود ٨٨٥)

وفوق ذلك واكثر مما تقدم تأييداً لنسب هـذا الانجيل الى
القديس يوحنا الرسول شهادة القديس يوستينوس (١٥٠ - ١٥٥ م.)
المسطرة في اول محاماته عن المعتقد المسيحي .

موطن هذا الانجيل مدينة افسس ، كما قال القديس ايريناوس
وكثيرٌ غيره من الاباء الاقدمين . اما لغته فهي اليونانية ، لكونه
موجها الى مؤمني اسيا ، حيث كان يقيم عدة هراطقة [ككيرنتوس
وابيون وفالنتينوس الذين كانوا يجحدون لاهوت الكلمة ، وينكرون
عليه كثيرا من الاقوال والاعمال التي طوى الانجيليون الثلاثة ،
كشحاً عن ذكرها وجاءهم بها يوحنا . فما كان منهم تجاه هذا الانجيل
الأ النظر اليـه نظرة الوحوش الضارية الى فريستها متربّصة ان
تمزقها ببراثنها (١) . وعلى ان هـذا الانجيل صمد لهم صموداً
هائلاً الى ان تلاشوا من ذات نفسهم دون ان يناله منهم اي منال
بعد ان كانوا في اجتماعاتهم وخلواتهم يدمدمون ويتبرّمون ويحرقون
الأُرَّم غيظاً !] ولغة اسيا في ذلك الحين كانت اليونانية .

اراد الرسول من كتابة هذا الانجيل اثبات الوهية المسيح كما
يتضح من الفصل الـ ٢٠ والعدد الـ ٣١ من هذا الانجيل : إنما كتب

هذا لتؤمنوا بان يسوع المسيح هو ابن الله الحي ولكي تكون لكم، اذا آمنتم، الحياة باسمه. وسدّ نقص الاناجيل الاولى الثلاثة، على حد ما قال اوسابيوس والقديس ايرونيموس، لدى مقابلتها الاناجيل الثلاثة بانجيل يوحنا.

اذا عارضنا بايجاز انجيل يوحنا بالثلاثة الاناجيل الاولى بان لنا ان رابع الاناجيل يفترض الثلاثة الاولى التي سبقته، خلا بعض حوادث كرّر ذكرها لاتصالها المتين بما اضيف عليها في رابع الاناجيل وانه (رابع الاناجيل) يذكر الشيء الكثير من الاقوال والاعمال التي اتاها المسيح وغفل عن التصريح بها الانجيليون السابقون [مثلاً: حوادث الايام الاولى لتبشير المسيح حتى اليوم الذي فيه قبض على المعمدان، وبعض اسهاب في قصة آلام المسيح وموته وقيامته. ومَن الذي اضرب يوحنا عن ذكره حادث الشيطان الذي اقر بلاهوت المسيح في مجلس كفرناحوم، واقرار شياطين بقعة الجرجسيين بلاهوته ايضاً، رغم ان يوحنا كان شاهداً عيانياً لهذين الحادثين (متى ٨، ٢٩؛ مرقس ١، ٢٩؛ ٥، ٧ - ٣٧؛ لوقا ٨، ٢٨ - ٥١) ثم تجلي الرب (متى ١٧، ١ ، لوقا ٩، ٢٨)، واعتماده من يوحنا وشهادته لقيافا واعتراف بطرس ونبوءة الخراب على اورشليم، وما اليها من الحوادث التي صمت عنها يوحنا مع انه كان شاهد الحال لها ولم تخالف هدف انجيله، فهذا يشير الى ان يوحنا رمى الى غاية سد خلل الاناجيل الثلاثة السابقة وقد كرر بعض المرار ذكر حوادث وتعاليم اقتضت الحال لهذا التكرار اما لاتصالها بما يسد خلل باقي

الاناجيل واما لاهميتها العظمى كقصة الالام والقيامة، اذن لم يكتب يوحنا انجيله إلاّ بعد ان كتب متى ومرقس ولوقا اناجيلهم].

ينتج من هذه المعارضة الوجيزة كون انجيل مرقس خرج تتمة لانجيل متى كما ان انجيل لوقا اتمها . اما الانجيل الرابع فقد نشأ ساداً كل نقص بدا في الاناجيل المتقدمة .

هنا . نفسح المجال لاصحابنا المعترضين (ولهم في كل عرس قرص وليس من العسل ...) فهاك سربهم الشَّرِق (١) يهاجم الحقيقة من دون روية ولا احترام فيصادم بشدة مناعةَ حقيقةِ حادث المرأة الزانية (يوحنا ٨، ١ – ١٢) قائلاً : هذه القصة هي محض اختلاق، لان قسماً من المخطوطات القديمة (مثل A.B.C.L.T.X) يخلو منها تماماً كما ان قسماً كبيراً من اباء الكنيسة اليونانية يتخطونها دون ان يشيروا اليها ؛ كاوريجانوس، وفم الذهب، وكيرلس الاسكندري وكبريانوس وباسيليوس، هذا فضلاً عن خلوّ النسخ السريانية منها .

نجيب : ولكن القسم الاكبر من المخطوطات يثبتها خصيصاً اقدم النسخ اليونانية واشهرها، بل انه من ١٧ كتاباً خطياً قديماً كتاب واحد فقط لا يتضمنها (كما قال بيز) ناهيك بوجودها في كل النسخ اللاتينية وفي الترجمة العربية، وقد تكلم عنها امونيوس والقديسان فم الذهب واغوسطينوس وكل اباء الكنيسة السريانية كالقديس يعقوب والقديس افرام . مع ذلك يطيب لنا ان نعلل عدم وجودها في تلك النسخ : فالقسم الكبير من المسيحيين في ذلك العهد، لفرط

---

(١) الممتلئ غضباً والمتسرع .

ورعهم (كما لحظ القديس اغوسطينوس) ظنوا أن مثل الزانية لم يكن يقرأ في الكنائس ضنا بعفاف النساء او يجدن سبيلاً للمعذرة متى سقطن دون ان يبالين بهذا السقوط . وغيرهم كانوا يخشون اتخاذ الامم لهذه القصة ذريعة ووسيلة للطعن على المسيحية واتهامها باجازة المنكر . لهذا اقتصروا في بادئ الامر على وسم تلك القصة بسمة خاصة ، افضى بهم المجال الى اسقاطها من النسخ التي كانت تتداول في القراآت العامة ، وما عتم ان صار ذلك الاسقاط طريقة جارية يحتذى بها في باقي المخطوطات .

يستأنف سرب المعترضين اعتراضاتهم موجهينها الى موضع آخر من انجيل يوحنا (٥، ٣ – ٤ يوحنا) متعللين بعدم وجودها في بعض مخطوطات (مثل LC'BA' وغيرها)

ونحن نرد قائلين : لكن هذه الفقرة نراها في القسم الاكبر من المخطوطات (c, b, a. VUMKHGFE ... وغيرها) يدعم هذا تأييد الاباء لهذه الفقرة ليوحنا الرسول ، من ترتوليانوس (في كتابه ؛ العماد ٥ :) الى امبروسيوس ، الى اغوسطينوس الى ... حتى اكثرية العلماء الحديثين تميل بارتياح وسرور لتأييد صحة (قصة بركة المياه المشار اليها) هذه الفقرة ليوحنا الرسول . عدا هذا ، فلو اقصينا العدد الثالث (٥، ٣ يوحنا = وكان مضطجعاً هناك جمهور كثير من المرضى من عميان وعرج ويابسي الاعضاء ينتظرون تحريك الماء .) من الفصل الخامس للبس الابهام العدد السابع (٥، ٧ يوحنا = فاجاب السقيم : يارب ليس لي انسان اذا تموّج الماء يلقيني في البركة ، بل

بينما اكون متقدماً ينزل قبلي اخر .) وبات المعنى متقطعاً متضعضعاً . اما عدم وجود هذه الفقرة في بعض المخطوطات، فيفسر إما بسكوت التاريخ عن ذكر المكان والحادث وإما بان تلك القوة (الكامنة في الماء وبها يشفى المرضى) كان يُظن بها انها طبيعية (معدنية او غير ذلك) لتلك المياه .لهذا لازمت الصمت بعض النسخ (القليلة) حيال هذه القوة العجائبية .

يبلغ المعترضون الآن الفصل العشرين من انجيل يوحنا فيسددون اليه السهام كمرمى او هدف وجب تمزيقه بكامله (ا) متعللين وزاعمين : ان انجيل يوحنا ينتهي بنهاية الفصل العشرين، وما يأتي بعده مضاف اليه

نجيب : قد يكون ان يوحنا انهى انجيله في الفصل العشرين، لكن هذا لا ينفي كونه اضاف اليه فيما بعد فصلاً آخر هو، ال ٢١ . ويجب ان يكون هذا ؛ لان النسق فيه وفيما قبله هو اياه من جهة المبنى ومن جهة الروح، اذ النسج واحد واللهجة ذاتها واللغة نفسها (لك المثل : محبة الكاتب للقديس بطرس ترى صورتها كما في الفصول السابقة كذلك في الفصل ال ٢١) والحياة لا تتغير ولا تتبدل .

يتابع المعترضون : العدد الثالث والعشرون من الفصل الحادي والعشرين ينبيء بموت الرسول (؟ ..) .

نردّ : كلا ؛ لان يوحنا نفسه، بل اي شخص آخر ؛ عندما يسمع من المسيح : اذا شئتُ فما لك (لبطرس) ؛ يمكنه ان يشرحها بالعلاقة بمشيئة المسيح لا بعدم موته على الاطلاق . فيوحنا سمع المسيح يقول لبطرس عنه : إن شئت فيبقى، وسمع ايضاً من

التلاميذ ان تلك الاية دخلت اذهانهم بصورة مخطئة فشاء التلميذ الحبيب ان يشرح معناها فقال : ولم يقل يسوع انـه لا يموت بل ان شئت ان يثبت الى ان اجي فماذا لك ؟ .

اذن كتابة هذه الاية لا تستدعي موت الرسول حتماً .

يلحق المعترضون بما تقدم : ان يوحنا قد استعمل في العدد ال ٢٤ من الفصل ال ٢١ ضمير المتكلم مجموعاً (= وقد علمنا =)

ليس هذا باعتراض صامد ، إذ استعمال ضمير المتكلم في حالة الجمع كثيراً ما ادرج عليه الكتبة والمؤرخون (لك ان ترى المجلد الاول من تأليفنا هذا : في مسألة كتب موسى) حتى يوحنا نفسه استعمل هذا الضمير في غير موضع من مؤلفاته (رسالته الاولى ١ ، ١ - ١٠) .

يختمون اعتراضاتهم على انجيل يوحنا بهذا :

ان ما جاء في العدد الـ ٢٥ من الفصل الـ ٢١ غلو عظيم اذ قيل فيه : واشياء اخر كثيرة صنعها يسوع لو انها كتبت واحدة فواحدة لما ظننت ان العالم كله يسع الصحف المكتوبة .

نقول : هذا الغلو من الطرق المستعملة في الكتابة عند اهل المشرق باجمعهم (اقرأ يوحنا ١٢ ، ١٩ = ان العالم قد تبعه ، وسفر التكوين ١١ ، ٤ وسفر العدد ١٣ ، ٤ الخ ...) .

اما زمان كتابة رابع الاناجيل فكان عام الـ ١٠٠ ، طبقاً لرأي لائحة موراتوريانو القائلة : ... وهذا الانجيل (الرابع) قد كتب في اسيا بعد ما كتب سفر الرؤيا في جزيرة بطمس . واذا عرفنا ان

يوحنا رجع من منفاه (من بطمس) في ابتداء حكم نرفا الامبراطور (بين سنة ٩٦ - ٩٨)

واذا سلمنا برأي القديس ايرونيموس في موت الرسول يوحنا في العام الـ ٦٨ بعد آلام المسيح ؛

يكون انجيلنا هذا (حسب لائحة موراتوريانو) خرج الى الوجود سنة الـ ١٠٠ مسيحية . لانـه : ١ً تكملة الاناجيل السابقة ٢ً يقدم للقاريء رسم العبادة المسيحية اليومية (التي تمت في اواخر القرن الاول ، ٣ً ينوه بخراب اورشليم وبتلاشي المملكة اليهودية ٤ً يصور الشعب اليهودي كشيعة دينية عدوة للدين المسيحي .

لهذا الانجيل ثلاثة اهداف : ١ً هدف اعتقادي كما المعنا سابقاً (لك ان ترى يوحنا : ٢، ١٧ ؛ ٣، ١٤ ؛ ٣، ١٨ ؛ ٥، ٢٢ - ٢٦ ؛ ٨، ٥٨ ؛ ٩، ١٦، ١٥ ؛ ١٠، ٣٠ ؛ ١٤، ٦ ؛ ١٥، ٥، ٢٦ ؛ ١٧، ١٠، ٢٢ ؛ ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٦ ؛ ٢٠، ٣١ ...) ٢ً هدف دفاعي - جدلي ، لان الغاية من كتابته هي سحق الاضاليل المتفشية في ذلك الحين (كالنيقولاويين والابيونيتيين وغيرهم) . ٣ً وهدف تاريخي لتكميل الاناجيل السابقة كما ذكرنا آنفاً استناداً الى اراء الاباء (كاوسابيوس ؛ التاريخ الكنسي ٣، ٢٤، ٧ والتابع ؛ والقديس ايفانيوس ، تاريخ الهرطقات ٥١، ١٩ ؛ والقديس ايرونيموس ، مشاهير الرجال ٩) والى كلام هذا الانجيل نفسه (يوحنا ٢، ١٣ ؛ ٥، ١ ؛ ٧، ١٠ ؛ ١٠، ٢٢ ؛ ١٢، ١ - ١٢ ؛ ١٣، ١ ؛ ١٨، ٢٨)

قد التزم القديس يوحنا في انجيله هذا ترتيب الحوادث باوقاتها

وتعيين الازمنة والسنين والاعياد، اخصها اعياد الفصح التي فيها، على ما يبان، اعلن لاهوت المسيح مثبتاً اياه بالبراهين الواضحة القاطعة، وكشف اغمض الاسرار (كسر الاوخرستيا).

يتفرد يوحنا بذكر اعمال المسيح في اولى سني بشارته (كآية قانا الجليل، والاعتماد من يوحنا، وذهاب نيقوديموس اليه ليلاً) ثم يذكر ميلاده الالهي الازلي بقالب يكاد يطال العقبان ويبلغ السماء سمواً كأنه النسر سيد الطيور : في البدء كان الكلمة ..

بينما سائر الانجيليين اقتصروا غالباً على تسطير الحوادث التي وقعت للمسيح بعد أن ألقي القبض على يوحنا المعمدان.

بهذا يقوم الفرق بين انجيل يوحنا وباقي الاناجيل الثلاثة الاولى

٣ً – اقسام الانجيل الرابع –

قسمه بعضهم (منهم روفيني) الى توطئة وتاريخ وظيفة المسيح الظاهرة وذيل.

١ً التوطئة – الكلمة هو الله مبدع الاشياء كلها حياة ونور الناس (١، ١ – ٥) ارسالية السابق (يوحنا المعمدان) وارسالية يسوع المسيح، الكلمة التي صار جسداً (١، ٦ - ١٨).

٢ً وظيفة المسيح العامة.

١ً – من تبشير المعمدان الى تأسيس الاوخرستيا (١، ١٩–١٢، ٥٠)

الشهادات

١ً شهادات المعمدان (١ : ١٩ - ٣٧)
- امام اعضاء المجمع
- امام الشعب
- امام اندراوس ويوحنا

٢ً شهادات التلاميذ (١ : ٣٨ - ٥٨)

٣ً شهادة الاعجوبة الاولى (٢ : ١ - ١١) في قانا الجليل.

الحوادث المصنوعة (٢ : ١٣ - ١١ : ٥٧)

١ً بين السامريين ٤ : ١ - ٤٢

٢ً بين اليهود
- طرد الباعة من الهيكل ٢ : ١٣ - ٢٥
- مكالمة مع نيقوديموس ٣ : ١ - ٢١
- شهادة المعمدان الاخيرة ٣ : ٢٢ - ٣٦

٣ً بين الجليليين ٤ : ٤٣ - ٥٤

٤ً بين امم مختلفة كان اليهود يقاومون المسيح
- يسوع هو ينبوع وخبز الحياة الابدية (٥ - ٦)
- يسوع هو ينبوع الحقيقة ونور العالم (٧ - ٩)
- يسوع هو ينبوع المحبة (١٠ - ١١)

الاحكام ١٢ ، - ٥٠

١ً حكم البشر ١ - ٣٦
- تعبد مريم اخت لعازر ١ - ٨
- حقد روساء الكهنة ٩ - ١١
- هتاف الشعب الحي ١٢ - ١٨
- اغتام الفريسيين ١٩
- رغبة الامم في روئية يسوع ٢٠ - ٣٣
- ارتياب الجموع فيه

٢ً حكم الانجيلي فيه ٣٧ – ٤٣

٣ً حكم المسيح نفسه ٤٤ – ٥٠

٤ً من العشاء الاوخرستي حتى القيامة المجيدة ١٣، ١ – ٢٠، ٣١

ا – يسوع المسيح في العشاء الاخير اظهر لاهوته ومجده بخطب رفيعة سامية شائقة جذّابة ١٣ – ١٧	١ً غسل ارجل تلاميذه وحضهم على الاتضاع ٢ً أثار فيهم المحبة المتبادلة ٣ً وشرح وجوب اتحادهم به ٤ً وعده اياهم بارسال الروح القدس ٥ً يصلي لاجله، ولاجل التلاميذ، ولاجل الكنيسة الجامعة .

ب – يسوع يوضح آلامه وموته وقيامته ١٨ – ٢٠

٣ً الذيل هو الفصل الحادي والعشرون من انجيل يوحنا	١ً ظهور يسوع للتلاميذ على بحيرة طبرية ١ – ١٤ ٢ً اعطاء رئاسة الكنيسة لبطرس ١٥ – ١٧ ٣ً نبوّة عن كيفية موت بطرس ويوحنا ١٨ – ٢٢ ٤ً التفسير الكاذب حول كلام المسيح في يوحنا وتصحيح هذا التفسير ٢٠ – ٢٣ ٥ً الخاتمة

ولدينا تجزئة اخرى جغرافية مرتبة حسب الزمان ننقلها كما نقلنا السابقة عن العلامة روفيني :

الوظيفة في اليهودية ١، ٣٥ – ٥١

الوظيفة في الجليل ٢، ١ – ١٢

الوظيفة في اليهودية في زمان الفصح ٢، ٣ – ٣، ٣٦

الوظيفة في السامرة والجليل ٤، ١ – ٥٤

الوظيفة في الجليل من وقت قبل العيد (الفصح) لغاية عيد المظال ٥، ١ – ٧، ٩

الوظيفة في اليهودية	في زمان عيد المظال ٧، ١٠ – ١٠، ٢١
وفي	في زمان عيد التكريس ١٠، ٢٢ – ١٣، ٥٠
اورشليم	في زمان عيد الفصح ١٣

٤ً – ثالثة الاثافي انكار تاريخية رابع الاناجيل (!) –

ألانه يختط خطة دفاع في معرض سرد حوادثه يجب ان نرفع عنه الجانب التاريخي الذي يكاد ان يكون اساسه الجوهري ؟.

لا، وايم الله، وان شدّد عليه النكير نقوده اليوم اخصهم لوازي الافرنسي، احد اتباع المذهب العقلي الصرف!

لقد اوتر العقليون قسيهم بسهام كانها الصواعق، ورموا بها انجيلنا هذا من ناحية التاريخ.

اما نحن فقد طاب لنا نزالهم اذ بعون الله ننتهي معهم في كل نزال والظفر يكلل منا المفرقين. اما هم فلا يخرجون في كل نهاية الا والخيبة رفيقتهم الوحيد (كما رأيت في كل ما اعترضوا عليه في اجزائنا السابقة). لذا نبدأ بان ندعوهم للنزول الى الساحة قائلين: ها نحن ها نحن، لقد اردتموها حامية (الحرب) فرحى ايها الابطال المغاوير!.

قالوا :

١ً واضع رابع الاناجيل اقصى كل تاريخ (١) فهو لم يشهد الأ الى النظر والروح والرمز .

ومن قال لكم ذلك ؟ نحن نرى (مع الفريق الاكبر من العلماء الحديثين) ان يوحنا نعم سلك في انجيله مسلك الدفاع وحلق نظرياً (لانه بغى تناول الالوهية من احد طرقها الصريحة، وهذا يقتضي له كل تحليق في النظر . . .)، لكنه لم يفعل ما فعل الا اثباتاً للحقيقة التي لن تتمكن من الانفصال عن التاريخ .

واتبعنا :

لا نرى مانعاً يمنع الرسول، كاتب الانجيل، من القيام بقسط وافر من تاريخ سيده الاعظم، بل لم نر ما يجيز له التخلف كلياً عن التاريخ مؤيد الحقائق على اختلاف انواعها، (ويوحنا) القائل: وآيات اخر كثيرة صنع يسوع امام التلاميذ لم تكتب في هذا الكتاب وانما كتبت هذه لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم الحياة باسمه (يوحنا ٢٠، ٣٠، ٣١) . ليس فقط بل هو الذي اوضح ما اشكل في الاناجيل السابقة ودقق في الوصف التاريخي . خذ الاناجيل الاربعة واقرأ تَرَ : اولاً . يقول مرقس (٦، ٣٧ و٣٨) : فاجابهم قائلا : اعطوهم انتم ليأكلوا . فقالوا له أنذهب فنبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا (؟) . فقال لهم : كم عندكم من الخبز اذهبوا وانظروا فلما تحققوا قالوا : خمسة وسمكتان . وهكذا قال متى ولوقا اما يوحنا فقد اوضح عن اسم الشخص الذي قال للمسيح

عن الخمسة الارغفة والسمكتين بعد ان قال له كم يلزم لاشباع ذلك الجمع الغفير : فاجابه فيلبس إنه لا يكفيهم خبز بمئتي دينار حتى ينال كل واحد منهم شيئاً يسيراً . فقال له واحد من التلاميذ وهو اندراوس اخو سمعان بطرس : إن ههنا غلاماً معه خمسة ارغفة من شعير وسمكتان . ولكن ما هذه لهذا العدد من الناس (يوحنا ٦، ٧-٩) أرأيت الوضوح والدقة في قول يوحنا ؟

ولك الشاهد الثاني على دقة يوحنا في التاريخ : لقد ذكر متى (٢٦، ٧) ومرقس (١٤، ٣) سكب الطيب الثمين على رأس المسيح من امرأة لم يذكرا اسمها، بينما يوحنا (١٢، ٣) يصرح بكونها مريم اخت مرتا .

اليك ايضاً شاهداً ثالثاً على اتباع يوحنا التاريخ بدقة كلية : ورد في متى (٢٦، ٨) : فلما رأى التلاميذ ذلك غضبوا في انفسهم .. فيما ان يوحنا (١٢، ٤) يعرف بصاحب الغضب يهوذا الاسخريوطي .

هاك الشاهد الرابع على افضلية يوحنا بالوضوح التام التاريخي . كتب متى (٢٦، ٥١) = واذا واحد ممن كانوا مع يسوع مدّ يده واستلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة، وقال مرقس (١٤، ٤٧) : فاستل واحد من الحاضرين ... وروى لوقا (٢٢، ٥٠) : وضرب احدهم عبد رئيس الكهنة ... اما يوحنا (١٨، ١٠) فالضارب عنده بطرس الرسول والمضروب ملكوس .

وغيرها من الامثلة التي تريك يوحنا مؤرخاً واضحاً متمماً الاناجيل السابقة (مثلاً : متى ٢٦، ٥٧؛ مرقس ١٤، ٥٣؛ لوقا ٢٢، ٥٤ = يوحنا

١٨، ١٣ . ثم متى ٢٧، ٦٧ ؛ مرقس ١٥، ٤٣ – ٤٦ ؛ لوقا ٢٣، ٥٠ – ٢٢ = يوحنا ٢٩، ٢٩ . . .)

اذن لقد تحطم رأي المعترضين على تاريخية يوحنا من هذا القبيل هذا واننا نسلم ايضاً (ولكن ثنوياً) بالمعنى النظري والروحي والرمزي ولكن على اساس تاريخي وبمقام ثانٍ .

ثم قالوا :

٢ً يقول يوحنا (١٨، ١٣) وجاؤا به اولا الى حنان لانه كان حما قيافا الذي كان رئيس الكهنة في تلك السنة . وهذا القول يشير الى ان يوحنا يوضح وجوب تعيين كاهن اعظم في كل سنة . اعني يجب على الكاهن الاعظم ان يقوم بمهام وظيفته سنة واحدة فقط بعدها يجب ان يقوم مقامه كاهن آخر . وهذا يناقض الواقع، لان قيافا استمر في وظيفة عظيم الكهنة ثماني عشرة سنة .

كل ما يريد يوحنا من قوله « في تلك السنة » هو اذاعة الكاهن الاعظم الذي في مدّة رئاسته تناولت تلك السنة الشهيرة التي فيها صاب المخلص، لا ان يحصر استعمال وظيفة الكهنوت الاعظم بسنة واحدة . فقد نوه بتلك السنة لانه رآها سنة ممتازة لان السيد المسيح مات فيها، لذا فضلت على غيرها ونوه بها وبعظيم الكهنة الذي دخلت ضمن مدته . واشار اليها نظراً للحدث العظيم الذي تم فيها .

وتابعوا :

٣ً قال مرقس (١٥، ٢٥) : وكانت الساعة الثالثة وصلبوه . . (ساعة الصلب) وقال يوحنا (١٩، ١٤) : . . . وكان نحو الساعة

السادسة .. (ساعة الصلب) اذن لقد شط احدهما وخرج عن دائرة الصدق والتاريخ (٩١)

وردنا :

لقد كان يستعمل اليهود في تجزئة النهار حسابين : ١ً حساب الاثنتي عشرة ساعة، وهذا ما اتبعه يوحنا : ٢ً وحساب الاربع ساعات [فالساعة الاولى كانت تضم ثلاث ساعات النهار الاول، والساعة الثالثة كانت تحوي الساعات الـ ٤ والـ ٥ والـ ٦ . والساعة السادسة كانت تتضمن الساعات الـ ٧ والـ ٨ والـ ٩ (اي من الساعة الواحدة بعد الظهر الى الساعة الثالثة بعده ايضاً) . اما الساعة التاسعة فكانت تؤلف من الساعات الـ ١٠ والـ ١١ والـ ١٢ (اي من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى الساعة السادسة بعده ايضاً، اي وقت الغروب وتكون الساعة الـ ١٢ زمان غروب الشمس والساعة السادسة وقت الظهر .)] وهذا ما تبعه مرقس .

اذن كان لليهود (حتى ولغيرهم من شعوب المشرق) مذهبان في تقسيم النهار . فاولهما انهم يقسمون النهار الى اربعة اقسام متساوية ايضاً . وقد دعا احدهم هذه الساعات الاربع ساعات ثلاثية، لان كلا منها يتألف من ثلاث ساعات من ساعاتنا . فكانوا يعبرون عن تلك الساعات بالاولى والثالثة والسادسة والتاسعة . و كانت الاولى تبتدئ من الساعة الـ ٦ صباحاً وتنتهي بنهاية الـ ٩ افرنجية) والثالثة من الساعة الـ ٩ الى الـ ١٢ (الظهر)، والسادسة من الظهر الى الساعة الـ ٣ بعده، والتاسعة من الـ ٣ (بعد الظهر) الى السادسة مساءً . اما ثاني

هذين المذهبين فهو انهم كانوا يجزئون بياض النهار الى اثنتي عشرة ساعة (كما هي العادة في الشرق اليوم) . فكانت الساعة الاولى تبتدي من الساعة السادسة (افرنجية) صباحاً . ثم تليها الثانية، الساعة السابعة الخ الى ان ينتهي النهار الساعة السادسة (افرنجية) مساء .

لهذا يكون القديس مرقس قد تبع المذهب الاول حيث قال: وعند الساعة السادسة (اي عند الظهر) حدثت ظلمة على الارض كلها الى الساعة التاسعة . اما القديس يوحنا فقد سار على المذهب الثاني فقال الساعة السادسة .

واردفوا :

٤ ثم لا يتفق يوحنا مع باقي الانجيليين في تعيين يوم الفصح وتأسيس الاوخرستيا . فيوحنا (١٣، ١) عيَّنَ اليوم الـ ١٣ من شهر نيسان يوماً اكل المسيح فيه الفصح مع تلاميذه . بينما باقي الانجيليين (متى ٢٦، ١٧ ؛ مرقس ١٤، ١٢ ؛ لوقا ٢٢، ٧ والتابع) لا يعرفون بيوم العشاء الا اليوم الـ ١٤ من شهر نيسان . اذن بدأ التناقض بين يوحنا واصحاب الاناجيل الثلاثة الباقية (!)

فشرحنا :

درج اليهود على صنع عشائين ليالي اعيادهم الكبيرة (عيد الفصح وعيد العنصرة وعيد المظال) . ففي عيد الفصح كانوا يصنعون في العشاء الاول خروف الفصح (آ كلينه) . على ان العادة عندهم تغلبت فحلت محل شريعة ، هي اذا بدأ عيد الفصح يوم جمعة يؤخرون اكل خروف الفصح الى مساء الجمعة ويجعلون العيد يوم

السبت . لكن المسيح نبذ هذه العادة تابعاً الناموس بكل ما جاء فيه من قواعد لهذا العيد العظيم ، واكل خروف الفصح مساء الخميس ليلة الجمعة . او انه اعتبر ذاته خروفاً فصحياً ضحي يوم الجمعة مساء عشية العيد العظيم الذي ارادته عادتهم (المتغلبة) يوم السبت واكل العشاء الاول الذي كان يوم الخميس حسب الناموس . وبهذا وافق او جمع بين الناموس والعادة التي كان اليهود درجوا عليها وحلت محل شريعة جديدة عندهم

ومن هنـا يصح اتفاق الانجيليين . فتى ومرقس يشيران الى الفصح (بحسب رسم الناموس) الذي عمله السيد المسيح ، بينما يوحنا يشير الى العادة التي كانت عند اليهود (كما رأيت قبلاً) . لان بدء العيد كان يوم الجمعة ، في تلك السنة التي مات فيها المسيح . ولهذا قال يوحنا : ان الفريسيين لم يدخلوا ايوان بيلاطوس يوم الجمعة لئلا يتنجسوا قبل اكلهم الفصح (درجاً على عادتهم الدخيلة) . بياناً لحقيقة هذا القول لحاجة اليهود على بيلاطوس لكسر سوق المصلوبين ، اذ قالوا : لا تثبت هذه الاجساد على صلبانها لاجل السبت . وهذا السبت (في تلك السنة) كان عندهم ذو عيدين عيد السنة وعيد الفصح .

واكملوا :

٥ً نرى رابع الاناجيل يخلع على المسيح لقب « كلمة » مصدرها الله قبل تكوين العالم ، وهذه الكلمة ارتدت جسداً . والحال ان مصدر هذه « الكلمة » الروحية خرج عن احشاء فلسفة الهلنست

(اليونانية) المولودة في الاسكندرية ، حيث ابصر نور الحياة فيلون الفيلسوف (كان يهودي الاصل من سبط لاوي ، وُلد عام الـ ٥٠ م . ولما كان هائماً بالتقليد العبراني ومثله بالفلسفة اليونانية حاول التوفيق بينهما ، ناظراً الى الاسفار المقدسة كمصادر اولية لفلسفة اليونان) الذي كوّن صورة تامة « للكلمة » العقلية . اذن يوحنا اخذ « كلمته » عن فيلون .

فنفحناهم بالآتي :

لا نسلم بهذا الا اذا ثبت عندنا حقيقة مبدئين : الاول عدم استطاعة وجود صورة « الكلمة » الا في الفلسفة اليونانية . الثاني عدم وجود اي فارق بين «الكلمتين» «كلمة» فيلون و« كلمة » يوحنا . بينما نرى نقيض الامرين ، فنقول : اولاً ليس بالصحيح ان الفلسفة اليونانية هي المصدر الاول «للكلمة» الروحية . فهناك اسفار العهد القديم (تكوين ١ ، ٣ ، ٦ ، ٩ ... ؛ المزامير ٣٢ ، ٤٦ ، ١٠٦ ، ٢٠ ؛ امثال ٨ ، ٢٢ - ٣٦ ؛ يشوع بن سيراخ ٢٤ ، ٥ ؛ الحكمة ٧ ، ٢٥ والتابع) تتبسط بشرح «الكلمة» تبسطاً تاماً ، خذ مثلاً سفر الحكمة ٢٥ والتابع .

حتى وفيلون نفسه لم يكوّن « كلمتـه » الا بمزيج من سفر الحكمة وافكار افلاطون ورغائب هيراقليت . حتى انه (فيلون) في اجيال المسيحية الاولى كان يُظن به انه واضع سفر الحكمة لقرب التشابه بين ارائه واراء واضع كتاب الحكمة .

اذن من الضروري ان نهتك ستار هذا التخفي في فيلون من وجهة التعاليم قائلين : ان ما لديه من صور عقلية حول « كلمته » هي

مستقاة من سفر الحكمة في الأغلب الأعم .

ونقول ثانياً : لدينا من الفواصل بين « كلمة » فيلون و« كلمة» يوحنا العدد الكثير :

١ً « كلمة » يوحنا شخص (في كل انجيله) بينما « كلمة » فيلون ليست هي سوى فكر ما او قوة او موجود نظري او ملاك او . . .

٢ً « كلمة » يوحنا مبادعة كل شيء وتفعل مع الله الآب كمبدء اولي عامل متميز عن الكون تماماً (يوحنا ١:١ – ٣، ٥:١٩، ١٠ : ٣٧ – ٣٨ الخ) . فيما أن « كلمة » فيلون هي فقط آلة للابداع وليست القوة الجوهرية لهذا الابداع

٣ً « كلمة يوحنا آله (في كل انجيله) حقيقي . اما « كلمة » فيلون فليس فيها اي اثر للالوهية الحقيقية . .

٤ً . « كلمة » يوحنا آله وانسان . اما « كلمة » فيلون فلا هي باله ولا هي بانسان . وغير ذلك من الفروق الجوهرية التي تميز الواحد عن الآخر وان تشابها ببعض اشياء عرضية طارئة . لذلك نقول : ان يوحنا مستقل « بكلمته » تمام الاستقلال عن فيلون وان لم يستقل عن اسفار العهد القديم ، ولا غضاضة ، اذ ان دائرة الوحي تشملها مبعدة اياها عن سفسطات الفلسفة اليونانية في نظرياتها الوهمية .

ومضوا في الاعتراضات الى ان قالوا :

٦ً كم يبعد الشبه بين صورة المسيح المرسومة على صفحات رابع الاناجيل وبين تلك الموجودة في باقي الاناجيل الثلاثة . فالمسيح عنـد متى ومرقس ولوقا هو انسان نبي يبشر بملكوت الله وقريب

منه تعالى، لان هذا الاخير ارسله (؟!). فيما ان يوحنا طاب له رفع هذا المسيح اكثر (كطريق وحق ونور العالم) حتى اوصله الى مقام الالوهية.

مهلاً ثم مهلاً :

نسلّم بما تقدم، فيما اذا كان يستند الى الحقيقة والتاريخ. والحال نراه يخالف الواقع. اذن لقد انهار هذا الاعتراض من اساساته. اذا تفحصنا رابع الاناجيل اوجدناه لا يقصي انسانية المسيح بل يوضحها ايضاحاً تاماً (يوحنا ٤، ٦؛ ٧، ١٩؛ ٨، ٢٨؛ ١١، ٣٥؛ ١٢، ٢–٤٨؛ ١٢، ٢٧؛ ١٩، ١٨ الخ..) وان امتاز بالتحدث عن الالوهية. كما وان الثلاثة الاناجيل السابقة لا تصمت عن ذكر الالوهية [(يسوع ابن الله = متى ٣، ١٧؛ مرقس ١، ١١؛ لوقا ٣، ٢٢؛ التجلي = متى ١٧، ٥؛ مرقس ٩، ٧؛ لوقا ٩، ٣٥. ثم اقرأ متى ١٤، ٣٤؛ ١٦، ١٦؛ ٢٦، ٦٣ الخ..) (شهادات المسيح انظر – لوقا ٢، ٤٩؛ متى ١٦، ١٧؛ ٢٠، ٢٣؛ ٢٥، ٣٤؛ مرقس ٨، ٣٨ والتابع. متى ١٥، ١٣؛ ١٦، ١، ٣٥؛ متى ٧، ٢١؛ ١٠، ٣٢؛ ١٢، ٥٠؛ ١٤، ١٣؛ ١٨، ٢٠؛ ١١، ٢٧؛ لوقا ١٠، ٣٢. متى ٧، ٢٢ وما يلي : ١٣، ٤١ وما يأتي : ٢٥، ٣١ – ٣٦. متى ١٢، ٤٨؛ مرقس ٢، ٢٨. متى ٩، ٢ وما بعد. متى ١٢، ٦؛ ١٢، ٤١. ٤٢. متى ٢٢، ٤١ – ٤٦؛ مرقس ١٢، ٣٥ – ٣٧؛ لوقا ٢٠، ٤١ - ٤٤ متى ٥، ٢١ – ٤٧). (معنى اسم ابن الله = متى ٢١، ٣٣ – ٤١؛ مرقس ١٢، ١ – ٩ لوقا ٢٠، ٩ – ١٦) هنا يعلم المسيح انه اسمى بكثير من الانبياء. زد على ذلك ما ذكره متى ولوقا عن الحبل الفائق

الطبيعة بالمسيح ، وما شرحاه عن تلك الخوارق الباهرة التي صنعها يسوع . اذا ضمت كل هذه الى بعضها البعض توضح ان تعليم الاناجيل الثلاثة يشمل ايضاً الوهية المسيح ، ويتناولها في كل راس موضوع كبير ، وان لم يكن هذا الشمول دقيقاً دقة رابع الاناجيل وصريحاً صراحته وسامياً سموه روحاً ومبنى]

وجادوا بآخر اعتراض :

٧ً يتكلم المسيح في رابع الاناجيل بغير نوع ما يتكلم في الاناجيل الاخرى . وهذا لا يمكن انكاره . فتظهر في كلام المسيح عند متى ومرقس ولوقا السهولة والبساطة ، بتلك الامثال الحسية والتشابيه القريبة المنال من غير ايجاز ولا سمو في المعاني ، ما لا نقع على اثر له في رابع الاناجيل ذات السمو والرفعة في عالم النظر والاستغراق في الروح .

جوابنا :

لما كان هدف يوحنا (في انجيله) الاولي الدفاع عن الوهية الكلمة ضد كل متبجح مارق على الدين والعقيدة الصحيحة ، اهمل ذكر الخطب الادبية (لذكر باقي الاناجيل لها) التي قالها المسيح في الجليل ، واختار خطباً نظرية اعتقادية ، طلاوتها السمو ودقة الفن الجدلي والمعنى الرفيع ، قيلت للكتبة (او بحضورهم) وللفريسيين داخل اورشليم لاثبات الوهية المسيح وارساليته السامية افحاماً لكل متشدق عليها . هذا فضلاً عن نضوج الافكار نضوجاً تاماً وكمال المعارف التي اوجدها الروح القدس في عقول الرسل مالئاً

جنانهم قوة لابرازها للعالم الخارجي ، يوم حلوله (العنصرة)

اذن ليس من العجيب بشيء ان يكون التلميذ الحبيب (وقد بلغ سن الشيخوخة بعد ان تلقن من فم معلمه الاكبر التعليم الكامل) بسط باسلوب رفيع وحكمة عالية خطب المسيح المقولة في شتى الظروف ، وذلك بامانة ودقة لا تتركان بعدهما مجالا لاي اعتراض صحيح

وهكذا ننتهي والحمدلله من كتاب هذا النسر الذي حلق ما طاب له التحليق في عالمي الروح والالوهية ، بعد ان قلنا كلمة وجيزة (هي توطئة للقسم الثاني من هذا الكتاب) في كل من متى (المشبه بالانسان لانه بدأ بنسبة المسيح البشرية ، درس انسانيته بدقة) ، ومرقس (الممثل بالاسد ، لانه بدأ باظهار القوة البشرية : صوت صارخ في البرية ..) ولوقا (المرموز بالثور ، لانه بدأ الكلام بالتضحية الكهنوتية ١ ، ٥) . المشبهين بالحيوانات الاربعة التي رآها حزقيال النبي : وفي وسطها شبه اربعة حيوانات ..... وجه بشر (متى) عن اليمين ووجه اسد (مرقس) . .... ووجه ثور (لوقا) عن الشمال .... ووجه نسر (يوحنا) حزقيال ١ ، ٥ ، ١٥ (١)

---

(١) اكتشاف اقدم مخطوطة لقسم من انجيل يوحنا . قالت الحياة الكاثوليكية في عددها ٥٧٣ (عام ١٩٣٥) :

اهتدى احد علماء الانكليز بين اوراق قديمة في مكتبة ريلاندس في منشستر الى هذه المخطوطة الصغيرة ، وهي من ورق البردي مأخوذة من مصر ، حيث كانت في زوايا النسيان بين ركام المهملات اجيالا . وهي تحتوي على الايات ٣١ و ٣٢ و ٣٣ من الفصل الثامن عشر من انجيل القديس يوحنا . وعلى الوجه الاخر منها الايات : ٣٧ و ٣٨ من ذات الفصل .

القسم الثاني

– مسألة الاناجيل الثلاثة –

الفصل الاول

مقدمات

نحن الان حيال المسألة الانجيلية العلمية ، وهذه تتناول كل ما دار في خلد العلماء فور قراءتهم الاناجيل بما فيه من تشابه وتغاير.

رأى هؤلاء العلماء اتفاقاً عجيباً بين متى ومرقس ولوقا فالوا الى رأي وحدة المصدر. ثم بدا لهم ، في غير مواضع ، بعض التناقض (بين الانجيليين ، ثم بين هؤلاء والتاريخ العام !) فحاروا في كيفية تعليل هـذا الاختلاف إن الكلامي او المعنوي الواقع بين متى ومرقس ولوقا.

ويقرر علماء التاريخ ان هذه المخطوطة الصغيرة يرجع تاريخها الى النصف الاول من الجيل الثاني للمسيح ، وهي اقدم من مخطوطة سينا التي ابتاعتهـا الحكومة الانكليزية من حكومات السوفيات من عهد غير بعيد بمئة الف ليرة انكليزية . وهـذه المخطوطة على صغرها جزيلة الاهمية لما تتضمنه من البينات التاريخية ، ولقيامها شاهداً صادقاً من اثار الاجيال الاولى (للكنيسة) على حقيقة الاناجيل المقدسة . اه

لهذا ولغيره من الاسباب تفرق العلماء الى شتى الاراء فكوّنوا منها اربعة مذاهب حاولوا بها شرح التغاير والتشابه الموجودين بين الاناجيل الثلاثة بتقديم ما لديهم من اراء .

١ – التشابه القومي بين الاناجيل الثلاثة .

هنا نبين مواطن الاتفاق إن في المبنى (او المادة التي هي برهان الكتاب) او في الروح (او الصورة التي تولد الحياة في السفر . .)

ا) فمن ناحية المبنى نرى الاناجيل الثلاثة تجمع على سرد وظيفة المسيح في الجليل (متى ٤، ١٢ – ١٨، ٣٥ = مرقس ١، ١٤ – ٩، ٥٠ = لوقا ٤، ١٤ – ٩، ٥٠) باسطة نفس الحوادث (اعتماد المسيح وتجربته، والمناظرة التي اقامها على الفريسيين بشأن السبت، واختياره الرسل . واعتراف بطرس بالوهية المسيح، والتجلي والآلام والقيامة .) ونفس الخوارق (ابراء ابنة يائير شفاء نازفة الدم، تكثير الخبزات الخمس اخراج الشياطين . . .) وذات الخطب (كمثل ملكوت السماء ومثل الكرمة وغيرهما . . .)

نخرج مما تقدم : ان متى كتب الفاً واثنتين وسبعين آية و٦٧٧ فقرة كتبها مرقس و ١١٥١ عدداً خطها لوقا . منها :

١ً ٣٦٠ آية يشترك فيها متى ومرقس ولوقا على السواء .

٢ً ١٧٥ آية يشترك فيها متى ومرقس دون لوقا .

٣ً ١٣٥ آية يشترك فيها متى ولوقا فقط

٤ً ٤٥ آية يشترك فيها لوقا ومرقس دون متى

فاذا تقصينا انجيل مرقس وعارضناه بانجيلَي متى ولوقا بدا لنا

كخلاصة لهما (خلا بعض اقسام في مرقس ــ ٤، ٢٦ – ٢٩ ، ٧ ٣٢ – ٣٧ ، ٨ ، ٢٢ – ٢٦ ، ١٤ ، ٥١ وما يتبع ...). فمن ١٠٧٢ عدداً لمتى ، تجد ٣٣٠ فقط خاصة به دون ان يشاركه اخر في استعمالها. ثم من ٦٧٧ لمرقس ٦٨ لا غير في استعماله الخاص، و٥٤١ خصها به لوقا من اصل ١١٥١ .

كل هذا يثبت لنا : ان التقارب بين الاناجيل الثلاثة ، من ناحية المبنى شديد .

ب) اما من ناحية الترتيب (او الصورة التي دعوناها بالروح) فنرى وجه الشبه شديداً بارزاً في قالب يكاد يكون واحداً في الاناجيل الثلاثة . مثل ذلك قصة ابراء المخلع ، ودعوة لاوي.... (متى ٩ ، ١ – ١٨ = مرقس ٢ ، ١ – ٢٢ = لوقا ٥ ، ١٧ – ٣٩) ، ثم احياء اليد اليابسة وغيرها (متى ١٢ ، ١ – ٢١ = مرقس ٢ ، ٢٣ – ٣ ، ١٣ = لوقا ٦ ، ١ – ١٩) . حتى ان بعض حوادث كتبت في كل من الاناجيل الثلاثة كما كتب في غيره بالحرف الواحد (كقصة الشاب الغني = متى ١٩ ، ١٦ ، ٢٧ ؛ مرقس ١٠ ، ١٧ ، ٣١ ؛ لوقا ١٨ ، ١٨ ، ٣٠ . ثم النزاع في البستان = متى ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٦ – ٤٦ ؛ مرقس ١٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٢ ؛ لوقا ٢٢ ، ٣٩ – ٤٦) .

عدا ذلك لنا من تبادل استعمال الالفاظ ، والنسق والصورة الكتابية مثال آخر وجيه للتجانس القوي بين الانجيليين الثلاثة :

متى ٤ ، ٥ = لوقا ٤ ، ٩

" ١٩ ، ٢٣ = مرقس ١٠ ، ٢٣ = لوقا ١٨ ، ٢٤

متى ١٦، ٢٨مرقس = ٩، ١ = لوقا ٩، ٢٧
〃 ٩، ١٥ = 〃 ٢، ٩ = 〃 ٥، ٣٥
〃٩، ١٦ = 〃 ٢، ١٢ = 〃 ٥، ٣٦

ويذكر هؤلاء الانجيليون غالباً العهد القديم مؤيدين اقوالهم بفقره، على ان هذه الفقر لا تطابق المخطوط العبراني ولا الترجمة اليونانية، مع ذلك نراها (فقر العهد القديم) في الاناجيل الثلاثة هي اياها من غير تغيير او اختلاف حتى ولا في لفظة واحدة :
متى ٣، ٣ = مرقس ١، ٣ = لوقا ٣، ٤ (النسخة الـ ٧٠ اشعيا ٤٠، ٣)
〃 ٣، ١٠ = 〃 ١، ٢ = 〃 ٧، ٢٧ (ملاخي ٣، ١)

تمام الاتفاق بين الانجيليين في بعض المواطن يؤيد كل ما تقدم من امثال.

٢ - التناقض بين الاناجيل الثلاث (؟)

ومن ناحية ثانية ليس بالمستطاع انكار بعض التباين الظاهر بين انجيل وانجيل. فمن تباين في الزيادة والنقصان (لك متى ولوقا شاهدا ذلك، في المكان حيث رَوَيا تاريخ طفولة السيد المسيح، وتفحص تاريخ نسب المسيح في متى ١، ١ - ١٦ تراه مخالفاً تمام المخالفة لما رواه لوقا ٢، ٤ - ١٣ ثم شاهد ما كتباه [متى ولوقا] عن تجارب المسيح الثلاث)، الى تباين في الترتيب والنسج (كخطاب الجبـل = ٥ - ٧؛ لوقا ٦، ٢٠ - ٤٩، ...) الى تباين في الاشياء (انظر متى ١٠، ١١ لوقا ٤، ٣؛ مرقس ٦، ٨. واقرأ ايضاً عن التجلي

= متى ١٧، ١ ؛ مرقس ١٩ ، لوقا ٩، ٢٨ .

متى ٨ ، ٢٨ - ٣٤ مرقس ٥ ، ١ - ٢٠ لوقا ٨ ، ٢٦ - ٣٩ .
« ٢٧، ٢٩ - ٣٤ « ١٠، ٤٦ - ٦٢ « ١٨، ٣٥ - ٤٣ .
« ٢٦، ٢٦ - ٢٨ « ١٤، ٢٢ - ٢٤ « ٢٢، ١٩ - ٢٠ .
« ٢٧، ٣٧ - « ١٥، ٢٦ « ٢٣، ٣٨ الى غير ذلك
من انواع التناقض الظاهر .

٣ - موقفنا الصريح من هذا التناقض .

لما كان هذا التغاير لا يتخطى حد ظاهر الكلام وكان بالامكان تفسيره بما يشدد اواصر اللحمة ويضاعف اوجه الشبه بين هذه الاناجيل ، كان لنا استطاعة اقصاء كل تباين وتناقض عن جسم هذه الاناجيل الثلاثة . ولما كان للعلماء (اصحاب الراي المسلم باقصاء كل تناقض عن هذه الاناجيل) اراء عديدة من هذا القبيل ، وهي تنحصر في اربعة مذاهب كبرى تشرح التشابه والاختلاف البادين في الاناجيل ، رأينا ان نبسط هذه المذاهب بايجاز وتلخيص :

١ً مذهب التقليد الشفهي
٢ً مذهب الشهادات الخطية (او الكتابية)
٣ً مذهب العلاقة المتبادلة
٤ً المذهب المختلط (مؤلف من الشهادات الكتابية ومن التقليد الشفهي) .

٤ - المذاهب الاربعة تحت المبضع الانتقادي - العلمي.

لاحظ واضعو الثلاثة المذاهب الاولى الوجهة التشبيهية اكثر من ناحية التناقض. لذا باتوا قاصرين عن حل هذه المشكلة الانجيلية بكاملها. اليك بهذه المذاهب :

اولاً : مذهب التقليد الشفهي . يفترض اصحاب هذا المذهب انجيلًا اولياً كان يتناقله شفهياً المسيحيون الاولون. وهذا الانجيل عبراني مصدره الرسل الذين وحّدوا تعليم معلمهم، مدخلين هذا التوحيد في الاستعمال، فكان المؤمنون يتعلمونه بواسطة الرواة وهؤلاء يلقنونه تلاميذهم ليجعلوا منهم هم الاخرين رواة على شاكلتهم . وما اختير من تعاليم المسيح لهذا الانجيل العظات الادبية السهلة المنال .

ولما كان الرسل اناساً بسطاء غير حائزين على قسط وافر من الثقافة العالية، اضطرهم الامر الى التعبير بالالفاظ الدارجة في الاستعمال العام. اما الانجيليون الثلاثة فقد وجهوا اناجيلهم الى ثلاث فئات من الشعوب : الفلسطينيين (متى)، والرومانيين (مرقس) والانطاكيين (لوقا) .

هذا المذهب يعتريه العجز لعدم تمكنه من شرح هذا الاتفاق العجيب بين الانجيليين من وجهة الكلمات المفردة التي اخذت عن مصدر عبراني وترجمت الى اليونانية فكانت هي اياها في الاناجيل الثلاثة، مما لا يكفي لشرح هذه المشكلة الانجيلية، ناهيك بان مسألة التناقض لا يلقي عليها هذا المذهب اي شعاع ولو ضئيلًا .

فان كان الانجيليون اخذوا ما اخذوا من مصدر واحد ، لماذا بدا اذن هذا التغاير بينهم ؟!

لا تحل المشكلة الانجيلية المتوافقة - المناقضة بهذا المذهب

ثانياً : مذهب الشهادات الكتابية - يعلم هذا المذهب وجوب اخذ اصل الاناجيل الثلاثة عن انجيل اولي (لمرقس) وجيز مجموعة قالها المسيح وجمها متى واشار اليها بابيا .

ونحن نعترض هكذا ان كان مصدر : هذه الاناجيل واحداً فلماذا اذن نجد هذا التناقض بين بعضها البعض . وان كان (المصدر) اكثر من واحد فكيف نفسر هذا التشابه القوي ؟ لذا نقول : هذا المذهب يصادف اعتراضات قوية لا تحل حتى ولا بالمشقة والعناء الكبيرين . فلا بدع ان ملنا عنه خشية عجزنا عن رد اعتراضات تكاد تكون اشد مما شابهتنا الان .

ثالثاً : مذهب العلاقة المتبادلة - ويقوم على كون هذه الاناجيل تتصل ببعضها من وجهة العلاقة كالحلقات في السلسلة . ويقول اصحاب هذا الراي : اذا افترضنا ان اول الاناجيل هو انجيل متى ، فيكون هذا (انجيل متي) مصدراً وحيداً لانجيل مرقس ، كما ان هذا ايضاً يجب اعتباره نموذجاً لانجيل لوقا .

مما لا ريب فيه وجود تشابه وتقارب شديدين بين هذه الاناجيل . على انه لا نكير ايضاً من وجود التباعد في بعض مواطن انجيلية ، وهذا لا يقوى على حله مذهب العلاقة المتبادلة باي نوع كانت هذه العلاقة . فلو كانت المشكلة الانجيلية تقف

عند حد التقارب بين هذه الاناجيل لكان مذهب الملاقة المتبادلة انفع المذاهب المار ذكرها . اما وقد نرى تباعداً عظيماً بين الاناجيل الثلاثة، مما ليس بمقدور الملاقة المتبادلة ان تشرحه وتقصي التناقض عنه، فلا يعود اذن هذا المذهب بالكافي لتعليل المسألة الانجيلية بكاملها.

هذا ولا ننكر بعض النفع لهذا المذهب من وجهة التقارب دون التباعد .

رابعاً : المذهب المختلط . الذي يستعين بالتقليد الشفهي وبالشهادات الكتابية وبالملاقة المتبادلة . وهو خلاصة المذاهب المتقدمة . مأخوذة سوية . اي ان الثلاثة الاناجيل كان لها مصدر عام (اوجد هـذا التقارب)، ومصادر كتابية مختلفة كما هي الحال مع لوقا من كتابة انجيله، فقد اخذ اشياء كثيرة عن متى ومرقس . . .) وتقليدية شفهية [لما كان متى واحداً من الرسل فتكون حاجته الى الشهادات الخطية اقل من مرقس ولوقا . اما مرقس فكانت مصادر انجيله مواعظ القديس بطرس معلمه وغيرها . ثم لوقا الذي وجد امام مصادر غزيرة اغزرتها اكثر دقة استقصائه

نعدد من هذه المصادر : ١ً مريم العذراء عليها السلام (= ومريم كانت تحفظ كل هذا في قلبها، لوقا ٢، ١٩) ٢ً القديس بولس (لان لوقا كان تلميذاً له) ٣ً القديس بطرس رئيس الرسل (لانه رآه في روميه، كما يشهد كتابه، اعمال الرسل)، ٤ً القديس يعقوب الصغير (اعمال الرسل ٢١، ١٨) ٥ً الشماس فيلبس (اعمال الرسل ٢١، ٨) . وغيرها]

اذن اساس المذهب المختلط مصدر اساسي تبعه كل الانجيليين ومصادر ثنوية لم يتساووا في اتباعها

٥ – المذهب المختلط افيد المذاهب الاربعة وانفعها لتعليل التقارب والتباعد بين الاناجيل الثلاثة (؟)

هـذا المذهب يبسط الشرح في تعليل كل تقارب وتباعد ظاهرين في الاناجيل الثلاثة . اذ انه بوضعه مصدرا (اراميا) عاماً لهـذه الاناجيل يشرح مفسراً ذاك التجانس القوي بين الاناجيل الثلاثة في بعض مواطن وهذا المصدر العام للثلاثة (متى ومرقس ولوقا) لا يكون سوى تعليم الرسل الذي انفقت عليه المـدرسة الرسولية قبل تفرق اعضائها في المعمور . فنقله متى (لانه اول من كتب وكان ذات ثقافة لا بأس بها بين الرسل) واوجد به انجيله العبراني (او الارامي كما يغلب على ظن علماء اليوم) ، الذي وصل الينا بترجمته اليونانية (المطبوعة على غرار انجيل مرقس من ناحية لغة الهلنيست) . ولا عبرة ببعض التباين اللفظي بين هذه الاناجيل حيث يورد الانجيليون الحادث الواحد فيصلون الى لفظة هي عند احدهم غيرها عند غيره [انظر : متى ١٠، ٩ وما يتبع = مرقس ٦، ٨ . فهنا مسألة عدم اخذ عصا (في متى) ، واخذها وحدها (في مرقس) وهذا ناشيء عن اللفظة العبرانية أكـه (إلاّ) التي تكتب ايضاً أم لا . فقد يكون ان الاصل العبراني كتبها منفصلة ، ومترجم متى اليوناني اهمل أم . او ان هذا الاهمال حدث من قبل الخطاط فترجم المترجم اليوناني ما كان حاضراً امامه . اما مرقس فكتبهـا

كما هي استناداً الى مخطوط آخر (غير الذي ترجم عنه مترجم متى اليوناني) ابقى الكلمة الاصلية دون ان يطرىء عليها اي تعديل من جهة الصورة الكتابية . لهذا قال مترجم متى اليوناني : لا تقتنوا ذهباً ولا . . . . ولا عصا . وقال لوقا : لا تحملوا في الطريق شيئاً الا عصا . . . وليس هنا من تناقض (١) . . . وامثلة اخرى

(١) لقد اخطأ واضع الحواشي في نسخة الاباء اليسوعيين العربية في هذا المكان اذ قال : انه (اي المسيح) في متى اوصاهم الا يأخذوا (الرسل) ، عصا وفي مرقس ان لا يأخذوا الا عصا . فمن العصا ما تكون علامة للعلم والسلطة وهي التي حرمها المسيح في متى (عين الشطط ! فالمسيح ارسل بعدئذ اليهم الروح القدس يكلمهم بالعلم . وقال لهم : مهما ربطتموه على الارض . . . ومهما حللتموه على الارض . . . ليقلدهم سلطة سامية رفيعة . وقال بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس : وبّخ وبكّت وانّب بكل سلطان . . . ولا يستهن احد بسلطانك . . . اذن كان الاولى بالاباء اليسوعيين الا يجيزوا بنشر هذا الشرح الضال والمناقض لهدف المسيح على خط مستقيم) ومنها (العصا) ما يستعملها المسافر وهي التي اوصاهم بحملها في مرقس . وهذا التفسير الاخير يطلق على متى ومرقس لان المسيح لما دعى الاثني عشر نهاهم عن حمل اي شيء . كان الا العصا التي تعينهم اثناء سيرهم سيما واغلبهم كان سلخ سنين عديدة من الزمان ، وذلك للتخفيف من مشاق السفر طيلة زمان التبشير الرسولي . ناهيك بان كلًا من متى ومرقس نقل حديثاً قاله السيد المسيح مرة واحدة لا اكثر ، كي نستطيع القول بان متى نقل حديثاً غير ما نقله مرقس . اذن وجب ان يكون هذا الحديث قيل بصورة واحدة وكلام واحد . وبهذا نعلم ان الكلام في الانجيليين واحد الا هذا الحرف «لا» او «الا» (نفياً او استثناء) . وعندنا ان هذا التناقض اللفظي ناتج عن الاصل العبراني (او عن المثل المأخوذة عنه) او عن المصدر الذي استقى عنه الانجيليون معلوماتهم كما قلنا فوق هذه الكلمة .

(متى ٢٣، ٢٥ وما بعد = لوقا ١١، ٣٩ - ٤١ ؛ وايضاً متى ٢٤، ٤٠ والتابع = لوقا ١٧، ٣٤ . وغيرها)]

قلنا : كان لهذه الاناجيل مصدر عبراني واحد والان نتبع : عدا هذا المصدر العام الواحد كان للانجيليين مصادر اخرى كتابية وشفهية . فوجود الشبه بين الاناجيل الثلاثة يفسره المصدر العبراني الذي استعان به الانجيليون لكتابة بشارتهم . اما وجود التباين المعنوي او اختلاف طرق هذه الاناجيل فناشيء عن المصادر المختلفة (وهـذه المصادر وضعها الرسل . وبما ان المسيح صنع اشياء اخر كثيرة لم تكتب في الاناجيل ، كما قال يوحنا الحبيب ، ولما كان الرسل في تبشيرهم ذات اهداف مختلفة لاختلاف المحيط والظروف ونفسيات الشعوب الموعوظة ، بات كل منهم مصدراً راوياً اشياء عن المسيح غير ما رواها غيره ، بسبب عدم الامكان من سرد كل ما صنع المسيح وقال لكل شعب من كل رسول . ذلك ما دعا لهذا التباين في الاناجيل الثلاثة) .

ولمـا كانت غاية متى اثبات مسيحية يسوع ، بخـلاف غاية مرقس التي هي تبيان ابنيّة المسيح الالهية . وغاية لوقا التي ليست سوى اذاعة خلاص العالم بواسطة ابن الله ، كان من الضروري ان لا يسير الانجيليون في طريق واحدة . اذ هذه الاخيرة تستدعي الهدف الواحد (وهنا مختلف) والتوجيه الى شعب واحد (وقـد عرف ان متى كتب لاهل فلسطين ومرقس لسكان روما ولوقا لشعب انطاكية . . .) والمصدر الواحد (اذ كان لمتى ومرقس ولوقا

عدا المصدر العام الواحد عدة مصادر اخرى كما عرفت سابقاً .)

اذن رابع المذاهب الانفة الذكر افيد ما تقدم من مذاهب وانفعها لسهولة اسلوبه ولاستقامة براهينه التي هيَ بمعزل عن الغرابة والالتواء سواء في هذه البراهين نفسها ام في شق الطريق اليها .

☆ الفصل الثاني ☆

– مشكلة الاناجيل التاريخية العلمية (؟!) –

– تمهيد –

الوحي

هنـاك في جنة عدن طاب للاله اغزار نعمهِ واطفاء خيوره فاوجد الانسان الاول وجوهره بصورته التي بانت ، منذ ذلك الحين الى ما بعد ، تكاوين ذلك الرسم الابدي لاصبع الخـالق بواسطة شرارة حية لا يستنير المخلوق المركب الا بها ، ألا وهي ارادته (اراد الله) اللابسة ثوباً شفافاً من الخز الـلامع يُدعى الشريعة الطبيعية . فهوى ذلك الانسان عن مرتبته الاولى بالمعصية التي اتاها وداهم عقله بعض الظلام ، فعرَّج عن طريق الحق المسلوكة سابقاً دون ما التواء ولا اضطراب لكنَّ رحمة الله تداركت امره واخذت في معالجته من اسيته المميتة ، فكان يهبّ نسيمها اللطيف غالب الاحيان ، في قلبه فينيره وقتاً ويوطد اركان حياته دهرا . الا ان آدم وبنيه ، كما كانت لهم يقظة من آن لآن ، كانت لهم ايضاً هجمات

طوال تذهب بكل ما تركه نسيم الله (او وحيه الشخصي) في جنانهم من اضاءة للحقيقة. فآناً كانوا في يقظة وآونة كانوا في هجوع، ذلك حسب ارادة الله في رجوعهم عن الضلال او عدم هـذا الميل في الخالق الاحد. لذا كان الوحي يهبط زمانا وينقطع ازمنة، وهي حكمة في الله تجل عن الادراك.

نقول هذا ولا ننكر على آدم استطاعته فهم الديانة الطبيعية، التي لا تتطلب وحياً خصوصياً في الانسان لمعرفتها. لكننا نشير الى ديانة اخرى ارفع من هذه بدرجات وتتطلب عوناً الهياً خصوصياً يرتفع بها المرء الى ما فوق الطبيعة لكونها مليئة بالاسرار السامية التي تجل عن الادراك وبالحقائق النظرية والوصايا الطبيعية التي تقتضي دقة وارتفاعا في عالم الروح. اما الروح الانسانية فقد داخلها الانحطاط والوهن بعد الخطيئة الجدية وباتت عاجزة عن التحلق الكثير في افق العلوم الالهية (١)

لهذا ولغيره (لعجز الانسان حتى الكامل، او الذي يفترض انه لم يقع تلك الوقعة، عن تفهم اسرار تسمو عقله . . .) ينتج ضرورة الوحي الالهي.

اما الوحي فليس بالصعب، لا على الله ولا على الانسان. فان كنا، ونحن اولاد المنى من ناحية الكمال الجزئي، نتمكن من الايماء بعضنا الى البعض الاخر أفهل يعتري الله، وهو جوهر الكمال، عجز من هذا القبيل ؟!!

وان كنا نحن في حالة الاهلية لقبول وحي بعضنا البعض

فهلاّ نكون ذلك لقبولنا وحي الله ؟ !

اقرأ هذا ومرّ به ايها القاري ، مروراً سريعاً اذ انني افترضك فاقهاً اياه لسهولته وجلائه للعقل حتى للسخيف منه .

اذن فالوحي عريق في القدمية ويرجع عهده الى اول نشأة العنصر البشري . وهو السبيل لانتشاء الدين منذ الابتداء ، اذ اخذ ينمو ويتجلى شيئاً فشيئاً للبشر حسب الاقتضاء من اعصر الاباء الاولين الى عهد موسى والى زمن المسيح .

انزل الله في العهد الاول للتاريخ الانساني ، الحقائق التي يعجز العقل عن ان يدركها . منها اقالة الخالق اياه (الانسان) من كبوته اذ وعده بالمخلص ، ثم الثواب والعقاب المتعلقان بحفظ الشرائع الوضعية او بعدم حفظها على ان هذه العقائد لم تسطر الاّ في كتاب واحد هو ضمير الانسان الحي الى ان مال هذا الانسان عنها واورث هذا الانحراف لبنيه وبني بنيه و ... فشاء الله ان يجدد وحيه لموسى ولغيره من الانبياء .

دخل الدين الطبيعي مع شرائع موسى ، على ان هذا الدين الممزوج بالطقوس اليهودية لم يكن من جوهره وذاتيته ان يعم شعوب الارض كلها ، لكونه لم يكن بعد كاملاً اذ وضعه الاله سبيلاً لمجي ابنه الاقنوم الثاني الذي يجب ان يكمله . لذا بقي عاجزاً عن الوصول الى الكمال المعلق على ديانة الناصري فادي البشرية .

اخيراً جاء المسيح ونشر انجيله (تعاليمه) والشرائع الطبيعية

والادبية ناسخاً الطقسية منها ، لان هذه الاخيرة كانت خاصة باليهود وحدهم . فاصبح الدين شاملاً الكون اذ رضخ له جميع البشر ، دون ان يلقي شيئاً ولو ضئيلاً من التغيير الا بعض طوارئ عرضية .

وما الدين بالمعنى الاعم الا مجموع عقائد واسرار تملو الادراك يجب التسليم بها على انها اعتقاد صحيح . ولا بد للاعتقاد الصحيح من اسناده الى اساس هو العقل ، بحيث ان من آمن بقضية او سر دون ان يفحص عما اذا كان ايمانه معقولا ومدعوماً بحجج قوية ، عُدَّ جاهلاً ورذل ايمانه . فللعقل اذن شأن كبير في مسائل الايمان فهو الداعم اساسها وموطدها وهو موجد البراهين الساطعة ليبين صوابية الاعتقاد باسرار لا ندرك كنهها ا .

نقول هذا من غير ان يفضي الامر بالقارئ الى ان العقل يولد الايمان فينا (١) فالعقل علة طبيعية والايمان معلول فائق الطبيعة من جميع الوجوه . فلا اختلاط اذن بين العقل والايمان الذي هو نعمة علوية ، تدفعنا الى الاذعان لكل ما اوحاه الله الكامل الصادق ، الذي لا يخدع ولا يغش . بينما العقل يمهد السبيل للايمان باعطائه الحجج التي توجب على المرء الايمان بكلام الوحي الالهي . والعقل يبين لنا الحقائق المنزلة من الله باعتبار ان الوحي هو جزء من مجموعة الحوادث التاريخية ، والشهود الثقاة يثبتون هذه الحوادث هنا يخرج العقل فينتقد شهادات هؤلاء الشهود .

فللشهادة اذن شأن خطير في الوقوف على الحقائق . هذا مما

لا يختلف فيه اثنان اذ الانسان لولا الشهادة لم يعرف حتى اباه !؟

نتيجتنا اخيراً كون العقل يمهد امامنا طرق الايمان ، ونعمة الله تولد هذا الايمان فينا .

اما الاسرار الكائنة في الدين فلا غضاضة من وجودها فيه . سرّح الطرف في الكون تره مليئاً بالاسرار ؟ فهل لك ان تنفحني بشرح عن جوهر الكهرباء وعن كيفية تحول الاغذية (التي يزدردها الانسان) الى دم . . . ثم ترى مصباحاً ينشر نوراً وتشاهد (في الظلام) المواضيع على ضوء هذا النور ، لكنك لا تدري كيف يتكوّن هـذا الضوء . وهل لك ان تبين لي كيف تدخل صور المواضيع في آلة التصوير معكوسة ومثله في عين الانسان ، ثم هذا الاخير لا يرى المواضيع التي اقتبس صورها معكوسة في عينيه ، الا جالسة !! هذه كلها اسرار طبيعية ، اتعجب بعد هـذا من وجود اسرار في الديانة الفائقة الطبيعة ؟!

والوحي نوعان : شفهي (او التقليد وهو اصل الوحي الثاني) ، وكتابي . والاناجيل من النوع الثاني .

٦ - صحة الاناجيل ظاهرة كالشمس في رابعة النهار -

الوحي الكتابي قسمان قسم سبق عهد المسيح وقسم اتى بعده فمن هذا الاخير الاناجيل (وقد تكلمنا باسهاب عن انجيل يوحنا) وهي التي كتبت في عهد الرسل مراعية تمام المراعاة صحة التاريخ في حقيقة امر المسيح . فمن هـذا القبيل ننظر اليها كتاريخ بشري

نقرأ على صفحاته احداثاً وضعية اتاها رجلٌ اصلح ذلك التضعضع في الانسانية اليائسة المتألمة من جراح سامها اياها ابوها الاول ابن الله وابن الطين آدم ! . وهذا التاريخ صادق صحيح بكل ما فيه من فصول وفقر وكلمات وحروف وحركات ! يسند هـذا شهادة الاولين من كاثوليك وغيرهم، وذلك من القرن الثاني للميلاد آن كانت اناجيلنا هذه منتشرة في اصقاع الكون كله بالصورة التي هي عليها الآن دون ما تحريف او نقصان او زيادة . فقد كانت معروفة في الاسكندرية (على ما شهد به القديس اكليمنضوس الاسكندري) وهكذا في افريقيا (كما روى المحامي الشهير، ترتوليانوس) ومثلها في كل مكان شرقاً وغرباً (حسبما افاد القديس ايريناوس الشهيد، الذي كان قد طاف قبلاً في جهات متعددة، متفقداً بهذا الشأن معتقد الكنائس فقال : انحاء المعمور الكبرى اربع وهي الشرق والغرب والجنوب والشمال واعمدة الكنيسة اربعة ايضاً وهي الاناجيل، التي وضعها متى ومرقس ولوقا ويوحنا) . وكذا لائحة موراتوري (اكتشفت في روما ويرتقي عهدها الى الجيل الثاني) وكتاب تاسيانوس (وهو احد المبتدعين في الجيل الثاني) ، الذي يصرّح : ان مصادره تاريخ المسيح بحسب نظام وترتيب الاناجيل الاربعة دون تكرار النصوص الموافقة بعضها .

هذا وغيره من الشهادات يؤيد وجود هذه الاناجيل في اواسط القرن الثاني في شتى الكنائس المسيحية من مؤمنة وجاحدة . فلو كانت اناجيلنا كاذبة لماذا وقف المنشقون حيالها صامتين وهم

الدّ اعداء الكنيسة التي كانت تتداول تلك الاناجيل وتبني اهمّ معتقداتها الاساسية عليها • وغالباً كانت تستند في الردّ الى مزاعمهم الواهية الى فقر هذه الاناجيل ؟

وعندنا فوق ما تقدم من الشهادات ما يرتقي عهده الى القرن الاول • لدينا شهادة بولس الرسول الذي قضى نحبه في السنة الـ ٦٧ ثم شهادة يوحنا الحبيب الذي امتدت حياته حتى ابتداء الجيل الثاني واخذ عنه بوليكربوس تلميذه الذي استمر حتى عام ١٥٥ في قيد الحياة وعرف عند نهاية حياته القديس ايريناوس اسقف ليون في فرنسا وبابيا اسقف جيرابولي ، اللذان اذاعا حقيقة الاناجيل الاربعة استناداً الى راي معلمها القديس يوحنا الرسول

فلو كانت هذه الاناجيل غير صحيحة لاضطر تلاميذ يوحنا الى مناهضة شيوعها في الكنائس • وافتراضاً غير مسلم به (جدَلاً) لو كانت هذه الاناجيل كاذبة • وسكت عنها الكاثوليك هل كان يسكت عنها ايضاً الهراطقة ؟ وان كانوا قد احتجوا عليها فاين هي اثار هذا الاحتجاج ، مع ان مؤلفاتهم الكتابية باقية الى الآن لا تنطق الا بما يؤيد صحة هذه الاناجيل الاربعة

الى هنـا عالجنا امر صحة هذه الاناجيل • اما سلامتها من التحريف منذ كتبت الى عهدنا الحاضر فتتناولها القسم الآتي من هذا الفصل •

٢ً – حق وسلامة هذه الاناجيل خارجة عن نطاق الحوار والاضطراب

اوضحنا فيا سبق حقيقة صحة الأناجيل من الشهادات التي بنينا عليها الاحكام العقلية والاستنتاج الصحيح ، والان نتناول مسألة صحتها من التحريف والتزييف والحذف في بعض المعاني الاساسية في جوهرها.

نقول هذا ونستدرك امراً واحداً لا يخفى على كل ذي حكم صائب وواقف على تاريخ الامس . وهو ان قبل ظهور فن الطباعة كان لا بد من ان يعتري كل كتاب بعض الشوائب العرضية الملاحظة صور الالفاظ وذلك من جراء النساخ العديدين . على ان هـذا النقص كان يتضاءل بقدر ارتفاع قيمة الكتاب الواجب نسخه ، اذ كان النساخ يبذلون اقصى الجهود في ألا يهملوا شيئاً ولو جزئياً في نقلهم تلك الكتب القيّمة لئـلا يعابوا في مهنتهم ، وهذا العيب كان يبدو باسرع وقت في الكتب التي كانت تُتلى في المجتمعات ومجالس العموم . فمن هذا القبيل نصرح : ان الأناجيل لما كانت من الكتب التي كان يجب تلاوتها من الجميع حتى وفي الكنائس وفور وضعها وجب ان يكون بذل نساخها ادق عناية واتمها في وجوب اخراجها طبق الاصل كمالاً . مع هـذا لا ننكر وقوع بعض السهو في هذه النسخ مهما تضاعفت العناية لاخراجها صورة كاملة للاصل من ناحيتي المبنى والروح . لك المثل لهـذا السهو : قد قال يوحنا المعمدان عن نفسه انه لا يستحق ان يحل سير حذاء المسيح . هذا في احد الأناجيل . اما في غيره فقد قيل :

الدّ اعداء الكنيسة التي كانت تتداول تلك الاناجيل وتبني اهمّ معتقداتها الاساسية عليها • وغالباً كانت تستند في الردّ الى مزاعمهم الواهية الى فقر هذه الاناجيل ؟

وعندنا فوق ما تقدم من الشهادات ما يرتقي عهده الى القرن الاول • لدينا شهادة بولس الرسول الذي قضى نحبه في السنة الـ ٦٧ ثم شهادة يوحنا الحبيب الذي امتدت حياته حتى ابتداء الجيل الثاني واخذ عنه بوليكربوس تلميذه الذي استمر حتى عام ١٥٥ في قيد الحياة وعرف عند نهاية حياته القديس ايريناوس اسقف ليون في فرنسا وبابيا اسقف جيرابولي، اللذان اذاعا حقيقة الاناجيل الاربعة استناداً الى راي معلمها القديس يوحنا الرسول

فلو كانت هذه الاناجيل غير صحيحة لاضطر تلاميذ يوحنا الى مناهضة شيوعها في الكنائس • وافتراضاً غير مسلم به (جَدلاً) لو كانت هذه الاناجيل كاذبة • وسكت عنها الكاثوليك هل كان يسكت عنها ايضاً الهراطقة ؟ وان كانوا قد احتجوا عليها فاين هي اثار هذا الاحتجاج، مع ان مؤلفاتهم الكتابية باقية الى الآن لا تنطق الا بما يؤيد صحة هذه الاناجيل الاربعة

الى هنا عالجنا امر صحة هذه الاناجيل • اما سلامتها من التحريف منذ كتبت الى عهدنا الحاضر فتتناولها القسم الآتي من هذا الفصل •

٢ – حتى وسلامة هذه الاناجيل خارجة عن نطاق الحوار والاضطراب

اوضحنا فيما سبق حقيقة صحة الأناجيل من الشهادات التي بنينا عليها الاحكام العقلية والاستنتاج الصحيح ، والآن نتناول مسألة صحتها من التحريف والتزييف والحذف في بعض المعاني الاساسية في جوهرها.

نقول هذا ونستدرك امراً واحداً لا يخفى على كل ذي حكم صائب وواقف على تاريخ الامس . وهو ان قبل ظهور فن الطباعة كان لا بد من ان يعتري كل كتاب بعض الشوائب العرضية الملاحظة صور الالفاظ وذلك من جراء النساخ العديدين . على ان هـذا النقص كان يتضاءل بقدر ارتفاع قيمة الكتاب الواجب نسخه ، اذ كان النساخ يبذلون اقصى الجهود في ألا يهملوا شيئاً ولو جزئياً في نقلهم تلك الكتب القيّمة لئـلا يعابوا في مهنتهم ، وهذا العيب كان يبدو باسرع وقت في الكتب التي كانت تُتلى في المجتمعات ومجالس العموم . فمن هذا القبيل نصرح : ان الأناجيل لما كانت من الكتب التي كان يجب تلاوتها من الجميع حتى وفي الكنائس وفور وضعها وجب ان يكون بذل نساخها ادق عناية واتمها في وجوب اخراجها طبق الاصل كاملاً . مع هـذا لا ننكر وقوع بعض السهو في هذه النسخ مهما تضاعفت العناية لاخراجها صورة كاملة للاصل من ناحيتي المبنى والروح . لك المثل لهـذا السهو : قد قال يوحنا المعمدان عن نفسه انه لا يستحق ان يحل سير حذاء المسيح . هذا في احد الأناجيل . اما في غيره فقد قيل :

قال يوحنا . . : لا استحق ان اكون له (للمسيح) خادماً . . . هذا سهو واختلاف في صورة اللفظ ، على ان المقصود هو اظهار عظمة المسيح وتفضيله على يوحنا . فباختلاف اللفظ لم يختلف المعنى . . . وكذا يقال في باقي الفروق التي تراها بين انجيل وانجيل .

قد جمعوا من المخطوطات الانجيلية ، ما يقارب الالف (فور ظهور فن الطباعة) . كانت في التداول العام منذ القديم الى الجيل السادس عشر ، وعارضوها ببعضها ، فوجدوها تتوافق مع بعضها تمام الموافقة من ناحية المعنى . وهكذا تراها ايضاً في مؤلفات الاباء بذات المعنى وان تغيرت الالفاظ (كما مر بك في المثل السابق مثل يوحنا) .

ومما لا اعتراض عليه تاريخياً انتشار هذه الاناجيل في سائر انحاء الكون منذ القرن الثاني ، كما قلنا ، ولدى المقابلة وُجدت متشابهة من دون فروق ولا تغيير في المعاني .

هنا نتساءل : هل كان بامكان احد ادخال شيء جديد عليها ام حذف قضية لا تروقه دون ان يطوف الكون حيث انتشرت نسخ هذه الاناجيل ليزوّرها بعد ان يكون اتفق مع اصحاب الكنائس كلها على هذا التزوير والتحريف ؟ !

وافتراضاً غير مسلم به ، لو رضيَ اصحاب الكنائس كلها بهذا التحريف ، هل كان الاعداء (الذين كانوا يقفون لهم انذاك بالمرصاد !) يلزمون الصمت حيال هذا العمل ؟ ؟

لا لعمري . اذن الاناجيل سالمة من اي تحريف .

٣ - على ضوء الحقيقة ونور الضمير كتب الانجيليون ما كتبوا

ومعترض على صدق الرسولين (متى ويوحنا) والتلميذين (مرقس ولوقا) في كتاباتهم. فنجيب: لا مجال لاي ضلال هنا، فمن الانجيليين من عاينوا الحوادث بام العين وسمعوا الاقوال سمع الاذن من المسيح. ومنهم من اخذوا ما كتبوه عن الرسل مباشرة. ثم ما ذكروه قد كان حدوثه قريب العهد جداً، وذلك الحدوث كان شهده الناس عديدون، منهم قسم كبير من اخصام المسيح، لم يجرأوا انكاره بل عزوه الى جحافل الجحيم (باركون الشياطين يخرج الشياطين)

عدا ذلك لقد كان لما رواه الانجيليون في عقول اليهود وقع اليم مي. لان تعاليم علمها المسيح وروتها الاناجيل كانت سبباً لملاشاة سنن اليهود الطقسية، لذلك قاموا يصلونها حرباً عواناً، ناسبين الى قائلها تدخل اصابع الجحيم من غير ان يستطيعوا الى انكارها سبيلاً لكونها حدثت وقيلت بحضور شهود كثر.

نتبع: ليس من فخر يعود الى الرسل في ما دونوه، اذ اسهبوا في الكلام عن تركهم سيدهم وانكار بعضهم اياه، وعن توبيخه اياهم مراراً لقلة ايمانهم. ولكي يمكنهم اختلاق هذا يجب عليهم ان يقوموا بقسط وافر من الدهاء والمكر، بينما لا يعرف التاريخ شيئاً من هذا الدهاء وذاك المكر في اشخاصهم، بل على عكس ذلك يسمهم بطابع السذاجة والبساطة. ونحن لو سلمنا بوجود المكر والدهاء فيهم فاي فائدة كانوا ينتظرونها من جراء ذلك، بعد ان حاربهم الكون

باجمه ؟ وزادوا على هذا بان صوّبوا سهامهم الى دينهم (اليهودي) من غير ان يحصلوا على ما يقابل هذا الجهاد فيهم والاضطهاد في مضطهديهم . وما كان يا ترى ، هدفهم ونفعهم من كل هذا ، لو كانوا اتبعوا المين والضلال في كتاباتهم ؟ فلا آخرة سعيدة تنتظرهم (اذا كانوا يؤمنون بها) لانهم خدعوا الكون ! ولا راحة في هذه الغبراء لانهم قاوموا كل اديان الشعوب ونازلوها نزالاً شديداً وهم ليسوا بالعدد الوافر ! وقد انتهى امرهم بعذابات فادحة قاسوها في سبيل نشر مبادئهم ! ! -

هذا ما نرتئي قاطعين : لقد صدق الرسل فيما كتبوا تمام الصدق وهذا الصدق قد كلفهم غالياً ، كلفهم عذابات شاقة بربرية قاسوها من ملوك وولاة هذا العالم المظلم ، كلفهم دمهم عينه ، وذلك دفاعاً عن الحقيقة وجوهرها الذي رأوه ولم يَرَهُ ابراهيم ابوهم ، رغم اشتهائه ان يرى يوماً واحداً من ايامه

٤ً – زعانف النقدة يهاجمون الاناجيل بكل ما فيهم من قوى !

في كل هذه النقاط ندع انجيل يوحنا جانباً لكوننا وفيناه حقه سابقاً ، آخذين بالبحث عن مشكلة الاناجيل الثلاثة السابقة . ونحن الآن في صميم هذه المشكلة بل في جوهرها عينه ، ولولا هـذه النقطة لما كان للمسألة الانجيلية من وجود ، باعتبار ان كل ما قيل سابقاً ليس سوى توطئة وشروح لهذه النقطة الشاغلة اساس هذا البحث ، وليست سوى عرقه النابض بالحياة الواحدة غير المجزأة .

هنا نجابه اعتراضات كالشتاء ؛ وكلها ترتكز في نسق تاريخية هذه الاناجيل وعدم موافقة بعضها للبعض الاخر (١٩) :

.

= اولاً =

– قذيفة هولستن وقنبلة جان جاك روسو ! –

اتفق هذان الشخصان على انكار ثبوت وحقيقة اعمال المسيح واحداثه وقد ذهب هولستن الى انه في اول الامر لم يكن يصدق اعمال المسيح غير عامة الشعب ورعاعه (١) وتصديق هؤلاء لا يقيم دليلاً كافياً . ونشأ هذا الاعتقاد في افق وهمي كاذب حيال اعمال المسيح وديانته ! وتبع هولستن هذا جان جاك روسو الافرنسي .

وعندنا ان للعامة وللبسطاء اذان واعين وحواس وعقول (كما للخاصة والعلماء) يميزون بها المزيف من الحقيقي والغث من السمين خصوصاً في الاحداث الخارقة فالميت يعرف عند العالم والجاهل عند الفرد والجماعة ، ويلحظ قيامته الجاهل والعامة كما يميزها العالم والشعب المثقف و كذا قل عن اعمال المسيح الخارقة الطبيعة كالقيامة من الموت (اليعازر) وشفاء المخلع ونازفة الدم واحياء ابن الارملة وابراء ذوات الامراض العضالة وغيرها تقع تحت سلطان حواس الجاهل وحواس العالم على السواء .

يطيب لنا مصارحة المعترضين بان الكنيسة وان لم تقم من البدء الا على قوى واعمال بعض رسل بسطاء لكنها حوت فيها

بعد من العلماء ما لو احصي عددهم لفاق عدد علماء اي ديانة اخرى من ديانات الارض . لك مثال ذلك : كورنيليوس قائد المئة نيقوديموس ولعازر وبودنسيو (عضو مجلس اعيان روما) وفلافيوس وسرجيوس بولس (عامل اول في روما) وغملائيل والقديس بولس الرسول (العالم الكبير واللاهوتي الاشهر) والقديس يوستينوس الفيلسوف الكبير والقديس ديونيسيوس الاثيني (رئيس فلاسفة اثينا وقاضي قضاتها) وارستيد واوريجانوس (العلامة الذائع الصيت) وترتوليانوس (المحامي المجيد) وغيرهم ممن انضووا تحت لواء المسيحية طيلة القرنين الاول والثاني . اذن لقد جمعت المسيحية عدداً كبيراً من العلماء . وبهذا تلاشت قنبلة هولستن وذابت قذيفة روسو ...

هذا فضلا عن شهادة المؤرخ العظيم يوسيفوس اليهودي بحقيقة اعمال المسيح . قال يوسيفوس في الباب الـ ٢٠ الرأس الـ ٨ في كتاب القدمية : وكان في ذلك الزمان رجل لو صح ان القبه باسم رجل يقال له يسوع ، وكان ذا حكمة بليغة رائعة ، وكان يجي من ضروب المعجزات بابدعها وكان يهدي الى صراط الحق طلبة الحق ومن يستهدون الى موارده ، فتبعه قوم كثيرون من اليهود والامم وهو ذلك المسيح الذي نمّ عليه زعماء طائفتنا الى بيلاطوس ودبت عقارب سعايتهم به فامر بيلاطوس بصلبه واماته على الصليب .

ولم يكن ذلك ليصد من كلفوا به سابقاً عن ان يبعثوا اليه حبات قلوبهم وعواطف مودتهم ، وانه قد انبعث اليهم في اليوم الثالث حياً ، وقد انبأت بذلك الانبياء . هذا خلا ما يتعلق به من

باقي النبوآت الكثيرة وشيعة المسيحيين لا تزال الى ايامنا في نمو وازدياد ، وانما دعوا مسيحيين نسبة الى المسيح زعيمهم وواضع اساس ديانتهم »اه.

كذا قال اعظم مؤرخي اليهود في المسيح ، بالحرف الواحد .

=ثانياً=

– نسب المسيح الانساني بيت القصيد من المشكلة الانجيلية –

راق الملك الملحد يوليانوس التمادي في الضلال والكفر فانسل بين آي العهد الجديد يستر بها ضلاله فوجد هـذا بين متى ولوقا (على ما ظهر لبصيرته الضالة) واتسع امامه مجال الطعن على صدق نسب المسيح البشري بما ظاهره اختلاف عكس ما قصده الانجيليان وعلينا الآن ان نصور هذا النسب حسب كل من متى ولوقا ثم تعارض الواحد بالآخر ملحقين بهما الشروح الضافية .

اليك برسم هذا النسب :

متى ١، ١ – ١٧	لوقا ٣، ٢٣ – ٣٨
ابراهيم	آدم
اسحاق	شيت
يعقوب	انوش
يهوذا	قينان
فارص	مهلئيل
حصرون	يارد
ارام	اخنوخ

ارام
|
عميناداب
|
نحشون
|
سلمون
|
بوعز
|
عوبيد
|
يسى
|
داود الملك
|
سليمان
|
رحبعام
|
ابيا
|
آسا
|
يوشافاط
|
يورام
|
عزيا
|
يوثام
|
احاز
|
حزقيا
|
منسى
|
آمون
|
يوشيا
|
يكنيا
|
شألتيئيل
|
زربابل
|

اخنوخ
|
متوشالح
|
لامك
|
نوح
|
سام
|
ارفخشاد
|
قينان
|
شالح
|
عابر
|
فالج
|
رعو
|
سروج
|
ناحور
|
تارح
|
ابراهيم
|
اسحاق
|
يعقوب
|
يهوذا
|
فارص
|
حصرون
|
ارام
|
عميناداب
|
نحشون
|
سلمون
|

ايهود
|
الياقيم
|
عازور
|
صادوق
|
آكيم
|
اليهود
|
اليعازر
|
متان
|
يعقوب
|

يوسف
|

بوعز
|
عوبيد
|
يسى
|
داود الملك
|
ناثان
|
متاثا
|
منا
|
مليا
|
الياقيم
|

يونان
|
يوسف
|
يهوذا
|
شمعون
|
لاوي
|
متات
|
يوريم
|
اليعازر
|
يوسى
|
عير
|
المودام
|
قوسام
|
أدي
|
ملكي

نيري
|
شألتيئيل
|
زربابل
|
ريسا
|
يوحنا
|
يهوذا
|
يوسف
|
شمعي
|
متثيا
|
مآت
|
نجاي
|
حسلي
|
ناحوم
|
عاموص
|
متثيا
|
يوسف
|
ينا
|
ملكي
|
لاوي
|
متات
|
عالي
|
يوسف
|
المسيح

المسيح

هـذا هو نسق الانجيليين من ناحية نسب المسيح الانساني . فعلينا الان ان نوجز هذه اللائحة مبينين اوجه التناقض الظاهر الناتج عن اختلاف نظر متى ولوقا في هذا النسب الشريف :

متى	لوقا
	آدم
الاربعة عشر جيلا الاولى: ابراهيم، يسّى	الاربعة عشر جيلا الاولى: ابراهيم، يسّى

داود

متى	لوقا
الاربعة عشر جيلا الثانية: سليمان، راحبعام، يكنيا	الاربعة عشر جيلا الثانية: ناثان، ماثاثا، نيري، شلتيئيل

متى	لوقا
الاربعة عشر جيلا الثالثة: شلتيئيل، زربابل، ابيهود، متان، يعقوب، يوسف، يسوع	الاربعة عشر جيلا الثالثة: زروبابل، ريسا، عالي، (يوسف)، يسوع

فيكون ، كما رأيت ، اتجاه متى من داود الى الجلاء البابلي غير اتجاه لوقا ، اذ الاول ذكر اعقاب سليمان بن داود بينما الثاني اورد ولد ناثان اخي سليمان بن داود ، واثناهما أبنا داود . على انه من الطبيعي ان يكون نسل سليمان غير نسل ناثان اخيه ، لهذا بدا بعض التناقض الظاهر بين متى ولوقا ، خصيصاً لما نرى ان يوسف البتول هو ابن رجل (يعقوب) حسب متى ، وابن غيره (عالي) حسب لوقا . على اننا لا نضنّ بحل لهذه المشكلة ، التي تفرّق العلماء في شرحها الى عدة مذاهب ، ستراها بعيد كلمتنا هذه (الملخّصة عن شتى الاراء) التي تتناول هذا التناقض الظاهر بين متى ولوقا لتبدده بشرح واف :

كلمتنا في ايضاح هذا المشكل هي كلمة العالم الشهير الاب هرمان جنسان البلجكي ، الذي تبع رأي القديس يوحنا الدمشقي في هذا الموضع ، من ان متى ذكر انساب يوسف حسب عادة اليهود (الذين لا يتعرفون الى انساب الام مهما كان من الامر .) بخلاف لوقا الذي ذكر نسب مريم التي وحدها اولت ابن الله الكيان الانساني (ولا شأن للوقا بعادة اليهود لانه لم يكتب لهم ولم يكن منهم) ومنها يجب ان نصعد الى نسل داود لا من القديس يوسف الذي ليس له اي تدخل فعلي في تصوير وايجاد جسد المسيح الانساني اذ الروح القدس قام مقام الطبيعة وحلّ على العذراء فاعطت وجوداً جسدياً لثاني الاقانيم . ولما كان الواجب ظهور المسيح من نسل داود بحسب الطبع البشري ، ولما كانت امه من نسل داود نتج

ان هذا الطبع البشري اخذه من امه لاستحالة تدخّل ابيه. وجاز لنا الصعود الى ابيه داود من ناحية امه، كما صنع لوقا.

لذلك سلك لوقا مسلكاً، في ذكر نسب الربّ، مخالفاً لمسلك متى الذي تبع عادة اليهود من عدم ذكر النسب النسائي.

وقد اعتنق هذا الرأي بعض العلماء الذين يعزون يوسف الى عالي (لوقا، ٣، ٢٣) كما يعزى الصهر الى حميه، مثال ما ورد في العدد ٢٧ حيث نعرف بشألتيئيل ابناً ليكنيا (كما جاء في متى ١، ١٢) وشألتيئيل هذا قد تزوج بابنة نيري الوحيدة، فاصبح صهرا لنيري هذا وعلى وجه الاتساع ابناً له ايضاً.

ولكن هنا قد اشكل فهم امور: اولها لماذا خلط لوقا (في لائحة اباء المسيح بالجسد) البنين بالاصهار ولم يميز بين الاثنين ولا اقام دليلاً ساطعاً على ذلك؟ وثانيها كيف انفصل فرعا ناثان بعد ان اختلطا بشألتيئيل وزربابل؟

ذهب بعض العلماء المتأخرين مذهباً يغلب عليه التصديق، وهو ان لوقا ذكر فوراً نسب العذراء، كما ارتأينا سابقاً، ومعنى العدد الـ٢٣ من الفصل الـ٣ ان يسوع كان حفيداً لعالي (ولفظة الابن هنا يجب اخذها باتساع المعنى). اما شألتيئيل وزربابل اللذين ذكرهما لوقا غير ذينك المذكورين في متى. بناء على ذلك تكون مريم من نسل داود من ابنه ناثان، على ما في لوقا، ويكون يوسف من نسل داود من سليمان على حد ما جيء في متى. هاك الادلة على صحة هذا المذهب:

١ً قال لوقا (٣، ٢٣ - ٢٨) : ويسوع كان له من العمر نحو ثلاثين سنة حين بـدأ بكرازته وهو (و كان يُظنّ به انه ابن يوسف) ابن عالي . . الخ . . فكأني بلوقا يريد ان يقول : يسوع الذي يظن انه ابن يوسف الذي (اي يوسف) كان ابناً لماثات الخ . وهذا يشير الى ان لوقا لم يعتبر يسوع ابنا ليوسف بالطبيعة (بل كتب راي الناس فيه، وما اشاعوا عنه) . اذ المسيح (١، ٣٥ لوقا) حُبلَ به بقوّة الروح القدس الحالّ على امه العذراء، وانما دعاه ابن عالي مريداً بذلك انه كان حفيداً لعالي . كما هي العادة عند كثيرين من كتبة الدين والدنيا عند اليهود .

وقد اتضح ان الاسماء يواكيم ويواقيم والياقيم، وبالتحويد عالي، هي الفاظ مترادفة وردت في الكتاب لتدل على شخص واحد . والتقليد يثبت كون يواكيم (اي عالي) هو ابو العذراء مريم ، ويسوع هو ابن عالي او حفيده . وان لوقا لما ذكر انساب مريم على خطّ مستقيم اتسع امامه المجال لذكر يوسف على انه صهر لعالي .

٢ً لقد اثبت لوقا البشير (٣، ٢٣) فوق ما تقدم، ان المخلص هو من نسل الملك داود وان القديس يوسف لم يكن اباه . واذاك لم يكن ليجمل بلوقا ان يتحدث عن اسلاف يوسف البتول من غير ان يخالف غرضه، اذ انه سبق فنفى اولاً تدخـل يوسف البتول بتجسد المخلص الاله .

٣ً اما لو سلمنا بكون القديس لوقا رمى بوضعه تلك السلسلة الى وصف كيفية نسل المسيح، على خط مستقيم، من جده داود

باسلاف امه مريم العذراء ، فيهون علينا حينئذٍ ان نحيط علماً وفهماً بالسبب الذي حمل لوقا ليصعد بنسب المسيح الى آدم بل الى الله . وبعكس ذلك لو افترضنا ان لوقا بدأ بسلسلة انساب يوسف ، مع كونه (لوقا) قد صرّح قبيله بان القديس يوسف ليس اباً ليسوع بالطبيعة لابدعنا مشكلاً جديداً يستعصى على الجميع حله . عدا هذا المذهب الذي اعتنقناه نجد مذهبين غيره يشرحان هذا الاختلاف بين متى ولوقا :

اولاً : المذهب الباسط كون متى تناول نسب المسيح الملوكي بينما لوقا صور نسبه الكهنوتي او الحبروي . وان ناثان الذي اتى على ذكره القديس لوقا (٣، ٣١) كان حبراً اعظم وابناً لداود بالتبني ، لذلك اليصابات (ام المعمدان) نسيبة للعذراء مريم .

فلو صحّ هذا الرأي للزم عنه اتصال المسيح من ناحية امه بسبط لاوي . وهذا ما ينفيه القديس بولس في رسالته الى العبرانيين (٧، ١٤) وليس ذلك فقط بل لخالف الدليل العقلي والشريعة . اما اليصابات فقد كان اتصال قربها بالعذراء من ناحية امها (ام اليصابات) التي تحدرت من صلب يهوذا ، الذي هو سبط مريم البتول

ثانياً : المذهب اليولياني الذي انشأه في القرن الثاني للمسيح يوليوس الافرنجي (في رسالته الى ارستيد = اوسابيوس كتاب ١ فصل ٤) وتبعه كثير من الاباء . يثبت هذا المذهب كون متى ذكر نسب المسيح الطبيعي (النسب) بخلاف لوقا ، الذي فضل ذكر النسب الشرعي .

ولا هذا المذهب يقرب من الصحة والتصديق ، لان التسليم به يخلق عدة مشاكل لا يتسنى حلها بطريقة حاسمة . واولى هذه المشاكل هي كون الامم الموجّه اليهم انجيل لوقا لا يفقهون معنى للنسب الشرعي (وهذه الشريعة عبرانية ولوقا لم يكتب للعبرانيين) فاية فائدة من ذكر هذا النسب اذن ؟ وثانية هذه المشاكل (لوقا ٣، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧) هي، لماذا انتقل لوقا (بعد ان ذكر اباه كثيرين بحسب الطبيعة) من الولادة الطبيعية (٣، ٢٣) الى الولادة الشرعية عفواً دون ان ينبه الى هـذا الانتقال والى الدواعي التي حدت به للانتقال اليه ؟ ! فلا نحن ندري ولا غيرنا يدري السبب الذي مال بلوقا لهذا النهج الغريب عن قرائه وعن اسلوبه السابق !

وغير هذين المذهبين مذاهب عـديدة ، هي اوهى قوة من السابقين ندعهـا جانباً لئلا يساور القاري العزيز الضجر ويتولاه الفتور من هذا البحث الجزيل الفائدة .

نعيد اذن : ان نسب متى يوسفي اما نسب لوقا فمريمي .

ـ الخلاصة ـ

كما قلنا قد خصص متى نسب المسيح بفصله الاول وخصصه لوقا بفصله الثالث فبدأ الاول نزولاً من ابراهيم الى يوسف خطيب العذراء التي ولدت يسوع . اما لوقا فقد ذكر يوسف البتول صاعداً الى عالي الى ناثان بن داود الى آدم الذي هو من الله . وهذا النسب قد اخذه لوقا عن الكتب المقدسة عدا بعض اباء الستة القرون الاخيرة، فان اسماءهم منقولة عن سجل الانساب الذي حفظ داخل

الهيكل بحراسة الكهنة وعنايتهم (عزرا ٢: ٦٢؛ نحميا ٧: ٥) . واليهود كانوا يحافظون على انسابهم محافظتهم على الميراث . فحنة النبية كانت جدّ عالمة انها من سبط اشير ، واليصابات (ام القديس يوحنا المعمدان) كانت عارفة اصلها الهاروني (على حد قول لوقا) . وقد ذكر مؤرخ اليهود يوسيفوس نسبه في سرد حياته ، نقلاً عن السجلات العامة . وكان نسل داود معروفاً حتى ايام المسيح ، اذا كان العميان والمقعدون وغيرهم ينادون المسيح : يا ابن داود . وقد بقي هذا النسل معروفاً بعد المسيح على ما انبأ هيجيزيبوس (المتوفي عام ١٨١) الذي قال : قد وشي بالبعض من نسل داود الامبرطور دومطيانوس فاتى (هذا الامبراطور) بهم الى رومية . من هذا يظهر ان متى ولوقا اخذا الانساب الغير المذكورة في الكتاب المقدس عن السجلات العامة . والكنيسة حافظت على هذه الانساب بابقائها عليها في الكتب المنزلة (في متى ولوقا) لعدم منافاتها الحقيقة ، كما ابان ذلك افذاذ العلما القديمون مع فئة كبيرة من الحديثين .

= ثالثاً =

– هي الحقيقة في ما ذكر متى من الاجيال الاربعة عشر مثلثة –

مهما هاجوا متى ، يبقى في انجيله ، ثابتاً كالصخر لا يتزعزع ولا يضطرب من ناحية مبنى وروح انجيله ، اذ هو المؤرخ الصادق في كل ما روى من اعمال واحداث . لذا ترانا الان ملجئين الى دفع اعتراض جديد عن بشارة متى الرسول . هذا الاعتراض يدور حول الاجيال الاثنين والاربعين المذكورة في انجيله .

قالوا : لقد بدا للقديس متى ان يجزئ الزمان من ابراهيم الى المسيح ثلاثة اجزاء . كل منها يتكون من اربعة عشر جيلاً (قسراً او طوعاً وهذا هو التكلف بعينه) . ففعل ولم يكترث للتكلف وللتعسف اللذين درج عليهما في هذا الموضع . ليس فقط بل وقد سها في الامد الثاني ، عن ثلاثة اجيال ، ذكر يكنيا مرتين (١٩)

وعندنا ان متى تنزه عن اي تكلف وتعسف والتواء ولم يذكر تلك الاجيال على غير هدى ، بل قد اصاب تماماً اذ قسم الاجيال الى ثلاث مدد ايذاناً باحوال اليهود الثلاث وتسهيلاً للحفظ فالاجيال الاولى اجيال البطاركة (الاباء القدماء) والقضاة ، وتأخذ بدايتها من ابراهيم وتنتهي الى داود ، وهذه أولى حالات اليهود . اما الاجيال الثانية فهي اجيال الملوك (من سليمان الى يواكيم) وهي حالتهم الثانية . اخيراً الاجيال الثالثة التي هي مدة الزعماء والاحبار ، وتبدأ من يكنيا فتنتهي الى المسيح . نقول هذا ولا ننكر ان متى اهمل من الملوك ثلاثة يتراوح زمانهم بين زمان يورام وزمان عزيا (سفر اخبار الايام الاول ٣: ١١ - ١٢) يورام ولد احزيا واحزيا ولد يوآش يوآش ولد امصيا وامصيا وَلَدَ عزيا) الا ان هذا الاهمال كان سيراً على عادة المؤلفين الشرقيين الذين كانوا غالباً يطوون كشحاً عن ذكر بعض الانساب مقتصرين بذلك على ذكر من هم اولي لبلوغ غاية الواضع . ولما كان غرض متى ذكر نسب المسيح الداودي (النسب) دون ان يهمه امر ذكر كل الملوك الذين تحدروا من صلب داود خصيصاً اولئك الذين لم تكن

اسماؤهم مثبتة في سجل ملوك يهوذا (كالثلاثة الذين اهمل ذكرهم متى ، لانهم حركوا عليهم ضغائن شعبهم ، فضلاً عن انهم كانوا من نسل لعنه الرب ، وهو نسل آحاب وايزابل اللذين عقد ليورام على ابنتهما . وقد قال سفرا الملوك الثالث والرابع : ان الله لعن ذرية آحاب مرة ثم اخرى ، فحلت تلك اللعنة على الملوك الثلاثة حفدة آحاب بابنته عتلية وبابنة ابنته امري الى الجيل الرابع) . فينتج كون الانجيلي لم يعثر باية هفوة ولم يركب الشطط باهماله اسماء ثلاثة ملوك ، لم تحمل لائحة يهوذا اسماءهم .

اما ما يلاحظ ذكر يكنيا مرتين فنجيب عليه : ليس الاسمان لشخص واحد بل لاثنين ، هذا اذا نبهنا الى وجوب ابدال احد الاسمين بيواكيم [(عوض يكنيا) لان سفر اخبار الايام الاول ٣، ١٥ - ١٦ يثبت ان يكنيا كان له اخ واحد هو صدقيا واما يواكيم فقد كان له اكثر من اخ هم يوحانان وصدقيا وسلوم] كما نجد في كثير من المخطوطات اليونانية واللاتينية « يواكيم » مكان « يكنيا » . لهذا كان الاصح ان يقال : ويوشيا ولد يواكيم واخوته ويواكيم ولد يكنيا في نحو عهد الجلاء الى بابل وولد يكنيا شألتيئيل من بعد جلاء بابل .

وقد يكون يكنيا الاول اباً ويكنيا الثاني ابناً ، اذا لم يرقنا ما تقدم من الشرح والتفسير ، كما قال الاب هرمان جنسان العالم البلجكي الكبير .

= رابعاً =

– بعضهم يهاجم بشدة صحة الاكتتاب المذكور في لوقا (٢، ١-٥) –

راى بعض نقـدة اليوم في ذكر لوقا للاكتتاب الذي امر باجرائه اغسطس قيصر اساءة الى الحقيقة، محاولين تكذيب الانجيلي بخمس حجج هي الآتية :

١ً – لا يذكر التاريخ اكتتاباً عاماً اجراه اغسطس قيصر

٢ً – درجاً على الاكتتاب الروماني لم يكن يوسف ليلتزم بالذهاب الى بيت لحم وبالحري حجة لم تكن مريم لتلتزم بهذا الذهاب

٣ً – على ان هذا الاكتتاب، ايام هيرودوس، لا يقوى على اجرائه اغسطس

٤ً – هذا الاكتتاب لم يعرف عنه شيئاً مؤرخ اليهود يوسيفوس

٥ً – ان كيرينيوس لم يكن والياً على سوريا، لما كان هيرودوس ملكاً.

هـذه هي ادلة المعترضين للتثبت من صحة زعمهم، وها انت تراهـا لا تخلو من القوة. ونحن مع اقرارنا بقوتها لا نتردد في الاجابة عليها.

١ً – نعرف ان اغسطس قيصر امر باجراء ثلاثة احصاآت في المملكة الرومانية (اولها عام ٢٨ قبل المسيح. وثانيها عام ٨ قبل المسيح اما الثالث ففي عام ١٤ بعد المسيح). فحول احصاء بلاد الغال (عام ٢٧ م.) تكلم طيطوس ليفيوس قائلاً : انه عمّ بلاد

اسبانيا ايضاً . وتاشيتوس شهد باحصاء بلاد الجرمان (انظر تاريخ تاشيتوس ١، ٣١) . وذكر العالم الاثري الشهير دي رسي في مجلة الاثار المسيحية (١٨٨٠) اكتشاف كتاب قديم عنوانه تيتولوس فينيتوس (Venetus Titulus) الذي يؤكد صيرورة احصاء في سوريا . اما هذا الاحصاء فيغلب على الظن انه حدث عام ٦ بعد المسيح وقت اتمّ كيرينيوس الاحصاء في اليهودية (لك الشاهد يوسيفوس في القدمية اليهودية ١٨، ١، ١ ؛ انظر مجلة التمدن الكاثوليكي الايطالية ٨، ١١ المجلد الخامس (١٨٨١) صفحات ٧١٥ – ٧٢٦) . مما تقدم نتج ان اغسطس امر باجراء اكثر من اكتتاب واحد في نواحي مملكته . لذلك بان خطأ راي النقدة المتقدم ذكرهم في حجتهم الاولى .

٢ً – وعلى الثاني نجيب : لماذا الزم الامر (الذي اصدره والي مصر كاديوس فيبيوس عام ١٠٤م) كل مصري خارج عن مدينته او قريته ان يعود اليها ليكتتب فيها، ولم يلزم امر الاكتتاب في فلسطين كل يهودي ان يذهب الى قريته (اذا كان خارجاً عنها) ليكتتب فيها ؟

والامران مصدرهما واحد اي الشريعة الرومانية التي لا يمكن ان تنهج نهجين في مستعمراتها من ناحية الاجراء والتنفيذ حول حدث واحد ؟

اذاً ليس الامر صحيحاً من ان الشرائع الرومانية لم تكن تحتم على الافراد بالذهاب الى مسقط راسهم ليكتتبوا فيه . لذا صح ما قال لوقا بوجوب ذهاب يوسف الى بيت لحم . اما مريم فقد تكون ملتزمة بالذهاب، كما كانت الحال في مصر، او انها كانت ابنة وارثة

ان لم يكن ذهابها مجرد ميلها لمرافقة خطيبها خصوصاً وزمن وضعها كان اوشك ان يدنو وهي لا تود ان تضع مولودهـا الالهي في غياب القديس يوسف وهو منفصل عنها لا يتمكن من اسعافها في زمان الوضع . بهذا تتلاشى قوة حجة الاخصام الثانية .

٣ً – اما قولهم الثـالث من ان اغسطس لا يقوى على اجراء اكتتاب ، وهيرودوس يتبوأ عرش مملكة اليهودية ، فليس بما يؤبه له . لان اغسطس له ان ينعم على هيرودوس بالاستقلال التام داخل اليهودية (فيما لو كان راضيا عنه) وله ايضا ان ينزع هذا الاستقلال عنه (في حالة عدم رضاه) .

وبالواقع قد استاء اغسطس من هيرودوس فعامله كمرؤوس له (كما ألمع المؤرخ يوسيفوس في القدمية اليهودية ١٦، ٩، ٢ وما يلي) بوسائل عديدة كاشادة هياكل واقامة تماثيل لاغسطس مع قسم يمين الاخلاص له (وهـذا حوالي عام ٦ او ٧ بعد المسيح كما افاد يوسيفوس في كتابه المذكور ١٧، ٢، ٤) وفي هذا الظرف استطاع الامبراطور بسهولة اجراء الاحصاء في اليهودية . دون اي غضاضة ولا ملامة وهنا انهدمت دعائم حجة المعترضين الثالثة .

٤ً – اما عدم تعرض يوسيفوس لذكر هذا الاكتتاب فلا يقوم برهانا على ملاشاة صحته . ناهيك بان يوسيفوس ليس بالامين في كل ما كتب وسكت عنه . فضلًا عن ان سكوته لا يصلح حجة ايجابية او سلبية . وسبب كلامه عن الاحصاء الذي أجري في السنة السادسة بعد المسيح هو ان يهوذا الجليلي عصا وسار على

الخوارج الماسكين زمام الحكم في بلده . لهذا ندوس قوة رابع حجة المعترضين .

٥ً - اما قولهم : ان كيرينيوس لم يكن واليا على سوريا، لما كان هيرودوس ملكا على اليهودية . فهذا صحيح . ومع تسليمنا به نقول : قد يمكن ان اغسطس انتدب كيرينيوس ليجري الاحصاء فقط في سوريا ثم يرجع فور تتميمه او ان نفسر ذكر كيرينيوس في انجيل لوقا بشهرة كيرينيوس المذكور مترجمين الكلمة اليونانية «Proté» « بقبل » عوض « في ايام » سيما ولفظة « «Proté» لها معنى « قبل » عدا « في ايام » . وهنا يزول الابهام وينتفي كل اعتراض على صحة وتاريخية فقر الفصل الثاني من انجيل لوقا .

= خامساً =

- قالوا : مسيح مرقس هو ذاك الراغب في حجب اعماله عن الانتشار (!) -

لقد كان المسيح يحرم على الشيطان اشهار الوهيته (مرقس ١، ٢٤ والتابع ، ٢، ٣٤؛ ٣، ١١ الخ) لان الشيطان هو ابو الكذب فتكون نتيجة اقراره بالمسيح العكس ، وان ارغم على هذا الاشهار (١) . لذلك حذّر المسيح عليه الاعتراف باللاهوت الالهي في شخصه المقدس . وحرّم المسيح ايضاً بعض المرار على التلاميذ وغيرهم اشهار اعماله ولاهوته (مرقس ١، ٤٣؛ ٧، ٣٦؛ ٨، ٢٦) لانه تحاشى إثارة اليهود عليه قبل بلوغ ساعتهم المقررة .

هذا ما تراه في مرقس ، على انك تجده ايضاً في متى (٨، ٤ =

لوقا ٥، ٤) وفي لوقا (٤، ٤١؛ ٨، ٥٦...) وليس في مرقس وحده كما زعموا تخطئة له.

اما قول ستروس [D. F. Strauss, Das Leben Iesu I 495-503 Tubingen, 1840)]، ورنان [Vie de Jésus (Paris 1863) 80 s, E. Renan] ولوازي [A. Loisy.Les Evangiles SynoptiquesCeffonds1907 182-186 (408, 740, 750] من ان يسوع كان المسيح لكن الضمير المسيحي فيه خلق صغيراً واخذ في النمو شيئاً فشيئاً بنوع ان مسيحيته اكتملت في آخر مراحل حياته بل وبعد موته . وبهذا يكون تبع ناموس التطور، الذي هو وحده اقام له اساساً لمسيحيته التاريخية (! وللاهوتهِ (!!)

افك وضلال !! (فالمسيح (ليس فقط في مرقس بل وفي متى ٣، ١٥، ١٧... ولوقا ٤، ٤١... ويوحنا ١، ١٩ - ٣٤ ترى التحذير من اشهار المسيح على السواء) قبل موتهِ عرفه المعمدان وشهد له (متى ٣، ١٥-١٧؛ ١١، ٢-١٦؛ واعترف بهِ السمراء يوحنا ٤، ٢٥.) والشياطين ايضاً (لوقا ٤، ٤١) واللص على الصليب (لوقا ٢٣، ٣٩- ٤٣) بل هو نفسه اقر بلاهوته صراحة (متى ٢٧، ١٧، ٢٢؛ مرقس ١٥، ٣٢؛ لوقا ٢٣، ٢، ٣٥) حتى امام اعدائه كرئيس الكهنة (متى ٢٦، ٦٣ الخ.؛ مرقس ١٤، ٦١ وما يلي؛ لوقا ٢٢، ٦٦ - ٧١). فلو اذعنا جدلاً، لقول هؤلاء من ان يسوع اصبح مسيحاً كاملا بلاهوته بعد موته، لوجب نبذ الانجيل بكامله، اذ انه لا ينكف عن ذكر حقيقة المسيح من ذكر البواهر التي صنعها قبل موته وقبل الامهِ (!

عدا ما تقدم فانهم ينسبون روح مرقس الى الرسول بولس قائلين:
انجيل مرقس انجيل بولسي . وقد خلق من الايمان لاجل الايمان .
لذا حدد لوازي انجيل مرقس باسطورة دينية [Legende reigieuse]
فان كان الامر هكذا توجب علينا ان نساوي بانجيل مرقس باقي
الاناجيل لانها هي ايضاً صدرت عن الايمان وعن الاساطير الدينية
(لانها تروي ما يروي مرقس بالذات) ، بعد هذا نسأل : اين
يوجد الانجيل الصحيح ، هل هو في دماغ لوازي الخصيب (ولكن
بالمناقضات والسفسطات الواهية) ؟! فان كان كذلك رجوناه
اتحافنا به ونحن له من الشاكرين ! شرط ان يتقبل ما يستحق هذا
الانجيل من انتقاد ، لانه ، دون شك سيكون من سقط التاريخ،
لا يوفق في جلاء الحقيقة المرغوبة .

= سادسا =

— هل قسراً وتكلفاً خصص متى بالمسيح نبوآت العهد القديم ؟! —

قال المعترضون : ان متى سرد تلك الفقر على سبيل التعسف
من غير روية . وتبسطوا الى ان قالوا :

١ً – انه (متى) نسب الى المسيح ما ذكره في العدد الـ ١٥
من فصله الـ ٢ عن هوشع (١١ ' ١ = من مصر دعوت ابني) . بينما
النبي لم يرد ان يعبر بهذا عن غير بني اسرائيل . الذين كان الله
يودهم كابنه . ونحن ايضاً نقر بهذا ولكن على شريطة ان يكون
لهذا اللفظ تفسير آخر رمزي يشير الى المسيح ، لان الاقوال النبوية

كما المعنا سابقاً في توطئتنا على الانبياء، ويجب ان ينظر اليها بعينين وزمانين، هذا في الامور التاريخية، كما في آية هوشع هنا، عين ترى الحدث التاريخي الماضي وعين ترى المستقبل الحر البسيط، في زمان الماضي او الحاضر نظراً لعلاقة الحادث به في المستقبل، يتم فيه الرمز النبوي. وهنا في آية متى تم الرمز في المسيح الذي عاد من مصر، كما جرى تاريخياً.

٢ - وتابعوا قولهم: لقد قال متى (٢، ٢٣) ان يسوع اقام في الناصرة ليتم ما قيل بالانبياء انه يُدعى ناصريا. مع ان هذه الشهادة لا توجد في كتب الانبياء.

نجيب: لم يقل متى: هذا مثبت بحروفه في احد مواضع الكتاب، لكنه ابان لنا ان الانبياء دعوا المسيح ناصريا. وناصري لفظة عبرانية تُترجم بنصير او منقطع ومنذور، وقد تكلم الانبياء مراراً عن المسيح من انه رجل يسمو باقي الرجال يتفرد بينهم وبنذر لله.

٣ - وتخطوا الى الامام بان قالوا: جاء في متى (٢١، ٤ - ٥). وهذا كله كان ليتم ما قيل بالنبي القائل: قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان. على ان هذا القول لا تقف له على اثر في كل كتب الانبياء.

نرد ان القديس متى ختم في آيته هذه آيتين لنبيين اثنين. فقوله: قولوا لابنة صهيون هو لاشميا (٦٢، ١١)، وقوله: ها ملكك... هو لزكريا (٩، ٩)

٤ – ومضوا في اعتراضاتهم قائلين : لقد نسب متى الآية «واخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنه بنو اسرائيل» الى ارميا مع انها ليست سوى لزكريا.

نرد : نعم ان القول هو لزكريا، على ان نسبته الى ارميا لم تذكره المخطوطات (التي كانت تتداولها الايدي ايام القديس ايرونيموس) القديمة، فقد يكون صدر هذا الخطأ عن احد النساخ اما سهواً اما جهلاً . فاندس بعد ذلك في باقي النسخ .

= سابعاً =

– تتمة ما يرد على متى من اعتراضات مع الاجوبة عليها –

بعد ان سرد متى المعجزة التي قام بها الروح القدس وقت تجسد الكلمة قال : وكان هذا كله ليتم ما قال الرب بالنبي القائل : ها العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل (اشعيا ٧، ١٤) . على ان قول متى هذا لم يرق بعضهم، كدومرزي، فقاموا يناهضونه قائلين : ان نبوءة اشعيا هنا لا تعلق لها بالمسيح، لهذا يكون متى قد اساء اذ ذكرها . ومما يؤلم شديداً كون بعض علماء المحتجين اقبلوا يؤيدون رأي المعترضين !

لذا نجابه هذا السرب مجابهة الند للند . فاسمع وعِ :

نطق اشعيا بهذه الاية امام احاز ملك يهوذا (عام ٧٠٠ قبل المسيح) اما الباعث فهو : ان رصين ملك سوريا وفاقح ملك اسرائيل اشهرا حرباً على آحاز ملك يهوذا حتى ضيقا عليه الحصار

واذ لم يجد احاز منهما محيصاً لاذ بتغلث فَلصّر ملك اشور يستنصر به على ذينك الملكين ، فنهاه اشعيا النبي عن هذا بامر الرب ، ووعده بان الرب سيبيد الملكين المذكورين وخيره بين اشارة وآية يرغبها حجة لصدق القول الالهي (اشعيا ٧ ، ١١) . فابى آحاز ان يطلب معجزة بحجة انه لا يريد تجربة الله (٧ ، ١٢) ، فلامه النبي على ضعف ثقته بالرب وعدم اتكاله عليه جلّ وعلا . ثم وجّه الى بيت داود وقال : فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل

قد حُملت هذه النبوءة ، حتى القرن الخامس عشر ، على معناها الحرفي والمعنوي (الرمزي) والتاريخي وخُصت بالسيد المسيح . اما في القرن السادس عشر فزعم بعض البروتستان والكاثوليك ان اشعيا اشار بهذا الى امرأة آحاز او امرأته (امرأة اشعيا) او امرأة غيرهما تتزوج ، وهي بكر عذراء ، برجل ما فتعلق منه وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل ، دلالة على ان الله يؤتي اليهود عوناً وينقذهم من اعدائهم .

على ان الكاثوليك (اعني الاكثرية الساحقة منهم) ما انفكوا الى الان يثبتون ان عمانوئيل المذكور في اشعيا هو كناية عن المسيح ، وان تلك النبوءة هي بشارة صادقة بالمسيح ، وان تكن واردة من قبيل الرمز .

وعام ١٧٧٣ علق جان لورن ازنبيهل (الكاهن الكاثوليكي وطنه مدينة مينس التي فيها كان يعلم شرح الكتاب المقدس)

على آية اشعيا المار ذكرها شروحاً مغلوطة اذ قال : ان عمانوئيل اشعيا لا يراد به المسيح على الاطلاق لا على سبيل الحقيقة ولا من قبيل المجاز ، وانما ذكر متى الانجيلي آية اشعيا هذه كحاشية تاريخية او كنكتة مستملحة ...»

وقد اثبت ايزنبيهل المذكور رايه هذا (الذي خالف راي الجمهور) في كتاب اسماه «مقالة جديدة في النبوّة المتعلقة بعمانوئيل» ولكن علماء اللاهوت في مينس رفضوا هذا الكتاب . ثم عوقب صاحبه بان أُقصيَ عن استعمال الاسرار وحُبس في صومعة ، فهرب منها عام ١٧٧٩ لكنه قبض عليه ثانية واعيد الى سجنه الاول بعدئذٍ عرضوا كتابهُ في تريفة وستراسبورغ وهيدلبرغ وباريس على الفحص والنقد فكانت النتيجة نبذه لضلاله الغوي ونسخ لطفوحه بالارتقات حتى وفي المانيا قد حرمه ونسخه عدد كبير من الاساقفة ، غير ان هنتهيم معاون اسقف تريفة وبرلمان معاون اسقف سيره (من اعمال المانيا) وغيرهما من علماء لاهوت سلسبورغ قاموا يدافعون عن هذا الكتاب . عندئذٍ حسم البابا بيوس السادس امره وحرمه (١٧٧٩) لتضمنه قضايا باطلة مشبعة بالهرطقة . على ان جان لورن ايزنبيهل نشر في تلك السنة كتاباً يصرّح فيه بخضوعه لحكم الاب الاقدس نائب المسيح على الارض . وهكذا رجع ايزنبيهل عن ضلاله الاول .

= ثالثاً =

- نظرة العالم هرمان جنسان في مذهب ايزنبيهل ورده عليه -

يثبت هذا العالم باعتقاد ان متى الانجيلي ذكر آية اشعيا (٧، ١٤) لكونها تناسب الموضوع وواجبة، وقد شاء متى ان يضع نسبة بين عمانوئيل الذي وعد به اشعيا النبي آحاز الملك وعمانوئيل الذي بشر يوسف به الملاك جبرائيل. الا ترى ان الانجيلي قد قال صريحاً: وكان هذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: ها العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل.

فلا اوضح من هذا الكلام (يتابع هرمان المذكور) ! ألا ترى انه بمثابة القول: تنبأ اشعيا ان عمانوئيل تحبل به عذراء وتلده. وقد تمت تلك النبوة بمريم العذراء حبلى وامّ.

ثم ان مذهب ايزنبيهل ليس فقط لا تصدع ببطلانه مبادىء اللاهوت، بل يناهضه ايضاً الدليل البياني على انه محض بطل ومين. ففن البيان، يبحث فيه عما اراد كاتب ديني في كلامه من المعاني والحال ان القديس متى يشهد بان اشعيا اراد في كلامه ان يشير بلفظة عمانوئيل الى المسيح. وذلك ما جعل بيوس السادس ان يقول حين انتقد مذهب ايزنبيهل: ما من مسيحي الا مجّ كلام ايزنبيهل واخذته الرعشة والرجفة من انه حرّف الكتاب ومسخ التقليد وقوّض اركانها اهـ.

وآية اشعيا المار ذكرها لا يراد بها المسيح ومريم على سبيل المجاز والرمز ولا من قبيل التناسب والاتفاق وانما تدل على المسيح ومريم

دلالة صريحة صادقة . يثبت ذلك : ١ً لان اشعيا قال ان العذراء وهي بكر وتلد وهي عـذراء . والحال ما من بكر سوى مريم العذراء حبلت وولدت وهي عذراء . اذن ان لم نسلم بان مدار الكلام على مريم البتول ، تحتم علينا ان نزعم ان نبوءة اشعيا لم تتم بعد ... ٢ً لان اشعيا لما بشر بعذراء تحبل وتلد شاء ان يأتي بمعجزة تشهد بما اراد وان ينبي. بواقعة تعدو خطة كل مألوف ، فما قولك ، ايها القارئ ، في آية اشعيا العجيبة لو ان نبوّتهُ اقتصرت على ان امرأة متزوجة او فتاة عذراء فقط الى وقت عقد النكاح ازمعت ان تعلق من رجل بابن تلده (١١) ؟ ٤ً فضلاً عن ان نبوءة اشعيا يستحيل تطبيقها على حزقيا بن آحاز لان حزقيا كان له من العمر تسع سنين لما نطق بها اشعيا ، فقد ثبت مما ورد في سفر الملوك الرابع (١٦، ٢) ان احاز تولى الملك ستة عشر عاماً وكان حزقيـا في سن خمس وعشرين لما استوى على عرش الملك بعد موت ابيه (٤ ملوك ٨ ، ٢)

وتلك النبوءة لا يتيسر انطباقها على ابن اشعيا ، والا فما الاية المذهلة في ان امرأة اشعيا النبية حبلت بعد ان دنا النبي منها (كما قال في ٨، ٣) ناهيك بعدم بقاء النبية الى ذلك الحين عذراء لكونها كانت قد ولدت ابناً دُعي ياشوب (٧، ٣) وابنها الذي حبلت به بعد الاول دعي بما تعريبه « اسرع الى السلب بادر الى النهب » لا عمانوئيل الذي يفسر الهنا معنا .

هذا ولا يحق التصور ان تلك النبوة اريد بها امرأة اخرى مكثت عذراء الى ان ضاجعها رجل فحبلت منه ، والا فاية هي

الاية التي يعرّف لها اشعيا مبشراً. ونحن نسأل : اني امرأة علقت من رجل آية تذكر او معجزة تؤثر؟ الا ، وحق ابيك لا. فالفتاة اذا فضها رجل بطلت ان تبقى بعد عذراء. وصفوة الكلام : ان الصفات التي يخلعها اشعيا على عمانوئيله (٩، ٦) لا تنطبق على ابن ولد من امرأة ، عدا ابن العذراء مريم عليهما السلام ، لكون اشعيا يقول ايضاً : قد ولد لنا ولد فصارت الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجباً مشيراً الهاً جباراً ابا الابد ورئيس السلام » اه. (عن الاب هرمان ، في كتابه عن الاسفار الالهية فصل ٢٣٥)

اما النسبة الموجودة فهي كبيرة، لان آحاز الملك اذ تزعزع ايمانه بالله وضعفت ثقته به ، وخاف ان يبيد مع كافة اهل بيته اتاه اشعيا بآية في ولديه مثبتة كونه ينجو عما قليل مؤكداً ثبوت عزهم ودوام بقائهم الى آماد فقال : اسمعوا يا بيت داود هيهات ان تكونوا على شفا الدمار فان المسيح مزمع ان يولد من عذراء من نسلكم وهو « عمانوئيل » « اي الهنا معنا »

من هذا ترى ان بين اجزاء هذه النبوة ارتباطا شديداً وان هذه النبوءة لم تتم الا بشخص المسيح وامه العذراء. لهذا كان لنا ان نقول : لقد اصاب القديس متى تمام الاصابة بنسب هذه النبوءة الى المسيح لانها كتبت عنه وتمت فيه من غير تكلف او تعسف كما قالوا ، هداهم الله.

= تاسعاً =

– تجربة المسيح هي حدث رضي وان هزت بعض ادمغة ضعيفة –

شاء بعضهم محو آثار وضعية احد الاحداث من حياة المسيح الا وهو تجربته من الخناس ؟ قال بعض القدماء : هـذه التجربة تجحف من الالوهية ان كان ثمة من الوهية في المسيح (؟!!)

ونحن من ناحية اثبات الالوهية نقول لهم : قال داود النبي في سفر المزامير : قال الجاهل (او المتجاهل) في قلبه ليس إله !

اما من جهة الاجحاف بالالوهية فنصارحهم : ان تلك التجربة للمسيح ليست باقل لياقة من تجسده والامه وموته شر ميتة على الصليب !

زعم بعض العلماء : ان الشيطان الذي جرب السيد المسيح إن هو الا يهودي اوفده مجلس اليهود ليقف على حقيقة الوهية المسيح الرب .

لا حبذا الرأي رأيهم هذا ! اذ كيف تسنى لذلك اليهودي المجرب ان يمثل على الجبل ملاكاً متولياً امر فلسطين ملتحفاً بالمجد (كما افاد لوقا ٤ : ١ – ١٣ ؛ ومرقس ١ : ٢٢ – ١٣ ؛ ومتى ٤ : ١ – ١١) فضلاً عن ان هذا المذهب لا يجديهم نفعاً ولا يمهد لنا ان نفهم لِمَ اذن يسوغ لذلك اليهودي ان يجربه ، ناهيك عن كون التجربة الثلاثية التي قامت على الجوع والكبرياء والبخل لا تفضي بذلك اليهودي الى ما يتوهمون له من المقاصد والمرامي.

وزعم آخرون : تلك التجربة ليست سوى رواية فاضت بها قريحة المسيح مشيراً بها الى ما بين العقل واهواء النفس من التنازع والخصام .

وهذا الزعم ليست له اقل افضلية على سابقه لانه يخالف تماماً كلام الانجيليين الصريح ويزيله عن معناه الوضعي . هذا وان النزاع بين العقل والاهواء الجوحة لا محل له في نفس المسيح المتنزهة عن ادنى الشوائب (وقد شابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، بولس الرسول) على اننا نقول هنا كلمة نزيل بها كل ابهام يعلق في مخيلة اي كان من طرف هذه التجربة الحقة التي سمح المسيح للمجرب ان يجابهه بها : بعد ان هبط الشيطان من ذروة مقامه الشريف الى الدركات السفلية ليقاسي العذاب المبرّح ، اخذه الحسد على الانسان فبدأ يكيل له مصطنعاً الكمين له مراراً واوقعه (المعصية) . وبعد ان كان آدم يتحدى الموت فلم يمت (لانه من طبعه مركب والمركب يجب ان ينحل في آخر امره . اما آدم وان كان مركباً فلم يكن قبـل المعصية ليموت اذ كان الموت بعيداً عنه بسبب الامتياز السامي من الاله ، هذا الامتياز الذي رفع عنه الموت .) استولى الموت اخيراً عليه ، بعد ان خالف الامر الالهي ، لكن الله وعده بانه سيحييهِ من جديد وان باتت العظام منه (من آدم) رميماً ! والشيطان عرف ذلك ، وانه سوف يولد من نسل آدم مَن يكسر اخال ابواب حظيرته الجهنمية ويسحق راسه (تك ٣ ، ١٥) ويقوض اركان مملكته (رويا ٨ ، ٤٤) ، فاخـذ يترصد اعمال كل انسان

ليعرف ما فيها الى ان انتهى الى اعمال المسيح، التي امتحنها (بسماح الله) ودقق في الامتحان، خصوصاً لما راى من مظاهر واحداث سامية احاطت حياة المسيح من مولده حتى خروجه الى البرية. فرام القطع نهائياً بشخصية المخلص، وبسماح الله ومقاصده السامية، رماه بالتجارب الثلاث، المصورة أهواء النفس والتي لها وقع شديد في قلب الناس، وهي الجوع والعجب والبخل. فتنازل المسيح وقبلها بارتياح مقدماً بها دروساً هامة للكمال الروحي ومُثلاً عليا في الدفاع المجيد وقت الحروب الروحية في هذه الغبراء. وهذا الامر لا يجرح العقل ولا يصدع الحقيقة.. قال بولس الرسول (عبران: ٢، ١٧ - ١٨): فمن ثم كان ينبغي ان يكونَ شبيها باخوته في كل شيء، ما عدا الخطيئة، ليكون حبراً رحيماً اميناً فيما هو لله ليكفر عن خطايا الشعب لانه اذ كان تألّم وابتُلي فهو قادر على ان يغيث المبتلين

اذاً لمقاصد الله وبسماحه استهدف المسيح للتجربة ليقدم لنا درساً في كيف يجب ان نجابه الشيطان العدو اللدود آن هجومه عارفين ما هي مناهج المجرب وقت يحاول اغراءنا، لنشمر ونأخذ الحيطة.

= عاشراً =

– آخر هجومهم وردهم خاسرين – اصغ اليهم والينا وابرم حكماً نزيهاً –

قالوا: انزل المسيح من عن الصليب حياً وبعد ان قبر سرقه التلاميذ!؟؟ ما ارعنهم واحمقهم! كيف تسنى لذلك المغضوب عليه (المسيح) ان يبقى فيه رمق بعد ضرب مبرح بالسياط فعلّق على

الصليب ثلاث ساعات واكثر اوردته مع باقي عروق الجسم الالهي تخرج الدم غزيراً في كيانه، فضلا عن كف الجنود عن مواصلة تعذيبه اذ تحققوا موته.

ثم هل نسي، الاخصام ذلك القبر المنقور في صخر وذلك الحجر العظيم الذي سد باب القبر والجند الذين كانوا يخفرونه، ليسهل على التلاميذ سرقة ذلك الجسد الميت؟ الا لعمري، لا اظن انهم ينسون كل ذلك.

وقالوا اذا كان ذلك كذلك. لماذا اذن صدَّ مجلس اليهود عن الاذعان للحقّ؟

لان مجلس اليهود في ذلك الحين كان معظمه ساخطاً على المسيح حاقداً عليه الحقد كله، لانه اعلن مكر اعضائه وخبثهم ورياءهم وتعريجهم عن الطريق الآمينة. لذلك تغلب الاهواء على عقولهم فما عاد يمكنهم التطلع الى الحق بشجاعة والسير وراء النور (لانه كان لهم اعين ولا يبصرون واذان ولا يسمعون.). لذلك استمروا على ضلالهم السابق مفضلين اتباع اهوائهم الجوحة، فضلًا عن ان بعضهم انضووا تحت لواء المسيح (اعمال الرسل ٥، ٢٤ - ٣٩؛ ٤، ١٧ - ٢١؛ ٦، ٦.).

قالوا: قام المسيح في اليوم الثالث، بينما مرقس (٨، ٣١) يقول بقيامة المسيح بعد ثلاثة ايام.

هذا استعمال عبراني يراد به في عرفهم اليوم الثالث. فكان اليهود يقولون عن امر حدث في مدة ثلاثة ايام او بعدها مثلًا انه

قد حدث في اليوم الثالث اوبعده لذلك فهم الفريسيون مراد قول المسيح : بعد ثلاثة ايام . فاخذوا بذلك علماً واحتاطوا للامر عارفين انه سيقوم في اليوم الثالث ، بحيث سألوا بيلاطوس ان يُقيم حرساً على القبر الى اليوم الثالث (متى ١٧، ٦٣ و ٦٤) واكلوا ايات يوحنا (٢٠، ١ ..) ان المسيح قام صباحاً وقت كان الظلام يغشي وجه الارض، وشهد مرقس (١٦، ١ ..) بانه قام باكراً جداً عند طلوع الشمس، والمع لوقا (٢٤، ٢ ..) الى انه قام حين بزوغ الفجر .

وعلى هذا نجيب : يظهر من قول يوحنا ان المجدلية ذهبت اولاً وحدها الي القبر لما كان الظلام وقتئذٍ يحجب الارض بغلاف شفاف رقيق، فوجدت ان المسيح كان قد قام؛ بمشاهدتها تدحرج الصخر الكبير عن باب القبر، فعراها الخوف ولم تجرأ على الدخول فقفلت راجعة وقد اخذها الانذهال والدهشة ولم تنقض مدة حتى رجعت الي القبر صحبة النساء اللواتي تكلم عنهن مرقس ولوقا ؛ فليس اذن من تناقض بين الانجيلين . وقال متى (٢٨، ١) : وكان الاسبوع قد انقضى وفي غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر » . يشير بذلك الى ان مريم المجدلية ومريم الاخرى جاءتا بعد ان انقضى مساء السبت، وفي صبيحة اليوم الاول من عند طلوع شمس الاحد، اي في الليل وليّ السبت عند بزوغ الشمس . وبهذا يكون اتفق مع الانجيليين على وقت قيامة الرب يسوع . ولا بدّ من الاشارة الى ان متى ومرقس ولوقا ضربوا صفحاً عن مجيء المجدلية الاول . بينما يوحنا الحبيب اثبت المجيئين فازال

الابهام واثار الاذهان .

قالوا : ان متى (٢٨، ٥) ومرقس (١٦، ٥) ذكرا ان ملاكاً واحداً خاطب النساء عند القبر . اما لوقا (٢٤، ٤ - ٥) فذكر ملاكين. نرد على هذاقائلين : وان تكلم متى ومرقس عن ملاك واحد، فلا يعني انهما ينفيان الثاني ، بل اختصا بكلامهما ذاك الذي ظهر للنساء اولاً قائماً على جانب القبر من ناحية اليمين .

قالوا جاء في متى (٢٦، ٣٤) حول قول المسيح لبطرس : انك في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات . وجاء في مرقس (١٤، ٣٠) : انك اليوم في هـذه الليلة قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات .

ورأينا ان مرقس اكثر توضيح للوقت من متى . ولا يخفى ان التفاوت في الوضوح لا يدخل في باب التناقض . ومشوا متابعين: ان موت الاسخريوطي يختلف في متى (٢٧، ٥) عنه في سفر اعمال الرسل (١، ١٨) .

نجيب سفر اعمال الرسل افترض شيوع حادث الاسخريوطي ، لهذا اقتصر على تفاصيل موته الاخيرة ، عكس متى الذي سرد ذلك الحادث (المشووم على يهوذا بكامله ويغلب على الظن ان الحبل انقطع او ان غصن الشجرة انكسر ، فهبط يهوذا التعيس الى اسفل وانشق جوفه واندلقت امعاؤه .

وزادوا : تلك الرقعة التي كتب عليهـا علة المسيح وعلقت فوق الصليب تحمل فوقها ، عند متى (٢٧، ٣٧) هـذا هو يسوع

ملك اليهود » ، وعند مرقس (١٥، ٢٦ . ملك اليهود » ، وعند لوقا (٢٣ - ٣٨ :) هذا هو ملك اليهود وعند يوحنا (١٩، ٩.) » يسوع الناصري ملك اليهود »

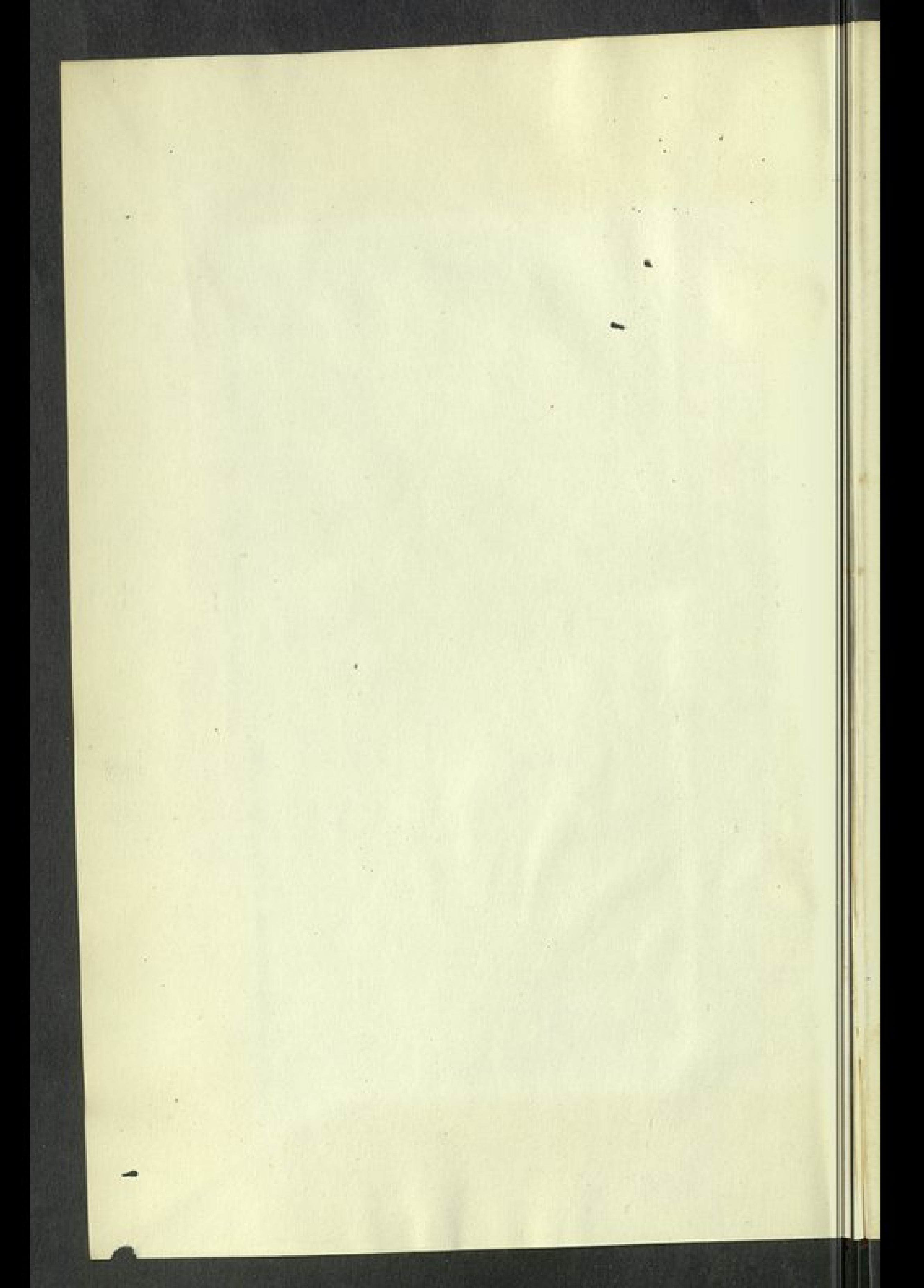
وقولنا : كل هذه العناوين يستوي فيها ملك اليهود . اما تلك الزيادات فلا تغير من المعنى شيئاً جوهرياً ، يستدعي تناقضاً بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا

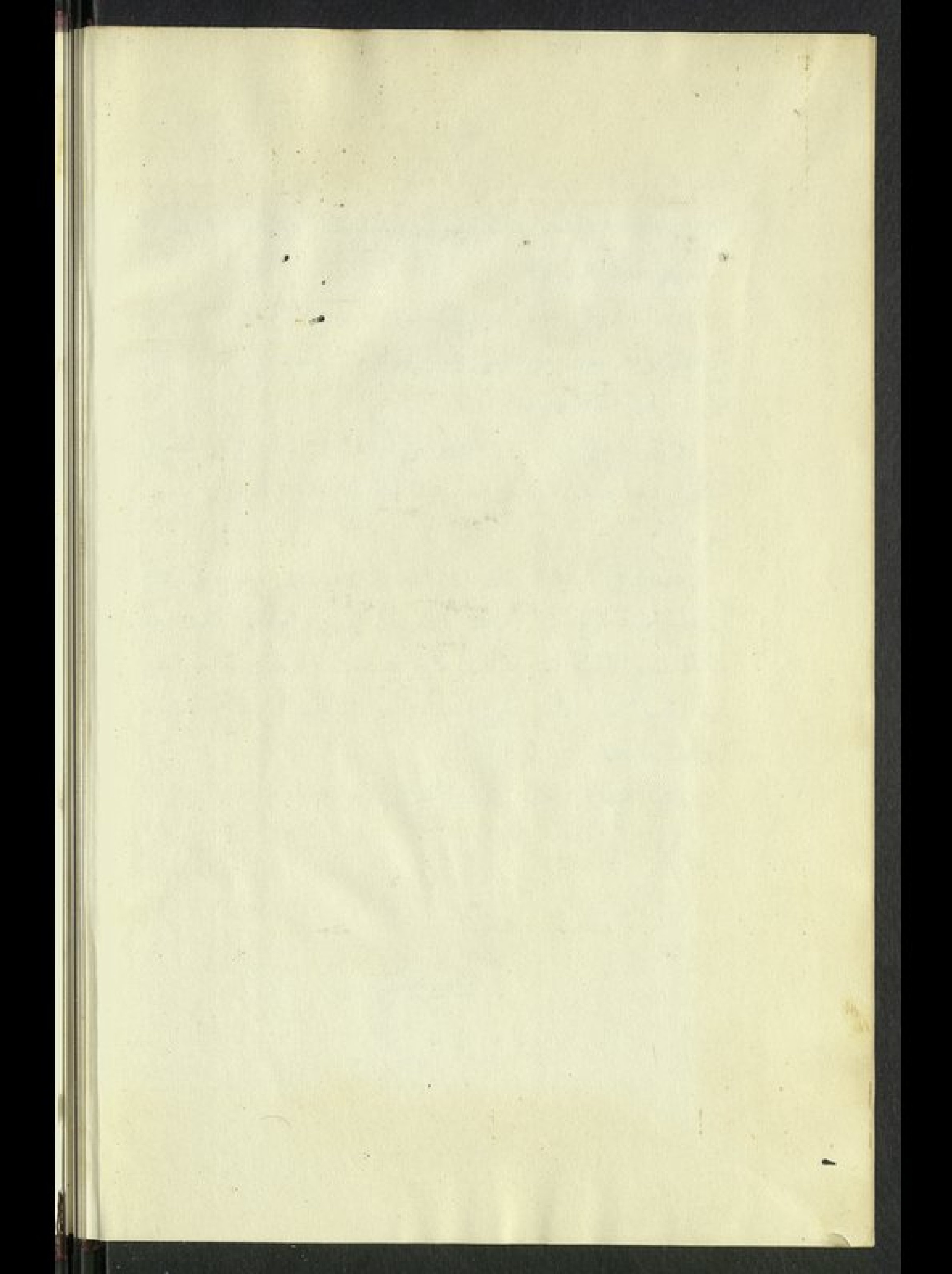
وانهوا : متى (٢٧، ٤٤) ومرقس (١٥، ٣٢) قالا : ان اللصين اللذين صُلبا معه كانا يعيرانه . بينما لوقا (٢٣، ٣٩) يقول بتعبير لص دائم .

عليه : في البداية كان كلا اللصين يرميـان المسيح بالشتائم (وهذا ما ذكره متى ومرقس) غير ان نفس واحدهما كانت تربة صالحة للنعم الالهية التي هبطت عليها فتبدلت وارعوى صاحبها عن غيه وتاب ، بينما الاخر بقي مصراً وتابع السباب والشتائم ليسوع (وهذا ما اشار اليه لوقا)

وهنا انتهوا وانتهينا ولله الحمد في البدء والختام








AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

